



# تاريخ الفكر الإسلامي

في العصر العباسي

(٣)



# تاريخ اليمن الفكري

في العصر العباسي

١٣٢-٦٥٦ هـ  
٧٥٠-١٢٥٩ م

الجزء الثالث

تأليف

أحمد بن محمد السامي

منشورات العصر الحديث

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَبْعَةُ الأُولَى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م



طبع وتوزيع:

دار الفلاس بيروت - ص ب: ٥١٥٢/١٤ - هاتف: ٨١٠١٩٤ - بركياً: دانفايسكو

## تقديم

وبعد فهذا هو السفر الثالث من كتاب « تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي » . وسيعني بالحقبة الرابعة والأخيرة من الفترات الزمنية التي جعلتها مراحل لمسيرتي الدراسية لتاريخ الأدب العربي والثقافة الإسلامية في اليمن خلال ما اصطلح المؤرخون والأدباء المعاصرون على تسميته بالعصر العباسي [ ١٣٢ - ٦٥٦ هـ ] وربما إلى العقد الأخير من القرن السابع .

وهذه الحقبة الرابعة ، أو المرحلة الأخيرة تمتد أصلاً ما بين عام ٥٦٩ وسنة ٦٥٦ للهجرة أي من بداية الغزو الأيوبي بقيادة السلطان توران شاه وحتى نهاية الخلافة العباسية في بغداد عندما اكتسحها التتار . ولكن تياراتها قد ظلت حيةً تندفع وتتحرك حتى وفاة المظفر سنة ٦٩٤ هـ . وسوف أسلك نفس النهج الذي أتبعته وأنا أوردُ للفترات السابقة محاولاً الإحاطة جهدي ؛ متحدثاً عن ملوك وسلطين الأيوبيين وخلفائهم الرسولين ، والأئمة الزيدين الذين عاصروهم ، وأمراء ومشايخ العشائر والقبائل في تلك الحقبة ، وأعلام الفكر والثقافة والأدب وعن النشاط العلمي وحركة التأليف والكتابة ، مترجماً لأفذاذ الشعراء والمؤرخين والمؤلفين في شتى أنواع المعرفة التي كانت مألوفة ومتداولة لدى اليمنيين في ذلك العهد العتيق .

ولعل من واجبي أن أشير إلى ما جد وطراً على الحياة اليمنية ومجتمعها خلال هذه الحقبة الأخيرة : فلقد بدأ السلاطين والأمراء والمشايخ الأثرياء ، يتنافسون على مظاهر الترف والرفخفة ويقلدون بعمارتهم وملابسهم ومواكبهم ملوك وسلطين القاهرة وبغداد والهند وفارس ، وقد لاحظ ذلك الرحالة « ابن بطوطة » الذي زار اليمن في فترة قريبة من العهد الذي نتحدث عنه وذكره في رحلته [ ص ٢٥٠ ] .

كما ساد في بعض المدن اليمنية ولا سيما الجنوبية والتهامية الكثير من العادات المستوردة ؛ من رقص وغناء ومأكولات ومشروبات ، وحلي وملبوسات ، وطرانة ومجون ، وآلات لهو وطرب ، وانتشرت عادة التسري بالجواري وتهاديهن ! وعقد بعض السلاطين والأمراء والأثرياء مجالس اللهو والشراب علنا دون خوف سلطة أو قانون ! وعرف اليمنيون أنواعاً جديدة من الأسلحة وآلات الحرب ، وسيوفها ورماحها ودروعها وخوذها ودرقاتها ودبابيسها ؛ بأشكالها الكردية والتركمانية والمصرية ؛ وعرفوا لأول مرة الحسك الحديدية ذات الأشواك المسمومة ، والتي كان أمراء وقادة « الغز » ينشرونها في ممرات الطرق إلى مخابئهم في القلاع والحصون ، وإلى مراكز مخيبتهم وهي تتلف من وما يدوسها من انسان أو حيوان ، وعرفوا نار النُفط التي كان « المالك » يتفثونها ويصبونها على اليمنيين إذا ما هاجوهم في المدن أو الحصون فتشوي أجسامهم وترعب أفئدتهم ، وتعرقل نشاطهم الحربي . [وانظر ص : ٤٤٢ - ٤٤٤ من كتاب السمط الغالي الثمن] .

نعم ؛ لقد حاولت الاحاطة والتقصي جهدي ، ولكن كيف وأنا لي بذلك والبحث بكر ؟! فمن وجد قصوراً أو تقصيراً أو زللاً أو خللاً ، فليُسبَل عليه ثوب الستر ، وليعذر هذا القلم الذي حاول خدمة اللغة العربية وآدابها في اليمن قدر طاقته ، راجياً من الله سبحانه الإعانة والتوفيق ، وأن يجعل عملي خالصاً لوجه المعرفة ، وأن يحتتم لي ولسائر المؤمنين بالحسنى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله .

أحمد بن محمد الشامي

**المرحلة الأخيرة : عهد الأيوبيين  
ومطلع العهد الرسولي**  
[٥٦٩ - ٦٥٦ هـ / ١١٧٤ - ١٢٥٩ م]





## المرحلة الأخيرة : عهد الأيوبيين

### ومطلع العهد الرسولي

[ ٥٦٩ - ٦٥٦ هـ / ١١٧٤ - ١٢٥٩ م ]

تُعد هذه الحقبة القصيرة من حقب الأدب اليمني في العصر العباسي جزءاً من الحقبة السادسة في تاريخ اليمن الأدبي والثقافي العام والتي سميها « عهد الأيوبيين وبنو رسول » . وتشغل في هذه الدراسة حوالي سبعة وثمانين عاما ؛ مع أنها أصلاً حقبة طويلة تمتد من سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م إلى أن انقرضت دولة بنو رسول عام : ٨٥٨ هـ / ١٤٥٥ م أي حوالي ثلاثة قرون .

ولأننا نتحدث عن آداب اليمن في العصر العباسي فسنتصر على ما يهمننا منه في هذه الحقبة المشار إليها ، أي من بداية الحملة العسكرية بقيادة السلطان « توران شاه الأيوبي » عام ٥٦٩ هـ إلى أن سقط الامام أحمد بن الحسين شهيداً عام ٦٥٦ هـ وهو يصادف نفس العام الذي دخل فيه التتار بغداد وقتلوا الخليفة العباسي « المستعصم » ، وانقرضت دولة العباسيين وانتهى ما يسمونه في اصطلاح المؤرخين للأدب العربي « العصر العباسي » . . وقد يطول المشوار حتى يظل بنا على مشارف القرن الثامن الهجري .

### أسباب الحملة الأيوبية على اليمن

لقد سبق أن أشرنا إلى ان المعارك الطاحنة التي جرت بين سلاطين الطوائف وابن مهدي قد مهدت الطريق لانتصار « توران شاه » وابتلاعه لليمن ؛ وقد تضاربت الروايات والآراء عن الأسباب الحقيقية التي دعت السلطان صلاح الدين الأيوبي لتجهيز أخيه « توران شاه » على رأس حملة

عسكرية لاحتلال اليمن ، وقد تحدث عن ذلك المؤرخ اليمني يحيى بن الحسين بن القاسم فقال :

« وأما الأسباب الموجبة لخروج بني أيوب إلى اليمن ؛ فقد قيل إن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما بلغه أن رجلا باليمن يسمى عبد النبي بن علي بن مهدي - أوغل في سفك الدماء ، ونهب الأموال ، وتطاول حتى زعم ان ملكه يطبق الأرض ، ويسير فيها مسير الشمس ، غضب لذلك وبعث أخاه توران شاه بن أيوب . وقيل إن أهل تهامة رفعوا أمر عبد النبي إلى صلاح الدين بن أيوب ، وشكوا إليه ما نالهم منه ، وقيل إن الشريف قاسم بن غانم السليمانى شكوا إلى الخليفة من بني العباس ما فعله عبد النبي بن علي من قتل أخيه الشريف وهاس بن غانم ، وطلب منه النصرة فأمر صلاح الدين بالتجهز عليه » . [ص ٣٢٢ ج ١ - غاية] .

### تعليق الدكتور عاشور

وقد علق محقق « غاية الأمانى » الدكتور سعيد عاشور على كلام يحيى بن الحسين فقال : « مازالت الأسباب الحقيقية لحملة صلاح الدين على « النوبة » و « اليمن » موضع نقاش بين المؤرخين ، ويمكن أن نشير إلى السبب الذي ذكره ابن الأثير وردده ابن واصل ، وهو حرص صلاح الدين في ذلك الدور الذي دبت فيه الوحشة بينه وبين سيده نور الدين على « تحصيل مملكة يقصدونها ويملكونها وتكون لهم عدة » ، وذلك إذا دخلت جيوش نور الدين محمود مصر ، وطردت منها صلاح الدين وأهله ولذلك « استقر الرأي بينهم أنهم يمتلكون إما بلاد النوبة ، أو بلاد اليمن ، حتى إذا وصل إليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد ، فان قوا على منعه أقاموا بمصر ، وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي افتتحوها » . ونحن لا نستبعد صحة هذا الرأي واعتباره دافعاً من الدوافع الكبرى التي دفعت صلاح الدين إلى إرسال حملة إلى النوبة ثم أخرى إلى اليمن ؛ حقيقة أن صلاح الدين استأذن سيده نور الدين محمود في إرسال حملة إلى اليمن لتأديب صاحب زبيد الذي قطع الخطبة للخليفة العباسي - وذلك كما يروي ابن الأثير . ولكن هل كان صاحب زبيد هو الحاكم الوحيد في العالم الاسلامي الذي قطع الخطبة للخليفة العباسي عندئذٍ ؟ وهل كان قطع

الخطبة للخليفة العباسي في زييد يسبب قلقاً كبيراً لصلاح الدين عندئذ ؛ أكثر من القلق الذي يسببه له تخوفه على ضياع مكاسبه في مصر ؟ يؤيد هذا الرأي ما يقوله ابن واصل من أن عمارة اليميني الذي كان بمصر عندئذ « حسن للملك المعظم » توران شاه « قصد اليمن ووصف بلادها له ، وعظمها في عينه ، فزاده ذلك رغبةً فيها » . ولا نستبعد أن تكون خطة عمارة اليميني صرف أنظار الأيوبيين عن مصر ، أو توزيع قواهم بين أكثر من جبهة حتى تتاح الفرصة لآحياء الخلافة الفاطمية في القاهرة » . [ غاية ج : ١ - ص ٣٢٣ ] .

### تعقيب على التعليق

وليس سديداً هذا التعليق من قبل المحقق الدكتور سعيد عاشور ، وغريباً جداً أن يقره عليه المراجع الدكتور محمد مصطفى زيادة ؛ وليس لأن صلاح الدين لم يكن خائفاً ولا قلقاً من جيوش سيده نور الدين - حسب تعبيره - أن تزحف عليه وتطرده من مصر فربما ان ذلك قد كان ! ولكن لتساؤلاته التي تقلل من أهمية اليمن الجغرافية بالنسبة للحرمين الشريفين مكة والمدينة ؛ ! ولو أمعن النظر وراجع التاريخ وقوافله في جزيرة العرب لعرف تلك الأهمية ؛ وهلا تذكر أن الغزو الحبشي الصليبي عام « الفيل » قد سلك طريق « صنعاء » ؛ وأن طالب الحق الخارجي عبد الله بن يحيى قد جهز جيشاً منها هدد الخليفة الأموي في مشارف الشام ؟ بعد أن احتل « مكة » المشرفة ، و « المدينة » المنورة !

وأن الخليفة هارون الرشيد قد اندفع في لحظة قلق فأمر عامله باليمن بأن يحمل إليه إلى بغداد الامام محمد بن أدريس الشافعي مغللاً على قتب بعير خوفاً من أن تقطع الخطبة له على منابر اليمن ؟ وهلا تذكر أن الخلفاء العثمانيين قد ظلوا قروناً عديدة يرسلون الحملات العسكرية إلى اليمن وليس طمعاً في خيراتها بل حمايةً للحرمين الشريفين من مؤامرات قراصنة البحار الذين استولوا على السند والهند وما وراء البحار ، وهلك من جراء ذلك أكثر من مليون جندي عثماني حتى سميت اليمن « مقبرة الأتراك » ؟ لذلك ولأسباب أخرى كثيرة يعرفها المؤرخون نقول إن تعليق الدكتور عاشور لم يكن حصيفاً ولا سديداً ، وكم له سامحه الله من تعليقات شوهدت « غاية الأمان في أخبار القطر البياني » ! .

## رأي المؤرخ الخزرجي وتعليق الأكوخ

وقد سبق ان ذكرت وأنا أتحدث عن « ابن مهدي » ما نقله المؤرخ الخزرجي [ت ٨١٢ هـ] في كتابه « العسجد المسبوك » عن « الجندي » [ت حوالي ٧٣٣ هـ] ان سبب حملة « توران شاه » أو من أسبابها « رسالة بليغة » كتبها « ابن النساخ » إلى الخليفة العباسي ببغداد يشكو فيها من ابن مهدي ويذكر سوء عقيدته وكتب مع الرسالة قصيدة طويلة منها :

وقل لامام العصر يابن خلائفٍ      هم حججٌ محجوبةٌ وكعابُ  
غدت ملّة الاسلام مفصومة العرى ،      وعامر دين الله وهو خرابُ  
يُدبّحُ أبناءً ، وتُسبى عقائل ؛      ضلال يرى في أرضنا وتبابُ  
بنات رسول الله بين بيوتهم      سبايا من الستر الجميل سلابُ !

« وإن الخليفة لما قرأها كتب إلى السلطان صلاح الدين أن يجهز عسكرياً إلى اليمن فوجه أخاه « توران شاه » . وقد ذكر ذلك أيضاً المؤرخ الحافظ عبد الرحمن بن الديبع المتوفي سنة ٩٤٣ هـ في كتابه « قرة العيون في أخبار اليمن الميمون » [ص ٣٧٣ ج ١] ولكنه أيضاً نقل عن ابن خلكان أن السبب هو استغاثة الشريف قاسم بن غانم بصلاح الدين لما قتل ابن مهدي أخاه الشريف وهاس » .

وقد علق القاضي محمد بن علي الأكوخ على ما أورده « ابن الديبع » بقوله « وكون هذه الرسالة كانت هي الحافزة للسلطان صلاح الدين لبعث أخيه لفتح اليمن غير صحيح ؛ وإن رواها الجندي ؛ فلعله واهم ، وإنما كانت هذه الرسالة سبباً لخروج الملك المسعود الأيوبي الآتي الذكر لما قام ودعا الامام عبد الله بن حمزة الخ » ! وهذا التعليق أيضاً غير سديد ؛ أولاً لأن الفقيه الشاعر الحسن بن محمد بن النساخ يقول في قصيدته :

بناتُ رسول الله بين بيوتهم      سبايا من الستر الجميل سلابُ

وذلك صريح انه لا يقصد الامام عبد الله بن حمزة الذي ينتسب إلى الامام الحسن ابن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، بل يقصد الملك ابن مهدي الذي ظهر قبل ظهور الامام عبد الله بن حمزة ، وحارب أئمة أهل البيت بعشرات السنين . . وإن كان ابن النساخ نفسه قد حبر

رسالةً أخرى إلى الناصر العباسي يشكو الامام عبد الله بن حمزة كما شكّا ابن مهدي ، وذلك سنة ٦١١ هـ وجاء في رسالته في وصف عبد الله بن حمزة :  
ونادى : أنا ابن المصطفى وابن عمّه علي ؛ أنا ترب العليّ ونديمها  
أنا أحمدُ جدّي ، وحيدرُ والدي وإنيّ للعلياء حقاً أقيّمها

كما أن الرسالة الأولى كانت إلى الخليفة « المستضي » الذي تولى الخلافة سنة ٥٦٦ هـ وتوفي سنة ٥٧٥ هـ لأن السلطان « توران شاه » خرج بحملته إلى اليمن سنة ٥٦٩ هـ ؛ وأما الناصر فلم يترعّ على العرش العباسي إلا بعد وفاة أبيه المستضي ؛ وظل خليفة حوالي ستة وأربعين عاماً ، وقد توفي سنة ٦٢٢ هـ بعد وفاة الامام عبد الله بن حمزة بثمان سنوات . ولعل الذي حمل الأستاذ الأكوغ على انكار أن يكون ابن النساخ - وهو زبيدي مُطرفي - قد حاول اغراء الخليفة العباسي وتحريضه علي الملك ابن مهدي - وقد سبق سرد ما صنعه في اليمن من أهوال - هو أن يُشنع على الامام بقوله : « لما قام ودعا عبد الله بن حمزة واشتدت وطأته باليمن الأعلى ، وأذرع في القتل والتخريب والنهب » ! مع أنه يعلم أن دعوة « الامام عبد الله بن حمزة » كانت سنة ٥٨٣ هـ ، وابن النساخ لم يكتب رسالته إلى الخليفة العباسي الناصر إلا عام ٦١١ هـ أي بعد حوالي سبعة وعشرين عاماً من دعوته ، وبعد أن مال في ذلك العام ٦١١ هـ ميلته العنيفة على المطرفية ، والتي سوف نقف معها ونتحدث عنها وعن رسالة ابن النساخ . وقد ذكر المؤرخ يحيى بن الحسين الرسالة في كل من غاية الأمانى ، و« المستطاب » ، ولإختلاف أقوال المؤرخين احتمال وجود رسالتين لابن النساخ الأولى إلى « المستضي » ضد ابن مهدي وقد كانت من أسباب خروج « توران شاه » ، والثانية إلى ابنه « الناصر » ، وليس هنالك ما يمنع من ذلك بل هو ما اطمئن إليه ؛ والقاضي الأكوغ يعلم أن من أسباب خروج حملة « المسعود » إلى اليمن عام ٦١٢ هـ الفوضى العارمة التي اجتاحت « الأيوبيين » في اليمن اثرقتل الملك « اسماعيل بن طغتكين » ثم وفاة أخيه أيوب مسموماً واضطراب الأحوال في البلاد .

وعلى كل فنحن لا نهتم بأسباب الأحداث التاريخية كما نهتم برصد النصوص الأدبية والحركات الثقافية والعلمية في هذه الفترة وغيرها . وسوف نثبت ما تبقى لنا من رسالة « ابن النساخ » الثانية المحرّضة على الامام

« ابن حمزة » عندما نتحدث عنه وعن مأساة المطرفية إن شاء الله .

## توران شاه في عدن

وسواء كان هذا السبب أو ذلك ؛ ما قاله « ابن الأثير » ، أو أشار إليه « الجندي » أو ارتآه « فلان » من المحدثين أو « علان » من « المحققين » ؛ أو كانت كل تلك الأسباب مجتمعةً ، وإلى جانبها أسباب أخرى ، لم يحدثنا بها أحد ، وراء حملة « توران شاه » العسكرية إلى اليمن . . فان الذي لا نشك فيه أن الظرف السياسي والاجتماعي الذي كانت تعيشه اليمن ، وتمزقها إلى طوائف وسلطنات ودويلات تتطاحن وتتصارع ، قد ساعد « توران شاه » وجنده على الظفر الكاسح ، والنصر السريع ، وثمة أمر آخر لا يقل أهمية عن ذلك الظرف السياسي والاجتماعي وهو ما تعلمناه من التاريخ القديم منه والحديث ، وفي كل مكان وزمان ، من أن نجاح أي حملة عسكرية من بلدٍ ما ؛ مهما كانت أسبابها - إلى بلد آخر مهما كانت ظروفه السياسية والاجتماعية يتوقف على تعاون وتخطيط مُسبق مع عناصر وطنية من البلد المغزو نفسه ؛ وقد ذكر الجندي والخزرجي بل وصاحب العقد الثمين الذي عاصر تلك الأحداث أو عايش من عاصرها ، ان الشريف قاسم بن غانم السلياني قد ذهب في وفدٍ إلى مصر مستنجداً ، وأنه قد رافق حملة توران شاه إلى « حَرَض » ، وأمدّه بقبائله من المخلاف السلياني وكان معه حين احتل « زبيد » وانتهبها ، وقبض على عبد النبي بن مهدي وأخوته ، وكان ذلك في شهر شوال سنة ٥٦٩ هـ ولم يأت اليوم العشرون من شهر ذي القعدة الا وقد اكتسح ما أمامه من أراضي تهامة ، واحتل « تعز » و « الجند » و « لحج » و « عدن » ووقف أمامه الشاعر الكبير أبو بكر العندي يقول مهنتاً :

أم أنجباً أطلعتهن سعودا ؟  
بالرأي منك وجُردت تجريدا ؟  
رفعت عليك لواءها المعقودا ؟  
حتى لكادت أن تبید البيدا ،  
صعباً ؛ ولا المرمى البعيد بعيدا !  
متن الفلاة بركضها معقودا ،

أعساكراً سيرتها وجنودا  
أم تلك ماضية العزائم أرهقت  
أم تلك أقدار الآله ونصره  
فسموت تطوي البيد مشتاقاً بها  
ونضمت لا الصعب المرام رأيت  
واقدمتها قب الأياطل غادرت

شعنا يطيرها المراح كأنها العقبان تحمل في الحديد اسودا !  
 وشهرت نصرك والعزائم فالتظت  
 منها البلاد تلهبا ووقودا ،  
 وحياد ركض ما تحف لبودا ،  
 إلا ربا يمن لهن غمودا ،  
 كادت تزيل عن الوجود « زبيدا » !  
 فرأتك أقوى عدةً وعديدا ،  
 قبل ارتدادك لحظها المردودا  
 مستغرقاً في نصره المجهودا ،  
 ما تقشعر الأرض منه جلودا  
 صدقت وعيدا في الورى ووعودا  
 وجعلت تراباً صخرها الصيخودا ،  
 منها الصدور مكاسباً ونقودا !



وكان الشيخ الشاعر أبو بكر العندي يلقي هذه القصيدة بين يدي  
 السلطان « توران شاه » وقد أصيب بالعمى ، ولا شك أنه كان وهو يهنيء  
 القائد المنتصر بذك جبال ودروب عدن ، وإباحتها للعساكر ، كتيب  
 الخاطر ، حزينا على مدينته التي نال فيها الشهرة والعز والجاه ، ولا شك  
 أيضاً أنه قد فقد أحبباً وأصدقاء في زبيد ، والجندي ، وجبله ، وتعز ، وأنه  
 كان مكروبا لما أصاب أولاد ممدوحه الداعي عمران بن محمد بن سبأ والشيخ  
 ياسر بن بلال ، وقد قبض عليهم السلطان توران شاه ويخشى أن يكون  
 مصيرهم مصير ابن مهدي المشثوم . ولكن ماذا في مقدوره غير أن يهنيء  
 السلطان ويقول :

وليات أرض الشام منك ومصرها  
 وطلعت شمساً إذ طلعت فكشفت  
 ولو أن أملاك البسيطة أنصفت  
 ولو أنها أوفت مقامك حقه  
 ولو أن نجم الدين كان مشاهدا  
 ولكان يعلم أنك الملك الذي  
 أن قد أسرت بها الملوك عبيدا ؛  
 أنوار طلعتك الليالي السودا ،  
 خرت لعزك ركعاً وسجودا !  
 فرشت لمقدمك البقاع خدودا  
 لرأى مقامك في العلا مشهودا  
 بالنصر أيد عزمه تأييدا .

إلى أن يقول :

لله منك مواقف مشهورة  
ووقائع أضمرت من « يَمَن » بها  
هزت بك البيض الرقاق معاطفاً  
فاستفتح الدنيا بسيفك إنه  
فلقد تطامنت البلاد ومهدت  
وتنافست فيك البقاع مشارقاً ،  
وبقيت منصور اللواء مظفراً .

وهي قصيدة طويلة أثبت منها مؤلف العسجد المسبوك سبعة وأربعين بيتاً .

### توران شاه واليمن الأعلى

لقد كان احتلال « تهامة اليمن » وزحف « توران شاه » بعد ذلك على « تعز » وحصونها ، ثم احتلاله لعدن سهلاً وميسوراً ، ولم يكلفه كثيراً من العناء ؛ ولكنه حين أراد أن يتوغل في جبال الشمال مما وراء جبل « سارة » . . وجد نفسه بين قبائل صعبة المراس ، ولاقى من المقاومة ما لم يكن في حسبانته ، ولقد تناقل المؤرخون وصف المعارك الحامية التي دارت بينه وبين اليمنيين عندما قصد « ذمار » في طريقه إلى « صنعاء » وقالوا : إن شجاعته ، وقوة عزمته ، بعد أن قُتل من فرسانه « الغز » خمسة وستون فارساً ، كانت من أهم أسباب انتصاره فلقد وقف فيهم خطيباً يقول لهم : « إلى أين تفرون ؟ قاتلوا عن أنفسكم ، وإلا أكلتكم العرب . أين أنتم من ديار مصر ؟ » وقد نظم شاعر ذمار ذلك فقال من قصيدة :

وقال لجنده موتوا كراماً ؛ فأين ديار مصرٍ من ذمارٍ ؟

وذهبت مثلاً ، وذكروا حروبه مع سلاطين بني حاتم في صنعاء وهدان وسائر قبيل « الحواز » . وأما ما وراء ذلك شمالاً فلم يتمكن من التحرك إليها ؛ وقد فاجأته القبائل المتربصة عندما أراد العودة إلى تهامة ونهبت أثقاله ، واستولت على قوافله ، المحملة بالذهب والفضة والسلاح ، ولذلك فقد استراح إلى المقام منتقلاً ما بين جبلة وزبيد حتى ملّ العيش في اليمن وطلب من أخيه « صلاح الدين » السماح له بالعودة إلى الشام ، فرحل إليها



سنة ٥٧١ هـ بعد أن لبث فيها عاماً ونصف عام في حرب وصراع ومؤامرات ونهب وتقتيل .

[انظر العسجد المسبوك لوحة ١٤٦ - ١٥٨] .

### المراسلات الشعرية بين السلطانين

لم يزعم أحد أن الملك « صلاح الدين الأيوبي » أو أخوه السلطان « توران شاه » كانا يقولان الشعر ، ويجيدان القريض ، لكن الخزرجي يحدثنا في كتابه « العسجد المسبوك » قائلاً : لما أقام شمس الدولة [يقصد توران شاه] في اليمن سنةً كاملة ، اشتاق إلى الشام ، وضاعت عليه اليمن ، ولم تعجبه لكونه تربية الشام ، وهي كثيرة الخيرات ، واليمن أرض مجدبة بالنسبة إلى الشام ، فكتب إلى أخيه الملك الناصر [صلاح الدين] يسأله أن يأذن له في الفصول إلى الشام وارسل إليه بهذه القصيدة :

لولا محلّك في قلبي وأفكاري      ما رنّح الشوق أعطافي وتذكاري  
ولا التفت إلى مصر وساكنها      وقد تعوضت عن مصر بأمصار ،  
ولا حننت إلى أرض الشام وإن      كانت مطالع أوطاني وأوطاري ،  
ولا ترنمت والأشواق تمرح بي      لبارق من نواحي أرضكم شاري ،  
ما الدار الا دمشق والمنى حلب      والشوق مصر وفي الزوراء أسراري ،  
تلك المنازل لا لحج ولا عدن      ولا زبيد ، ولا اكتاف « تعشار » ،  
هذا على ان قدر الملك في يمن      عالٍ ؛ ولكنه من دون مقداري ،  
وقد أبدت الملوك المتيمين به ،      واقتدتهم قوداً إذلال وإصغار ،  
لكنه مذ أتتني الكتب تخبرني      إضمار شوقك ما يخفيه إضماري ،  
ومخبراتي بفتح الشام هيّج لي      ما أعربت عنه من شوق وأخبار ،  
وزادني أسفا جر الجيوش ولم      أجرر بها ذيل عالي النقع جرار !  
وفتح سيفك حصاً مع حماة ، وكم      حامى على الغاب فيها ليئها الضاري !  
فكدت من فرط شوقي أن أطير إلى      سامي مقامك في جيشي وأنصاري ،  
وأطرق الشام ، لا همي بمنصرف      عن الشام ولا عزمي بخوار .

\*\*\*

إلى آخر القصيدة وقال إن صلاح الدين قد أجاب عليه برسالة ترغبه في الإقامة في اليمن وأنها مباركة ، وهي « كثيرة الأموال » ! ومملكتها واسعة ،

وذكر أن « توران شاه » قد كتب إلى أخيه كتاباً آخر في نفس الموضوع « وفي الكتاب شعراً يقول فيه » :

الشوق أولع في القلوب وأوجع  
لا تستقر بي النوى في موضع ،  
وحملت من وجد الأحبة والنوى  
وإلى صلاح الدين أشكو أنني  
جزعاً لبعده الدار منه ولم أكن  
فلأركبَن إليه متن عزائمي  
حتى أشاهد منه أسعد طلعةً  
فعلام أَدفع منه ما لا يُدفع !  
الا تقاضائي الترحلَ موضعُ ،  
ما ليس يحمله الأحبة أجمع ،  
مضى كئيبٌ مستهام موجع ،  
لولا هواه لبعده دار أجزع ،  
ونُخب في ركب الغرام ونُوضع ،  
من أفقها صبح السعادة يطلعُ ،

\*\*\*

وقال : إنه بعث بها مع رسول وأوصاه ان لا ينشدها على صلاح الدين إلا في مجلس انس ؛ وإنه عندما سمعها قال القفول والقفود إليه ؛ إن أحب الوقوف فليقف ، وإن أحب الوصول فعل ؛ ثم جهز الرسول جهازاً حسناً وكتب معه كتاباً ضمنه أبياتاً منها :

ولأنت شمس الدين فخري في الوري  
وملاذ آمالي وركني الأمتع ،  
النصر إن أقبلت نحوي مقبلٌ ،  
واليمن إن أسرع نحوي مسرعُ ،

وقال : إن « توران شاه » لما قرأ جواب أخيه صلاح الدين عزم على السفر وأمر بشنق و« توسط » من بقى في أسره وتحت قبضته ، من ملوك وسلاطين اليمن وذلك في سنة ٥٧١ هـ [والتوسط ان يقطع الرجل نصفين] !

ولا شك أن شعراء يمينيين أو مصريين كانوا يصنعون تلك الأشعار على لسانيهما ؛ ولم يذكر ذلك أحدٌ من المؤرخين اليمينيين ؛ ولكن الأديب المؤرخ أحمد بن محمد بن خلكان قد أشار في ترجمته للسلطان « توران شاه » في كتابه « وفيات الأعيان » [ج - ١ - ص : ٣٠٨] أن القاضي الفاضل كان يكتب رسائل السلطان صلاح الدين إلى أخيه « توران شاه » وكان يودعها شرح الأشواق ، فمن ذلك أبيات مشهورة ذكرها في ضمن كتاب وهي :

لا تضجِرَن مما أبثُ فإنه صدرٌ لأسرار الصَّبابة ينفثُ  
أما فراقك واللقاء فأن ذا . . منه أموت ، وذاك منه أبعثُ

حلف الزمان على تفرق شملنا فمتى يرقّ لنا الزمان ويحث ؟  
كم يلبث الجسم الذي ما نفسه فيه ، ولا أنفاسه ؟ كم يلبث ؟  
حول المضاجع كتبكم فكأنني ملسوعُكم ، وهي الرقاة النَّثُ .

فكشفت لنا بذلك إسم أحد ناظمي أشعار المراسلة بين السلطانين ؛ ولا نستطيع أن نجزم هل تلك التي كان يبعثها « توران شاه » من اليمن من نظم أحد شعراء اليمن أم من شعراء مصر الذين رافقوا حملته العسكرية ؛ فقد كانوا يحبون مصاحبة الشعراء .

ولقد ذكر « ابن خلكان » ما ذكره المؤرخون اليمنيون من ان « توران شاه » لما تلقى رسالة أخيه « صلاح الدين » التي تتضمن ترغيبه في البقاء في اليمن قال لمتولي خزينته بحضور رسول صلاح الدين : « أحضر لنا ألف دينار ، فأحضرها فقال لأستاذ داره أمام الرسول : ارسل هذا الكيس إلى السوق يشترون لنا بما فيه قطعة ثلج !! فقال أستاذ الدار : يامولانا ، هذه بلاد اليمن من أين يكون فيها ثلج ؟ فقال دعهم يشترون بها طبق « مشمش لوزي » ؛ فقال من أين يوجد هذا النوع هاهنا ؟ فجعل يعدد عليه جميع أنواع فواكه دمشق ، وأستاذ الدار يظهر التعجب من كلامه ، وكلما قال له عن نوع يقول له : يامولانا من أين يوجد هذا هاهنا ؟ فلما استوفى الكلام إلى آخره ، قال للرسول : ليت شعري ماذا أصنع بهذه الأموال إذا لم انتفع بها في ملاذي وشهواتي ؟ فان المال لا يؤكل بعينه ، بل الفائدة فيه أن يتوصل به الانسان إلى بلوغ أغراضه ، فعاد الرسول إلى صلاح الدين وأخبره بما جرى فأذن له في المجيء .

وقد استخلف « توران شاه » بعد أن أمر باعدام من في قبضته من الأمراء والسلاطين اليمنيين « المبارك بن منقذ » أحد أعيان الدولة المصرية على زيد وما يليها من التهائم ، وعثمان الزنجبيلي على عدن ، ومملوكه ياقوت التعزي على تعز وأعمالها والمظفر « قايماز » على جبلة ؛ وكان المبارك بن منقذ كريما شجاعا شاعرا فصيحاً ومما قاله في اليمن :

وإذا أراد الله شراً بامرءٍ ، وأراد أن يجيئه غير سعيد  
أغراه بالترحال عن مصرٍ بلا سبٍ ، وأسكنه بأرض زيد

وقد ترجم « ابن خلكان » لابن منقذ هذا وذكر إنه قيل لصلاح الدين إنه قتل جماعة من أهل اليمن ، وأخذ أموالهم فلما مات « توران شاه » حبسه صلاح الدين وأخذ منه ثمانين ألف دينار وعروضاً بعشرين ألف دينار ، وذلك في سنة سبع وسبعين وخمسةائة وكان قد فارق اليمن واستتاب أخاه حطان بن منقذ ، باذن من « توران شاه » ، وقال « ابن خلكان » إن « طغتكين بن أيوب لما وصل إلى اليمن تحصن « حطان » في بعض القلاع خوفاً منه ، وأن يكون مصيره مصير أخيه على يد صلاح الدين ، ولكن « طغتكين » استنزله بالمهادنة والخداع ، وقبض عليه واستصفى أمواله ، وسجنه في بعض القلاع ، وكان آخر العهد به ، ويقال إنه قتله ، وقيل إنه أخذ منه سبعين غلاف زردية مملوءة ذهباً . [وفيات - ٤ - ص ١١٤] .

قال الخزرجي : « ولم يزل نواب شمس الدولة على اليمن وأمواله ترفع إليه إلى الشام إلى أن توفي [سنة ٥٧٦ هـ] فلما علموا بوفاته أظهروا الخلاف والخروج عن الطاعة وضرب كل لنفسه سكةً ، وحرّم على أهل البلد أن يتعاملوا بغيرها » [لوحه : ١٥٦ عسجد] . وأصبحت اليمن مسرحاً دامياً يتجادل فيه العرب والغز والتركان والأحباش من العبيد والماليك والفرسان المستأجرين .

### السلاطين الأيوبيون

وقد سجّل أخبارهم من بدايتها « ابن حاتم » في كتابه « السّمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن » حتى سقطت دولتهم وورثها عنهم « الرسوليون » ورتبهم كالتالي :

- ١ - الملك المعظم توران شاه ونوابه من سنة ٥٦٩ هـ إلى عام ٥٧٦ هـ .
- ٢ - الملك العزيز طغتكين بن أيوب من سنة ٥٧٩ هـ إلى عام ٥٩٣ هـ .
- ٣ - الملك المعز اسماعيل بن طغتكين من سنة ٥٩٣ هـ إلى عام ٥٩٨ هـ .
- ٤ - الأتابك سنقر [أتابك الطفل أيوب] من سنة ٥٩٨ هـ إلى عام ٦٠٩ هـ .
- ٥ - الملك الناصر أيوب بن طغتكين من سنة ٦٠٩ هـ إلى عام ٦١١ هـ .
- ٦ - الملك سليمان بن تقي الدين من سنة ٦١١ هـ إلى عام ٦١٢ هـ .
- ٧ - الملك المسعود يوسف بن الكامل من سنة ٦١٢ هـ إلى عام ٦٢٦ هـ .

وهي فترة نصف قرن وسبع سنوات كلها فتن وحروب وثورات في جميع

أصقاع اليمن : [السمط - ١٥ - ١٩٧ و غاية الأمان ج - ١ - ص ٣٢٠ - ٤١٨] . وسوف نستعرض في بعض النصوص الأدبية لأعلام هذه الفترة ، ما يصور هول المحنة والنكبة التي ارتكست فيها اليمن في العهد الأيوبي وهي صورٌ رسمية وباهتة ، ولو قلت : إن الشعراء والكتاب وهم أرباب الخيال والبيان لم يرتقوا بسحر البيان ، وأجنحة الخيال ، إلى وقائع أحداثها التي سردها المؤرخون وسجلوها ، لأنها حدثت ووقعت وشاهدوها ، دونما تأنق أو تكلف بياني . . . لما كنت بعيداً عن الصواب ، ولا متجنياً على شعراء وكتاب ذلك العهد الكئيب ، ومن يتشكك فيما أقول فما عليه إلا أن يعود إلى كتب المؤرخين اليمنيين - بل وغير اليمنيين - لهذه الفترة من سنة ٥٦٩هـ إلى عام ٦٢٦هـ ، وسيرى من الصور ما يذهله ، ويجزم بأن الواقع كان أكبر من قدرة خيال الشاعر أو الكاتب أن يصوره في قصيدة ، أو يصفه في مقالة ، وأن المؤرخ فقط هو الذي يستطيع أن يتحدث عنه في تذكراته ويوميته .

### سيف الاسلام طغتكين بن أيوب

لما توفي السلطان « توران شاه » في مصر سنة ٥٧٦هـ وكان نوابه في اليمن يرفعون خراجها إليه ، وأظهر أولئك النواب الخلاف على دولة بني أيوب ، وأراد كل منهم - وكلهم من الغز أو رفقاء توران شاه - أن يستقل بما تحت يده في عدن وحضرموت وتعز وجبله وزبيد ؛ وتصارعوا في ما بينهم ، وسادت الفوضى كما قلنا ، حاول السلطان صلاح الدين تدارك الأمر بإرسال حملات ؛ ولكنها لم توفق فقرر إرسال أخيه السلطان سيف الاسلام طغتكين بن أيوب بن شادي على رأس حملة جراحة من الفرسان والمشاة وذلك في سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٤م .

وقد اتخذ « زبيد » مركزاً له في بادية الأمر ، وسرعان ما ألقى القبض على النواب المتمردين ، وقتل من قتل ، وفر من استطاع الفرار إلى العراق ، واستطاع « طغتكين » بشجاعته وهمته وحيله ومكره ، وبطشه وجبروته الاستيلاء على المواقع التي كانت خاضعة لأخيه « توران شاه » ونوابه في حضرموت وعدن وتهامة وسائر ما يسمونه « اليمن الأسفل » ! وبعد ذلك نهض إلى ذمار وصنعاء ، وقلم أظفار سلاطين بني حاتم بالحرب تارة وبالمال

والمصالحة تارات ، وكان كبيرهم السلطان علي بن حاتم هو القوة اليمينية التي يجب لها السلطان طغتكين حسابها ، إذ أن اليمن كما سبق أن أشرنا إلى ذلك لما توفي الامام أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦هـ / ١١٧١م كانت حسب أقوال المؤرخين قد تمزقت إلى مشيخات ودويلات ؛ فعدن وتعز إلى آل زريع ، وذمار ومخاليقها لسلطين جنب ومشايخها ، وصنعاء وأعمالها إلى حدود الأهنوم يحكمها السلطان علي بن حاتم الياامي ، وآل الدعام يسيطرون على الجوف ، والأشراف من أحفاد الامام الهادي لهم صعدة وما إليها ، وشهارة وما صاقبها لأولاد الامام العياني ، والجريب والشرف لسلطين حجور ، وتهامة اليمن للأشراف ، وزبيد إلى بلاد حرص يملكها عبد النبي بن مهدي ، وأصبحت كما قال الشاعر :

وتفرقوا فرقا فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبراً!

وكان روح الامامة الزيدية ، قد ضعفت بتصارع وخلافات أولاد الأئمة كما ذكرنا ؛ ولذلك بادر السلطان صلاح الدين بإرسال أخيه « توران شاه » عام ٥٦٩هـ لامتلاك اليمن ، فالتهم معظم تلك الدويلات ، وكان من أمره ما كان ؛ لكن أعظم ملوك الأيوبيين في اليمن هو سيف الاسلام « طغتكين » ؛ فهو الذي استطاع أن يسيطر على معظم أجزائها وأقسامها ، وحكمها أربعة عشر عاما ، ومهد لخلفه كرسياً لو كانوا أهلاً للمحافظة عليه وصيانتة لطالت مدتهم ؛ وقد استولى على « صعدة » ، واشترى من بعض ورثة سلطين اليمن ومشايخها بعض الحصون والقلاع ، وقد أوضحنا قصته مع « جوهرة المعظمي » في الدمولة .

وارتضى بضرية الخراج عن أملاكهم وأراضيهم وحصونهم من سلطين آل حاتم ، ووالاه بعض أمراء الأشراف في تهامة وحجة والشرفين ، وكان كريماً في إقطاع الذين يدينون له بالأراضي والضياع ، وغزا حضرموت ودانت له بالطاعة ، وقد أعلن الامام عبد الله بن حمزة دعوته الأولى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٨م في الجوف ، ونهض إلى صعدة ولكن السلطان طغتكين غزاها عن طريق الجوف عام ٥٨٦هـ فدخلها ، وكما يقول المؤرخ يحيى بن الحسين : « وأقام فيها أياماً ثم رتبها بثلاثمائة فارس ، وتوجه إلى جبل الأهنوم ثم حجور ، وبلاد الشرف وسائر جبال اليمن ومدنه وحصونه

ومخالفه ؛ من « صعدة » إلى عدن « [غاية ج - ١ - ص ٣٣٥] . وكانت  
مناوشات لا تُجدي بين أنصار الامام عبد الله بن حمزة ونواب الملك  
« طغتكين » ، ولم يستطع القيام والحركة والعمل الا بعد وفاة « طغتكين »  
سنة ٥٩٣ هـ ، وفيها جدد دعوته ، وأخذ البيعة من أعيان علماء الهدوية ،  
وكان أول من أجابه وأعاناه السلطان علي بن حاتم .

### كرم طغتكين وشعر ابن عنين

يقول ابن خلكان في الوفيات في ترجمته لسيف الاسلام العزيز  
« طغتكين » : وكان رجلاً شجاعاً كريماً مشكور السيرة ، حسن السياسة ،  
مقصوداً من البلاد الشاسعة ، لاحسانه وبيره ، ورحل إليه شرف الدين أبو  
المحاسن « ابن عنين الدمشقي » ، ومدحه بغير القصائد ، فأحسن إليه  
وأجزل صلته ، واكتسب من جهته مالاً وافراً وخرج به من اليمن ، فلما وصل  
إلى السديار المصرية وسلطانها يومئذ الملك العزيز عماد الدين عثمان  
بن السلطان صلاح الدين ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع الزكاة من المتاجر  
التي وصلت صحبتته فقال :

ما كلُّ من يتسمى بالعزيز لها أهلٌ ، ولا كلُّ برق سُجْبُهُ غَدَقُهُ ،  
بين العزيزين بونٌ في فعالها هذاك يُعطي ، وهذا يأخذ الصدقه !

### اهتمام طغتكين بالعمران وشراء الأراضي

لما استقر « طغتكين » في تعز صرف همته - كما يقول المؤرخون - إلى بناء  
الدور ، وتشبيد القصور ، واستخراج الأنهار ، وغرس البساتين الواسعة  
بأصناف الأشجار ، وكان يجلب فسائل الشجر والنبات من الشام ومصر ،  
وهو الذي قرر قواعد السواقي والأنهار وأصل قوانين الضرائب على  
العقارات ، واختط مدينة المنصورة في الجند ، وأجرى الغيل إليها من  
« صبر » وكانت مدينة عظيمة أخرجها بعض ملوك بني رسول ، ومن مبانيه  
قصر الجند ، وتجديد عمارة حصن التعكر ، وحصن حب ، وحصن تعز  
وسور زبيد ، وسور صنعاء ، وهو الذي خطط « بستان السلطان » ، وفيه  
بنى الدور والمعارج ، وأجرى إليه غيل البرمكي ، وبنى الدار السلطانية في  
صنعاء وبالغ في بنائها وزخرف غرفها بالذهب ، وجعل فيها حماماً وبركة ،

يتدفق فيها « الشاذروان » ، وكانت البساتين حافة بها ، وفيها صنوف الأشجار وأنواع الرياحين والأزهار ، وكان أينما حل ، بنى قصراً ، وشيد قلعة وحصناً .

ونقل يحيى بن الحسين عن الجندي والحزرجي : « إن سيف الاسلام طغتكين بن أيوب لما استولى على اليمن ، وأطاعه أهله ، دعته نفسه إلى شراء أرضهم حيث كانت ؛ فندب المثلثين إلى سائر البلاد بأسرها ، وأمرهم أن يثمنوها ، وأراد أن تكون أرض اليمن كلها للديوان ؛ ويكون من أراد حرث شيء منها أجيراً للديوان كما هو في ديار مصر وغيرها من أرض الخراج ، وأن ذلك شق على أهل اليمن » ثم أورد قصةً طريفة ، تفيد أن الناس لجأوا إلى الله بالدعاء ، وأن السلطان توفي قبل أن يكمل ما كان صمم عليه ، ! وكانت وفاته يوم الأربعاء السادس والعشرين من شوال سنة ٥٩٣ هـ . قال : ويُقال إنه لما أحس بالموت جعل يتقلقل ويقول « ما أغنى عني مالية ، هلك عني سلطانية » [غاية ج - ١ - ص ٣٣٩ - ٣٤٠] [وانظر أيضاً السمط الغالي الثمن ص ٣٩ - ٤٠] .

### المعز إسماعيل بن طغتكين [٥٩٣ - ٥٩٨ هـ]

كان الملك « طغتكين » حازماً صارماً ، شجاعاً جباراً ، خراجاً ولاجاً يحافظ على مظاهر الدولة ، ويثق بالأكفاء من أبناء جلدته ، ومن عرف إخلاصه ؛ وبعبكس ذلك كان ابنه الذي خلفه : « إسماعيل » والذي وصفه « ابن خلكان » فقال : « كان أهوج كثير التخليط ، سيء السيرة مع أجناده وأمرائه » ، ويكفي أن تعلم أن أول عمل افتتح به عهده أمرٌ تشمئز له النفوس ، وتأبأه المروة والرجولة فقد حكى مؤرخ الأيوبيين « ابن حاتم » انه كان قد جرى بينه وبين والده تغيير ومماحكة فخرج إسماعيل مغاضباً طالباً الشام ؛ فلما وصل حرض وكان أميرها القاضي الأسعد من قبل « طغتكين » ؛ فتلقاه بالتكريم والتبجيل ، و« مشى في خدمته » ، وبالغ في إجلاله وإكرامه احتراماً لوالده ووفاءً وبراً ؛ وبينما هو يستعد لمغادرة « حرض » ، وصله الخبر بوفاة والده ، فأثنى عزمه عن السفر وكان أول شيء فعله أن قتل القاضي الأسعد الذي أكرم نزله ، واستباح أمواله وجميع ما في



حوزته من العبيد والخدم والجواري . [السمط ؛ ص : ٤٣ - ٤٤] .

ولعل القاضي كان قد لامه على مفارقة والده ، وأراد التدخل بينهما للمصالحة ، ونصحه ، مما أغاض إسماعيل ؛ ويقول بعض المؤرخين إنه إنما خرج من تعز مغاضباً لأبيه لأنه كان قد أنكر عليه الميل إلى المذهب الباطني !

وقد تلقب بالمعز ، واستولى على زييد وتعز وأيده نائب أبيه في « صنعاء » ، ومع ذلك فانه ما إن وصل إلى « صنعاء » حتى غدر بذلك النائب الذي أيده وقتله ، واستصفي كلما يملك ، ثم طغى واستهتر وحاول القضاء على كل أعوان أبيه ، الذين كانوا دعائم عرشه ، فخافوه ونفروا عنه ، وكان الامام عبد الله بن حمزة قد أعلن دعوته الثانية في نفس العام الذي توفي فيه [طغتكين] كما تقدم واستولى على « صعدة » ومعظم معاقل وحصون شمال اليمن حتى دخل صنعاء عام ٥٩٤ هـ ومكث بها أشهراً ، ونشبت معارك دامية ؛ واشتباكات ومصادمات لا تحقّق لأي فريق نصراً حاسماً والمعز يتهادى في غيه .

### إستعجام القيادات

وكما تقاعس بعض الأشراف من أولاد وأحفاد « الهادي » و « العياني » و « السليمانيين » عن نصره ابن عمهم ، وإمام مذهبهم حسداً له ، وتشبثاً بالسلطة والامارة ، وعفّ البعض منهم وتسامى تورعاً وزهداً وإيثاراً كالأمرين من آل « يحيى بن يحيى » ، و « العفيف » بن المفضل ؛ كذلك كان قواد « الغز » وأمرء الأكراد قد فارقوا « المعز » إسماعيل وبانيه تافهاً من أعماله ، وخوفاً من شذوذه . ولم يجدوا بداً من الخروج عليه والانضمام إلى صف « الامام » مع من يتبعهم من الجنود والفرسان ، ومن أبناء الغز والتركان .

واستعجمت أسماء القيادات المتصارعة من زعماء وثوار وقطاع طرق ، فلم نعد نسمع ما كنا نسمعه قبل حملة « توران شاه » في عهدي « الهادي » و « الصليحي » من أسماء عربية ؛ فلا « ناصر » ولا « يُعْفَر » ، ولا « حسان » ولا « يعلي » ، ولا « دُعَام » ولا « ضِحَاك » ؛ بل نسمع أسماء « وردشار » و « هلدري » و « يكتمر » و « سنقر » و « قانهاز » و « حكو »

و «شمس الخواص» ! ولقد أزعج ذلك حتى الامام نفسه فقال من  
قصيدة :

أقلبُ طرفي هل أرى العربَ جهرةً      فلم أر إلا أعجمياً مُهمَّهما ،  
سوى نفرٍ شم الأنوف غطارفٍ      رأوا خلطهم للنفس بالنفس أحزما ،

ولم يقتصر بعض الأشراف على التخاذل والتفرج . . بل وانضم بعضهم  
إلى جانب « المعز » وقاتلوا في صفه وقد قال الامام عبد الله من قصيدة في  
ذلك :

فإن تنصروني ؛ تنصروا ذا قرابةٍ      له ولكم أصل النبوة واحد

### إدعاء الخلافة الاسلامية والنسب الأموي

وفي أثناء تلك الظروف المضطربة ، ازداد المعز شذوذاً وسخفاً ، ودعا  
لنفسه بالخلافة الاسلامية ، واحتجب عن الناس وسلطنَ خادماً له لقبه  
« شرف الدين » ! وقلده الأمور وانتسب إلى بني أمية ، ودعا الناس إلى بيعته  
وأرسل بذلك رسائل إلى مصر والشام والعراق ، ولقب نفسه بألقاب كثيرة  
وهي كما سجلها مؤرخ « الأيوبيين » « ابن حاتم » في السمط الغالي الثمن ،  
كما يلي :

« إمام الأئمة ، وكاشف الغمة ، وعالي الهمة ، المفترض الطاعة على  
سائر الأمة . المستخرج من السلالة الطاهرة النبوية ، وفرع الشجرة الأمامية  
الأموية ، المعز الناصر ، العزيز ، القاهر ، الرحيم القادر ، الحليم ،  
الذاكر ، سيد الموحدين ، الحاكم بكتاب الله وسنن رسول الله ، الهادي إلى  
الحق بأمر الله ، أمير المؤمنين أبو المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب  
بن شاذي بن مروان الأموي خليفة رب العالمين صلوات الله عليه وبركاته »  
[السمط ص : ٧١] .

وذكر الخنزرجي في العسجد المسبوك أن إدعاء المعز للخلافة الاسلامية  
والنسب الأموي كان سنة ٥٩٧ هـ وأنه قد قال في ذلك شعراً منه :

وإني أنا الهادي الخليفة والذي      يقود رقاب العرب بالضمير الجرد ،  
ولا بد من بغداد اطوي ربوعها      وانشرها نشر الساسر للبرد ،  
ويخطب لي فيها على كل منبر      وأظهر دين الله في الغور والنجد ،  
وأنشر دين الله بعد خوله ،      وأعلن ما قد كان أسسه جدي

ثم قال : « وبعد أن أظهر مذهبه القبيح غلب عليه الشح على الجند ، والكرم على الشعراء والمتمسخرين ، وتولّع بذبح بني آدم وأكلهم » [عسجد لوحة : ١٧٣] . ولعلّ مسأً من الجنون قد أصاب المعز ، وطبل له وزمر جماعة من الشعراء تصديقاً لقول المعري :

وما ندب الأتواء في كل معشرٍ إلى المينِ إلا معشرٌ أدباء  
سخرية الملك العادل بالمعز

وقد كتب « المعز إسماعيل » إلى عمه الملك العادل ابن أيوب ملك مصر والشام ، يخبره أنه قد دعا لنفسه بالخلافة ، ويطلب منه النزول عنها ، وتسليمها إليه ، وأعلن ألقابه التي سبق ذكرها . فعاد جواب الملك العادل ؛ يلومه وينصحه بالعدول عن ذلك السخف ، وقد سخر منه قائلاً : « إن الناس لم ترضنا ملوكاً لها ؛ فكيف ترضانا أئمةً وخلفاء ؛ ثم قلتَ إنا من بني مروان ؛ فمن أين وصلتَ إلى هذا العلم الذي لم نصل إليه ؟! وإنما نحن قوم من أهل « تكريت » ، أنعم الله علينا بما أنعم » ؛ ثم عنفه أشد التعنيف ، ولامه لوماً بالغا . [السمط ص : ٧٢] .

### الدامغة « المعزية » الأموية

سبق أن تحدثنا عن « الدوامغ » في تاريخ الشعر اليميني ، ولخصت ما كنت قد أوردته في كتابي شرح « دامغة الدوامغ » . وقد غفلت عن ذكر دامغة هذا السلطان الشاذ إسماعيل بن طغتكين التي نظمها مؤيداً الشاعر أحمد بن محمد الأموي ، وقد أرفقها مع منشور دعوته الذي بعث به إلى جميع الأقطار الإسلامية ، يدعو ملوكهم وحكامهم إلى مبايعته أميراً للمؤمنين ، وإماماً للمسلمين .

ولقد كان الشاعر اليميني الأموي بارعاً في تصوير الموقف القرشي ، ولكنه رغم المنطق الجدلي الذي حاول الظهور به قد تهاوى في البيتين الأخيرين عندما وصف نفسه بالخدام والعبد وليس ذلك فحسب بل وصرح بأنه ما صاغ القصيدة إلا لكي يتمكن من تسديد ديونه بما سيبدله له المعز من مال . . وهذه هي الدامغة الأموية الأيوبية :

هلموا للجدال وأنصفونا  
 دعونا جهرة ماءً وطينا  
 بحمد الله رب العالمينا  
 وأولد هاشماً خيراً . . . يقينا  
 ونحن له جميعاً والدونا  
 وأدحض باطلاً وأقام ديننا  
 عليه ، وما غدت أم جنينا  
 ولكن بالخلافة طامعوننا  
 ولم يعط البنات ولا البنينا  
 ففيكم نص ما قد نص فينا  
 عليه الخلق كانوا مجمعينا  
 رأى من فعله الدين المبينا  
 شمالا ، لا . . ولا مدوا يميننا  
 وهم قد أحرزوا الرأي الرصينا  
 وهل فارتتم الفاروق حيناً . . ؟  
 عدي قوميه لا تنكروننا  
 ونحن الكل منها الأقربونا  
 سول لذاك كنا شاهديننا  
 ونحن الأقرباء فما غنينا  
 وصاحبه ولستم عاقليننا ؟  
 لنا صدقاً وحقاً . . خبرونا !  
 وعباس وأنتم تكثروننا  
 بأي الجانبين فأعلمونا  
 معاذ . . الله بل حقا يقينا  
 لهم إذ من قريش ينسبوننا  
 على عثماننا . . والمسلمونا  
 تقياً زاهداً عفاً أميننا  
 ولم نر مثل ذاك ولا رويننا  
 وبايعتم لنا إذ بايعونا  
 ولكن قد أتيتم طائعينا

بني العباس هاتوا فاخروننا  
 رجال كلنا فإذا انتسبنا  
 فأنجبنا الآله الكل منا  
 فعبد مناف أولد عبد شمس  
 وفخر الكل منا في نبي  
 أمات الشرك والاسلام . . . أحياء ،  
 صلى الله ما طلعت نجوم  
 ولم يك بعده أحد . . نبيا  
 ومات ولم يوص بها لشخص  
 بلى قال : الخلافة في قريش  
 ويؤيع بعده الصديق طوعاً  
 وحوها إلى الفاروق لما  
 وما مدوا إلى العباس فيها  
 ولا اتفق الأنام على علي  
 فهل ناقضتم الصديق فيها  
 وما تيم مناسب ذا وهذا  
 لهم كانت ونسبتهم بعيداً ؛  
 ونحن وأنتم أولاد عم الر  
 فأعطوها الرجال وهم بعيد  
 فلم أقررتهم الصديق فيها  
 أكانوا من بني العباس قولوا  
 ولم كانت لهم وبكم علي  
 أعجز كان فيكم أم حياء  
 وهل كانت لهم ظلماً وبغياً ؟  
 لأنهم استحقوها بحق  
 وأجمع خمسة الشورى جميعاً  
 لفضل كان فيه وكان برا  
 وزوجه النبي بابنتيه  
 فكان الأمر منا مستقراً  
 ولا إكراه يومئذ عليكم

إلى أن كان غدرُ الناكثينَا  
توفي لم نكن بالعاجزينَا  
مقام الحقِّ يبغي القاتلينَا  
وما فيه الخلائقُ عالمونَا  
فحزناها بحكم الحاكمينَا  
بلا حقدٍ وكان لنا مُعينَا  
إلينا ترفدون وتكرمونا  
بلا من نمنُّ ولن نمينَا  
عوالم الخلائق أجمعينَا  
لمروانٍ وكان بها قمينَا  
وأنتم بالبسيطة حاضرونا  
عن الآباء يأخذها البنونا  
نُدبر أمرها حقباً سنينا  
أتى سفاحكم وغصبتُمونا  
وهل وحي أتى . . فعزلتمونا  
أحكام نجل هارون « الأمينَا »  
صبرنا للقضاء وتَصبرونا  
فإننا عبدُ شمسٍ قد رَضِينَا  
ونحن الآن عنكم قد غنينا  
« ألا هبِّي بصحنك فاصبحينا »  
ونبطش حين نبطشُ قادرينا  
تخرُّ له الجبابرُ ساجدينَا  
ولستم للمناسب جاحدينَا  
ونُدعوه « أمير المؤمنينَا »  
يزلُّ يعضو ويحزي المحسنينا  
يناظر دونها المتأولينَا  
ومثلك من قضى عنه الديونا

أقام بها الامام ولا خلاف  
بذي النورين والدنا فلما  
فقام بها معاوية ابن حرب  
فكان من التحارب ما علمتم  
وحكم حاكمان بغير حيف  
وعبد الله جدُّكم مُقر  
وأنتم وافدون بكل وقتٍ  
فكم من منةٍ عَقَدت بجيدٍ  
وأعطاهنا حسنٌ بعلم الـ  
وبعد بني أبي سفيان أضحت  
وأجمعت الأنامُ عليه طراً  
فما زالت تنقل في بنيه  
ياحكام وتحكيم أخذنا  
وما قد كان عن حسنٍ إلى أن  
فهل نقض الحكومة قَط حَكَم  
كذلك قد قتلتم بعد هذا  
وليس لغاصب حقٌّ ولكن  
فإن كنتم بهاشمكم رضيتُم  
غنيتم يا بني العباس عنا  
يليق بنا مقال ضمنوه  
« لنا الدنيا ومن أضحى عليها  
« إذا بلغ الفطام لنا وليدٌ  
ياسماعيل من عليا قريشٍ  
دعونه المعز لدين ربي  
فشكراً لئله وجل من لم  
صناعة خادمٍ عبدٍ محبٍ  
أتاك بها لتقضي عنه دينَا

## نهاية المعز

ومن المعلوم أن حملة « طغتكين » العسكرية كان جل رجالها وفرسانها - إن لم يكونوا كلهم من الغز والتركمان والأكراد - مثلما كانت حملة أخيه « توران شاه » ، وكان السلطانان ونوابهم قد أبادوا سلاطين ومشايخ اليمن شنقاً وقتلاً وسجناً ، ومزقوهم كل ممزق ؛ وكان السلطانان يعتمدان على أبناء جلدتهما ومواليهما ، والفرسان الأكفاء ممن خرج من مصر مع الحملتين ، ويُقَطِّعُناهم الأراضي الواسعة ويؤليانهم على الرقاب ، ويطلقان أيديهم في كل ما يريدونه من أموال وجاه .

ولقد كانوا محكومين بقوانين صارمة ، وبهيبة وحزم الدولة عندما كان الأمر كله في يدٍ قوية كيد « توران شاه » ، ثم في قبضة سيف الاسلام العزيز « طغتكين » ؛ فلما جاء الرجل الشاذ إسماعيل بن طغتكين ، وصنع ما صنع نفر منه كبار المسئولين والفرسان والقواد ؛ وطمع من طمع منهم في إزالته ومنافسته والقضاء عليه ليحل محله ويتدارك دولة « الغز » من الانهيار ، واستولى على مقاليد الأمور وأزمتها في « بلاط » المعز إسماعيل ، النساء والجواري وصغار المالكين ، وازداد نشاط الامام عبد الله بن حمزة وانضم إليه بعض زعماء الأكراد والتركمان لا إخلاصاً له ولكن بغضاً ونفوراً من « إسماعيل » ، وحسبنا أن نعرف أن الأتابك « سنقر » وهو من أكبر زعماء الأكراد لما انهزم من « مئين » وقصد « المعز » إلى « الذنائب » صادف وصوله إليه وقد قتل الرهائن الذين كانوا معه لأهل البلاد ؛ وأكثرهم أطفال ، قال « ابن حاتم » « وذبح ولد شهاب بن خالد على صدره ، وأمر بأن يقطع لحم شهاب ، ويُطعم مشويًا ومثل بالباقيين ؛ فمنهم من أمر بتوسيطه ، ومنهم من أمر بذبحه ، ومنهم من أمر بأن تعلق عينه بالأصبع ، ومنهم من أمر بأن يُرمى بالنفط ، ومنهم من أمر بأن يسلق في القدر ؛ فأنكر عليه سنقر هذا الفعل ولامه فيه فاشتاط غضباً واضمر قتل « سنقر » ، وقتل « الاشعراي » وكانا من أكابر عسكره وقد كان سنقر قبل هذا الأمر متخوفاً من المعز لأنه يحكي أن « سنقر » كان واقفاً بين يدي المعز بايوان « زبيد » فقال له « المعز » ياسيف الدين ما أحسن بطنك هذا الكبير مع التوابل ! فخدم « سنقر » وقال : « حاشاك ياخوند ! وأسرها في نفسه ، وعلم أنه قاتل له ، ثم حدثت هذه القضية في « الذنائب » فلم يرداً من الخلاف عليه ، وبدأ يعمل على تفسيد

الجند سراً» [السمط : ص : ٧٩ - ٨٠] .

ولما أحكم « سنقر » عمله أظهر الخلاف ، وانهب جنده الخزائن ، وراسل الامام عبد الله بن حمزة ، وأظهر له إنه يريد الانضمام إليه ومبايعته ، وحاول المعز اللحاق بالأتابك سنقر ومطاردته والقضاء عليه ، وكانت معارك انهزم بها جند المعز ، فرجع بهم إلى « الكدراء » ثم ارتحل إلى « زبيد » ، هو وحرимه وكان يسافر بهن حيث راح ، وأينما توجه ، وبدأ « سنقر » في مطاردة « المعز » فلم يدركه إلا وقد تحصن في « زبيد » ، وأقفل كل أبوابها ويقول ابن « حاتم » :

« ولم يبق في عسكر المعز إلا من هو مريض القلب عليه لسوء سيرته فيهم وتضييعه لهم ، وجعل أكثر بطانته وأصحاب مشورته الخدم والحریم فتواطأ الجند على قتله وبنوا الأمر عليه » . [السمط ص : ٨١] .

وقد وصف نهاية حاله المؤرخ يحيى بن الحسين فقال :

« وفي هذه المدة دعا المعز إلى حاله بالخلافة ، وظهرت من أحواله السخافة ، فوردت عليه من مصر كتب أهله ينكرون فعله أشد الانكار ، فلم يُبَلَّ بها ، بل تمادى على التجاهل والاضرار ، وساءت سيرته وخبت سريرته ، وقتل كبار أصحابه وأولع بأكل لحوم الأدميين » ! ثم ذكر انكار الأتابك سنقر وغضب المعز عليه ، واطهاره للخلاف ، وميل أكثر الجند إليه ، ومكاتبته للامام عبد الله بن حمزة ووصف كيف قتل المعز فقال :

« خرج يوماً من زبيد راكباً على بغلة وعليه حلة طويلة الأكمام على طريقة بعض المتقدمين من ملوك الشام وفي يده مقرعة ، وخلفه حصان مجنوب ، فوثبت عليه الأكراد عند مسجد « شاشة » على نحو ميلين أو ثلاثة من « زبيد » فقاتلهم بالمقرعة ساعة من نهار ذلك اليوم ودعا بالحصان فحال دونه الأكراد واحتوسوه من كل جانب ، فاستل سيفه وهم أن يضرب به فانسدل عليه الكم لطوله ، ولم يتمكن من المدافعة عن نفسه حتى قتل ، وقتل معه مملوكه شرف الدين الحبشي ، واجتزوا رأسه ، ودخلوا به إلى زبيد » وذلك في آخر رجب سنة ٥٩٨ هـ وقد رُفِعَ رأس المعز على رمح أمام حصان الكردي « هُندوة » الذي كان أول من طعن المعز وكان حامل الذكر لكن الأكراد قد صاحوا له بالسلطنة لأنه هو الذي أقدم وقتل السلطان [غاية ج ١ - ص : ٣٥٧ والسمط ص : ٨٢] .

## الأتابك سنقر والناصر أيوب

[ ٥٩٨ - ٦١١ هـ ]

وبعد قتل المعز صرف الأتابك سنقر نظره عن الامام ، وكاتب الأكراد ، وعاد إلى تعز وطمع في الملك بعد سيده لأن أخاه الناصر أيوب كان لا يزال طفلاً وكان سنقر هو الذي رباه ولذلك لقب بالأتابك ، وكانت أم الناصر تحتة ، واستطاع أن يستميل أيضاً زعماء الأكراد الذين كانوا قد فروا إلى الامام عبد الله بن حمزة وأقطعهم الولايات في « صنعاء » ، و « تهامة » وقد عاد بنفسه إلى « زبيد » واستفتحها سنة ٥٩٩ هـ وقبض على جماعة من الأكراد وهم الذين باشروا قتل المعز فأمر بضرب رقابهم ومنهم « الهندوة » ، وضعف أمر الامام بعد أن كان قد طمع في أن يحكم كل أصقاع اليمن وتوزع الأكراد البلاد ، وكبيرهم الأتابك سنقر ، وكلهم يحكمون باسم الملك الشاب الناصر أيوب بن طغتكين حتى عام ٦٠٩ هـ وفيه توفي « سنقر » وقد بلغ الملك رشده فاستقل بالسلطة ويقول « ابن حاتم » إن الناصر أقام غازي بن جبريل على بابه ، وجعله أستاذ داره ، وأتابكه فكان هو الحاكم الفعلي ، الناقض والمبرم ، وعامل أكابر الناس والأمراء بالسلم ومازال يفنيهم واحداً واحداً وزادت الفوضى والصراع بين أمراء الأكراد والغز وكان الحرب بينهم وبين الامام سجالاتاً حتى عام ٦١١ هـ لما نهض الملك الناصر لحرب الامام فخرج من صنعاء وحط بالجرف ووقف بها ستة أيام ثم عاد « صنعاء » فلم يبق فيها سوى يومين ومات ، ويقال إن أستاذ داره غازي بن جبريل سقاه السم وانتهت الممالك الصغار الذين كانوا في دار الملك ما كان فيه من آلات الذهب والفضة والأثاث والفرش ، ولم يبق شيء إلا نهبه وعبثوا به ، وأخذوا البغال والدواب وتوجهوا نحو « تعز » ولكنهم لم يصلوها إلا بعد مشقة عظيمة .

وبعد أن دفن غازي بن جبريل الملك الناصر جمع أكابر الأمراء واستحلفهم له ، وفرق عليهم الأموال وتلقب بالملك الظافر .

### نهاية ابن جبريل

وأراد « ابن جبريل » الظافر التوجه إلى « تعز » فاجتمع عليه قبائل العرب كما يقول « ابن حاتم » فانتهبوا ماله ، ولم يصل إلى وادي السحول إلا في



ضنك شديد ، وليس معه سوى الخيل والحريم اللاتي كن معه ، فلقيه أهل السحول ونهبوا ما تبقى معه من الخيل والعدد والسلاح وانتهكت الحرم ، وقطعت أيدي النساء وأرجلهن وآذانهن ، طمعا بما عليها من حلي ، وخلص غازي الظافر إلى « آب » وهناك أجمع بقية أمراء الأكراد والمهاليك على قتله تقرباً إلى أم الناصر أيوب بن طغتكين ، وتردد رأي الغز في سلطان يقيمونه وكان للناصر أخوات فأجمعوا على أن يكون الملك لهن ، وأن يقيموا عليهن « أتابكاً » فأقاموا رجلاً من المهاليك يعرف بالمجاهد وبايعوه على الطاعة ، وقد سجل ابن حاتم أحداث هذه الفترة التي استمرت ٢٣ عاماً في كتابه السمط الغالي الثمن من ص - ٨٤ حتى ص - ١٥٧ ، وكذلك صنع المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه غاية الأمانى ج ١ - ص : ٣٥٥ - ٣٩٩ وفيها من الماسي ما ينكي ومن الفجائع ما يبكي ويضحك « وشر المصائب ما يضحك » كما قال الحكيم .

## آخر ملوك بني أيوب

الملك المسعود

[ ٦١٢ - ٥٦٢٦ هـ ]

بعد أن أوكل أمراء الغز شئون الدولة إلى أم الناصر وأخواته و « أتابكهن » المجاهد استفحلت الفوضى ؛ ووصل إلى اليمن رجل ينتسب إلى آل أيوب ؛ وكان مخرقاً وشاذاً ويعرف بسليمان الصوفي ، وكان نساء آل أيوب قد سرهن وجود رجل من أسرتهن ، فأسلمت أم الناصر وأخواته مقاليد الأمر إليه وتزوج بالأم وبأميرة منهن وتلقب بالملك المعظم سليمان بن تقي الدين وأغرق في اللهو واللعب ، لكن أمه لم يطل إذ قد قدم الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل بن العادل في أواخر عام ٦١٢ هـ فأعاد للدولة هيبتها ونفى سليمان إلى مصر ، ولما غادر اليمن عام ٦٢٦ هـ أناب عنه الأمير عمر بن علي بن رسول ، وقد مكث المسعود في مكة لأداء فريضة الحج وهناك وافاه أجله المحتوم قبل أن يؤدي الفريضة في ١٣ جمادى الأولى سنة ٦٢٦ هـ وهو في التاسعة والعشرين لأن مولده في سنة ٥٩٧ هـ كما في وفيات الأعيان .

ولما وصل خبر وفاة المسعود إلى اليمن أضمر نائبه عمر بن علي بن رسول الاستقلال بملك اليمن ، والخروج على الأيوبيين ولكنه لم يبادر بإعلان ذلك

بل تظاهر بالولاء لبني أيوب ، وأرسل إلى السلطان الكامل يعلن ولاءه وطاعته ، وإنه نائب السلطان على البلاد فاطمأن إليه ، وثبته في ولايته ، حتى أكمل ترتيب تولية المدائن والحصون من يرتضيه من خالصائه ، وعزل من يخاف منه الخلاف ؛ ولم يخلع طاعة بني أيوب ويتلقب بالملك المنصور ، ويكتب الخليفة العباسي ويدعوله في خطبة الجمعة إلا في سنة ٦٢٨ هـ ، وكان أول ملوك بني رسول ومؤسس دولتهم في اليمن .



## أنمة الحقبة الرابعة .. في العصر العباسي [ ٥٦٩ - ٥٦٥ هـ ]

### تمهيد

لستُ ممن يستسيغ تكرار القول وترداده ، بل وأكرهه ، وأضيق به ذرعا ، ولا سيما إذا ظل الكاتب أو المؤلف يكرر القول عن موضوع ما ، دون أن يشير إلى أنه قد سبق أن ذكره ، ودون أن يضيف شيئاً جديداً يبرر التكرار ، ويبين سبب اضطراره إليه ؛ تنبيهاً ، أو تذكيراً ، أو تمهيداً لبحث قضية جديدة . وما أكثر ما يضطر إلى ذلك الكتاب والمؤلفون فيكون تكرارهم مقبولاً ومستساغاً وأمرأ لازباً .

وقد سبق أن تحدثت عن مأساة سجن الامام أحمد بن سليمان على أيدي « السادة » أحفاد الامام « العياني » ثم عماء ومماته سنة ٥٦٦ هـ ، وأكرر الإشارة إلى تلك المأساة الآن ، لأني أريد أن أقول : إن الظروف التي تهيأت للامام أحمد بن سليمان من ولاء وطاعة أقبال اليمن ، وعلماءها الأفذاذ ، وما كان يتحلى به من صفات وميزات وكفاءة نادرة كادت أن تمكنه من إصلاح الأحوال في اليمن وتوحيدها وتأسيس دولة ذات شأن ، ولكن المعارضات السخيفة من قبل أحفاد الامام القاسم العياني ، وبعض أحفاد الامام الهادي ، تشبثاً بما يزعمون من حق لهم في إرث الامامة التي لا تورث ولا تورث حسب أصولهم « الزيدية » ؛ قد أفسد على أحمد بن سليمان تلك الظروف المساعدة ، وسبب فشله السياسي في تكوين حكم إسلامي ، وكان في استطاعته أن يعمل ذلك كما استطاع أن يبني مجداً علمياً وأدبياً لا يزال منبعاً ثراً من منابع تاريخ المعرفة والأدب في اليمن .

## همود صوت الإمامة الزيدية

ومن يقرأ تاريخ اليمن لا بد أن يلاحظ إنه من بعد مأساة الامام أحمد بن سليمان ، همد وحمد صوت الامامة الزيدية حوالي ثلث قرن ، وتقاعس عن القيام بأعبائها حتى الأفاذ القادرون أمثال الأميرين « يحيى » بن أحمد بن يحيى بن يحيى ، وأخيه « محمد » وقد كان رشحهما أو أحدهما الامام ابن سليمان كما سبق .

وقد ظلت اليمن من سنة ٥٦٦هـ إلى سنة ٥٩٣هـ لا تسمع فيها للإمامة الزيدية إلا أصوات يبعثها المطالبون بالوراثة وهم لا يملكون الحظ الوافر من العلم ، ولا يستندون إلا إلى أنسابهم ، وما خلفه لهم « المرحوم » من مال وسلاح وهو أصلاً من حقوق بيت مال المسلمين ، فاستعملوه لمعارضة دعاة الحق والاصلاح . كما حدث للإمام القاسم العياني أولاً ثم للإمام « ابن سليمان » من أحفاد القاسم العياني . وهكذا هانت « الامامة » ونفر منها حتى القادرون على القيام بأعبائها ، إما خوفاً من إثارة الفتن ، أو تورعاً وزهداً .

نعم ؛ لقد ادعى يحيى بن أحمد بن سليمان وتلقب بالمعز في صعدة إثر وفاة والده ولكنه لم يكن « الامام الزيدي » التي تتوفر فيه الشروط المعروفة وإن كان فارساً وشجاعاً وابن إمام ، ولكن ذلك يتوفر أيضاً في بقية السادة المطالبين بالوراثة ، وحتى إنه بعد أن احتل « صعدة » سنة ٥٨٧هـ - وكان قد أعلن عبد الله بن حمزة دعوته الأولى لم يؤيد الامام بل ساوم بها « الغز » حتى أخذوا له ولاية من « سيف الاسلام طغتكين بن أيوب » ! [غاية ج ١ - ص : ٣٣٦] .

وكان الصوت الوحيد الذي ارتفع أولاً هو صوت شاب عالم فارس ، شاعر ، فقيه ، مجتهد سنة ٥٨٣هـ بعد وفاة ابن سليمان بسبعة عشر عاماً ومع ذلك فقد طلب من أحد السبدين الأخوين العالمين يحيى ، ومحمد ، من أولاد يحيى بن يحيى أن يقوم أحدهما ؛ وسيكون من أنصاره وأعوانه ، لكنهما اعتذرا وبإيعاه وأيداه . . غير أن صوته ظل خافتاً يتلاشى بين أصوات المشاغبين من الأشراف والمشايخ حتى توفي الملك « طغتكين » عام ٥٩٣هـ وكان ابن حمزة قد اشتهر أمره ، وذاع فضله ، وكثر أنصاره ، فأعلن دعوته

العامّة الثّانية في ذلك العام وكان ما هو مدون في أسفار التاريخ ؛ وإذن فقد ظل صوت الامامة الزيدية هامداً خامداً ثلث قرن أخرس ، ولم يسمع فيه إلا صوت هذا الشاب الفارس عبد الله بن حمزة .

ثلاثة . . أئمة يحاربهم أبناء أئمة !

في خلال هذه الفترة الرابعة والأخيرة أي ما بين عام ٥٦٩ هـ وعام ٦٥٦ هـ قام إلى جانب دويلاتها وسلاطينها وملوكها ، الذين ظهروا في اليمن ، وذكرنا بعضهم ، ثلاثة أئمة كبار ؛ يعدون من أبرز أئمة الجهاد والاجتهاد في تاريخ اليمن عبر العصور ؛ ولكل منهم مؤلفاته وأثاره التي تصنفه مجتهداً بين الفقهاء ، وضليعاً بين أهل اللغة ، وفحلاً في صفوف الشعراء وخطيباً ومحدثاً ومفسراً وهم :

الأول الامام عبد الله بن حمزة .

والثاني الامام يحيى بن المحسن .

والثالث الامام الشهيد أحمد بن الحسين .

ومن العجب العاجب - وهو ما يؤكد ما نذهب إليه ونكثر من ترديده ، ونكرر التنديد به ؛ إن كل واحدٍ من الثلاثة قد عورض أو حورب أو أؤذي من قبل أولاد الامام الذي سبقه ؛ وكان لسان حاله ينشد :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند

فابن حمزة قد خذله أحفاد العياني ، ونجل سلفه ابن سليمان ، وابن المحسن يحيوي حاربه وعاداه أولاد « ابن حمزة » ؛ وأما أبوطير أحمد بن الحسين فقد استشهد وقائد الجيش الذي يقاتله الأمير أحمد بن الامام عبد الله بن حمزة ! فمن هم هؤلاء الأئمة الذين ابتلوا بأولاد الأئمة طمعاً في السلطان ؟ وما حظهم من العلم والأدب والجهاد والاجتهاد والشعر والتأليف ؟

١ - الامام عبد الله بن حمزة

[ ٥٦١ - ٦١٤ هـ ]

نسبه

هو عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم

الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فهو ليس من أولاد الامام الهادي يحيى بن الحسين بل من أحفاد أخيه عبد الله بن الحسين صاحب الزعفرانة ، وأعلم أهل زمانه ، وقد سبق الحديث عنه في الفترة الهادوية ، كما تحدثنا عن جده الامام المعيد لدين الله الحسن بن عبد الرحمن والد الشهيد حمزة بن الحسن صاحب الرسالة عن السياسات الأربع . فهو من سلالة علم وأدب وأسرة جهادٍ واستشهاد .

### مولده ونشأته

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦١ هـ في « عيشان » من بلاد همدان ونشأ واليمن في أشبع أنواع التمزق ، وعبد النبي بن مهدي يحرق المدن والقرى ويستبيح الأموال والنفوس ، والامام ابن سليمان في صراع دام مع الأشراف القاسميين ، وبقايا آل يُعفر في حرب ضروس مع سلاطين آل حاتم ، وجيوش الغز والأيوبيين تكتسح السهول والنجود وعلى رأسها توران شاه ؛ بل والعالم الاسلامي في جهاد مقدس ضد الصليبيين في الشام وفلسطين .

ووالده السيد حمزة بن سليمان كان من أعيان زمانه وهو من تلاميذ القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام ، وكان يرشحه للإمامة كما سبق في ترجمته وأما أمه فهي الشريفة الفاضلة زينب ابنة ابراهيم بن سليمان ؛ فنشأ في بيئة علم وهدى ، وزهد وتقى ، لا يسمع إلا آيات القرآن والتهليل والتكبير ، أو صليل السيوف ، وأخبار الحروب في ليله ونهاره وغدوه ورواحه . وقد رباه أبوه بعناية ، وكان يتفرس فيه النجابة بل ويبشر أهله وأصحابه بأنه سيكون له شأن عظيم .

### أساتذته وتفوقه

ومن شيوخه وأساتذته غير أبيه الشيخ المحقق الحسن بن محمد الرصاص ، والشيخ عمران الشتوي ، والشيخ علي الأكوخ ، والشيخ حميد بن أحمد بن الوليد القرشي ، والشيخ حنظلة بن الحسن وغيرهم ، وقد ترجمه « المحلى » في الحدائق الوردية ترجمة مستفيضة وذكر كراماته وأخباره وأشعاره من ص : ١٣٣ حتى ص : ١٩٨ الجزء الثاني .

ويقول زبارة في أئمة اليمن : « وروى صحيح البخاري بطريق متصل  
بعده طرق حققها ، واسناده لسائر أمّهات كتب الحديث وكتب التفسير  
وسائر العلوم الاسلامية وما حفظه عن أبيه من الأحاديث المسلسلة في كتابه  
« الشافي » المشهور .

وكان نادرة عصره في الذكاء ، والحفظ ، والبراعة ، والبلاغة ،  
والشجاعة ، وأما زهده وعبادته وتقواه فيروى أنه صام أربعة عشر عاماً حتى  
ضعف عن حمل السلاح فترك الصيام رغبة في الجهاد .

وكان طويل القامة ، تام الخلق ، حديد البصر ، كثّ اللحية ، غلب  
الشيب على عارضيه خاصة ، وبعد أن ختم القرآن في صغره بدأ يحفظ علوم  
الأدب فبرز فيه تبريز البلغاء حتى قيل : إنه أشعر الطالبين باليمن .

وقال السيد الامام الهادي بن ابراهيم الوزير : لو قال قائل : إنه لم يكن  
مثل الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة أحد من أئمة العترة وغيرهم في  
حفظ أشعار العرب ، وأيامها ، وأنسابها ، وقبائلها ، وبيوتها ، وعمائرها ،  
وما كان من أخبارها في الجاهلية ، وحروبها وسلمها ، وأحوالها ، ومن هلك  
منهم قتلاً ، ومن أسلم منهم طوعاً ، ومن أسلم كرهاً لكان صادقاً «  
[ ج - ١ - ص : ١٠٩ - أئمة ] .

تاريخ حياته :

لقد كانت حياة الامام عبد الله بن حمزة حياة حافلة بالجد والجهاد  
والصراع الدامي ، وقد كتب عنها وأرخ لها بعض معاصريه وسجلها كل  
المؤرخين اليمنيين .

ومن ذلك :

١ - سيرة الامام عبد الله بن حمزة تأليف محيي الدين محمد بن أحمد القرشي  
المتوفي سنة ٦٢٣ هـ ، ومنها نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع بآخر الجزء  
الرابع من كتاب الشافي .

٢ - سيرة الامام المنصور عبد الله بن حمزة تأليف علي بن نشوان الحميري  
في عدة أجزاء واختصرها أبو فراس دغثم الصنعاني ، وتقع في ستة

- مجلدات وعليها اعتمد المؤرخون من بعده [أئمة ج - ١ -  
ص : ١١٠] .
- ٣ - كل كتب التاريخ والسير المشهورة كالحدائق الوردية ، وأنباء الزمن ،  
وغاية الأمانى ، وأئمة اليمن ، والمقتطف ، والتحف شرح الزلف ،  
وبلوغ المرام وغيرها .

#### مؤلفاته

- للامام عبد الله بن حمزة أكثر من ثمانين رسالة ومصنفاً في كل فنون الثقافة  
والمعرفة ، وقد ذكر البحائة الحبشي منها - ٨١ - مؤلفاً في كتابه « حكام اليمن  
المؤلفون » ص - ٨٤ - ٩٩ - وعددها مرتبة ترتيباً معجماً كما يلي :
- ١ - أجوبة تتضمن ذكر المطرفية . أوله « اعلم أيديك الله وهداك وحاطك  
وتولاك أن الفرقة الغوية الضالة الشقية المساة بالمطرفية » إلخ . .  
نسخة مخطوطة ضمن مجموعة من ورقة ٢١٠ إلى ٢٢٣ بمكتبة المتحف  
البريطاني رقم ٣٩٧٦ .
- ٢ - الأجوبة الرفاعة للاشكال والفاثحة للأقفال . أجوبة على مسائل  
وردت عن الشيخ محمد بن أحمد النجراني من صعدة . نسخة  
مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٤٥ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٣ - الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية . أجاب بها عن مسائل وردت من  
الشريف الفاضل نور الدين الحسن بن يحيى بن عبد الله الهادي إلى  
الحق إلى (براقش) سنة ٥٩٩ . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم  
٥٤ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٤ - الاختيارات المنصورية . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة ورق سنة  
٦٣٨ في ست ورقات بمكتبة الأمبروزيانا برقم ٨١ .
- ٥ - أرجوزة في صفات الخيل وألوانها ونعوتها وأصولها وما يحمد منها وما  
يذم . عليها شرح لابن الناظم أحمد بن عبد الله بن حمزة . منها  
نسخة مخطوطة سنة ١٠٥٣ في ٨٤ ورقة برقم ٥٢ في مكتبة الجامع  
« الكتب المصادرة » . ونسخة أخرى مخطوطة سنة ١١١٣ في ٩٩  
ورقة بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٦٠ .
- ٦ - تحفة الاخوان منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة  
الجامع الكتب المصادرة .



- ٧ - تخميس مقصورة ابن دريد . منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٥٧ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » برقم ٦١ مجاميع .
- ٨ - تفسير القرآن . ذكره المؤرخ أبوعلامة في كتابه النفحة العنبرية وأنه شرع فيه ولم يكمله .
- ٩ - تلقيح الألباب في أحكام السابقين وأهل الاحتساب . في معرفة شروط السابقين وأهل الاحتساب وهما درجتان بعد درجة الامامة . منه نسخة مخطوطة مع كتاب المهذب بمكتبة الجامع برقم ٢٩١ « فقه » . نسخة أخرى مخطوطة في ست ورقات بمكتبة الجامع بصنعاء .
- ١٠ - جواب سؤال سأل عنه القاضي محمد بن عبد الله بن حمزة . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة رقم ٥٤ « الكتب المصادرة بمكتبة الجامع » .
- ١١ - جواب على مسائل وردت من الأمير مجد الدين بن يحيى بن محمد بن يحيى . منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع الكتب المصادرة .
- ١٢ - جواب أجاب به على سؤال الحسين بن عبد الله الطبري وقد سأله في مسائل . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع الكتب المصادرة .
- ١٣ - جواب مسائل سأل عنها علي بن أحمد بن دريب . منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ١٤ - جواب مسائل سأل عنها أحمد بن الحسن الرصاص . منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ « مكتبة الجامع الكتب المصادرة » .
- ١٥ - الجوهرة الشفافة الرادعة للرسالة الطوافة . في الرد على عالم أشعري متفلسف يقول بالحلول . منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة من ورقة ٢٣٥ إلى ٢٧١ برقم ٢٩٧٦ مكتبة المتحف البريطاني .
- ١٦ - حديقة الحكمة النبوية في شرح الأربعين السيلقية . شرح فيه أربعين حديثا جمعها الشريف زيد بن عبد الله بن مسعود السيلقي . وقد اختصر هذا الشرح في القرن التاسع العلامة اليميني أحمد بن علي مرغم في كتابه (التحفة السنية المنتزعة من الحديقة النبوية) . مخطوط بمكتبة الأمبروزيانا برقم ٧٤ (B) .
- ومن كتاب حديقة الحكمة نسخة مخطوطة سنة ١٠٤٧ بمكتبة الجامع

- برقم ٦٠٧ « حديث » . نسخة أخرى بنفس المكتبة برقم ١٢٧ . وثالثة برقم ٢٩٦ مخطوطة سنة ١٠٣٠ . ورابعة مخطوطة سنة ١١٤٨ برقم ٢٩٧ . وخامسة بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٣٥ . وسادسة مخطوطة سنة ١٠٦١ بمكتبة الجامع الغربية ٥٤ حديث .
- ١٧ - الدر المنثور لفقهِ مولانا الامام المنصور . منه نسخة مخطوطة في ١٨٠ ورقة بمكتبة الأمبروزيانا برقم ٨١ « مسلسل » .
- ١٨ - الدرّة اليّيمة في تبين أحكام السبي والغنيمة . منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٩٢ بمكتبة الجامع . نسخة أخرى مخطوطة سنة ٥٦١ ضمن مجموعة من ورقة ١٦٩ إلى ورقة ٢٠٩ برقم ٣٩٧٦ بمكتبة المتحف البريطاني .
- ١٩ - دعوة إلى سنقر وقد طلع إلى اليمن في خلاف أهل صنعاء سنة ٥٩٩ . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ « مكتبة الجامع الكتب المصادرة » .
- ٢٠ - دعوة إلى أمير حاج العراق طشكين وقد وصلت منه كتب إلى اليمن بعد دعوى إسماعيل بن طغتكين للخلافة . منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » برقم ٥٤ .
- ٢١ - دعوته لإسماعيل بن طغتكين لما حط على كوكبان سنة ٥٩٩ . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٢٢ - دعوة إلى وردسار والأجناد الذين معه وهم في المحالب . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .

٢٣ - ديوان عبد الله بن حمزة .

جمعه أحد أبنائه . وهو مقسم على ثمانية أبواب :

- |              |                                  |
|--------------|----------------------------------|
| الباب الأول  | : في الافتخارات .                |
| الباب الثاني | : في المكاتبات .                 |
| الباب الثالث | : في مخاطبة أهل المذاهب .        |
| الباب الرابع | : فيما كتبه إلى أولاده وزوجاته . |
| الباب الخامس | : في المدائح والأوصاف .          |

- الباب السادس : في صفات الخيل .  
 الباب السابع : في المواعظ .  
 الباب الثامن : في المراثي .

منه عدة نسخ . منها نسخة مخطوطة سنة ١٠٥٧ في ٢٠٣ أوراق بمكتبة الجامع برقم ٣٦ « أدب » . نسخة أخرى مخطوطة سنة ٩٠٧ هـ في ٢٢٥ ورقة بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨١٥ . نسخة ثالثة كتبت سنة ١٠٨٢ في ١٨٧ ورقة بنفس المكتبة . نسخة رابعة مخطوطة سنة ٨٩٤ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » برقم ٤٨ أدب .

٢٤ - الرسالة الامامية في الجواب على المسائل التهامية . أجاب فيها على أسئلة وردت من الفقيه محمد بن أسعد الواقدي الصليحي . منها نسخة مخطوطة سنة ٦٢٥ ضمن مجموعة من ورقة ١٥٧ إلى ورقة ١٩٠ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٢٨ .

٢٥ - الرسالة التهامية . ذكرها أبو علامة في كتابه النفحة العنبرية ولعله نفس الكتاب السابق .

٢٦ - الرسالة الرفاعة للاشكال والفتحة للاقفال . ذكرها زبارة في كتابه أئمة اليمن ص ١٠٩ .

٢٧ - الرسالة النافعة بالأدلة القاطعة . في بيان مذهب الزيدية والرد على الشيعة الخارجين من الامامية والباطنية والمطرية . مخطوطة بمكتبة القاضي محمد بن علي الأكوخ بتعز في ٣٩ ورقة . مصورة بمعهد المخطوطات العربية .

٢٨ - الرسالة العالمة بالأدلة الحاكمة . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٦٠ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .

نسخة أخرى في ١٧ ورقة بمكتبة الأمبروزيانا برقم B٦٢ .

٢٩ - رسالة عبد الله بن حمزة إلى كافة الناس يدعوهم إلى إمامته . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ . بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .

٣٠ - رسالة عبد الله بن حمزة . أولها : الحمد لله المهيمن المنان إلخ . . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٢ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .

٣١ - الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة . ذكره المؤرخ أبو علامة في كتابه

النفحة العنبرية .

٣٢ - الرسالة الكاشفة للاشكال في بيان الفرق بين التشيع والاعتزال .  
ذكرها المؤرخ أبو علامة في كتابه النفحة العنبرية . ومنها مخطوطة  
بمكتبة الجامع .

٣٣ - الرسالة الكافية لأهل العقول الصافية . ذكرها المؤرخ أبو علامة مع  
الامام أحمد بن عيسى في كتابه النفحة العنبرية . وفي فهرست مكتبة  
الجامع باسم « الرسالة الكافية لأهل العقول الوافية » . منها نسخة  
مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع بصنعاء « الكتب  
المصادرة » .

٣٤ - رسالة كتبها لما بلغه من بعض روافض الشيعة وطعنهم عليه . نسخة  
مخطوطة ضمن المجموعة رقم ٥٤ . بمكتبة الجامع « الكتب  
المصادرة » .

٣٥ - الرسالة المرتضاة في العهد إلى القضاة . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة  
برقم ٩٧ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » . مخطوطة أخرى سنة  
٦٠٠ في ٣٧ ورقة . نسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ٥٤ بنفس  
المكتبة .

٣٦ - الرسالة المشيرة في ترك الاعتراض على السيرة . أوردها المؤرخ زبارة  
في أئمة اليمن ص ١٠٩ ولعلها نفس الرسالة الآتية .

٣٧ - الرسالة الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة . جواب على  
مسائل ومطاعن وردت من الفقيه أبي القاسم الحسين بن شبيب إلى  
حوث سنة ٥٩٦ . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة  
الجامع « الكتب المصادرة » . نسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ٩٧  
بنفس المكتبة .

٣٨ - الرسالة الناصحة بالدلائل الواضحة في معرفة رب العالمين . وهذه  
الرسالة كانت تدرس للطلبة وقد شرحها العلامة أحمد بن عبد الله  
الجنداري المتوفي ١٣٣٣ بكتاب أسماه « سمط الجمان شرح الرسالة  
الناصرحة للاخوان » . ومنه عدة نسخ منها نسخة بمكتبة الجامع برقم  
٤٨٤ « كلام » . وأخرى مخطوطة سنة ١٣٣٧ بمكتبة الجامع الكتب  
المصادرة برقم ٨٨ كلام . ومن الأصل نسخة مخطوطة سنة ٦٣٥ في  
١٣٦ ورقة بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٢٨ . وأخرى مخطوطة

- سنة ١٣٢٠ بمكتبة الجامع الكتب المصادرة برقم ٧٣ « كلام » وثلاثة مخطوطة سنة ١٠٢٨ بالمكتبة نفسها برقم ١٩٤ .
- ٣٩ - الرسالة الناصحة لأهل الايمان ببلاد الجليل والدليمان والعراقين وخراسان . ذكرها أبو علامة في النفحة العنبرية .
- ٤٠ - الرسالة الهادية بالأدلة البادية في بيان أحكام أهل الردة . منها نسخة مخطوطة سنة ٥٦١ ضمن مجموعة من ورقة ١٤٥ إلى ورقة ١٦٨ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٩٧٦ .
- ٤١ - رسالة . منها نسخة مخطوطة سنة ١٣٠٢ ضمن مجموعة برقم ٢ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٤٢ - زبدة الأدلة في معرفة الله سبحانه وتعالى . منه نسخة مخطوطة سنة ١٣٠١ في ورقتين بمكتبة جامعة الرياض برقم ٢/٢٦١٣ . منه نسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ١٠٢ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٤٣ - زيادة الأدلة العقلية . ذكره المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ص ١٠٩ ولعله تصحيف اسم الكتاب السابق .
- ٤٤ - الشافي في الجواب على الرسالة الخارقة للفقهاء عبد الرحيم بن أبي القبائل المتوفي سنة ٦١٦ . في الرد على رسالة للمذكور كتبها سنة ٦٠٨ وهي تدور حول مسائل في الاعتقاد .
- منه عدة نسخ بمكتبات صنعاء . نذكر منها نسخة مخطوطة سنة ١٠٧٥ الجزء الأول ٢٩٣ ورقة بمكتبة الجامع برقم ٢٩ . الجزء الثاني مخطوطة سنة ١٠٤٧ في ٣٥٣ ورقة برقم ٣٠ علم الكلام بنفس المكتبة . الجزء الثالث والرابع مخطوطة سنة ١٠٨٢ في ٢٤٣ ورقة برقم ٢٤٧ بنفس المكتبة . الجزء السابع من تجزئة ثمانية أجزاء نسخة مخطوطة خط قديم يعود إلى عصر المؤلف ، نسخة أخرى الجزء الأول خط قديم برقم ٢٤٥ بنفس المكتبة . الثاني مخطوطة سنة ١٠٧٦ برقم ٢٤٦ . الجزء الثالث خط قديم برقم ٣١ . نسخة أخرى مبتورة الطرفين برقم ١٣٢ . ونسخة أخرى مخطوطة سنة ٩٦٧ موجودة بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » برقم ٣٥ . وأخرى مخطوطة سنة ١٠١٨ برقم ٦٧ بنفس المكتبة . الجزء الرابع بقلم المؤلف بمكتبة الأمبروزيانا برقم ٢٨ في ٢٥٤ ورقة .

- ٤٥ - شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة . ذكره زبارة في أئمة اليمن ص ١٠٩ وقال : إنه يقع في جزئين : الأول في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والثاني في فضائل العترة النبوية . منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٨٥ بمكتبة الجامع الغربية رقم ٧٠ « كلام » .
- ٤٦ - صفوة الاختيارات « في أصول الفقه » . ذكره المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ص ١٠٩ .
- ٤٧ - صورة كتاب الامام المنصور إلى عامل بني العباس على اليمن . منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٦٨ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٤٨ - العقد الثمين في تبين أحكام الأئمة الهادين ورد شبه الروافض الغالين . منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٦٣ في ١٠٩ ورقات بمكتبة الجامع برقم ٢٣٣ « علم الكلام » نسخة أخرى في ١٤٤ ورقة مخطوطة سنة ٥٦١ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٩٧٦ .
- ٤٩ - العقيدة النبوية في الأصول الدينية . قال فيه : « أما بعد فقد سألتني جماعة من الاخوان الأباة المعتمدين الكفاة أن أذكر لهم مذهبي ومذهب آبائي مجرداً عما سواه » . منه نسخة مخطوطة سنة ٦٢٥ ضمن مجموعة من صفحة ٢ إلى ١١ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٢٨ .
- ٥٠ - عهد الامام المنصور إلى الأمير حسام الدين علي بن محسن الهمداني . منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٥١ - قصيدة مرسله إلى الخليفة العباسي . أورد جزءاً منها زبارة في أئمة اليمن ص ١٣٩ - ١٤١ . وعليها شرح للمؤرخ حميد بن أحمد المحلي المتوفي سنة ٦٥٢ بعنوان محاسن الأزهار . مخطوطة بمكتبات الجامع .
- ٥٢ - كتاب إلى النساء وقد ظهر فيهن مذهب الباطنية . منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع ضمن مجموعة برقم ٩٧ « الكتب المصادرة » .
- ٥٣ - كتاب إلى الأمير شهاب الدين إينال بن محمد الحريري وقد بلغه رغبته في الطاعة . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٩٧ « الكتب المصادرة » . نسخة أخرى مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ .

- ٥٤ - كتاب إلى الملك العادل أبو بكر بن أيوب سنة ٥٩٨ . نسخة مخطوطة ضمن المجموعة رقم ٩٧ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » . نسخة أخرى ضمن مجموعة رقم ٥٤ بالمكتبة نفسها .
- ٥٥ - كتاب إلى أمير حاج العراق . نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٥٦ - كتاب إلى أهل الظاهر . وقد شكت الرعية مضره لحقتها من الأشراف وخدمهم . نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » . نسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ٥٤ « المكتبة نفسها » .
- ٥٧ - كتاب منه إلى الأمير إبراهيم الحمزي . نسخة ضمن مجموعة رقم ٥٤ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٥٨ - كلام للإمام عبد الله بن حمزة . وقد بلغه اعتراض الشيعة عليه . نسخة ضمن مخطوطة رقم ٩٧ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٥٩ - مسائل مجموعة من كلام الامام المنصور بالله أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة عليه السلام مما سئل عنه في حق الصحابة الذين تقدموا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . منه نسخة مخطوطة سنة ٦٢٣ ضمن مجموعة من ورقة ٢٥٦ إلى ٣٣١ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٤٠٠٧ .
- ٦٠ - مصباح المشكاة في تثبيت الولاية . منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » . وأخرى ضمن المجموعة رقم ٥٤ بنفس المكتبة .
- ٦١ - مكاتبة بين الامام عبد الله بن حمزة وبنو رسول . نسخة مخطوطة ضمن المجموعة رقم ٩٧ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٦٢ - المهذب من فتاوى الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة . جمع وترتيب محمد بن أسعد بن علي بن إبراهيم المرادي . قال في المقدمة : « أما بعد فإني نظرت فيما جمعه الشيخ محيي الدين محمد بن علي القرشي من فتاوى أمير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة فوجدت مسائل الكتاب مشتبكة وفنونها مختلطة فرأيت أن أضم كل جنس إلى بابيه وألحقه بنوعه » .
- منه نسخة مخطوطة في ٣٠٠ ورقة بمكتبة الجامع برقم ٢٩١ « فقه » .

- ونسخة أخرى ضمن الكتب المصادرة بمكتبة الجامع . مخطوطة سنة ٦٢٩ .  
 أخرى مخطوطة سنة ٦٣١ بمكتبة قبة المهدي بصنعاء .
- ٦٣ - نبذة من إملائه عليه السلام . نسخة ضمن مجموعة رقم ٥٤ بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » .
- ٦٤ - الهاشمية لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال . منه نسخة مخطوطة سنة ٦٢٥ ضمن مجموعة من ورقة ١٥١ - ١٥٦ - بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٢٨ .
- ٦٥ - كتاب عقد الفواطم . ذكره المؤيدي في التحف ص ١٠٦ .
- ٦٦ - الياقوت المعظم « إتحاف الأكابر » .
- ينسبه الشوكاني إلى الامام عبد الله بن حمزة . وانظر مؤلفات الامام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان .
- ٦٧ - البيان والثبات إلى كافة البنين والبنات . مخطوطة في ٩ ورقات بمكتبة الجامع الغربية برقم ٧٣ تفسير .
- ٦٨ - جواب مسائل سأل عنها الشيخ المكين موسى بن إبراهيم الجحلم بصعدة في ذي الحجة سنة ٥٩٩ . مخطوطة ضمن مجموعة بمكتبة القاضي محمد بن علي الأكوخ بتعزمصور بمعهد المخطوطات .
- ٦٩ - جواب مسائل المعلوي الرجوي المرشد لكل ضال غوي . مخطوطة سنة ١٠٢٤ ضمن مجموعة الأكوخ السابقة .
- ٧٠ - رسالة الايضاح لعجمة الافصاح . في الرد على مطاعن القاضي احمد بن نشوان الحميري على الأئمة - مخطوطة ضمن مجموعة الأكوخ السابقة .
- ٧١ - الرسالة القاطعة للأوراد عن لحاج المتعنت في الايراد . ذكرها ابن مظفر في الترجمان .
- ٧٢ - الرسالة القاهرة بالأدلة الباهرة . ذكرها ابن مظفر في الترجمان .
- ٧٣ - المجموع من آيات القرآن الشريف المبطل لمذهب أهل التطريف ذكره ابن مظفر في الترجمان .
- ٧٤ - مسائل المدقق في الكفر البري من الايمان . جواب على مسائل تتعلق بالمطرفية . مخطوطة ضمن مجموعة الأكوخ السابقة .
- ٧٥ - مسائل سأل عنها الشيخ منيف بن مفضل بن أبي رازح الرعدي الحبشي . مخطوطة ضمن مجموعة الأكوخ السابقة .



- ٧٦ - مسائل وردت من الشريف نور الدين الحسن بن يحيى . مخطوطة ضمن مجموعة الأكوغ .
- ٧٧ - مسائل من القاضي إبراهيم بن محمد الحاشدي . مخطوطة ضمن مجموعة الأكوغ .
- ٧٨ - مسائل من القاضي محمد بن أسعد اليميني . مخطوطة ضمن مجموعة الأكوغ .
- ٧٩ - مسائل سأل عنها القاضي عمر بن علي العنسي في أمر المنجنيق وجواز نصبه على أهل الشهادتين . مخطوطة ضمن مجموعة الأكوغ .
- ٨٠ - مسائل من الشريف قتادة بن إدريس . مخطوطة ضمن مجموعة الأكوغ .
- ٨١ - مسائل وردت من مكة حرسها الله . مخطوطة ضمن مجموعة الأكوغ .

#### آثاره في المتحف البريطاني

وللامام عبد الله بن حمزة مؤلفات في مكتبة المتحف البريطاني بلندن وقد تحدّث عنها ووصفها القاضي الدكتور حسين العمري في كتابه « مصادر التراث اليميني في المتحف البريطاني » وهي : ١ - العقد الثمين . ٢ - الرسالة الهادية . ٣ - الدرّة اليتيمة . ٤ - أجوبة المطرفية . ٥ - الجوهرة الشفافة « وهو أول بحث كلامي كتبه في صدر شبابه بتكليف من شيخه الحسن بن محمد الرصاص في الرد على كتاب أرسل من مصر » . ٦ - أجوبة متفرقة . ٧ - فصول في مسألة الامامة . ٨ - خمسة أسئلة وأجوبتها . ٩ - ستة أسئلة وأجوبتها .

- وكل الآثار هذه مجموعة في المخطوطة رقم : OR.3976 .
- ١٠ - العقيدة النبوية و ١١ - الرسالة الناصحة . و ١٢ - الرسالة الامامية في الجواب على المسائل التهامية . المجموع مخطوط برقم : OR. 3828 .
- ١٣ - حديقة الحكمة . المخطوط رقم : OR. 3835 .
- ١٤ - ديوان الامام عبد الله بن حمزة المخطوط رقم : OR. 3815 . ويقول الدكتور العمري : « ويبدو أن هذه النسخة هي أوفى وأقدم من غيرها من النسخ الأخرى الموصوفة في الفهرست العربي ص ٧٤٩ أو حتى من نسخة جامع صنعاء » .

١٥ - أرجوزة الخيل وشرحها : المخطوط رقم : OR. 3860 .

وقد طبعت الأرجوزة والشرح باسم « تاريخ الخيول العربية » طبعة رديئة محرّفة . وفي حوزتي نسخة ثمينة من كتاب « حديقة الحكمة » في : ٢٥٤ صفحة .

[وانظر مصادر العمري . . ص : ١٥١ - ١٥٩].

### دعوته

كانت لابن حمزة دعوتان . الأولى خاصة . والثانية عامة ؛ والخاصة هي التي أعلنها وهو شاب في الثانية والعشرين عام ٥٨٣ هـ بعد وفاة الامام أحمد بن سليمان بشانية عشر عاماً ؛ وأهل الحل والعقد في حيرة ؛ وقد تمرغت « النظرية الزيدية » في وحل الطامعين في إمامتها بالورثة ؛ والقادرون على تحمل أعبائها والقيام بواجباتها عنها زاهدون ، ويمدّعونها الجهلة ساخرون ، ومن تصرفاتهم مسمئزون ، وشيوخ الاسلام كالقاضي جعفر والشيخ الرصاص يصرّحون : لو ادّعى « فلان » لأجبنها ، ولو قام « فلان » لأيدناه وأطعناه . وهي « خاصة » لأنها اقتصرت على « الجوفين » وبعض نواحي « الشمال » غير مُعارضية للسلطة المتسلطين في « الأهنوم » و « صعدة » و « الشرفين » و « مسور » وقد ظل ؛ أثناءها - ليس لأنه لا يزال شاباً إذ قد كان بنبوغه كبيراً ؛ ولم يتجاوز العشرين إلا وقد حاز درجة الاجتهاد ، وتوفرت فيه « الشروط الهادوية » التي يتطلبها « الزيدي الهادوي » فيمن يرضى به إماماً - ظلّ يرأسل « الأميرين اليعقوبيين » وغيرهما ليقوم أيّ بالواجب وسيكون له عوناً ونصيراً ؛ وكانت أوضاع اليمن سياسياً واجتماعياً كما ذكرنا آنفاً ؛ وقد دارت بينه وبين « الحاتميين والأيوبيين » مناقشات وحروب فصلها المؤرخون ، وكاتبو سيرته .

وأما الدعوة الثانية أو العامة ، فقد كانت بعد عشر سنوات من نهضته الأولى وبعد وفاة سيف الاسلام « طغتكين » . أي سنة ٥٩٣ هـ وهي التي صورها « المحلي » في « الحدائق الوردية » بقوله : « وكانت دعوته العامة التي هي دعوة الامامة في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وخمسة حين تقدم من « الجوف » إلى « الحقل » وصار إلى هجرة دار « معين » وكان اجتماع العلماء ومحاورتهم له ومناظرتهم حتى وجدوه بحراً لا ينفذه النازح ، وخضما

لا يفنيه الماتح ؛ وكانت الأسئلة في أصول الدين وفروعه ، ومعقوله ومسموعه ، ومعاني الآيات المشكّلة ، وفوائد الأحاديث المغربية ، فحينئذٍ اعترفوا بأن جواده في ميدان الفضل المجلّي ، وأنه السابق غير المصلّي ، وتحقّقوا أنه أولى أهل عصره بالقيام بأمر الأمة ، وأنه المرجول لكشف الغمّة ، فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ٥٩٤ هـ أربع وتسعين وخمسمائة [أي أن اختبار العلماء له ومناظراتهم استمرت أربعة أشهر] تقدّم ومن معه إلى المسجد الجامع فبايعه الناس ، وكان أولهم الأميران الداعيان إلى الله تعالى شيخا آل الرسول صلى الله عليه وعليهم « شمس الدين » و « بدر الدين » يحيى ومحمد أبناء أحمد بن يحيى بن يحيى ثم الأكابر من أهل البيت ثم سائر العلماء « وذكر نص البيعة ونص الدعوة [ص ١٥٧ ج - ٢ - الحدائق] .

### نص البيعة

وكانت ألفاظ بيعته كالتالي : بعد أن يبسط المبايع يده يقول - « أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وموالاتنا ولينا ، ومعاداة عدونا ، والجهاد في سبيل الله بين أيدينا ؛ فاذا قال الرجل نعم ؛ قال : عليك بذلك عهد الله وميثاقه وأشدّ ما أخذ الله على أنبيائه من عهد وعقد . فيقول الرجل : نعم . فيقول الامام : الله على ما تقول وكيل » .

ويقول زبارة : « وكان أوّل من أجابه - يقصد من السلاطين الذين كان قد استولى على بلادهم « طغتكين » - السلطان علي بن حاتم الياامي الهمداني وبعث أخاه بشرا بن حاتم الى حضرة الامام في هجرة « معين » بصعدة » [ج - ١ - ١١٣ - أئمة اليمن] ولن يمر عام أو بعض عام حتى نرى بشراً هذا له محارباً ! .

### دخول الامام صنعاء :

وقد انضم الى الامام من الغزّ والأكراد من نفروا وخافوا من الملك إسماعيل بن طغتكين وفيهم أمراء وقواد كانوا من أعيان أعوان أبيه ، فكاتبوا الامام وحرّضوه على الوصول إلى صنعاء ، فعزم على ذلك رغم قلة جنده معتمداً على المنضمّين إليه من الغزّ وقد حكى « ابن حاتم » في كتابه

« السمط الغالي الثمن » قصة محاصرة الامام لصنعاء ، ثم دخوله إليها وكيف ظلّ متخفياً بها ، مطارداً من قبل الغز الموالين للملك إسماعيل بن طغتكين ؛ وهي أحداث ووقائع أشبه بالأساطير ، ولكنها تدل على شجاعته وإقدامه ، وعدم مبالاته بالأخطار ، وثقته بنفسه ، وتوكله على الله ، وتفانيه في سبيل نشر الدعوة التي يؤمن بها [انظر التفاصيل في ص : ٥١ - ٦٧ السمط و ص : ١٦١ - وما بعدها ج ٢ - الحدائق . وأئمة اليمن ج - ١ - ص : ١١٥ - وما بعدها] . وقد سجل الامام بعض ما جابهه في صنعاء وأثنى على أهلها لما كان لهم من العناية به ، والتستر عليه من جنود « الغز » في قصيدة طويلة مطلعها :

دعا ذكر نجدٍ والحائم ، والحيا ، وبرقاً ورعداً ، لاح وهناً وأرزما

ومنها البيتان اللذان سبق ذكرهما :

أقلب طرفي هل أرى العرب جهرةً  
سوى نفرٍ شم الأنوف غطارف

فلم أرَ إلاّ أعجمياً مهمهما !  
رأوا خلطهم بالنفس للنفس أكرما

ومنها :

وتالله ما وطّنت نفسي على الردّ  
وكنت امرءاً أهوى الحسام مثملاً ،  
وأكره كون الحرّ خلف جنوده

لأحرز مالا ؛ بل لأدحض مائماً ؛  
وأهوى الردينيّ الأصمّ محطماً ،  
وأرضاه عرنيناً لهم متقدماً

ومنها :

رجعنا إلى ذكر الدخول وربما  
فجاءت أزال جمع الله شملها ،  
فجادوا بفتح الباب وابتهجوا بنا ،  
وقالوا جهاد الظالمين فريضةً  
ستفديك أموال عظام وأنفسُ  
وخضنا إلى أسدِ العرين عرينها  
وما هو نكرٌ خوض مهري إلى الردّ  
سل الخيل عني في «عجيب» و«مشهد»  
فقل للملوك الأرض لا تطمعوا بها  
فقد طال ما نلتم حراماً حطامها

أتى عارض يحكي اللثالي منظماً  
وأسدى إليها الصالحات وأنعماً ،  
وقالوا لنا : أهلاً وسهلاً ومغنيا ؛  
فقد طال ما كُنّا نهاباً مقسماً ،  
كرام ؛ وإن أضحى ذوو الفسق لوّماً  
بصبر حسنونا منه صاباً وعلقماً  
إذا كاع يومياً عنه غيري وأحجماً !  
وقد صار وردُ الخيل بالركض أدماً  
مراغمةً ما لاح برق وأنجماً  
فأحرزتم ذنباً بذاك ومائماً !

وله قصائد كثيرة في « صنعاء » ، ولقد كان ولا شك في كرب شديد حين اضطر إلى مغادرة صنعاء وهو يقول من قصيدة :

تركنا ديار الظلم والفسق خاليةً      فكم من فتي باكٍ عليها وباكية !  
وسوف نُسقى القوم كأساً مريرةً ،      وسوف نقود الجيش للقوم ثانيةً ،  
فلو قصدتني العرب جمعاً بجمعهم      لكافحتهم بالمشرقي علانية !  
فما لهم في الحرب باعٌ ولا يدٌ ،      وأمهم في سورة الحرب هاويةً ،  
إلى آخرها وهي نفثة مؤلم محروق متوعّد .

من ناوأه من أولادِ وأحفاد الأئمة

١ - الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان

لقد كان أشدّ الناس مناواةً للامام عبد الله بن حمزة ، الأمير يحيى بن الامام أحمد بن سليمان ، وهو الذي كان قد تملك صعدة بعد وفاة أبيه ، ثم طرده طغتكين منها ، ثم عاد فتملكها وقد بلغت دعوة الامام الأولى لكنه رفضها واستمد الولاية من « الغز » كما أشرت إلى ذلك آنفاً .

ويظهر من أخبار هذا الأمير المضطربة في كتب السير والتراجم والتاريخ أنه كان طموحاً شجاعاً ماكراً حوّلاً قلباً ، والمؤرخ المعاصر للأحداث التي وقعت في هذه الفترة ، أو أقرب المؤرخين من زمن حدوثها « ابن حاتم » قال :

« وفي هذه المدة [سنة ٥٩٥ هـ] وصل إلى الامام أمير من الأشراف اسمه يحيى بن أحمد بن سليمان إلى « أثافت » وكان هذا الشريف جليل القدر جدّاً ، فجذله به الامام ، وعظّم شأنه ، وتكثّر به ، فاقترح على الامام أن يعطيه « صعدة » وأعمالها ، وأجابه إلى ذلك ، وكتب له بها منشوراً ، بعد أن جدّد عليه البيعة ، وقد أضمر هذا الشريف الميل إلى الغز ؛ فراح من الامام حتى صار في الجنّات ، وكاتب الشهاب الجزري [والي السلطان الأيوبي] في الوصول إليه [إلى صنعاء] فجاءه جوابه بالرحب والسّعة ، وخرج في لقائه ، وأنصفه إنصافاً متناهياً استماله به ، وألزم أهل صنعاء إحضار الثياب المقدّرات له ، فألبسه إياها وأقامه أياماً ، وفرّق له « الضيفة » ، ومال إليه السلطان بشر بن حاتم ، ونشر الدعوة للغز ، وصار يستحلف الناس للملك المعزّ [إسماعيل بن طغتكين] ، ولقّب نفسه بالمعزّ بالله ، وكتب الى الامام [عبد الله بن حمزة] كتاباً ، وضمّنه السبّ الفظيع ، ودعاه فيه

بمسليمة الكذاب ، ! ثم بعد ذلك تجهّز وخرج لقتاله ، وكان خروجه من صنعاء على رأي « الشهاب » ومعه جماعة من العسكر فأقام في الهجر التي حوالي الجنات وما والاها ، وحصلت الحرب بينه وبين مقدمين من عسكر الامام ، وحُصِر الى موضع من الهجر ، وكوتب الامام بأمره فجاء مبادراً ، وعاودوا القتال فكانت الطائفة لعسكر الامام ، فقتلوا عسكر هذا الشريف وأسروهم ونهبوهم ، وأسّر الشريف وجيء به إلى الامام ، فأحسن إليه للقرابة ، ولم يؤاخذه غير أنه قيده ، ووكل به من يحفظه خوفاً من غائلته ؛ فبقى على ذلك والناس تختلف إليه وهو في الحفظ ، ثم أنه عمل الحيلة بأن وضع البنج في طعام أصحابه الموكلين بحفظه ، فأكلوا ، وسلم منهم رجلان لم يأكلا ، وظن الشريف أنهما قد دخلا مع أصحابهما في الأكل فكفّ القيد ، وأراد الخروج فمنعه أحد الرجلين اللذين سلّما ، وتقدم الآخر إلى الامام فأخبره ، فبعث جماعة أغاروا فأمسكوه ، وأعادوه في قيده ، ثم عمل الامام على قتله ، فقُتِل خفية ! وذلك لأربع ليال خلون من شعبان [عام ٥٩٥ هـ] . ص - ٦٧ - ٦٨ - السمط ] .

هذا هو ما قاله مؤرّخ الأيوبيين المتعاطف مع « الرسولين » والذي كان جدوده وأعمامه يجاربون الأئمة قبل أن يقضي عليهم توران شاه وأخوه طغتكين ، وبعد وفاة طغتكين واستعادتهم لبعض قلاعهم وحصونهم في أواخر أيام الامام عبد الله بن حمزة ، وبه نعرف إنصافه ؛ أما المؤرخون للأئمة من الزيدية فقد لخصه المؤرخ السيد محمد زبارة فقال : « وفي هذه السنة [عام ٥٩٥ هـ] بلغ الامام أن الأمير يحيى بن الامام أحمد بن سليمان نهض إلى بلاد الظاهر وكان الامام قد أرسل إليه الشريف الحسن بن إبراهيم الحمزي يدعوه إلى الدخول في الطاعة وجمع الكلمة ، وأرسل له بحصان ، فقبضه ووعد باللقاء في يوم ؛ فأمر الامام جماعة من بني صريم ووادعة أن يلقوه ، ففعلوا فحصل الاختلاف منه عن الوصول في اليوم المعين ، وأرجع الحصان ، وأظهر الخلاف ، وهم بالمسير الى الغز ، فأمر الامام أخاه يحيى بن حمزة وجماعة من الأشراف أن يلقوه ، ففعلوا وبالغوا في استمالتة ، وبدلوا له ما يرضيه من الامام ، فأجابهم وسار إلى حضرة الامام ، فتلقاه بالاجلال والاكرام ، وأجابه إلى ما طلب من توليته صعدة وأعمالها والهجر ، وأعطاه حصانا جواداً ، وجدّد عليه البيعة ، وأخذ عليه المواثيق الأكيدة ، وأقام عند

الامام في « أثافت » بعض أيام . .

ثم سار إلى « بيت مساك » ، وعاد إلى الخلاف والشقاق ، وقصد محطة الغزي في « الجنات » وسار إلى صنعاء فتلقاه « الشهاب الجزري » إلى خارج المدينة واستبشر بقدومه ، وأعانه بشر بن حاتم الياامي معارضة للامام ، ثم رجع يريد « صعدة » ولما وصل « قاعة » من بلاد « عمران » ، دعا الناس إلى موالة « المعز » بن « طغتكين » فأجابه من أجاب طوعاً وكرهاً ، وكتب إلى الامام وسبه سباً فاحشاً .

ثم نهض إلى « الهجر » فاستقر فيه ، فنهض إليه الأمير يحيى بن حمزة من « حلملم » إلى « عرة الأشمور » القريبة من الهجر ، ووقع بينه وبين الأمير يحيى بن أحمد حرب انهزم فيه أصحاب الأمير يحيى بن أحمد وأسر منهم جماعة ، وأمر الامام بالغاظة ، ثم نهض بنفسه في الأثر فحصر « الهجر » من جميع جهاته حتى دخله أصحاب الامام قهراً بالسيف وقتلوا جماعة منهم الأمير عمر بن قاسم بن محفوظ من أصحاب الغز ، وأسروا الأمير يحيى بن أحمد ، فأمر الامام بحفظه ، ووكّل به جماعة ، ورجع إلى أثافت ، وأودع الأمير يحيى بن أحمد السجن ، في بعض الدور ولم يضيّق عليه ، فشرع في إعمال حيلة يتخلص بها من السجن ، فجعل في طعام الموكّلين به شيئاً من البنج ، وكان منهم الشيخ سليمان بن مرحب ، فعرف الحيلة ، ولم يأكل من الطعام إلاّ اليسير فلم يتغيّر حاله ، وكان الأمير يحيى قد عامل جماعة من أهل تلك الدار على أن يخرجوه ، فأرسل سليمان بن مرحب إلى الامام يخبره بما حصل فبعث إليه من يحفظه وبطل على الأمير يحيى ما دبّره ولم يلبث أن مات عقيب ذلك في أثافت سنة ٥٩٥ هـ « [ص : ١١٩ - أئمة ج - ١ - ] وانظر أيضاً [ص ٣٤٩ - ٣٥٠ - غاية الأمان ج - ١ - ] .

وليس هناك أي اختلاف جوهري بين رواية « المؤرّخ الأيوبي » ورواية « مؤرّخ الأئمة » ؛ إلاّ أن الأول قد أطنب في حسن استقبال « الشهاب الجزري » ، وعظيم اكرامه لابن الامام الخارج على « الامام عبد الله » ، ثم أورد من كتابه إليه تسميته للامام بمُسَيِّلمة الكذاب ! وذكر أن الامام دبّر إغتيال الأمير يحيى بن أحمد ؛ « وعمل على قتله فقتله خفية ! » وإن الثاني أطنب في محاولة الامام إستمالة الأمير واسترضائه من أجل جمع الكلمة ، وأنه

أكرمه غاية الأكرام ، ولم يتعرض لشيء مما ورد في خطاب هذا الأمير الذي « عاد إلى الخلاف والشقاق » واكتفى بقوله « وسبّه سباً فاحشاً » ثم لم يذكر أنه قُتِل بل قال : « ولم يلبث أن مات » ! .

### دور المؤرخ الطائفي

ويأتي دور المؤرخ الزيدي الذي يحاول أن يتحاشا من ذكر هفوات طائفته ؛ ولا يقدر على إلصاق ما يشين بحكامها ، ولا سيما إذا كان ابن أو حفيد إمام ؛ وإذا اضطرّ إلى ذكر ذلك لطفه بالمعاذير والمبررات ؛ فإذا لم يجد زعم أن المقارن منهم لتلك المحاذير ، قد تاب وأناب ، ويزين ذلك بالروايات والأشعار ، وهو ما لجأ إليه المؤرخ الزيدي القاضي أحمد بن صالح أبو الرجال في كتابه « مطلع البدور » وهو يترجم لهذا الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان قال : « الأمير المعتز بالله يحيى بن الامام أحمد بن سليمان عليهم السلام ؛ كان فارساً بطلاً » ، قال علي بن نشوان [مؤلف سيرة الامام عبد الله بن حمزة] : « كان أميراً عظيماً جريئاً فارساً شجاعاً مجاباً مطاوعاً قد فتح المدن الكبار ، وناصب العجم وحاربهم بناحية الحقل وجيش إلى صعدة في حربهم الجيوش ، وعسكر العساكر ، وجند الجنود ، وبند البنود ، وكان له جرأة في الحرب ، وحذق ودهاء ، وارتكاب للهول العظيم ، وكان له هيبة في قلوب العامة » قلت : ولما راسله الامام المنصور بالله تشاقل عن النصرة ، وتمادى في حرب أهل الهيصم بأثافت وحرب الحجاجيين من وادعة فوعظه الامام فلم ينجح ، فأغلظ له فلم ينجح ، فلم يأنف الامام بل عاوده فرجع على شروط ؛ وقد كانت الشيعة حثوة على المسارعة إلى الامام ، ومن راسله القاضي الوحيد علي بن نشوان من قصيدة له في ذلك :

يا ناصر الدين عجل نصرة الدين	واضرب بسيفك أعناق الملاعين ،
واستصحب الجند والتشمير مبتغياً	في طاعة الله أجراً غير ممنون ،
جرّد حساماً وعزماً منك نعرفه	كصارم لك في الهيجاء مسنون ،
حتى يُنير منار الحق منتصباً ،	ويُلحق البغي والباغين بالهُون ،

إلى آخرها فانندب الأمير لطاعة الله وطاعة إمامه ، ووصل إلى الامام إلى « براقش » من أعمال الجوف فتلقيه الامام بالتكريم والتبجيل وخلع عليه ،



ووعده برفع منزلته ، وهنأه ، وشكره القاضي علي بن نشوان بهذه الأبيات :

دلتك همتك الشريفة للتقى ، ولمرتقى في المجد أعلى مرتقى ،  
ودعتك أنساب زكت علوية نبوية للعز في دار البقا ،  
صدقت حسن الظن فيك ؛ ولم تزل أبداً لراجي الخير فيك مصدقاً ،

ثم لم يذكر شيئاً عن ما حصل بعد ذلك مما ذكره « ابن حاتم » و « زيارة » وهو المزبور المشهور في كتب التاريخ ، والقاضيان « علي بن نشوان » و « ابن أبي الرجال » لم يختلفا باطلاً ، ولا أحد ينكر أن الأمير يحيى كان شجاعاً له جرأة وحقق ودهاء وارتكاب للهلول العظيم ! وأن « الامام قد وعظه فلم ينجع وأغلظ فلم ينجح » ! وأنه قد وصل « لطاعة الله وطاعة إمامه ، وتلقاه الامام بالتكريم وخلع عليه » ! كل ذلك قد ذكره أيضاً « مؤرخ الرسوليين » المنصف ، وأشار إليه مؤرخ الأئمة الحضيف ، ولكن . . أين خلافاته السابقة ؟ ، ولماذا لم يذكر أنه عاود الخلاف والشقاق ولجأ إلى « الغز » ورفع راية الحرب ، وشتم الامام وسماه « مسليمة الكذاب » ؟ وأنه قد قاتله ولكنه انهزم ثم سُجن ، ثم حاول الفرار فأمسكوه ، وكان آخر العهد به ؛ سواء وافاه أجله المحتوم أم اغتيل كما قال ابن حاتم ؟ . كل تلك الحقائق قد تغاضى عنها المؤرخ الطائفي « ابن نشوان » وجاراه المؤرخ الشيعي ابن أبي الرجال ! .

ومن هنا تبرز قضية التحقيق والتدقيق وضرورتها ، ويتأكد ما أشرنا إليه سلفاً ، من أن على المؤرخ أن لا يكتفي بقراءة كتب طائفة معينة ، ويستغني بها عن قراءة كتب الطوائف الأخرى فلا بد من قراءة كتب وأثار كل كتاب ومؤلفي جميع الفرق ؛ وفي اليمن بالذات سواء كان المؤرخ سياسياً أو ثقافياً وسيرى المتناقضات ، ويجد ما يسميه البعض حقاً وخيراً وعدلاً ، ويسميه آخرون باطلاً وشرّاً وجوراً ، ! وما يفاخر به قوم على أنه عين الاسلام وروح الايمان ، يتبرؤ منه المعارضون لهم ، ويقولون إنه ليس من الاسلام ولا من الايمان في شيء ! فاذا أردنا أن نؤرخ لليمن وأدائها وأثارها في كل العصور فلنقرأ ولنراجع ما كتبه الزيدتي ، والشافعي ، والاسماعيلي ، والاشعري ، والمعزلي ، والشيعي والسني ، على اختلاف فرقهم ، وشتى طوائفهم ، ثم

نُغْرِبَلْ كُلْ ذَلِكَ لِنَسْتَخْلَصُ الْحَقِيقَةَ ، أَوْ مَا يَقْرَبُ مِنْهَا ، مُحْكَمِينَ الْعَقْلَ ،  
غَيْرَ مُتَعَصِّبِينَ لِعَنْصَرٍ أَوْ طَائِفَةٍ أَوْ مَذْهَبٍ ، إِلَّا فِيهَا نَجْدُهُ كَفْرًا بَوَاحًا ، أَوْ  
يُجَافِي كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَقْلَ ذَلِكَ .

## ٢ - الثاني من المناوئين

أَمَّا مَنْ حَاوَلَ مَحَارِبَةَ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْزَةَ مِنْ أَحْفَادِ الْإِمَامِ الْهَادِي  
فِيَاتِي فِي طَلِيعَتِهِمُ السَّيِّدَ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ مِنْ آلِ الْهَادِي فَقَدْ خَرَجَ  
سَنَةَ ٥٩٦ هـ مُبَايِنًا لِلْإِمَامِ وَالتَّحَقُّ بِالْمَعزِّ إِسْمَاعِيلِ وَهُوَ فِي كُوكْبَانَ وَكَفَلَ لَهُ  
أَخَذَ بِلَادَ الشَّامِ ، وَجَهَّزَهُ الْمَعزُّ وَأَعَانَهُ ، وَحَدَّثَتْ مَنَاوِشَاتٍ وَفَتَنَ [١٢١] أُمَّةً  
وَص ٣٥٣ ج ١ - غَايَةً ] .

## ٣ - الثالث من المناوئين

يَقُولُ الْمُؤرِّخُ زُبَارَةُ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ ٥٩٧ هـ « فِيهَا اسْتَقَرَّ الْإِمَامُ فِي بَرَاقِشَ  
بِالْجُوفِ وَصَنَّفَ شَرْحَهُ عَلَى الْأَرْبَعِينَ الْحَدِيثِ السَّيْلِقِيَّةِ [حَدِيقَةُ الْحِكْمَةِ] ؛  
وَوَصَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ الْقَاسِمِيِّينَ يَشْكُونَ مِنْ وِلَايَةِ ابْنِ جَعْفَرِ  
بْنِ الْقَاسِمِ الْعِيَانِيِّ عَلَى بَنِي عَبْدِ وَظَلِيمَةَ ، وَحَجُورَ ، فَعَزَلَهُ الْإِمَامُ عَنْ وِلَايَتِهَا  
فَغَضِبَ . وَكُتِبَ إِلَى الشَّهَابِ الْجَزْرِيِّ ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِ ، وَحَسَّنَ لَهُ أَخَذَ مَوَاضِعَ  
مِنْ بِلَادِ الْإِمَامِ فَلَمْ يَجِبْهُ الْجَزْرِيُّ » . [ص : ١٢٢ ج ١ - أُمَّةً] .

## ٤ - المعارضون فكرياً وسياسياً

أَوْلَيْتُكَ هُمْ بَعْضُ مَنْ نَاوَعُوا الْإِمَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْزَةَ مِنْ وَرَثَةِ الْإِمَامَةِ  
الْهَادَوِيَّةِ وَالْعِيَانِيَّةِ وَالطَّامِعِينَ فِي الْجَاهِ وَالسُّلْطَانَ ، وَلَا دَاعِيٍّ لَذِكْرِكُلِّ مَنْ  
نَاوَوْهُ وَحَارَبُوهُ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْمَشَايخِ ، إِذْ لَا عِلَاقَةَ لِذَلِكَ أَدْبِيًّا بِمَوْضِعِ  
كِتَابِنَا ، وَهُمْ مَعْرُوفُونَ سَجَّلَتْ وَقَائِعُهُمْ كِتَابَ التَّارِيخِ ؛ وَلَكِنْ هُنَاكَ مِنْ  
أَعْلَنُوا مَعَارَضَتَهُمْ لِلْإِمَامِ فِكْرِيًّا وَسِيَاسِيًّا بِالنِّسْبَةِ لِتِلْكَ « الْهَدَنِ وَالْمَصَالِحَاتِ »  
الَّتِي كَانَ يَعْقِدُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ « الْغَزِّ » ، وَالْمَبَالِغَةَ فِي ثِقَتِهِ بِمَنْ كَانَ يَضْطَرُّ مِنْ  
قَوَادِمِ الْأَكْرَادِ وَالتَّرْكَهَانَ إِلَى الْإِنضِمَامِ إِلَى صَفِّهِ ، وَمُخَالَفَةَ الْحَاكِمِ  
« الْأَيْبِيِّ » ، وَبِالنِّسْبَةِ أَيْضًا لِمَوْقِفِهِ الْمُتَشَدِّدِ الصَّلْبِ مِنْ فِئَةِ « الْمَطْرَفِيَّةِ »

والذي بلغ به إلى حدِّ تكفيرهم وإخراجهم من حظيرة « المسلمين » ، واستباحته لأموالهم ودمائهم ، وسببه لذراريهم ، وإخراجه لساكنهم ومساجدهم ؛ ولهذا النوع من المعارضين سواء كانوا مخطئين أو مصيبين ، الاجلال والتقدير من قِبَل أيِّ مؤرخ منصف ، إيماناً بحُرِّيَّة الفكر والرأي والقول ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبجواز الخطأ على جميع البشر حكماً ومواطنين ، إذ لا عصمة لأحد بعد خاتم المرسلين محمد ﷺ . ويتضاعف الاجلال والتقدير لهؤلاء المعارضين فكرياً وسياسياً إذا كانوا من أهل العلم والمعرفة ، والورع والتقوى ، وعُرفوا على مسرح الأحداث بالنزاهة والعفة والصدق والاخلاص ؛ وذلك ما تواتر عن السيّد العفيف محمد بن المفضل بن الحجّاج الوزير ، الذي كان قد حمل راية الجهاد محتسباً في عهد توران شاه ، وطعكتين ، وتلقب بالمتنصر ولم يزل قائماً بذلك إلى أن دعا الامام عبد الله بن حمزة ، فتابعه وأيّده ، وتنازل له ، وكان من أعوانه ووزرائه ولذلك لقبوه بالعفيف لأنّه عَفَّ عن السلطة والجاه ، وهو جدُّ السادة آل الوزير الذين نبغ منهم أفذاذ في العلم والأدب والسياسة ، ومن أبرزهم العالم المجتهد المطلق محمد بن إبراهيم الوزير مؤلف إثثار الحق على الخلق ، والعواصم والقواصم والمتوفي سنة : ٨٤٠ هـ .

### العفيف الوزير وابن أخيه المشرقي

وقد ذكر المؤرخ يحيى بن الحسين وهو يتحدث عن أحداث عام ٥٩٩ هـ أن « المطرفيّة » أهل « وقش » ومن إليهم أقاموا فيها الأمير العفيف بن المفضل لقبض ما منعهم الامام عن قبضه من الزكوات والأوقاف ، وأنه لما قام الصلح بين الامام والغزّ لحق المطرفيّة وغيرهم الخوف من تمام الصلح لما في الفتنة من اشتغال الامام عن طلب الحقوق فسعوا في المناقضة فوصل إلى الامام الفقيه علي بن يحيى البحريري رسولاً من عند العفيف يجرّض الامام على حرب « الغزّ » ويخبره أن أهل جهته وغيرهم قد اجتمعوا لقتالهم ، وكذلك وصل جماعة من أهل « صنعاء » بما وصل به البحريري . [ غاية ج - ١ - ص ٣٧٢ ] .

وإذاً فقد كان من رأي العفيف عدم مصالحة ومهادنة الغزّ ، مخالفاً بذلك رأي الامام وليس ذلك فحسب بل ومخالفه في تكفيره للمطرفية ، وقد ذكر

المؤرخ يحيى بن الحسين في المستطاب ذلك أيضاً فقال : « وأما الأمير المنتصر محمد بن المفضل المعروف بالعفيف وأبناء أخيه فلم يعتقدوا تكفير « المطرفية » ولا تكفير « المجبرة » ونحوهم بناءً على رأي من لم يكفر بالالتزام والتأويل من أهل البيت الخ » . [ص ٣٨ مخطوطة المنصور] .

وقد كان الامام عبد الله بن حمزة يجلب السيد العفيف ويهابه ويقدر جهاده ومؤازرته له ، ولما توفي في صفر سنة ٦٠٠ هـ رثاه بقصيدة منها :

لعمري لئن مات العفيف محمد      فصرّ لدينا ما علمت جميل ،  
فتى من بني بنت النبي محمد      أغر كنصل السيف وهو صقيل ،

ولكنه بعد وفاة « العفيف » قد شدد وطأته على المطرفية ، وعمل على إبادتهم مما سبب خروج السيد محمد بن منصور بن المفضل بن صنو العفيف على الامام مع المطرفية سنة ٦١٠ هـ وأنكر على الامام المنصور عبد الله بن حمزة ما فعله في حق المطرفية وتكفيره لهم ، ويقول المؤرخ يحيى بن الحسين إن محمد بن منصور بن المفضل المعروف بالمشرفي « قد سار إلى مدع ومسور ، وحارب أهل عزّان والمصنعة ، وهما حصنان للامام ، وأجابه كثير من « حمير » فجهّز الامام عليهم أخاه الأمير يحيى بن حمزة بعسكر من حاشد وبكيل فقتلهم وسباهم وأرعب قلوب أهل تلك الجهات » . [ص ٣٩٨ غاية ج - ١] .

وعلى كلّ فلا بد من أن نعقد فصلاً مستقلاً عن المطرفية ونذكر ما نعرفه عن مذهبهم وآراء العلماء اليمنيين وبعض المسائل التي اختلفوا فيها مع « المخترعة » من الزيدية إن شاء الله .

وقد ترجم ابن أبي الرجال للسيد العفيف في الجزء الرابع من كتاب « مطلع البدور » لوحة رقم ٣٩٦ و ٣٩٧ ، وأورد له قصيدة راسل بها الامام عبد الله بن حمزة كما ذكره في لوحة رقم - ٣٨٦ - وأورد مرثاة الامام فيه ، ولكنه لم يشر إلى معارضته واختلافه مع الامام بخصوص تكفيره للمطرفية .

قتل إبراهيم بن حمزة وحزن الامام عليه  
لقد كانت تحدث أثناء الصراع على الحكم معاهدات هدنة وصلح ما بين

الامام وإمراء الغز ولا سيما بعد وفاة المعز إسماعيل بن طغتكين سنة ٥٩٨ هـ ، وكان الغز ينقضون تلك المعاهدات كلما سنحت فرصة للتغلب والظفر ، ومن تلك المعاهدات ما كان بين الامام والأتابك سُنقر في سنة ٥٩٩ هـ ، وقد عقدا صلحاً وحدداً فيه البلاد التي تكون تحت سلطة الامام في الشمال داخلاً في ذلك الجوف وصعدة ؛ وعلى الامام أن يدفع في كل عام مائة حمل حديد ، وعشرين رأساً من الخيل ، فلما عاد القائد « وردشار » إلى صنعاء في المحرم سنة ٦٠٠ هـ أراد نقض الصلح مدعياً أن الامام قد أتى بأعمال تنقضه ، وقد حاول الامام المحافظة على الهدنة لكن « وردشار » كان قد أزمع على شن الغارة ومحاربة الامام والتقى الجمعان في « مَطْرَة » وكان يوماً مشهوداً كانت الطائفة لوردشار ، وقتل خلق كثير من عسكر الامام ، وقتل الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة صنو الامام ، واحتز رأسه وأرسل إلى تعز ، وذلك في يوم السبت ٨ شعبان سنة ٦٠٠ هـ .

وورد النبأ إلى الامام عبد الله وهو في « شوابية » ، فاعتم لذلك غمّاً شديداً ، وكتب إلى أهل « صعدة » ونواحيها كتاباً عاماً يعرفهم بها كان ، وأنشأ قصيدة يرثي بها أخاه ويحرض العرب على القيام معه للأخذ بالثأر ومطلعها :

لِنَعْمَ الْفَتَى وَدَعَتْ يَوْمَ شَوَابِيَةٍ      وَدَاعَاً ؛ تَلَاقَيْنَا لَهُ صَيْحَةَ الْحَشْرِ

ويقول فيها :

فيا ركباً وجنأ حرفاً شملةً ،      أموناً على قطع المفاوز والقفر ،  
تحمّل إلى قحطان عني رسالةً ،      وعدنانا فتيان الصباح ذوي الفخر ،  
أترضون أن العجم فيكم تحكموا      - وأنتم صميم العرب - بالقتل والأسر  
فيا أخويننا من أبينا وأمننا      إليكم ؛ والا لا سبيل إلى العذر !  
فنحن بنو الحرب العوان إذا التقت      صدور العوالي بالترائب والنحر ،  
وبالصبر أوصانا أبوننا وجدنا      ونوصي بنينا في النوائب بالصبر ،  
أقيموا صدور الأعوجية ، والبسوا      لمن رام ارغاماً لكم أهب النمر ،  
ولا تسأموا الحرب العوان وأرقلوا      إليها كأرقال المسومة الزهر ،

ويقول ابن حاتم : « وأنشدها يوم الجمعة بعد الصلاة في مسجد حوث لاحدى وعشرين ليلة خلت من شعبان بمحضر من القبائل كافة من كل

جهة ، وخطب خطبة عظيمة يحرض فيها على الغز ، فلما فرغ من خطبته برز العرب ، وخطب بعضهم إلى بعض ؛ ثم عادوا إلى الامام مجيبين لداعيه ، وباذلين القيام معه ، وعلى أن منهم ألفي رجلٍ محمولي المؤن ، إذا دعاهم للبلاد النازحة ، وعشرة آلاف تكون لما ناب حولهم في البلاد ، ومعوذة تسلم من المال في ذلك الوقت ، فقبل الامام ذلك وجزاهم خيراً « [السمط ص : ١٠٧ - ١٠٨] .

وكان الأمير إبراهيم بن حمزة والياً على بلاد الجوف من قبل أخيه الامام فلما استشهد عين خلفاً له أخاه الحسن بن حمزة ، ومما قاله بعد قتل إبراهيم قصيدة منها :

روّعني الدهر بأحداثه      وليس مثلي من شباهها يراع ،  
 يروم انزالي على حكمه      وإنما يفعل ذلك اليراع ،  
 فعَدَّ عنا ، والتمس غيرنا      وخصّ بالرعب قلوب الرعاع ،  
 ونحن من قومٍ إذا غضبوا      تلبثوا ، واستلأموا للمصاع ،  
 نصبر للموت وروعاته      إذا نفوس القوم طارت شعاع

[أئمة اليمن ج : ١ - ص : ١٢٩] .

ولا يسع المراقب الحصيف إلا أن يستغرب تلك المعاهدات والهدن والمصالحات التي كان يكثر منها الامام عبد الله ؛ وهل يدل ذلك على إنه لم يكن في قرارة نفسه مطمئناً إلى صدق نصرة القبائل اليمينية ؟ أم أنه كان يحاول أن يكسب الوقت ؟ وستكشف الأيام إنها قد سببت له الكثير من المتاعب ، وكانت من عناصر الخلاف بينه وبين « الطرفية » وقائدهم « المشرقي » ابن الوزير .

### اليمن المنصورية !

وقد كان لنقض اتفاقية الهدنة ، ومعاهدة الصلح أثره المؤلم عند الامام عبد الله بن حمزة ، فهو يعلم تمزق الصف الأيوبي ، ولكن هلاك المعز إسماعيل قد مهد للأتابك « سنقر » وهو شجاع محنك أن يتسلم أزمة السلطة باسم الملك الأيوبي الطفل ، وصرفه ذلك عن اللحاق بصف الامام ، وكان قاب قوسين أو أدنى من ذلك ، كما أن الامام يعرف تمزق جبهة الإماميين ، والصراعات القائمة بين « الأشراف » ، وكأنه كان قد أطمأن إلى « الهدنة »

ويريد المحافظة عليها ، بل وتجديد مدتها ، لأنه يأمل أن يغتنم فرصة السلام ليلتفت إلى جبهته الداخلية ، وإلى النشاط الثقافي والتعليمي ، ويدرب أتباعاً مؤمنين ، وفرساناً مخلصين ؛ وكأن « وردشار » قد أدرك ذلك ؛ أو أنه كان قد رتب حملة قوية ، واستعد لضربة قاضية ، وفتكة قاصمة ، يفاجئ بها الامام ، فكان نقض الهدنة ، وحدثت المعركة التي قتل فيها الأمير إبراهيم بن حمزة صنو الامام الذي كان حزنه عليه شديداً كما ذكرنا ، ولعله قد أتخذ من ذلك وسيلة لتهيج القبائل ؛ وحمي وطيست الحرب حتى اقتنع الطرفان بتوقيع صلح جديد ؛ ولأن الامام قد اكتوى بنار غدر « وردشار » فقد اشترط هذه المرة أن يتعهد « وردشار » بيمين مغلظة ، وأن يحلف بها أمام الشهود المتتدين من الطرفين ، وقد احتفظ المؤرخ « ابن حاتم » بنسخة من اليمين الذي قال « إن الامام المنصور قد اخترعها » وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم »

« والله - مكررة إحدى وعشرين مرة - الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتكن الضائر ، السميع ، العليم ، الرحمن الرحيم الذي علمه بما ظهر ، كعلمه بما بطن ، وإحاطته بما خفي كإحاطته بما علن ، إن عليّ عهد الله وميثاقه ، وأشد ما أخذ على نبي مرسل من أنبيائه من عقد أو عهد ، وإلا فخرجت من حول الله وقوته إلى حول نفسي وقوتها استعلاء على الله واستكباراً عليه ، وتحملت الحول والقوة من دون الله ، إني من ساعتى هذه ووقتي هذا ، قائم ، وناهض ، ومستيقظ ، ومستمر في الوفاء والحفظ والحياطة للامام المنصور بالله ، أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمرائه ، وأصحابه ، وأجناده ، وبلاده ، وجميع متصرفاته ، وكل وقت حاولت نقض شيء من هذه الشروط أو سبب من هذه الأسباب بتأويل أو تحريف أو إلحاد في نية أو ضمير ، فالله ورسوله المطالبان لي ، والكفيلان على ذلك . والله تعالى المتولي لمحاربتى ، وخذلاني ، وإفرادى بنفسي ، وحولي وقوتي من دون أن تلحظني منه رحمة ، أو يمسكني من أسبابه سبب ، أو يضيفي علي من أستاره سترًا ، وعلي إيمان البيعة بحلالها وحرامها ، وحجها ، وصيامها ، وجميع شروطها ، وكل مملوك لي فهو حر ، وكل زوجة في عقد نكاحي فهي طالق ، وكل مال أملكه فهو صدقة على فقراء مكة والمدينة . وعلي لله (عز وجل) نذر لازم ، وحق واجب إن نكثت في هذه اليمين ، أو مألأت ، أو أملاأت ، أو أسررت ، (أو

أعلنت) ، أو أبطنت ، أو أظهرت ، أو كُنيت ، أو ألغزت ، أو كتبت ، أو  
أملت بضرر على الامام ، أو على أخوته ، وبني عمه ، ولقرايته ،  
وأجناده ، وبلاده ، وطرقاته ، وأسبابه ، وحصونه ، ومماليكه ، وسفره ،  
وبحره ، وبدوه ، وحضره ، صيام عشر سنين متواليات ، وحج عشر حجج  
متتابعات ماشياً حافياً ، وعتق عشرين رقبة بالغات مؤمنات مسلمات وعلى  
طلاق كل امرأة أنكحها في المستقبل ، وعتق كل مملوك أملكه في المستقبل ،  
والصدقة بكل ما أملكه في المستقبل على عمارة الحرم الشريف ، ونفقة  
المتوجهين إليه ، بغير استثناء لشيء من ذلك ، ولا مدافعة بنية ولا استثناء  
وعلي نذر لازم إن حثت في يمني ، وعتق كل أم ولد عقيب وضعها للولد  
عتقا ماضيا ، وأن يميني هذه لا ينقضها أمر السلطان ، ولا غيظ جنان ،  
وأن السلطان الملك الناصر أيوب بن طغتكين ، والأتابك الأجل سيف  
الدين سنقر متى حاولا نقض هذه الهدنة المتقررة ببني وبين الامام على  
شروطها ، فإني الضمين عليهما ، والمتولي لمدافعتها عن ذلك طلبا للوفاء .  
فإن لم أفعل ذلك لزمني الحنث ، وإلا فكل نذر ، وصدقة ، وعتق ،  
وصيام ، وحج تقدم في صدر هذه الصحيفة لازم لي ، وواجب علي ﴿ فَمَنْ  
بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ،  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا  
وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ ، ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ  
أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . وهذه الهدنة مدة سنتين  
متواليتين وعشرة أيام وعشر ساعات ، أولها منتصف شهر المحرم ، أول سنة  
إحدى وستائة » .

### اليمن الزيرية

وهذا القسم الرهيب الذي تفنن الامام في صياغته ، يذكرنا باليمن التي  
يسمونها « الزيرية » ، والتي حلفها يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن  
بن علي رضي الله عنه خصمه عبد الله بن مصعب الزبيري ، أمام  
الرشيد ، لما أنكر « الزيري » إنه قائل الشعر الذي مطلعته :

إن الحمامة يوم الشعب من دثنٍ هاجت فؤاد محبٍ دائم الحزنِ

والذي يقول فيه عن « العباسيين » :

وتنقضي دولة أحكام قادتها فينا ؛ كأحكام قوم عابدي وثن !



وبدأ يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ، وبأيمان البيعة أن الشعر ليس له  
وإنه لسديف الشاعر . فقال يحيى بن عبد الله : والله يا أمير المؤمنين ما قاله  
غيره ، وما حلفت كاذباً ولا صادقاً بالله قبل هذا ، وإن الله إذا مجده العبد  
في يمينه بقوله : الرحمن الرحيم ، الطالب الغالب استحي أن يعاقبه ،  
فدعني أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذباً إلا عوجل !

قال الرشيد حلفه . قال يحيى : « قل برئت من حول الله وقوته ،  
واعتصمت بحولي وقوتي ، وتقلدت الحول والقوة من دون الله ، استكباراً  
على الله ، واستغناءً عنه ، واستعلاءً عليه إن كنت قلت هذا الشعر » .

قالوا : وقد حاول « الزبيري » التمتع لكن الرشيد غضب ، فحلف .  
فما برح من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات في اليوم الثالث في قصة  
طويلة مرعبة حكاهما أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين  
ص ٤٧٦ - ٤٧٨ وفي ابن أبي الحديد ٤ / ٣٥٣ .

واليمين « المنصورية » وإن كانت أخف هولاً من « اليمين الزيرية »  
المأخوذة ؛ فإنها تصور المرارة التي كان يعانيها الامام ، والزواج والتخويف  
من سخط عقوبة الله إذا حنث « وردشار » غير أننا نستطيع التمييز بين قسم  
الداعية الرباني يحيى بن عبد الله وإخلاص إيجازه المعجز ، وبين يمين  
الداعي السياسي عبد الله بن حمزة ، ورغبوت شروطه لنفسه وقربته ؛ وفي  
إخلاص الإيجاز . يكمن سر الإعجاز . لقوم يعقلون .

#### شعره

الامام عبد الله بن حمزة شاعر مفلق ؛ وشعره جزل التراكيب ، فخم  
الألفاظ ، مطرز بالغريب ، وعليه جلال الواثق بنفسه ، المتباهي بحسبه  
ونسبه ، وعلمه وأدبه ، ومسحة بدوية تلحقه أحياناً بشعراء ما قبل  
الاسلام ، ولا سيما عندما يفاخر ويلاحي .

وله ديوان ضخم متداول وقد سبق أن وصفناه عندما تحدثنا عن مؤلفاته  
وآثاره ورسائله التي تجاوزت الثمانين ، وقد جمعه أحد أولاده - وقد كان كل  
من محمد وأحمد شاعراً أديباً - وهو في ثمانية أبواب منها ما هو في الفخر  
والحماسة ومخاطبة أهل المذاهب ، والمدح والوصف ، والاخوانيات

والمواعظ ، والمراثي ووصف الخيل ، وليس فيه باب للنسيب أو التشبيب أو الغزل ، إلا ما قد نجده من عاطفة أو لوعة وجدٍ فيما كتبه إلى أولاده وزوجاته ، والمشهورون من أولاده عشرة ولهم عشر أخوات ؛ وكأنه لم يخصص باباً للنسيب في ديوانه إجلالاً لمنصب الامامة ؛ أو كأن الذي ترفع به وحاشاه عن ذلك ، ولدهُ جامعُ الديوان ومقسم أبوابه !

### عصاه السحرية

وقد أتخذ الامام عبد الله بن حمزة من الشعر عصا يتوكأ عليها في معاركه الحربية والسياسية والمذهبية ، ومهش بها على ملوك وسلاطين عصره ، وليس هناك من حادثة وقعت له ، ولا من أمرٍ مارسه أو كارثةٍ نابتةً ، أو وجدٍ إنفعل به ، إلا وسَّجَلَه شعراً ، ولذلك فهو يعد من المكثرين لا بين شعراء أئمة اليمن - وجلهم كانوا كذلك - بل بين شعراء اليمن عموماً .

### أرجوزة الخيل

وله أرجوزة طويلة في صفات الخيل وألوانها ، وما يحمد منها وما يذم ، وقد تفنن في نعوتها وأصولها وسياتها ، وجمع فيها كما يقول شارحها الأديب الشاعر الأمير أحمد بن عبد الله بن حمزة « ما لم يسبقه إليه أحد من أهل هذا الفن » ، وقد رتب وألف شرحه على أربعة فصول .  
الأول ؛ فيما رواه أهل التاريخ عن ابتداء خلق الخيل ، ولمن ذُلت ، ومن أحبها من الأنبياء وقربها .

الثاني ؛ في الآيات المنزلة فيها ، والأخبار الواردة عنها ، وثواب أهلها ، وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية ، والمسائل الفقهية .

الثالث ؛ في رياضتها وإحكام لجمها وتربيتها ، وما ينبغي أن يُفعل في ذلك مع اختلاف طبائعها لأن فيها الحديد والبليد ، والطيب والشديد ، والشافع والخاضع ، والقارح والراضع .

والفصل الرابع والأخير في تفسير الأرجوزة بيتاً بيتاً وكلمة كلمة ، حسبما تدعو إليه الحاجة ، ويحتاج فيه إلى التبيين .

وقد أورد الشارح الأمير أحمد بن عبد الله في كتابه هذا حقائق عن الخيل وأخبارها ، وما قيل فيها من الأشعار ما يدل على سعة معارفه وفروسيته وتبحره في الأدب ، ولا سيما ما ورد في الفصل الثالث في رياضتها وتربيتها

منذ ولادة المهر إلى أن يشتد لحمه ويتقوى عصبه ؛ ولا يشك القارىء أن الذي يحدثه بيطري عليهم ، متخصص في تربية ورياضة الخيل ، وعالم ليس له مهنة إلا ذلك ، ويزول العجب عندما يعلم أن والده الامام كان فارساً يحب الخيل ، عالماً بكل ما يتعلق بها ، ولذلك نشأ ابنه مثله ، والولد سر أبيه كما في الأثر ! وقد حدثنا الشارح بشيء من ذلك وهو يشرح قول الامام :

« فقال منها السكب وهو غضبان لا يكشف الصورة إلا الميدان »

« يريد أنهن اختصمن في الجودة والعتق ، وجودة الأصول ومعرفة الممدوح ، والمذموم فقال هذا الحصان : الاختبار في الميدان يُغني عن هذا كله ، ويكشف اللبس و « السكب » اسم حصان من خيله ، وكان سلام الله عليه محباً لمن مُقرباً عارفاً بأمر اجرائهن في الحلبة ، ويحب أن تدور بين أصحابه المناقضة في الشعر في مدح خيلهم والتعصب لبعضهن دون بعض ، ولولا أن يتسع الكتاب ، ونخرج عن المقصود ، لعلقنا من ذلك ما نعرفه ونحفظه » ، ثم قال : « وخيله التي كانت تختص به « الميمون » و « الورد » وهما أعلاها ؛ و « السكب » و « المرتجز » و « الفائق » و « البحر » و « المجلى » و « الفصيح » . ومن الاناث « الدهما » أم « عامر » ؛ لم يكن لها في زمانها نظير ، أهداها إلى الشريف قتادة بن ادریس أمير الحرمين . و « شطبة » ، وأفراس آخر لم أعرف أساءهن ؛ وكان إذا ركب الميمون أو الورد أو السكب وأرسله على الظبي الأعفر طعنه في مشواره لا يجد عن ذلك محيصاً ؛ فعله غير مره على غير واحد من هؤلاء الثلاثة وكانت « الدهما » لا يقاس بجريها ، والكلام فيها يطول ، مع حسن خلقها ، وتمام أعضائها ، ولين معافها ، واعتدال خدها ؛ ومنتهى ذلك أن صاحبها يساير عليها خيل عدوه من خلفها وقدامها ويجوس خلالها ، والخيل إلى المائة والمائتين ما تبالي إلى أي نهج طرده ، أو إلى أي موضع حازوه ، فهو يعلم أنها تحازم به سابقة ما استوت قوائمها على الأرض » . وهذا الوصف الدقيق البارع يدل على تمكن صاحبه من اللغة وتفوقه البياني ، وسوف نفرّد لهذا الأمير ترجمة خاصة إن شاء الله . ثم قال : « ولما وصل الأمير المؤيد بن القاسم بن غانم الحسنی إلى الامام حملة على حصانه « المرتجز » من جملة خيل ، و « الفائق » أهداه أيضاً لقتاده أمير الحرمين ، فأما سائر الخيل فلم يكن يرضن بها ، ولا يمنعها ، طالبا لله تعالى وفي مرضاته ، ولا يجارى في ذلك » « وقد رأيت حملي

على مائتي فرس في مقدار ثمانية أيام ، ورأيته يشري من جَلُوبَةٍ واحدة أربعة وعشرين حصانا ما رُبط منها في « طويلته » حصان واحد ، بل هي قيام في أيدي الخدام ، وهو يعطيها واحداً واحداً في ساعة واحدة ، ورأيته وقد جاءه قوم من أهل « القبلة » وأهل « صعدة » بخمسة أحصنة مختارة وليس لها مثل في وقتها فأمر بها إلى « طويلته » ، وكانت مما يصلح من مراكبه ثم وهبها في ليله ذلك ، ما أصبح منها فرس ولا صار إلى أحدٍ ممن يخصه إلا حصان واحد أعطاه ولده الناصر محمداً .

### أرجوزة جنى عليها النشر المشوّه

وهذه الأرجوزة الفريدة في بابها عدد أبياتها ألف بيت وواحد وستون بيتاً :  
 وفيها من غريب اللغة ما يدل على عبقرية الامام عبد الله بن حمزة اللغوية ، ويصدق الذين قالوا إنه كان يحفظ أكثر من مائة ألف بيت من أشعار العرب ، وإنه لم يكن إمام جهاد واجتهاد ، بل وإمام لغةٍ وبيان ؛ فإن ما نظمته فيها من صفات الخيل وأسائها وشيائها والمعروف المشهور منها عند العرب ، وألوانها ، وعلامات وشيأة وجوهها ونواصيها ، وأعناقها ، وبطنها ، ودوايرها ، والمذكور في أصواتها ، ولغاتها ، ووصف أعضائها ومناخرها وأسنانها ، وأكتافها وركبها وارساعها ، وصدورها وأفخاذها ، وما فيها من أسماء الطيور ، وما يستحب طولها فيها ، وما يستحب عرضه وقصره وحدته ، وما يستحب تعريه ، وما يستحب كسوته ، وما يستحب بعده ، أو قربه ، ورقته أو غلظه ، أو سعته ، وترتيب اسمائها حسب سنها ونموها ، وصفاتها المجبولة عليها ، وما يختص بالأناث منها ، وما يختص بالذكر ، والصفات المركبة التي لا يجوز أن توصف بها على انفرادها ، وذات الوصفين منها ، وصفات مشي الخيل ، ومذموم الجري ، والخلق والخلق ، ووصف عيوبها ودعائها وتسكينها ، وصفاتها في حال قيامها ، والتفرس فيها ، ومعرفة النوادر منها ، وصفاتها المذمومة ، وفيها تحالف به الأنثى الذكر ، والكلام في إضمارها وصلودها ، وما وصى به فرسانها إلى غير ذلك . . لا يقوى على الاحاطة به ونظمه إلا من استوعب اللغة العربية وعرفها معرفة تامة ، ولم يفته منها لا شاردة ولا واردة ، ولا مأنوس أو غريب ، وهو ما لا يتأتى إلا للأفذاذ الفطاحل ، ونادرٌ في تاريخ اللغات ذلك ؛ وقد تأتى للامام عبد الله بن حمزة .

وقد افتتحتها بحوار تحيِّله دار بينه وبين جماعة من الخيل كانت تتجادل ثم احتكمن إليه فقال :

قَلَنْ ولم ينطقَنَّ بالمقالِ  
قَمَنْ بنا إلى الامام نختصم ؛  
فقال منها «السَّكْبُ» وهو غضبانُ  
فطار منهن حصان ونفراً  
وقال : أنت تائهٌ مجنونُ  
العينُ فيما قيل تغني عن أثرٍ ،  
فالعَتَقُ قد يعرف عن أعيانها  
وفي الذي يعرف من صفاتها  
وفي الشَّياتِ عندهم والألوان ،  
وقد يُضَافُ عتقها إلى النسب ،  
وإنما قال لسان الحال ؛  
يَفْلُجُ من فاز ويخزي من خُصِمَ  
لا يكشف الصورة إلا الميدان !  
وكاد من مقلته يرمي الشرر ،  
والشان يبدو بعده الشؤون .  
فاستغن فيها بالعيان والنظر ؛  
وشكلها البادي ، وفي ألسانها ،  
وفي مبانيها وفي أصواتها ،  
والدايرات عند أهل ذا الشان ،  
كما ترى في عجمها وفي العرب ،

ثم أدار الحوار بينها بمهارة ؛ فهو مثلاً عندما أراد الكلام عن ألوانها وجعل حصانه « السكب » يسأل الحصان الذي زعم أن « العتق » قد يعرف في أعيان الخيل وألوانها قد قال :

فقال : هات القول في ألوانها  
صميمها ؛ لست أريد المختلط ،  
فقال : منها دهمةٌ ، وحوّة  
وكمّتهٌ ، ووردةٌ ، وشُقرة  
إن كنتَ في النسبة من إخوانها ،  
لكي إذا استكرمت منها ترتبط ،  
وصداةٌ ، وخضرةٌ مجلوةٌ ،  
وصفرة ، معروفة ، وغبرة

فجعل أصول الألوان - في الخيل - أحد عشر - ثم ذهب يعدد ما يتبع كل لون أو يتفرع عنه من صفات فجعله يتسأل :

فقال : كم في كل لونٍ من صفّه  
فقال : تسع من صفات الدهم  
أشدها لوناً يسمى « الغيهبي »  
وثالثٌ وهو يُسمى « الحالك »  
وبعده في لونه « الدَّجُوجي » ،  
ثم « أحمٌ » عندهم « وأدهمٌ »  
وغاية الدهمة تدعى « أكهبٌ »  
إن كنت تدلي بحبال المعرفة ؟  
إن كنت عن قوس اليقين ترمى ،  
وبعده « الغريب » فأعرف مذهبي ،  
والطَّرْف لا يبهره اللكالك  
وبعده « اليجموم » إما نُوجي ،  
و « الجون » يُحوى بيديه المغنم ،  
وهو إلى الحمرة حيناً يضرب ،

وهكذا حتى أكملها ألفاً وثمانية وستين بيتاً .

وقد طبعتها ونشرتها وزارة الاعلام والثقافة بصنعاء في سلسلة « مشروع المائة كتاب ولكن الطبع كان رديئاً شوه جمال الأرجوزة ؛ وقد اجتهد المكلف بنشرها بأن اخترع لها اسماً لا ينطبق وفحواها وهو « تاريخ الخيول العربية » ، مع أن الأرجوزة تتحدث عن « الخيل » كجنس وحيوان جليل القدر ؛ ثم أنه قد ضبط كلمات الشرح ، والأرجوزة ضبطاً لا تقره عليه قواعد النحو ولا الصرف بل ولا الذوق العربي السليم ؛ إلى تحريفات وتصحيحات لا حصر لها ؛ ولعل ذو غيرة على ذخائر الأدب العربي في اليمن يبذل جهداً لانقاذ هذه الذخيرة من ذلك التشويه ، ويُعيد تحقيقتها وضبط كلماتها . وتفسير ما يفتقر إلى التفسير منها .

وقد صدرت هذه الطبعة الشوهاء من دار نشرٍ مجهولة بتاريخ ١٩٧٩ م دون مقدمة تعرف بالناظم والشارح ودون فهرسة حتى للفصول الرئيسية .

هذا ولعلي قد أطلت الكلام عن هذه الأرجوزة ؛ ولكن نفاسة موضوعها ، ثم الاعتداء على جمالها بالنشر المشوه ، قد دفعني إلى ذلك ، وثمة شيء غريب قرأته في شرح الأرجوزة لم أكن أعلمه بل لم أتصوره ولا أزال استغربه وأستبعد أن يكون واقعا . . وذلك قوله في ص : ١٩ من الطبعة الشوهاء :

« وليس للفرس مرارة ، ولا كرش ، ولا كعب ، ولا مخ ساق ، ولا طحال » .

نعم : لقد قال اللميري في حياة الحيوان : « قال الجوهرى : ويقال : إن الفرس لا طحال له ؛ تمثيل لسرعته وحركته ، كما يقال : البعير لا مرارة له : أي لا جسارة له » ص ٢١٣ ج ٢/ فهل المراد بأنه لا كرش له ، ولا كعب ، ولا مخ ساق ، التمثيل أيضاً ولماذا ؟ والسؤال مطروح على علماء البيطرة والتشريح . وإذا كان التمثيل هو المراد كما قال الجوهرى وهو ما أظن فقد قصر الشارح في الايضاح .

### قصيدة المناقب أو محاسن الأزهار

وللامام عبد الله بن حمزة قصيدة تقع في أربعة وأربعين بيتاً شرحها في كتاب عدد صفحاته ثلاثمائة وثماني وسبعون صفحة العلامة المؤرخ تلميذ الامام ؛ الشهيد حميد بن أحمد المحلى مؤلف الحداثق الوردية . ويقول

الشارح في المقدمة أن الامام أرسل هذه القصيدة إلى صاحب بغداد الملقب بالناصر أحمد ومطلعها :

نشدتك الله بآلائه وبالنبي المصطفى والوصي

وقد سمي الشرح « محاسن الأزهار في مناقب العترة الاطهار » والمخطوطة التي في حوزتي منه بخط واضح زبره أحمد بن صلاح الكاملي ، ويقول في آخر صفحة من الكتاب وكان الفراغ من زبره يوم الأثنين ١٧ شهر رمضان سنة ١٠٣٩ هـ ، وكانت في ملك العلامة الشاعر جامع ديوان « الهبل » أحمد بن ناصر المخلافي المتوفي عام ١١١٧ هـ وقد قابلها على نسخة المؤلف نفسه وكتب بخطه المعروف مقرظاً للكتاب قائلاً :

محاسن الأزهار سفرٌ به مجالس الأخيار تحكي الجنان ،  
أحسن به سفرًا حوى نبذة بها فخر الآل فينا استبان ،  
فاعكف عليه تلق أخباره صحيحة يعضدهن القرآن  
واحكم لأهل الفضل بالفضل يا أخي ودع من مال عنهم وما ن

وقال إنه اشتراه من عبده صالح القرواني ثم صار في ملك السيد العالم أحمد بن عبد الرحمن الشامي بتاريخ ١١٣٩ هـ ، وفي الكتاب الكثير من رسائل وأشعار الامام عبد الله بن حمزة كان المؤلف يوردها مستشهدا . وقد ختم الأبيات بقوله مخاطباً الخليفة العباسي :

ردوا علينا يا بني عمنا تراثنا ؛ ما الأمر فيه غبي  
وسهلوا الأمر لأربابه فأصلكم ، أصل شريف زكي

### الرسالة الناصحة للاخوان

وللامام عبد الله بن حمزة « مُسَمَّطَة » طويلة وهي أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات وتقع في أربعين مقطعاً ؛ والمقطع الأول هو :

الحمد للمهيمن المنان ، ذي الطول والعزة والسلطان ،  
جمّ النوال باسط الأحسان ، لكل ذي شديق وذو لسان ،

من غير تقرير ولا سؤال

وهي تتضمن معتقدات الامام عبد الله وآراءه في مسائل الكلام وعلم أصول اللوين ، وقد شرحها شرحاً مفيداً القاضي العلامة الحافظ الأديب

الشاعر أحمد بن عبد الله الجنداري المتوفي سنة ١٣٣٧هـ ، والنسخة الأم من « السمط » والتي هي بخط المؤلف وفرغ من زبرها سنة ١٣١٠هـ من جملة كتبي . وقد كان الامام في « المسمطة » مجادلاً ماهراً ، ولم يخرج عن النسق الشعري البديع ، كما أن الشارح كان في مستوى الشعر علماً ومعرفة وجودة تعبير ، وقد تضمنت ثلاثين مسألة . . هي عند الهادوية الواجب من علم الكلام ، ومن أمثلتها قوله في المسألة الحادية والعشرين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

والنهي عن فعل القبيح واجب والأمر بالمعروف فرض لازب ،  
وهو على فاعله مراتب وعظ ، وزجر ، وحسام قاضب ،  
من غير تفريط ولا استعجال

وقال في ختامها :

أيجحدون الناس فضل الباري في الرزق والخليفة والمقدار  
وواقع الأقتار والأيسار ، ومنه على الجميع جاري  
بالعدل في الاكثار والاقطار ؟

أراد من أهل القليل الصبرا ومن ذوي المال الكثير الشكرا  
وادخر الأجر لدار الأخرى للفائزين بالمحل العالي

ثم قال الشارح القاضي الجنداري : وأعلم أني شرحت نصف هذه الرسالة وكان المقصود منها « علم الكلام » ، وبقي النصف الآخر وأوله : « حمداً لمن أيدنا بنعمته » ؛ فإذا كان النصف أربعين مقطعاً أيضاً فسيكون مجموع أشطارها حوالي أربعمئة شطرا . ومن « سمط الجمان » عدة نسخ في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء وهي متداولة ، يعتمد عليها طلبة علم الكلام وأصول الدين في اليمن .

### شعره السياسي

قلنا : إن الامام عبد الله بن حمزة قد أخذ من الشعر عصاً سحرية « يتوكأ عليها » في معاركه الحربية والسياسية والمذهبية ، ويهش بها على سلاطين وملوك عصره ؛ والواقع أن أئمة اليمن من قبله كالامام الهادي وابنه المرتضى والقاسم العياني وأحمد بن سليمان قد اتخذوا من الشعر سلاحاً



حاربوا به أعداءهم وخصومهم ، وخطبوا به معارضيتهم وأنصارهم ، وليّنوا به القلوب القاسية ، وقوّموا الأخلاق المنحرفة ، غير أن أياً منهم لم يكن له مثل هذه الكثرة الكاثرة من القصائد السياسية التي للإمام عبد الله بن حمزة ، ولم يكن لأيٍ منهم النَّفس الطويل الذي يملكه ، ولا التعاطف والتباهي اللذين يتجلّيان في شعره ، وهو يخاطب السلاطين والملوك ، والخصوم والأنصار على السواء .

ولو ذهبت أذكر كل الشواهد لاخترت ثلث ديوان شعره ، وسأكتفي باختيار ثلاثة أمثلة ، لا لأنها أفخم وأجود شعره في هذا الباب ، ولكن لأنها التي في متناول يدي وأنا أكتب هذه السطور .

### ١ - إلى أمير مكة

كان الامام عبد الله بن حمزة حين جدد دعوته عام ٥٩٣ هـ قد اعتبرها دعوة عامة ، وأعلن نفسه خليفة للمسلمين ، وأرسل بذلك رسائل إلى مختلف البلدان الاسلامية ، وقد سبق أن ذكرت بأن قصيدته التي شرحها الشهيد حميد المحلى بكتابه « محاسن الأزهار » هي في الأصل ضمن رسالة بعثها إلى الخليفة العباسي يومئذ ببغداد ؛ ومن رسائله التي بعث بها إلى أمير مكة الشريف قتادة بن ادريس وضمنها شعرا تلك التي أرسلها مع القاضي أبي القاسم السليمانى في عام ٥٩٧ هـ وأرفقها بقصيدة طويلة منها :

إلى السادات من سلقى عليّ	لُباب اللبّ من سلفى نزار ،
بني حسنٍ نداء من إمامٍ	يناديكم على نأي المزار ،
إمامٍ من بني حسنٍ ؛ أبوه	أبوكم ؛ فالنجار من النجار ،
فصل حبلًا بحبل ، وابن مجدًا	على مجدٍ ، وناد على المنار ،
فنحن الطالبون بشأر دين الآله ،	وأهل ألوية الفخار ،
وليس لنا على البلوى معين	سوى نفر قليل كالدراري !
وفي يوم القيام طلبت منكم	موازرةً ؛ وقد طال انتظاري . .
وليس الموت يدفع بالتوقى ،	وليس الربح إلا بالخسار
وثأركموي ببغداد جهارا	أعيركم به ؛ والثأر ثاري ؟
هموا قتلوا جدودكم وجدّي	وهم هدموا دياركم . وداري
وأيام الحسين يبطن فح	وقاتله شبيهه بالقدار <sup>(١)</sup>

١ - القدار : الجزائر وعافر الناقة .

من الأعمار ؛ كم جدّ النهار  
معدّدة السباب للمغار ؟

بني حسن ؛ أعيروني نهاراً  
ألا ياليت شعري هل أراها

## ٢ - إلى خليفة بغداد الناصر

ومما أرسله إلى الخليفة العباسي الناصر أحمد بن المستظهر هذه القصيدة :

عن ملة الدين إذ غيرتموا فيها ؛  
في النائبات ؛ ولكن القذا فيها ؛  
لا يهتدي بنجوم الحق هاديها ؛  
صعبٌ مسالكها ، صعبٌ مراقيها ؛  
قام المريض إلى المرضى يداويها ؛  
إله الناس ؟ أم يرشد الضلال مغويها ؟  
جردا ، ومطرودةٌ تصمى نواحيها ؛  
حتى تضىء به الظلماء لساريها  
حتى يضم إلى الأذى قواصيها  
إلا بسمر العوالي في مجاريها  
عليه حتى يحل الدار بانيتها  
وتطهر الأرض طراً من مخازيها  
بحاله عن طلاب الحق يغنيها  
وزوجها وسليلاها وواليها  
باسم المهيمن مجريها ومرسيها  
فيها ولا أمت يلقي في معانيها  
ولا الفواحش الا حين ننفيتها  
حكم المهيمن فيها فهو معطيها  
شهادة في حقير اذ يؤديها  
وبكتت اذن ثان في تعاطيها  
يا قوم أولها أم ذاك ثانيها ؟  
سوق من الخزي لا تخفى نواديها  
القائد الخيل منكوباً حوافيها  
عمداً لتسمو وتعلو عن مساميها

يا أهل بغداد إن الله سائلكم  
أنتم عيون بني الأيام قاطبة  
قد اشتملتم على عمياء مظلمة  
إن الخلافة أمرٌ هائلٌ خطرٌ ،  
لو كان ما أنتم فيه على سنن  
أيلزم الحد محدودٌ بحكمٍ إله  
جعلتموا حجة الدعوى مطهمة  
إن الخليفة من يهدى بسنته  
ويقتفي سنة المختار معتمداً  
ولا يميل إلى هو ولا لعب  
يجري الشريعة مجراها الذي وضعت  
خليفة الله ترضى الله سيرته  
فكيف يأخذها من علم جملتكم  
القوم منا ولكن أين فاطمة  
وأين سيرتنا المشهور طهرتها  
نقفوا بها جدنا المختار لا عوج  
لا نعرف الخمر الا حين نهرقها  
إن الخلافة حكم الله فانتظروا  
أيستقل بها من لا تقوم له  
وكم فتى سملت عيناه قام بها  
أي الامامين أولى بالقيام بها  
نعوذ بالله من قول تقوم له  
أنا ابن أحمد إن فتشت عن نسبي  
المانع النفس ما تهواه من عرض

كنا الذوائب فيها لا نوالها  
 ظلت سيوف بني المختار تحميها  
 همى عليه بهاء العلم هاميتها  
 غرباء نال أموراً وهوراجيها  
 من ذا يقارنها أم من يساويرها  
 رب السرير ليعطي القوس بارها  
 بطشاً يحس القرى جمعاً وما فيها  
 بعروة لا يخاف الفصم راعيها  
 فنحن مهديها منا وهاديها  
 ينجى وهلك عند الموج قاليها  
 بيض الرقاق رؤوس الضد نغشيها  
 منا ويطعنها شزراً ويرديها  
 دقت من السمر في الأحشا عواليها  
 ردت عواصيها العظمي مواضيها  
 تقبل لنفسك تليساً فتصميها ؛  
 كالشمس لا يستطيع الغيم يخفيها  
 مشمراً فتجلى ؛ أو يجليها !  
 يرضى لنحلته كبرا يدانيها ؛

وغارة مثل لمع البرق مشعلة  
 وهزيمة مثل قصف الرعد مجحفة  
 وسائل عن فنون العلم ملتفه  
 وطالب جاء والأفاق قائمة  
 من ذا يكون كآل الطهر فاطمة  
 خلافة الله دين الله فانتقدوا  
 يا أهل بغداد خافوا الله إن له  
 فارعوا حقوق رسول الله والتزموا  
 وراقبوا الله في سر وفي علن  
 ونحن في غمرات الشك فلك هدى  
 نحمي حمى الدين بالجرد العتاق وبأل  
 وكم فتى يلتقي الأبطال مبتسماً  
 يحميه منصبه الزاكي الفرار إذا  
 وفحمة مثل سيل الليل عاتية  
 إن الحجاب لربات الحجال فلا  
 إن الامام الذي ييدو لطالبه  
 إذا دجت ظلمات الخطب قام لها  
 ضخم الدسيعة، محمود الشريعة، لا

### ٣ - استنجاهه بالأشراف وتحريضه لهم

ومن منشورات « ابن حمزة » الشعرية السياسية ، القصيدة الدالية التي يقول المؤرخ حميد المحلي إنه بعثها إلى كافة الحسينيين والحسينيين بالصفراء وبنبع ، ويظهر منها إنه كان في ضيق من قلة العدة والعتاد ، والعون والنصير ، فهو يحثهم ويحرضهم على نصرته وانجاده وفي نفس الوقت يفتخر بما قد أنجزه وحققه ومطلع القصيدة :

دع دارمّية بالعلياء والسند  
 وخالدات ثلاث غير زايلة  
 وقل لركب يؤم البيت وارده ؛  
 وما هُنالك من نؤى ومن وتد ،  
 على خَصِيفٍ كخشف الظبي ملتبد  
 ياركب إن لنا أهلاً بذا البلد !

وهو إفتتاحُ جزلٍ ينيب عن فحولة الشاعر ، وكأنه بدوي جاهلي يحنّ إلى قطين له في دار تغرب عنها ؛ والنؤى : الحفير حول الخيمة ليمنع السيل

عنها ، « وخالدات ثلاث » : يقصد الأحجار الثلاث التي يوضع عليها القدر ، وتسمى الأثافي ، وقد اختار لفظة « الخصيف » وفضلها على الرماد لأنها أكثر شاعرية ، وأقرب إلى اللون الذي يتخيله ؛ والأخصف ما كان لونه بين السواد والبياض ، والخصف : لون مركب من أبيض وأسود . ثم يقول :

إذا بلغتكم - ولا عاقت مطيكم -  
فأعلنوها على الأحياء ناشدة  
عمت ، وخصت على الدعوى بني حسن  
وقل لهم : دعوة قامت لقائكم ؛  
مطاعة شملتكم يا بني حسن  
أحقكم بيتي من بعد قائمكم  
طال انتظاري لكم والحرب قائمة ،  
هذي المنابر لم تعمر بذكركم  
حاسيتهم في أزال كأس حتفهم  
فلم تشنكم مقاماتي ولا صدرت  
حتى تركت على الأعواد ذكركم . . .  
زموا المطي ، وقودوا كل سابحة

ومضى محرضاً مذكراً مستنجداً متخيراً لغرائب الألفاظ الشعرية منتقياً  
لنفائسها إلى أن قال :

وقائل قال لي والحرب قائمة  
وللخميسين أصوات وغمجمة  
وقد نضوت رهيف الحد معتمداً  
رفقاً بنفسك إن الموت مورده  
فقلت والحيل خلفي : إن لي أجلا  
وهل فتى من «علي» أصل نسبته

وهذا وصف رائع للمعركة ، وصورة من أبدع الصور الحربية ، لا يتمكن من تسجيلها إلا شاعر فحل ، وفارس مقدم مثل « ابن حمزة » الذي قيل إنه أشعر الطالبين في عصره .

وقد عاتب تقاعسهم عن نصرته ، وأعذارهم التي لا مبرر لها ، وختم القصيدة بقوله :

أفي المروءة أرجو غيركم وزراً وأنتم خير مرجوٍّ ومعمدٍ ؟  
أفي الحمية ألقى الجيش متفرداً ولا مؤازرٍ غير الصّارم الفردِ ؟

وهذا تبكيت مرير ؛ ولعلّ التاريخ كان يجيب على تساؤله بقول الشاعر :  
« لقد أسمعت الخ » .

وللامام رسالة أخرى إلى الشريف قتادة بن ادريس ذكر منها يحيى بن الحسين هذين البيتين :

فشمر ، وصمّ يا بن إدريس واثقاً بربك إن النصر إن غبت كاسدُ  
فان تنصروني ؛ تنصروا ذا قرابةٍ له ولكم أصل النبوة واحدُ ،

ولقد أكثر الامام من ذكر « الوراثة » ، والتشبت بها ، ! فهل كان يدري أنه يشجع المعارضين له من أولاد « الأئمة » الذين سبقوه ، ويُعطي الحجة لمن سيخلفه في معارضة الأبرار والأخيار ؟ ويتيح لهم فرصة الخلاف والمناوأة التي سببت المآسي الدامية ؟

لا شك - عندي - أن الامام عبد الله بن حمزة كان مؤهلاً لتثبيت « النظرية الزيدية » عن الامامة أو « الرئاسة العامة » في إطار تشريع وتقنين سياسي واجتماعي ؛ ولو أنه تعاون مع « العفيف » ، وعلماء « المطرفية » في ذلك لتغير وجه تاريخ اليمن ؛ والحديث شجون .

#### استجابة حضرموت والسلطان الراشدي

وقد حدثنا المؤرخون اليمنيون ، ومؤلفو سيرة الامام عبد الله بن حمزة ، أن دعوته العامة قد لاقت تجاوباً وتأييداً في الجيل والديلم وبعض الأصقاع البعيدة ، وذلك ما يحتاج إلى البحث والدراسة . ويهمنا أن نذكر أن الامام قد تلقى في شهر صفر سنة ٥٩٦ هـ جواباً على إحدى رسائله التي ربما كانت زقت بقصيدة سياسية إلى حضرموت ؛ من قبل صاحب حضرموت السلطان عبد الله بن راشد « مهنتاً للامام ومتعرضاً لخدمته » كما يقول زبارة وقد جاء في صدر كتابه قصيدة منها :

الآن قرّت على الأساس أركاناً  
 وقام بالشرف البذّاخ صاحبه  
 من جدّه الأقدم الأعلى نبيّ هدى  
 ذاك ابن حمزة عبد الله نور هدى

وطال للدين والاسلام بنيان ؟  
 وعزّ للدولة الغرّاء سلطان ،  
 وجدّه الأقرب الأذنا سليمان ،  
 به المكارم والعلياء تزدان

ص ١٢٠ و ١٤٢ أئمة ج - ١ ] .

ولم يذكر زيارة من القصيدة إلا هذه الأبيات الأربعة ؛ وليس ديوان الامام في متناول اليد الآن فنعرف إذا كان أصل رسالة الامام إلى السلطان عبد الله بن راشد قد تضمنت شعراً على نفس الروي ، كما أننا لا ندرى هل الأبيات من شعر السلطان أم صاغها أحد كتابه ؛ والأديب المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري لم يشر في كتابه « أدوار التاريخ الحضرمي » إلى هذه المراسلة بين الامام والسلطان ، وإن كان قد أشاد بعلم السلطان وذكر أن حظّه من الفقه والمعرفة والأدب كان وافراً فهل كان يقول الشعر مثل غيره من السلاطين في حضرموت ؟

والسلطان عبد الله بن راشد هو الشهير بالسلطان العادل فهو صاحب القول المشهور « في بلادي ثلاث خصال افتخر بها على سائر السلاطين : لا يوجد فيها خراج ، ولا سارق ولا محتاج » ويقول زيارة إنه قتل سنة ٦١٣ هـ لكن المؤرخ الحضرمي الشاطري يقول إن اغتياله كان سنة ٦١٦ هـ وهو أدري بأحداث بلده ؛ ولا يسعني إلا أن أعترف بتقصيري في كل ما يتعلّق بحضرموت وآدابها ، والنقص الذي أعترف به وسيلاحظه القارئ ، سيجد ما يشبع رغبته عنه في كتاب الأستاذ محمد الشاطري « أدوار التاريخ الحضرمي » وهو كتاب نفيس .

قضية . . وأرجوزة !!

في تاريخ الامام عبد الله بن حمزة السياسي والأديب قضية وأرجوزة ؛ كلاهما مُفجّع مرعب ، ومخزّن ومؤسف ، وكلّ من يقدر هذا الامام العالم الشاعر الفارس الكريم يتمنى لو أن الامام لم يتورّط في تلك القضية المفجعة ، ولم ينظم تلك الأرجوزة المرعبة ، وأن تاريخه السياسي ، وحياته الأدبية لم يُمتحنَا بهما .

ذلك ما أقدره مجرداً عن الهوى ، وعن إعجابي بشخصيته الفذة ، ولو كان في طوق قدرتي إيجاد مبرر شرعي أو عقلي أو إنسانيّ يمكن التشبّث به مدافعاً عنه لسلكت كل شعاب القول لتأييده والمجادلة بمسوغاته .

أقول هذا . . وأنا أعلم أنّ كثيراً من المؤرّخين والفقهاء من « الهادويين » لم ينكروا على الامام موقفه الشديد العنيف من فرقة « المطرفية » ، ولا يزال منهم حتى يومنا هذا من يعتقد بأن الامام عبد الله بن حمزة لم يقترب منكراً ، ولا جانف الصواب ولا أخطأ بتكفيره لتلك الفرقة ، وفتواه بقتلهم ، وسبّي نسائهم وذرائعهم ؛ وغاية ما يفعله المنصف منهم أن لا يذكر بعد لفظة « المطرفية » صفات التحقير والتشنيع فلا يقول « الشقيّة » أو « الغويّة » أو نحو ذلك .

وأنا حين أقول : إن حادثة تكفير وإبادة وسبّي « المطرفيّة » من قبل الامام عبد الله بن حمزة كانت « قضية مفجعة » ، لا أعني أنّ ما نسبته اليهم « ابن حمزة » أو غيره - إن صحّ عنهم صراحة لا إلزاماً - لم يكن مجانفاً للصواب ، أو أنهم لم يشدّوا بتلك الآراء عما يقوله الجمهور ، فقد عرفنا ونحن نتحدث عن الامام أحمد بن سليمان ، وشيخ الزيدية وعالمها القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام . . أنهما قد جادلاههم ووعظاهم وتنازعا معهم ، وناظرا علماءهم ، واقنعا من رجع إلى الحق منهم ، وأهملا من عاند منهم ؛ فلم يحكما بقتله ، وهدم المسجد الذي يصلي فيه ، والدار الذي يأوي إليها ، وسبى زوجاته وبناته وأولاده . . وصدّه حتى عن مساجد المسلمين .

### موقف الامام عليّ من الخوارج

كما أنني لا أستطيع إلا أن أنكر ذلك التكفير اقتداءً بموقف الامام علي عليه السلام من الخوارج ؛ فانه لم يحكم بكفرهم مع أنهم قد كفّروه ؛ لأن الكافر هو من يستحق العقاب العظيم ، ويختصّ بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة ، والموارثة ، والدفن في مقابر المسلمين ، ومعلوم أن علياً عليه السلام لم يبدأ بقتال من خرج عليه وعارضه ، وبعد أن قاتلوه لم يتبع مُدبرهم ، ولم يسمّهم كفرة ؛ ولما سُئل عن الخوارج : أكفّارهم ؟ قال : من الكفر فرّوا ! فقالوا : أمسلمين هم ؟ قال : لو كانوا مسلمين ما قاتلناهم ؛ كانوا أخواننا بالأمس بغوا علينا ؛ ! والامام عليّ بهذا الموقف يفسّر قوله

تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْغِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ؛ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ، وَأَقْسَطُوا ، إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [ ٩ - ١٠ الحجرات ] فمعارضة أو مقاتلة فئة مسلمة لفئة أخرى ، لا تنفي عن أي منها « الايمان » ، ولا تخرجها عن رباط الأخوة الاسلامية ؛ ولقد حدّد الامام علي رضي الله عنه بيان النهج لقتال الفئة الباغية ، والموقف الاسلامي من الخلاف السياسي حينما رأى الخوارج خطأ التحكيم ففارقوا الجماعة ، بقوله يخاطب الخوارج :

إن لكم علينا ثلاثاً :

- ١ - لن نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله .
- ٢ - لن نمنعكم الفياء ما دامت أيديكم مع أيدينا .
- ٣ - ولن نقاتلكم حتى تقاتلونا .

فلما أخافوا الأمن ، وسلّوا السيف ، لم يبق أمامه إلا قتالهم ، ولو أنهم لم يعملوا ذلك ما قاتلهم مهما تعدّدت الأفهام ؛ ويتحديد الامام علي عليه السلام وتبيينه لنهج قتال الفئة الباغية - وعلي إمام الحق - استبان السبيل ؛ حتى لقد قال الامام محمد بن أدريس الشافعي رضي الله عنه : « لولا « علي » ما عرفنا أحكام الفئة الباغية » . وهذا ما يتعلّمه طلبة العلم من أتباع الامام زيد بن علي في كتب « أصول الدين » .

بل إن هذا هو ما يتعلّمه ويفهمه « المسلم » من أتباع المذاهب الأربعة ؛ فحين استشار « هارون الرشيد » الامام « مالك بن أنس » في أن يحمل الناس على ما في كتابه « الموطأ » قال له مالك : لا تفعل يا أمير المؤمنين فان أصحاب رسول الله ﷺ تفرّقوا في الأمصار ، فأخذ كل قوم عمّن كان عندهم ؛ وانما جمعت علم أهل بلدي . . . وأنا بشر أصيب وأخطيء فأعرضوا قولي على الكتاب والسنة . وقال الامام « أبو حنيفة » : « فقهنّا هذا رأيي فمن جاءنا برأي أحسن منه قبلناه » ؛ وقال الامام « الشافعي » : « إذا رأيت الحجّة موضوعة على الطريق فإني أقول بها » . وقال « الامام أحمد بن حنبل » : « لا ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهبه ، ولا يشدّد عليهم » .



وإذا ؛ « فليس من حق أحد - كما يقول الأستاذ خالد محمد خالد - أن يلزم الناس برأيه وباجتهاده ، وأن يلبسه وحده ثوب الشرعية دون بقية الآراء » .

وإذا ؛ فكيف تورط الامام عبد الله بن حمزة في هذه القضية المفجعة ؟

كيف يقدم على تكفير فئة من طائفته الزيدية . . وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلون ، ويصومون ، ويزكّون ، ويحجون البيت العتيق ، بل ويقولون بأفضلية عليّ ، ويجهرون بالأصول الخمسة ويؤذنون بحيي على خير العمل ؟

وليس ذلك فحسب بل ويبيح تتبّع مدبرهم ، وسبي نساءهم وذرائعهم ، وهل كان إبنه حين قال في شرح أرجوزة أبيه في صفات الخيل ما لفظه : « ولا إشكال في جواز المثلة بالمجبرة والمشبّهة والباطنية و « المطرفية » ، لأنهم لا يخلّون عن « الردّة » ، أو كونهم كفاراً أصلاً ، والله أعلم أيّ الوجهين ؟ لأنهم لم يدخلوا في الاسلام على الحقيقة بوجه فيخرجوا منه « ! هكذا قال الأمير أحمد بن الامام عبد الله بن حمزة في كتاب تاريخ الخيول العربية ص : ١٤ ! فهل هذا الرأي يمثل رأي الامام ؟! وكيف يقول إن المطرفية لم يدخلوا في الاسلام وهم أبناء « زيود » ، ويزعمون أن كل آراءهم الفقهية والأصولية مستمدة من الهادي يحيى بن الحسين ، وقد كان شيخ الزيدية القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام أحدهم قبل أن يفارقهم ويخالفهم في آرائهم الفقهية والأصولية ؟! فهل كان كافراً ثم أسلم ؟!

وهل أصدر الامام فيهم تلك الأحكام قبل أن يعترضوا على سياسته إزاء « الغزّ » ويطلبون منه بواسطة السيد العفيف محمد بن الفضل ان لا يهادنهم ، ولا يعقد صلحاً معهم أم بعد ذلك ؟

وهل بدأ هو بحربهم بعد موت وزيره ونصيره ، والذي كان يدافع عن المطرفية السيد العفيف ؟ أم هم الذين شهروا السيف عليه مع « المشرقي » كما سبق ؟

لا أنكر التضليل بل التقتيل ! .

أنا لا أنكر على الامام عبد الله بن حمزة أن يضلّل « المطرفية » ، فقد

عمل ذلك قبله وبعده علماء وأئمة . . ولكن التكفير والقتل والاباحة وسبى النساء والذراري ، وهدم القصور والمساجد ، هو ما لا استطيع إلا أن أنكره كل الإنكار ! ثم لماذا لم يقف منهم موقف سلفه الامام أحمد بن سليمان الذي كان أيضاً يضلّهم ؛ فإنه دعا القاضي جعفر إلى أن ينكر بدع « التطريف » وأن يردّهم عن جهلهم ، ودار بينهما الحوار الذي أوردناه في ترجمة القاضي جعفر ، وحين تألب « المطرفية » على القاضي ؛ لم يقف أحمد بن سليمان متفرّجاً ، بل قال : لقد وجبت علينا نصرته ، ولكنه لم يشهر سيفه ؛ فيذبح ويقتل ، وينهب ويهدم ، ثم يسبي النساء والذراري ، لم يفعل ذلك ؛ وهو الامام والحاكم ، وفي موقف أكثر نقاوةً وصفاءً من موقف الامام عبد الله فلا « غُز » ، ولا « تركمان » ، ولا « سنقر » ولا « وردسار » ، ممن كان في إمكان « ابن حمزة » أن يشتغل بهم عن إبادة من يخالفونه في الرأي أو في السياسة ؛ ولكنه رأى أن نصرتَه لشيوخ الزيدية « المخترعة » ضدّ الزيدية « المطرفية » وأضاليلهم وبدعهم « أن يطوف البلاد ينهى الناس عن مذهب التّطريف ، ويحدّثهم من دعواته ، حتى أثر ذلك مع أكثر الناس ، ونفروا منهم إلا القليل ، كما هو مذكور في سيرة الامام ؛ فلماذا لم يقف « ابن حمزة » نفس الموقف الشجاع الحازم الحكيم الذي وقفه « ابن سليمان » ؟

أليس أنه حين أمر قائده عبد الله بن يرحب سنة ٦١١ هـ بأن يهدم ونحرب دور ومساجد « وقش » و« سنّاع » وغيرهما من مراكز وهجر « المطرفية » ثم يحمل أخشابها وأحجارها إلى قاهرته في « ظفار » حيث شيّد بها مسجداً كتب على حيطانه أبياته المشهورة :

« لا يدخلنك ما بقيت مطرفي » .

قد ظن أن بقاءه سيطول ، وهو ما لا يظنه الأئمة أمثاله ؟

ألم يمهد بذلك العمل والقول لسخرية الشاعر المطرفي فيقول البيتين الطريفيين اللذين لا يسع من يستمع إليهما على مر العصور إلا أن يعجب بطرافتها :

أوما علمت بأن كل « مطرفي » عما عملت من الكنائس مكتفي ،  
 أنتم وقبلكم ومسجدكم معاً كذبالة في وسط مصباح طفيء !؟

ثم ماذا حدث؟ لم تطل أيام الامام ، ولا طال تمتعه بنصره عليهم ، وإبادته لهم فقد وافاه الأجل المحتوم بعد عامين أو ثلاثة ، وكان ما عمله بهم من أسباب خروج الملك المسعود الأيوبي في حملتهم الأخيرة بعد أن بعث الفقيه الشاعر المطرفي ابن النساخ رسالته الشهيرة إلى الخليفة العباسي يستنجده ويحرضه على حرب الامام ، بل ومهدّ التفوق والغلبة لخلفاء بني أيوب من « الرسوليين » ، وأضعف الجبهة « الزيدية » ، وأتاح الفرصة لأولاده الأمراء محمد وأحمد وأخوانها لكي يعارضوا الأئمة وبالتالي ينضمون إلى الملك الكبير المظفر الرسولي . . . ومحاربون الامام أحمد بن الحسين !

### من مواقف الرسول ﷺ

نعم ؛ لماذا تورط الامام في هذه « القضية المفجعة » ؟ أفما كان عليه أن يتذكر وهو يرى في نفسه الخليفة الراشد ، وإمام الحق ، وأمير المؤمنين ، موقف الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل مكة يوم فتحها وقوله لمن آذوه وحاربوه وأخرجوه من داره وناصبوه أشد أنواع العدا : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، ؟ أو قوله ﷺ وقد بلغه ما فعل خالد بن الوليد بأسراه اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، وارساله لعلي بن أبي طالب الذي ودّى لهم الدماء وما أصيب من الأموال ، حتى مِلْعَةَ الكلب ، وأعطاهم ما تبقى من المال « إحتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون » ؛ حسب تعبير علي رضي الله عنه ؟ .

### من هم المطرفية ؟

١ - تمهيد

وكأنّي أسمع إحتجاجات القراء ؛ فقد أطلت التساؤلات وأكثرتها ، ثم خرجت عن الموضوع وقفز بي الاستطراد قفزة تاريخية طويلة ؛ فهذا يسأل : ومن هم « المطرفية » وما هو مذهبهم وما هي حجة « ابن حمزة » التي كفرهم بها ؟ وذلك يقول : وماذا قاله المؤرخون عنهم ؟ وما هي آراء العلماء فيهم ؟ وثالث يسأل أين آثارهم وماذا قالوا هم عن أنفسهم ؟ ولماذا سموا « مطرفية » . ؟ وربما قال قائل : وما لنا وللتفاصيل لقد فهمنا انهم من الفرق « الزيدية » وأن « ابن حمزة » أبادهم ؛ فأين « الأرجوزة المرعبة » ؟ وما هو

نص رسالة « ابن النساخ » ؟ وأريد أولاً أن أطمئن هذا السائل بأن سوف أورد نص رسالة « ابن النساخ » ، أو ما أبقته الأيام منها ، وأما « الأرجوزة المرعبة » فسأفرد لها مقالةً مستقلة ؛ وثانياً لا بد أن أذكر أن ما سأقوله الآن عن « المطرفية » هو أول بحث ينشر من نوعه ، وأني قد تعبت في جمع شوارده من المخطوطات اليمينية ومما كنت أسجله أثناء عهد الدراسة والطلب ، وما كنت أسمعه من علماء اليمن من آراء عنهم ، وليست مسجلة ولا مدونة في كتاب ، والكتب التي تفضلهم أو تكفرهم ليس في حوزتي منها إلا عناوينها وأسماءها ، وأما كتب المطرفية أنفسهم فقد حوربت وأبيد معظمها ؛ وقد أطلعني القاضي الأديب علي أبو الرجال عند زيارتي لصنعاء عام ١٣٩٤ هـ على مخطوطة فيها بعض آرائهم الفقهية والأصولية ، والفلسفية ، وعلق بذهني منها ما يمكن الرجوع إليه . ولذلك فلا أظن أن حديثي عن « المطرفية » الآن سيكون الأخير ، فقد يجتد من المعلومات ما يعدّله أو يصحّحه ، أو يكمله ؛ إلى أنه سيفتح الباب أمام الدارسين ليكشفوا النقاب عن تاريخ تلك الطائفة « الزيدية » وينصفوا علماءها وأدباءها وشعراءها ، وآثارهم وتراثهم .

وأعترف - ثالثاً - أنه لولا ما أورده المؤرخ المنصف العلامة السيد يحيى بن الحسين بن القاسم في كتابه « المستطاب » ، أو « طبقات الزيدية الصغرى » من تراجم لبعض رجالات المطرفية ، وإيرادات لبعض آرائهم الفقهية والأصولية والفلسفية لما تمكنت من كتابة هذا البحث .

## ٢ - معتقدات المطرفية

يقول يحيى بن الحسين في المستطاب : « والمطرفية هم القائلون بحدوث العالم واثبات الصانع ، ويقولون إن الحوادث اليومية كالنباتات والمولدات والآلام ونحوها حادثة من الطبائع الحاصلة في الأجسام ولا تأثير للقديم فيها أصلاً هذا ما يعتقدونه كما ذكره النجدي في شرح القلائد والله أعلم » . ثم قال : « ومقالة المطرفية هي أيضاً مقالة النظام والجاحظ من المعتزلة ؛ قال « ابن نباتة » في شرح رسالة « ابن زيدون » : إن النظام كان يقول : إن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة ، على ما هي عليه الآن معادناً ، ونباتاً ، وحيواناً ، وإنساناً ؛ ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده ؛ غير أن الله تعالى أكمّن بعضها في بعض » . إلى أن قال : « ورأيت للمنصور بالله [عبد الله

بن حمزة] في الدرة اليتيمة أو غيرها التشنيع العظيم عليهم في قولهم : بأن صفات الله تعالى واسماؤه هي نفس ذاته ؛ حتى ألزمهم ما ألزم من الالتزام الشنيع بهذا القول ! وكأنه لم يعلم بأنه نص الهادي رضوان الله عليه في مجموعته ، وبنى عليه من الأئمة المتأخرين الحسين بن القاسم وغيره ولهذا جزم المحققون بأنه لا تكفير بالالزام إذ يؤدي إلى تكفير أكثر أهل الاسلام والله أعلم .

ثم أورد عدّة مسائل اختلف فيها المخترعة من الزيدية والمطرفية نقلاً عن عبد الله بن زيد العنسي ويفهم من طريقة الايراد أن عبد الله بن زيد كان ينقل كلام المخترعة من « الزيدية » بطريقة تجعل أي مسلم يحكم لهم بصحة العقيدة ، ويورد كلام « المطرفية » بأسلوب يدل على فساد عقيدتهم ، ويقضي بكفرهم ، مثل قوله : قالت الزيدية : إن حشرات الأرض كالجراد والديدان والخنفس والجعلان والعقارب والحيات هي خلق الله تعالى وإرادته وقصده ، وقالت المطرفية ليست من خلق الله ولا من إرادته وإنما قبيحة ، وكذبوا قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ؛ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥] .

والذي لا يزال عالماً بذهني مما قرأته في المخطوطة التي أطلعني عليها الأستاذ البحاثه علي أبو الرجال أنهم لم يقصدوا التكذيب بالأية ؛ بل قالوا إن الحشرات تتوالد من الطبائع التي وضعها الله سبحانه بقصده وإرادته في العناصر الأربعة لأنها إذا تفاعلت مع الرطوبة والحرارة سلبياً وإيجابياً تخلقت تلك الحشرات .

وبعد أن أورد ما اختلفوا فيه من مسائل حول خلق الأمراض ، وموت الأولاد وحدث العاهات والآفات ، ورزق الأبرار والفجار ، والخير والشر والصحة والمرض ، والغيث والبرد ، ناقلاً عن القاضي عبد الله بن زيد في كتابه « المصباح اللائح » في الرد على « المطرفية » قال يحيى بن الحسين : « وله كتاب آخر أكبر منه في الرد عليهم وتكفيرهم بعقائدهم » ثم قال : « وقال بعض المطرفية في كتابه وعزاه إلى كثير من مشايخه أن الآلام والأسقام من الله تعالى ولا يُنكر ذلك عندهم قال وجميع ما ذكر في هذه الآيات [التي

أوردها عبد الله بن زيد وزعم أن المطرفية يكذبونها] لا يخالفونها ، ويقرون ويؤمنون بأن الله تعالى خالق كل شيء ، ولكنه عندهم لا بمعنى الاختراع للفروع ، بل بمعنى أنه تعالى اخترع الأصول التي هي أصل كل شيء وجبرها [وجبلها] على الاحالة والاستحالة وقالوا : جميع الحشرات والعاهات من الله تعالى في الأصل بما جبر الأصول على إحالتها واستحالتها ؛ قالوا : لأجل التنزيه لله تعالى ؛ قالوا : وهو يريد خلق الفروع في الجملة بما جبر [وجبل] الأصول عليه لا بمعنى الاختراع « [المستطاب : لوحات ٣٧ - ٣٨ - ٣٩] .

### ٣ - آراء العلماء فيهم

لم يختلف الذين أنكروا أقوال « المطرفية » وتخصاتهم الفلسفية ، وآراءهم « الكلامية » على تجهيلهم ، أو نبزهم بالزيف والضلال ؛ فما زال أتباع كل نحلة من النحل ولا سيما من يتورطون في سلوك متاهات علم الكلام ، ويقعون في حبائل شبابه ، يرمون من يخالفهم بالضلال والجهل والزيف ؛ ولكن علماء وأئمة « الزيدية » قد اختلفوا في تكفيرهم ، وقد لخص المؤرخ الفقيه يحيى بن الحسين بن القاسم أقوالهم ، فذكر أن عبد الله بن حمزة قال بأنهم « كفار تصريحاً ولا فرق عنده بين دُورهم ودُور أهل الكفر وأهل الجبر ونحوهم من المشبهة ؛ بل وقال : إنهم زادوا على كفار المجوس والنصارى ، وإن حكمهم حكم المحاربين وسار فيهم بذلك » . قال : « وأما الأمير المنتصر محمد بن المفضل المعروف بالعفيف وابنا أخيه فلم يعتقدوا تكفير المطرفية ، ولا تكفير المجبرة ، ونحوهم ، بناءً على رأي من لم يكفر بالالزام والتأويل من أهل البيت كالمؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني ورواه عن كافة أهل البيت » . والالزام هو أن يلزم الغير على ما يقول به بما لا يقول به ، وقال ابن أبي الخير والامام المهدي « إن مقالة « المطرفية » هي مقالة أبي القاسم البلخي بعينها في الأصول الأربعة ، وقال ابن أبي الخير أيضاً وهو من علماء الزيدية المخترعة أنه قصد إلى « الرجو » وهوبلد المطرفية في ذلك الوقت وفيها كتب لهم هنالك ففتشها فلم يجد فيها ما يوجب الكفر بل قال : هم أئمة محاريب » [لوحه : ٣٩] .

ثم قال : « وقد قال بعدم تكفيرهم من المتأخرين الامام شرف الدين

وفقهاؤه ، والامام عز الدين بن الحسن ، وولده الحسن ، والسيد محمد بن ابراهيم الوزير وصنوه الهادي ، وهو قول صاحب الفصول السيد ابراهيم بن محمد ، وهو قول السيد الهادي بن يحيى صنو المهدي ، والسيد محمد بن عز الدين المفتي ، ووالدنا العلامة الحسين بن أمير المؤمنين [الامام القاسم بن محمد] وخلائق آخرون ، وعليه الأشاعرة كافة فانهم لا يكفرون بالالزام « [لوحه : ٣٩] .

ثم شرح موقف الامام عبد الله بن حمزة منهم - مُعَلِّلاً ذلك تعليلاً فقهياً وسياسياً - فقال : « قال صاحب الفضائل : وكان قول الامام المنصور بالله [عبد الله بن حمزة] بالتكفير بالالزام تصريحاً بسبب نفرة « المطرفية » عنه ، لأجل ما حدث منه من المخالفة للهادي في مسائل ، ونفرة الامام أيضاً عنهم ، وإلا فقد كانوا من جملة شيعته ، والمبايعين له ، والمؤتمنين بجماعته وجماعته ؛ ثم قام الامام المنصور بالله عليهم ، ونكّل بهم ، وقتلهم في جميع أماكنهم ، وهدم مساجدهم ، حتى المساجد التي « بوقش » و « سناع » ، ومسجدهم « بسنّاع » هو المعروف بمسجد « عرابة » ، واستباح منهم ما استباح ، وأعلن تكفيرهم في كتبه ورسائله ، وأشعاره وأراجيزه ، واحتجاجاته وسائر مقصوراته ، ومن أشعاره قصيدته الرائية التي ذكر فيها ابتداء مذهبهم ، وكذا ذكره القاضي عبد الله الدوّاري في « الشريدة » ، وقد أجاب على هذه القصيدة علامة « المطرفية » الحسن بن محمد السّناخ صاحب الرسالة المشهورة بقصيدة ذكر فيها خلاصة مذهبهم ، وتبرأ من أمور نُسبت إليهم لا يقولون بها » .

#### ٤ - مناقشة المطرفية علمياً

وبعد أن فرغ يحيى بن الحسين من ايراد بعض المسائل التي اختلف فيها المطرفية مع « المخترعة » من الزيدية ، ونقض حكم الامام عبد الله بن حمزة بتكفيرهم ؛ إذ لا يُكفّر بالالزام ولا يُفسق ، والكفر والفسق إنما يكونان لما يدين به المكلف قولاً وعملاً واعتقاداً ؛ لا ما ينكره ويتبرأ منه ، ونقل كلام الامام يحيى بن حمزة أن الالزام ظني لا يكفّر به ، وأورد كلام غيره في ذلك ، عاد يعرب عن رأيه في « المطرفية » ويناقشهم علمياً فقال : « وأعلم أن المطرفية شبههم في مقالاتهم جهلهم بحكمة الله تعالى في أفعاله ؛ فظهر لهم بباديء الأمر عدم معرفة الحسن ووجه الحكمة ، فورطهم هذا الجهل في نفي

أفعال الله تعالى ونسبتها إلى المواد والتركيب من الأصول ؛ وظنوا أن قولهم هذا هو لأجل تنزيه الله تعالى من أن يضاف إليه شيء من القبائح فوقعوا في التعطيل ؛ هذا ومحصول مقالتهم : إن الله تعالى خلق الأربعة الأصول ؛ وهي الماء والنار والهواء والثرى ؛ ثم خلق منها كل شيء من الفروع بالاحالة والاستحالة ؛ قالوا : والله تعالى هو الذي خلق الاستحالات والفروع لكن ليس بالمعنى الأوّل الذي هو خلق الاختراع ، بل خلق تركيب وفطرة وبنية وجبلة ، بما جبلها عليه وجبرها في الابتدا ؛ ركب أمهات الفروع ، وفطر من الأصل المخترع كلّ ما يحدث منها بالاحالة والاستحالة ؛ قالوا : فالورق الخارج من النواة بخلق الله تعالى على معنى الفطرة والتركيب لا على معنى الاختراع ؛ قالوا : لأنه يلزم فيما إذا بذر الغاصب في أرض الغير بأنه إذا اخترع الله خلق النبات من البذر الغصب ، الظلم ؛ ! والله تعالى لا يفعل القبيح ولا الظلم تعالى الله عن ذلك ؛ ولذلك كان تخلّق الترتيب فيها من الفطرة الأولى التي فطرها الله عليها وجبلها وجبرها على خروج نباتها في الجملة مع وضعها في التراب والماء .

« وقال سائر علماء الاسلام بأن الله تعالى هو المخترع لجميع الأشياء الأصول والفروع ، وإنما جعلها من الماء كما قال تعالى : ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حي﴾ لحكمة علمها ، وكما خلق الله تعالى آدم من الطين ، وخلق الجن من النار ، وإلا فهو تعالى القادر على خلق ذلك كله من غير شيء ، والزرع ينبت من غير بذر ، والرزق قرنه بالكسب ، وكيفينا في الشبهة التي أوردتها في بذر الغصب العلم الحُملي في أن جميع أفعاله على العدل والحكمة كما قال تعالى : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ لما قالت الملائكة : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ ؟ فأجاب عليهم بردّ الحكمة إليه تعالى وأن أفعاله كلّها حسنة ، ولعلّ الحكمة في خلقه تعالى للنبات من البذر في الغصب كالحكمة في تسليط بعض الحيوان على بعض فانه في الحقيقة عدل وحكمة ، وليس بظلم لأنه يكون بأجل المسلط عليه ، ويعمل يستحق تعجيل عقوبته ، ويكون حيث كان بأجل المسلط عليه تعجيل عقوبة للفاعل ، وخذلانا له بأمر قد استحقّه ، وكذلك في ظلم الناس بعضهم لبعض لحكمة ؛ إمّا بأسباب ، أو تعريضا للصبر والثواب كما يقع من اصطلام الأموال بنحو البرد والثلوج وغير ذلك كما ذكره تعالى في الكتاب ؛



فقد يكون غصب الغاصب بأمر استحقّه المغصوب عليه فإنباته لا قبح فيه ؛ أولاً لأمر استحقّه فيكون بسبب استحققه الغاصب من تعجيل عقوبته في الدنيا باقامة ما يجب من الشرع حيث ترافعوا ، أو السخبط عليه بما يناله من الأثم بظلم أخيه في الآخرة ، والمغصوب عليه استفاد بأنبات البذر الحكم بالآخرة على الغاصب ، وما يحصل له من الثواب إن صبر ؛ فلا ظلم حينئذٍ لحصول عوضه ؛ فالانبات كان حسناً من الله تعالى على كلّ هذه الوجوه فبطلت شبهتهم كما ترى » [لوحة رقم ٤٠] ثم أورد نقاشاً علمياً آخر للقاضي عبد الله بن زيد العنسي في كتابه « التمييز » الذي أجاب به على « المطرفية » فقال : « إن قولهم بتأثير مؤثرين : الفطرة والتركيب ، وتأثير الله تعالى بالانبات باطل ، وجعله من مقالة « الثنوية » حيث قالت بعض طوائف المطرفية به ! » وقال : « إن القاضي العنسي قسم « المطرفية » في كتابه إلى خمس طوائف » ولكنه لم يُسمّها ؛ وليس كتاب العنسي في متناول اليد فنفضّلها ؛ واستمر يحيى بن الحسين في مناقشة شبه المطرفية مثل تلك التي تقول « إن الله تعالى ينبت شجرة في جانب المسجد ، فيخرب إذا كبرت فروعها ، وخراب المسجد قبيح ؛ ولذلك قالوا ؛ إن نبات الشجرة بالتركيب والفطرة لا الاختراع ، وقد رد عليها بقوله : إن وجه الحكمة هو ما سبق أن قاله في مثل اصطلام الأموال ، ونفع المساجد عائداً للمسلمين فاذا خرب من ذلك فلا قبح فيه ، لأنه لحكمة وإن جهلناها ، وإن الخراب قد يكون به تحصيل ثواب لأهل المسجد ، بالصبر والاحتساب ، وتعرضهم لعمارتها فينالون الأجر والجزاء في الآخرة . وأخيراً تحدث عن الغرائز وخلقتها والحسن والقبيح ، والخير والشر ، مما كثر فيه الجدل بين علماء الملل والنحل . »

### هل الجبن والبخل غريزتان ؟

قال يحيى بن الحسين في ختام مناقشته لما سمّاه « شبه المطرفية » : « ومن شبههم أن الجبن والبخل غريزة في الانسان من الله تعالى عندكم [أي عند المخترعة] لا يقدر عليها العبد ، وقد ذمها الله تعالى ونهى عنها ؛ فكيف ينهى عن فعله ؟ والجواب أن البخل والجبن كليهما من فعل الانسان ، وتحت اختياره ، إن شاء بخل وإن شاء كرم ، وليس ذلك من الصفات اللازمة التي لا يقدر عليها العبد ، بل تمكين العبد بالقدرة صالح لفعل الكرم وضده ؛

ولذلك ذم الله تعالى البخل ومدح الكرم فلا حجة للمطرفية فيما زعموه ،  
وإنما هو مقالة لبعض المعتزلة ، والجمهور على ما قلناه .

### شبهة العورة والريح !

قال : ومن شبههم أنه يلزم المخترعة إذا هبت الريح فكشفت عن عورة  
الرجل أو المرأة القول بالقبح ؛ لأن كشف العورة قبيح والله تعالى لا يفعل  
القبيح قالوا : فلاجل ذلك نقول إن هبوب الريح بالفطرة والتركيب والبنية  
الأولى لا الاختراع . والجواب : أن هذا من وساوس الشيطان نعوذ بالله  
منه . فان الله تعالى قد عَلِمَ بالضرورة عدله وحكمته في جميع أفعاله كما تقرر  
ذلك بأدلة العقول والكتاب العزيز والسنة فيكفيها العلم الحُملي على أن كل  
أفعال الله تعالى حكمة ؛ وأما ما ذكره « المطرفي » فان المكلف الذي يتحقق  
له العورة ، مخاطب بستر عورته إذا كشفته الريح ، ويمكنه ذلك بأيسر  
فعل ، فالقبح - إن حصل من تفريط المكلف لمخالفته الأمر ، ونظيره من لم  
يجعل له كِنًا من المطر ؛ فان المطر من الله تعالى ، وقد خاطبه الله تعالى باتخاذ  
الكِنِّ كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ فإذا قَرَطَ ،  
فالقبح من قبل نفسه ، لتمكنه من تجنبه .

### مناظرة ظريفة !

قال : « ووقعت بين « المطرفية » و « المخترعة » مناظرة فقالت المخترعة  
للمطرفية : أنتم قلتُم : ما يخلق الله شيئاً الآن ؛ بل خلق الأصول  
الأربعة .

فقالت المطرفية : وأنتم قلتُم لم يخلق الله تعالى شيئاً من أصل  
الموجودات ، وإنما خلق الصفات ، لا أصل الذات ؛ لأنكم قلتُم بثبوت  
الذوات في القدم ! » .

ويحیی بن الحسین بعد إیراد هذه « المناظرة » الظريفة المضحكة ، والتي  
لم يُدافع أيُّ من المتناظرين عن موقفه ، وقد اتهمه خصمه بالتعطيل بل  
اكتفى بأن يرميه بنفس التهمة وكأنه لا يبالي إذا كانا قد أخطأ معا كما قيل :

اقتلونني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

لم يُخفِ ميله إلى « المخترعة » حين قال معقّباً : « هكذا ذكره بعض سادة  
آل الوزير عنهم ؛ قلت : لكن ثبوت الذوات في القدم إنما هو مقالة بعض

« الهدوية » لا كلهم كما حققه الامام القاسم بن محمد في الأساس وغيره  
[لوحة ٤١ - أصل : ٧٨ نسختنا] .

## ٥ - هل ثمة دوافع أخرى

لم أحرص على سرد بعض ما ساهم العلامة المؤرخ يحيى بن الحسين بن الامام القاسم « شبه المطرفية » وجواباته عليها ، ومحاولته نقضها تأييداً لأرائه أو بقصد التنديد بتلك الشبه ؛ ولا يهمني في هذا السرد من هو المخطيء أو من هو المصيب ، وإنما قصدت إلى جانب إيراد بعض آراء « المطرفية » وأقوال علماء اليمن فيهم أن أضرب المثل للحوار العلمي ، والجدل السلمي ، بالرأي والقلم ، ولتساءل : أما كان في إمكان الامام عبد الله بن حمزة أن يلجأ إلى الحوار والاقناع بالحجة بدلا عن السيف يجزبه الرقاب ، والمعول يهدم به البيوت ، وسبي النساء والذراري ؟ ونحن ومن الشبه نفسها مهما قيل فيها لا نستطيع أن نجزم ونحكم ، بأن المطرفية قد كفروا بالله الخالق الصانع وبكتابه ورسله وملائكته واليوم الآخر وأنهم كانوا أكثر كفراً من المجوس كما يقول الامام . . بل هم - كما يؤكد العلامة يحيى وتنطق أقوالهم - قد وقعوا فيما وقعوا فيه من وساوس وأوهام أو ما شاء لنا خلافنا معهم أن نسميه - بقصد التنزيه لله تعالى مما ظنوه قبيحاً وغير حسن ولم يتبينوا وجه الحكمة فيه . . وإذا فلا بد أن هناك سبباً أو أسباباً تكمن وراء الموقف الرهيب الذي وقفه الامام ابن حمزة معهم ، وليس فقط : إن الله تعالى خلق الأربعة الأصول أو العناصر الأربعة ثم خلق الفروع منها بالاحالة والاستحالة ؛ لا بد أن هناك أسباباً سياسية ، وأسباباً عقائدية لها علاقة بأرائهم في « الامامة » وشروطها ، ومعارضتهم للامام في عقد هدنة أو مصالحة مع « الغز » و « التركمان » كما تقدم .

ويظهر أيضاً أنه كان لبعض علماء « المطرفية » أمزجة « علمية » ، وأفكار سبقوا بها زمنهم فأنكرها الناس ، وشجعت ذلك الانكار من قبل العوام أهواء الحكام . . ولو أن علماءهم قالوا ما قالوه عن التوليدات والاستحالات والقوى الكامنة في عصرنا هذا عصر « الذرة » ، وتوليد مئات النباتات والفواكه ، وعصر صناعة « العيون » و « القلوب » والتنبؤ بتصرفات الرياح والأنواء وحالات الطقس ، والأقمار الصناعية و « الكومبيوتر » لآزادوا يقيناً وإيماناً بذى الملكوت خالق الكون البديع . وفاطر أسرار الكامنة في كل ذرة

من ذراته . الصانع الحكيم الذي خلق آدم من تراب وعلمه الأساء كلها .

### المخترعة

وقيل أن انتقل إلى الكلام عن نشأة المطرفية أنبه إلى أن المراد بالمخترعة من يقولون باختراع الله الأعراض في الأجسام وهم من الزيدية مثل المطرفية ، وكثيراً ما كانت تجرى بين الفرقتين الخصومات والمناظرات ، والمناقضات الشعرية ومن ذلك ما نقله يحيى بن الحسين عن مسلم اللحجي في ترجمته لأبي السعود بن محمد بن وضاح العنسي قال : وله قصيدة طويلة يرد فيها على الزيدية المخترعة وقد كان صحبهم ثم رجع إلى المطرفية ، ومنها :

والله يخترع المعاني عندهم كالطعم والحركات والألوان ؛  
والسم ليس بقاتل ، والسيف لا . . . يفري الترائب يوم كل طعان !  
وكذا لا يستطيع ضرباً ضاربٌ دون استطاعات سوى الأماكن  
فبها يكون الفعل وهي حوادث لله جل الله في الاحسان  
وكذا التكرم والساحة عندهم فعل الآله وفطرة الأبدان  
والله يمدح كل سمح صابر ويذم كل مبخل وجبان

والآبيات تفسر ما معنى قولهم إن الله يخترع الأعراض في الأجسام . وقد سبق إيراد القصيدة في ترجمة أبي السعود .

### نشأة المطرفية

لا ينكر أحد من خصوم « المطرفية » أن مشايخهم كانوا من تلاميذ المرتضى بن الهادي وإنهم كانوا أصولاً وفروعاً على المذهب الهدوي ، ولم يختلفوا مع نظرائهم من علماء الزيدية وأتباع الهادي إلا في مطلع القرن الخامس الهجري فافترقوا إلى طوائف « حسينية » و « مخترعة » و « مؤيدية » و « مطرفية » . وجاء تلاميذ التلاميذ فتشعبت بهم الطرق والآراء حتى ضلل وكفر بعضهم بعضاً ونشبت الصراعات فيما بينهم بالأقلام والسيوف وقد أشرت إلى بعض ذلك فيما سبق من الفصول .

ونحن نعلم أن على المؤرخ المنصف بل وعلى طالب المعرفة والعلم أن لا ينفعل بأقوال طائفة ما ضد الطائفة الأخرى التي تخالفها رأياً ومذهباً ؛ وبالرغم من أن كتب « المطرفية » قد حوربت وأبيدت إلا أن فقرات منها قد

تناقلها المنصفون ؛ وقد حاولت تتبعها والتنقيب عنها في مظانها من المخطوطات .

كما أن ما عثرت عليه من أشعار وأراجيز للمخترعة في « مطلع البدور » أو للمطرفية في « طبقات مسلم » أو « المستطاب » قد أطلعني على الكثير من المسائل الخلافية - أصولاً وفروعاً - والتي أثارت الخصام والصراع والجدال بين الطائفتين . وكان الشعر ولا يزال « ديوان العرب » ؛ وبإشارات يستغني الباحث عن الحدس والتخمين ، وعنت الضرب في مجاهل الظنون والاحتمالات .

وقد ذكر السيد أحمد بن عبد الله الوزير أن رئيس المطرفية اسمه علي بن حرب وأنه كان عالماً مكثراً أقام في منزله بريدة سنة لا يخرج منه عاكفاً على كتب الأئمة وعنه أخذ الزيدية « المطرفية » ومنهم « مطرف بن شهاب » ، وكان معاصراً للعلامة علي بن شهر رئيس « المخترعة » وكان أيضاً إماماً واسع المعرفة واقامته ببيت أكلب [ص ٢٢٢ - تاريخ بني الوزير] .

وعلى كل فقد أحسن إلى التاريخ والأدب العلامة يحيى بن الحسين بما أورده في « المستطاب » من مسائل « المطرفية » وبالترجم التي نقل أخبارها عن طبقات مسلم اللحجي لبعض شعرائهم وعلماهم مع أنه قد حاول نقض ما ذكره من مسائلمهم ، وليس ذلك فحسب بل وقال في نهاية ترجمته للعلامة مسلم اللحجي معتذراً ما يلي : « واعلم أي ما ذكرت المطرفية في هذا الكتاب إلا لأجل إن منهم من رجع عن اعتقادهم فيكون من جملة الهدوية المخترعة الخالص ؛ ومن لم يكن رجع منهم فذكره لأجل معرفة أصولهم الفاسدة وأقوالهم المبتدعة ، لئلا يغتر مفتر والعياذ بالله بقول أحد منهم » [لوحه : ٥٨ أصل : ١١٤ نسختنا] .

وإذا كنا قد عرفنا مما سبق أن « المطرفية » فرقة زيدية همدوية ، وأن الاختلاف بين علماء الزيدية لم يكن على تجهيلهم أو فساد أقوالهم مثلما كان على « تكفيرهم » واستباحة أموالهم ودمائهم ، واستعرضنا أهم الأقوال في ذلك ، وعلمنا أن الامام عبد الله بن حمزة قد أبادهم ، فهل لنا أن نعرف لماذا لقبوا بهذا الاسم « المطرفية » وهل له علاقة بالتطرف ، أو الطرافة ؟ ونحن نعلم أن الطرفة لغويًا هي الملححة ، والحديث المستحسن ، والطارف

هو الجديد المستحدث ، وطوارف القرائح : مستظرفات الخواطر ،  
والطريف : هو الغريب النادر النفيس كما في المعاجم اللغوية ، وأما  
« التطرف » فهو مجاوزة حد الاعتدال في القول والرأي والعمل ، والمتطرف  
في قوله أو رأيه هو من يتجاوز حد الاعتدال ، و « المطرفية » جديرون بأن  
يوصفوا أو يلقبوا أو ينسبوا إلى « التطرف » ؛ لأنهم في نظر خصومهم ،  
وعلماء زمنهم قد تجاوزوا حدود ما يتعلمونه وما يعرفونه ، وتحدثوا عن العناصر  
الأربعة والطبائع والأحوال والاستحالة والإنبات والتوالد وغير ذلك مما سبق  
الادلاء به ، ولم يروا في أقوالهم تلك ما يخالف الاسلام ، أو يناقض إيمانهم  
بواجب الوجود ؛ كما يعتقد ذلك ويقره العلماء المؤمنون بالله في عصرنا  
الحديث . وقد لمح السيد العلامة الحافظ محمد بن ابراهيم الوزير إلى بدعة  
« التطريف » مع بدعة « الخوارج » فقال :

كم أبدع العقلاء مبدع قولهم      و « مطرف » من جنسهم و « طريف »  
كم أظرفوا في الابتداع ذوي النهي      فالظفر نوعٌ منه و « التطريف »

وعني بقوله « طريف » ابن طريف الخارجي ، و « مطرف » هو رئيس  
المطرفية « مطرف الشهابي » ؛ فإذا كان لا علاقة لهذا اللقب بالطرافة ولا  
صلة له بالتطرف وإن كان ابن الوزير استحسَن ذلك شعرياً ؛ فمن هو  
مطرف الشهابي ؟

### مطرف الشهابي

من يكون هذا العبقري الذي لم يشغل « الفكر الزيدي » أحدٌ كما  
شغله ، ولم يحارب أحدٌ من علماء اليمن كما حُورِبَ ؛ والذي أخاف  
السلاطين والفقهاء وأولاد الأئمة وهو لا يطلب سلطة ولا جاهاً ، ولا يدعي  
ورثة سيطرة ، ولا يفاخر بعرق أو دم أو حسب أو نسب ؟ من يكون هذا  
« مطرف الشهابي » الذي لم يخلص أتباعُ أي داعيةٍ أو إمامٍ أو زعيمٍ في اليمن  
كما أخلص له أتباعه ، ولم يباليوا في سبيل التشبُّث بتعاليمه حتى بخطر  
الابادة ؛ وأصروا على ذلك الاخلاص وثبتوا فيه ؛ لا من أجل مالٍ أو جاه ،  
ولا لأنهم باطنيون أو خوارج أو قرامطة ، ولا لأنهم لا يؤمنون بالله وملائكته  
وكتبه ورسوله واليوم الآخر . ولكن لأنهم ينزهون الله عن ما يظنونه قبيحاً ،  
لا تليق نسبته إليه ، ولا ينبغي اتصافه به ، واعتقدوا أنه تعالى قد فطر

السموات والأرض وأحكم صنعها بقوانين وسنن ثابتة وطبائع كامنة جبل فيها وجبر عناصر النظام والاحالة والاستحالة والانبات والتوالد ، أو هكذا خيّل لهم ؛ ومن أحسن من الله صنعا !؟ وهم في نفس الوقت ملتزمون بمبادئ الامام زيد بن علي ، قائلين بامامته ، وإمامة « الهادي يحيى بن الحسين » ، و « المرتضى » و « الناصر » إلا أنهم يخطئون أحفادهم لما ادعوا وراثته الامامة الشرعية بالنسب ، وربما قال قائلهم بانها غير محصورة ديناً في أولاد « البطين » الحسن والحسين محتجين بموقف الامام علي كرم الله وجهه من الخلفاء الراشدين ومبايعته واخلاصه لهم ، وبتنازل ابنه الامام الحسن لمعاوية بن أبي سفيان ، ولم يشترط إلا أن يكون الأمر بعده شورى بين المسلمين ؛ ومستندين إلى تولّي الامام زيد للصديقين أبي بكر وعمر ، وإمتناعه عن التبرأ منهما وقوله لمن طلبوا منه ذلك ثم رفضوا إمامته لامتناعه : « إذهبوا فأنتم الرافضة » ؛ وخسر معركة عسكرية مؤقّته وريح معركة الحق والتاريخ .

من يكون مطرف الشهابي هذا ؟ أين ولد ومتى ؟ وأين مات ومتى ؟ وكيف كان مبدأ أمره وكيف انتهى ؟ ومن هم أساتذته وعمّن أخذ مذهبه ؟ وأين كتبه وآثاره ؟ وهل لا يزال له أتباع حتى الآن ؟

وهذه أسئلة لو ذهبت تفتش عن أجوبة لها في كتب التاريخ والملل والنحل ومعاجم التراجم المعروفة لما ظفرت بشيء ذي بال ؛ إذ قد حُورب وحوربت طائفته وأبيدت وأحرقت كتبهم أو الجُم الكثير منها ولن تجد اسم « المطرفية » في معظم كتب التاريخ أو الفقه أو أصول الدين إلا مقرونا بقولهم « الغوية » أو « الشقية » أو ما أشبه ذلك من نعوت تدل على المروق والبغي والعصيان بل والكفر والألحاد . ثم تعجب حين تسمع الكل يقولون إنهم كانوا عبداً زهاداً رحماء فيما بينهم !

ولأن المؤرخين والفقهاء والمتكلمين كانوا يضطرون لأجل يشتمون « مطرفاً » أو « فرقة » أن يذكروا شيئاً من أقوالهم ولو مشوهةً محرفةً ، ويسجلون بعض أخبارهم ومن عاصروا من الأئمة أو العلماء أو الملوك الذين تعايشوا مع بعضهم ونحن نعرف متى كان أولئك العلماء أو الملوك أو الأئمة على قيد الحياة ، فقد تتمكن ولو بجهد ومشقة ونستطيع أن نسقط تلك

الأقوال والأخبار الموثوقة هنا وهناك المشتتة في المخطوطات ، المدسوسة بين سطور التراجم لمئات العلماء والأعلام والفقهاء اليمينيين منذ مطلع القرن الرابع الهجري وحتى القرن العاشر ونستخرج منها ونستنتج ما يمكن أن يكون ترجمةً للشيخ مطرف الشهابي إن شاء الله .

فإذا رجعنا إلى « مطلع البدور » فسنجد مؤلفه أحمد بن صالح أبو الرجال وهو يترجم للشيخ محمد بن عليان البحيري . . يتعرض لذكر والده عليان بن سعد البحيري ويقول إنه كان « مطرفياً » وبعد أن يورد شيئاً من أخباره يقول : « ويحير بالباء الموحدة والحاء المهملة بعدها ياء ؛ والبحيريون جماعة اجلاء علماء شعراء زهاد إلا أن جمهورهم مال إلى التطريف ، ولم يتميز لي الخالص منهم » .

ثم قال : « وهذه بدعة التطريف نشأت عام خمسين وأربعمائة وكادت تعم ؛ لولا تكفل الله وكفى به : إنه لا تزال طائفة على الحق ظاهرين فكانت في مدتهم المصاولة إلى سنة ثلاث عشرة وستائة واضمحل مذهبهم ؛ فأما الزيد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » . وتاريخ ابتداء أمرهم وانتهائه نص عليه العلامة « عبد الله بن الحسن الدواري » ثم تعرض بالمناسبة لذكر « مطرف بن شهاب » فقال : « ورأس المطرفية العنوية ، هو مطرف بن شهاب بن عمر بن عباد الشهابي من بني شهاب حيدان من بلاد خولان قضاة » ثم ساق نسب عباد بن الغمر إلى سبأ بن يشجب بن قحطان فيما زعمه صاحب الأكليل ثم قال : « وكان مطرف هذا رجلاً داهياً صبوراً متواضعاً فانخدع به خلق ، وجرّصت به حلوق الدولة ؛ وما رأيت لهذه الطائفة وجهاً كثر لها السواد إلا من أمرين ؛ أحدهما وهو الأعظم تركهم للدنيا ، وميلهم عن شهواتها ، ومعاملتهم لأنفسهم وأخوانهم وجيرانهم بالمعاملة العجيبة ؛ من الاحتمال ، والتواصل ، والتشفاق ، كأنهم الجميع إنسان واحد ، مع ورع شحيح وعبادة يكلّ عنها الجليد أشبه شيئاً بحال الخوارج مع طهارات وشح في كل شيء ؛ هذا وجه ميل القلوب من العامة إليهم ؛ فان دنس الدنيا وحبها لا تترك للعالم جمالا » .

« والوجه الثاني ؛ قرب مقالاتهم من عقول الجهال فان ناظروا العالم الذي



يعرف الزائف من المرضي عقل الجاهل من القبائل ونحوهم مقالة المطرفي ولا يدري ما يلزم عليها ، ولا أي شيء يقتضيه الدليل العقلي والنقلي كقول عَلَيَّان بن سعد البحيري للقاضي اسحاق بن عبد الباعث : هل الله اسمٌ أم المسمى ؟ قال القاضي اسحاق : بل اسم ، قال عَلَيَّان : أفتعبد الاسم أم المسمى ؟ قال اسحاق : أعبد المسمى بالله ، قال عليان : إذألست تعبد الله ، قال : لا . قال : فالمشركون أقرب إلى الحق منك ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ قال فشنت العامة على القاضي اسحاق رحمه الله . ثم قال ابن أبي الرجال : « قلت وغير بعيد أن يشنعوا لجهالتهم ؛ فانهم ينظرون إلى ظاهر قوله أنا أعبد المسمى فما أعبد الله أي الاسم ؛ ولفظه كما رأيت معناه ظاهر ما أعبد الله ، ! فَفَقَّعَ عَلَيَّان بالآية ، وهذا من المغالطة بمكان ، وإذا كان السامع بصيراً عرف الحكم إلى أين توجه النفي في كلام القاضي اسحاق ، وعرف أنه قد لزم عليان ثبوت قدماء مع الله فان من مقالته التي هذه المناظرة صادرة عنها إن الله أربعين اسماً قديمة لأنها هي المسمى ، فتدبر هذه النكتة وهي حسبك ؛ والعوام أصدق وصف لهم قول الله الصادق سبحانه : « إن هُم إلا كالأنعام » وقد كان الشيخ إبراهيم بن الهيثم يروي عن « مطرف » إنه كان يقول في انخداع العامة : لو جاء رجل يدعي ان الشمس طلعت من المغرب ما غابت الشمس ذلك اليوم إلا وله أتباع والله حسبنا وكفى » [مطلع البدور لوحة رقم ٣٩٢ - ٣٩٣ ج - ٤ - ] .

هذا هو كل ما ذكره عرضاً ابن أبي الرجال عن « مطرف بن شهاب » ولم يذكر سنة ولادته ولا عام وفاته لكن قوله إن « بدعة التطريف نشأت عام ٤٥٠ هـ وازمحلّت سنة ٦١٣ هـ » تدلنا على أن « مطرف » كان معاصراً للملك علي بن محمد الصليحي الاسماعيلي ، وعام ٦١٣ هـ المذكور هو العام الذي ذُفِّف فيه الامام عبد الله بن حمزة على بقيّتهم قبل أن يتوفى سنة ٦١٤ هـ . وقد ختم ابن أبي الرجال كلامه عن « البحيريين » الذين قال عنهم : « إن جمهورهم مال إلى التطريف » ، بقوله : « وهم علماء اجلاء متكلمون نحاة لغويون يعرفون « الهندسات والاقليديسيات » وأنواع العلوم الاسلاميات ، ولهم في النظم والنثر كل سابقة أولى ، وكل سهم أعلى » ؛ فهل نفهم من هذا أن المطرفية كانوا يهتمون بالرياضيات والطبيعيات ولذلك حُوربوا ؟

هل كان غويًا أم من زعماء الإصلاح ؟

أفلا يحق لقارئ القرن الخامس عشر الهجري الذي يشرف على القرن الواحد والعشرين الميلادي ، وقد رأى تفوق العلوم الرياضية والكونية ، وما سماه ابن أبي الرجال [ت : ١٠٩٣ هـ] « علوم الهندسات والأقليديسيات » ، وظهر أن من يهتم بها أو يعلمها ، أو يجعلها مرجعاً لمعارفه ، لا يفتتت مُنكراً ، ولا يقول باطلاً ، وليس مشعوذاً ولا ساحراً ، ولا يكفر بالله ؛ أن يعجب بتلك الأوصاف التي وصف بها القاضي أبو الرجال « الشيخ مطرف الشهابي » وأتباعه - وهو لا يقصد التمجيد بل التفنيد - وكلها ترتفع بهم إلى مرتبة الأخبار الأختيار تحت عنوان « المطرفية الغوية »؟!!

- ١ - فهم « جماعة أجلاء علماء شعراء زهاد » .
- ٢ - وهم « تركوا الدنيا ، ومالوا عن شهواتها » .
- ٣ - وهم « عاملوا أنفسهم وأخوانهم وجيرانهم بالاحتمال والتواصل والتشفاق » .
- ٤ - وكان مجتمعهم كأنه مجتمع إنسان واحد مع العبادة والطهارة والورع الشحيح » .

- ٥ - وهم « متكلمون نحاة لغويون يعرفون الهندسات والأقليديسيات » .
  - ٦ - وهم « متبحرون في أنواع العلوم الاسلامية » .
  - ٧ - ولهم في النظم والشر كل سابقة أولى ، وكل سهم أعلى .
- أي صفات هذه ؟ وهل من حالهم هذه الحال « فرقة غوية » و « طائفة شقية » ؟ أم يمثلون المجتمع الانساني المسلم الذي تطمع فيه البشرية ؟

وهل « الشيخ مطرف » الذكي الصّابر المتواضع ، والذي كادت مبادؤه أن تعم اليمن « لولا تكفل الله » - كما يقول القاضي قد تعمد فعلاً خداع العامة الذين هم كالأنعام إذا كان تاركاً للدنيا ، مائلاً عن شهواتها ، يدعو إلى الاحتمال والتواصل والتراحم ، والمجتمع المتساوي في الحقوق والواجبات ؛ مجتمع الطهر والورع والعبادة ، ودراسة « الهندسات والأقليديسيات » ، والشعر والنحو والبيان وسائر العلوم الاسلامية والانسانية ؟ هل هو غوي وهو لم يأمر بقتل أحد ، أو إكراه أحد ، على قول أو رأي أو تفكير ؟ هل هذا هو المفضل المخادع في نظر العقل والمنطق والدين والانسانية ؟؟

هل يحق لنا أن نعجب ، وأن نقول إن تهم الغواية والكفر والضلال قد لفقت من قبل الجهاد وأرباب الأهواء الدنيوية ، وأن ندعي أن مذهبه لم يضمحل سنة ٦١٣ هـ بقتل وسبي أتباعه ؛ بل ظل حياً يمثله دعاة الاصلاح من المسلمين الأخيار الأحرار في اليمن ، وليس تحت شعار « التطريف » بل « إيثار الحق على الخلق » ، و « ترجيح أساليب القرآن » ويصرخ في أصوات أئمة وعلماء حوربوا وطوردوا وتشردوا وقتلوا وسجنوا عبر العصور ومنهم الأفاذا ؛ « يحيى بن حمزة الحسيني » و « محمد بن ابراهيم الوزير » و « أحمد بن يحيى المرتضى » ، و « محمد بن إسماعيل الأمير » ، و « صالح المقبل » و « محمد بن علي الشوكاني » ومن جاء بعدهم ممن سجنوا وعذبوا وقتلوا تحت أسماء و شعارات ، وتهمٍ شتى ، مما يخترعه الجهاد وأرباب الأهواء والأطماع !

ولقد فهمنا من كلام « ابن أبي الرجال » أن « مطرفاً » قد ظهر مذهبه أي « بدعة التطريف » عام ٤٥٠ هـ ومعنى ذلك أنه كان قد اشتهر وذاع ذكره أيام الملك علي محمد الصليحي [٤٣٩ - ٤٥٩ هـ] وأننا نستطيع أن نقول إنه من مواليد العقد الأول من القرن الخامس .

ولكن هياً بنا إلى « المستطاب » ؛ فعلنا نجد عند المؤرخ « يحيى بن الحسين بن القاسم » ما يزيدنا تعرفاً على حياة هذا العبقري الشهابي .

إبتدأ حراناً !

أما صاحب المستطاب فقد كان أكثر احتفالاً بالشيخ « مطرف » وأخباره من ابن أبي الرجال ؛ وذكر معلومات عن مسكنه ، وبداية أمره ، ومن تلقى عنه عقيدته تُغَيَّرُ أول ما تغير ما استتجناه آنفاً من أنه من مواليد العقد الأول من القرن الخامس الهجري وتجعلنا نجزم بأن فترة شبابه وأيام تلمذته كانت في الربع الأخير من القرن الرابع وأن ولادته حوالي سنة ٣٧٥ هـ ؛ نستنتج ذلك من قوله : « وكان هذا مطرف قد شاخ وأسن ، ووصل إلى الحسين بن القاسم العياني إلى « معين » وقال بامامته وقتل معه رجلاً فلما وقع من الحسين بن القاسم ما وقع وعرض له ما عرض [أي دعواه المهدوية وعلم الغيب] ، رجع عن القول بامامته ، وتخلص عما أصاب من دم الرجل الذي قتله معه » . وقد عرفنا مما سبق أن الامام الحسين بن القاسم العياني دعا إلى

نفسه أثر وفاة والده سنة ٣٩٣هـ وقتل سنة ٤٠٤هـ ولا شك أن « مطرف الشهابي » كان عندما وصل لمبايعه الحسين بن القاسم ونصرته ، والقتال معه ، قد بلغ مبلغ الرجال سناً وعلماً وأصبح له شأنٌ ولبيعته ونصرته قيمةٌ وتقدير ، ولعله كان في الخامسة والعشرين أو قد جاوزها ، وما ذكره المؤرخ عن رجوع مطرف عن القول بامامة الحسين بعد أن وقع فيما وقع فيه من وسوسة « المهديّة » ، وعرض له ما سبق أن فصلناه في ترجمته ، ثم تخلصه عمّا أصاب من دم الرجل الذي قتله أثناء جهاده معه وقد كان يعتقدُه إمام حق ، يدلُّ على ورعه وسلامة عقيدته ، وتحرُّجه فيما يأتي وما يدع .

وحدثنا مؤلف « المستطاب » نقلاً عن مؤرخ « المطرفيين » مسلم اللحجي أن الشيخ مطرفاً قد بدأ حياته فلاحاً يحرث الأرض وراء ثوره في واحات « بيت حنبص » حيث ولد وشب حارثاً فلاحاً ، وأنه قد فكر ذات يوم وهو يشق كبد الأرض بمحراثه وراء ثوره ، في نفسه واستطلع مستقبله ؛ ورأى أنه يقطع الحياة رتيبةً ، ويؤدي أدواراً مكررة ؛ فكلمها فرغ من حرث وتعهد وجني ثمرة ؛ بدأ يستعد لحرث ورعاية وجني ثمرة أخرى ، وهكذا دواليك صيفاً وشتاءً ، وربيعاً وخريفاً . لاحظ له ، ولا شأن في الحياة والكون ، إلا ما لثوره من الطعام والشراب ، أو دربهات من فائض ما يبيعه من المحاصيل . والتي قد يصرفها في استصلاح الأرض استعداداً للحرث من جديد . وذلك هو الفارق الذي يميزه عن الحيوان الوداع الأليف الذي يشق عليه بمحراثه كبد الأرض الحنون ! وربما أنه قد تخيل أن هذا الثور يعلم عن الحياة والكون بالفطرة والأهلام التي فطره الله عليها أكثر مما يعلم هو ؛ لأنه إنسان ؛ « حيوان ناطق » ، مُنح « العقل » ، ولم يرزق فطرة الأهلام الحيواني : والله يقول : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ؛ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الاسراء : ٤٤] و﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] وإذن . فعليه أن يفقهه ، وأن يعرف قيمته ، ولماذا خلق ، وما هو واجبه ؟ وماذا عليه أن يعلم ؟

ولكن كيف ينطق عقله ، ويستشير دافئته ، وكيف يفقهه ويعلم إذا لم يقرأ ؟ وهو يسمع قول الله سبحانه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ

الانسانَ من علق ، اقرأُ وربك الأكرمُ ، الذي علمَ بالقلم ، علمَ الانسانَ ما لم يعلمُ ﴿﴾ ، ولأنا نشك في أنه كان قد سمع شيئاً من القرآن وحفظ من سوره القصار ما يؤدي بها فرائضه الدينية ، وكيف لا ، وقد ولد ونشأ في « بيت حنص » التي كانت مسكناً لعلامة اليمن في عصره الأديب الحافظ أبو نصر محمد بن عبد الله الحنصي اليهري الذي أخذ عنه الهمداني معظم ما في كتابه الأكليل ، والذي سبق أن ذكرنا نكبته وكيف أحرق القرامطة داره ، ولجأ إلى الامام الهادي إلى « صعدة » ، ونقلنا ما قالوا : من أن حصن جده : « ذويهير » قد ظلت النار تأكله بضعة أشهر ، وربما أن « مطرفاً » أو أحد أبويه ، قد شاهد ذلك الحريق ! ولقد كانت « بيت حنص » و « بيت بوس » و « وقش » و « حدة » و « سناع » مراكز علم وأدب وفقه ، قبل أن ترتع فيها سيوف ومعاول الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة . ! وكل تلك القرى و « الهجر » تُعرفُ منطقتها الآن باسم « بلاد البستان » .

نعم لا نشك في أن مطرفاً عندما فكر ذلك التفكير ، وأن عليه أن يفهم قيمته وواجبه ، وأن يفقه أسرار الكون والحياة الدنيا ، وما هو أجل وأسم من الكون والحياة الدنيا ، كان قد استوعب وحفظ شيئاً من القرآن ؛ وأنه قد تذكر قول الله تعالى يخاطب رسوله الكريم ، وكل مُسلم حتى يوم النشور : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ فقال لنفسه إلى متى أظل وراء هذا الثور ، واستغرق في « الحراثة » عمري ، دون أن أعمل أو أعلم شيئاً عن نفسي وعن الحياة والكون ؟ ففكر في مخرج « ورفض ما كان فيه ، واستعان بشيء من ماله وخرج لطلب العلم » كما يقول مؤلف « المستطاب » قال : « فأتى صنعاء وبها معلم يعلم القرآن فتعلم عنده كتاب الله ، ثم رجع إلى تعلم علم التوحيد وغيره من علوم الملة » [لوحة : ٤١ - أصل : ٧٩ نسختنا] .

وتحول من حارث يبذر في كبد الأرض ما يغذي الأجسام إلى باحث يستكنه أسرار الحياة والكون ليزود العقول بقوى المعرفة . وليؤدي الأمانة بل ويفقه تسبيح الكائنات !

## مشايخ مطرف ؛

### وخلاصة مذهب المطرفية

ونقل المؤرخ يحيى بن الحسين عن مسلم اللحجي إنه قال : « وكان سند اعتقاده إلى الهادي [يحيى بن الحسين] ؛ أخذه عن علي بن محفوظ بريدة ، وعلي بن محفوظ أخذ من طريقين إحداهما عن الشيخ أحمد بن موسى الطبري عن المرتضى محمد بن الهادي ، والأخرى عن إبراهيم بن بالغ الوزيري عن أبيه عن الهادي » ثم قال : « قال مسلم اللحجي : أخذت هذا المذهب عن محمد بن إبراهيم بن رقاد الصنعائي بوقش سنة ٥١٠ هـ [عشر وخمسة] وسمعته يقول : سمعت من أدركت من مشايخنا من الزيدية يقولون : أخذنا القول بالعدل والتوحيد ، وأن الأعراض تُعلم بالدليل من المحسوسات من الأجسام ولا تُحس ، وأن ليس بين الله وبين خلقه من الأجسام واسطة من الأعراض لا من فعله ولا من فعل خلقه ، ولا يصح توسط ذلك بينه وبينها ، وأن إرادة الله مرادة ، وخلقته مخلوقة ، وصنعتة مصنوعة ، وتدبيراته مدبرة ، وفعله مفعولة ، وأن هذا العالم قد خلقه مقرونا جسمه بعرضه ، لا يصح انفكاك أحدهما عن الآخر ، ولا تقدمه عليه ، ولا يصح وجود جسم من دون عرض يقترن به ، وإن الأعراض متفاوتة الوجود لا قوام لها إلا بغيرها ، وإن الأجسام متلاحقة الوجود يصح أن تقوم بأعينها إلى غير هذا من المذهب المعروف عن مطرف بن شهاب » . هذا نص ما نقله في المستطاب [لوحة ٨٠ - نسختنا] عن « المطرفي » مسلم اللحجي وقد بذلت جهداً في قراءة الكلمات ؛ لأنها مصحفة ، والعبارات معقدة مبهمة ولو كان هناك ما يمكن الرجوع إليه من كتب القوم لأمكن تفصيل المبهم ، وإيضاح الغامض ، على أن الامام القاسم بن محمد المنصور في كتابه : الأساس لعقائد الأكياس ، وكذلك شارحه السيد أحمد الشرفي قد ذكرا ثلاث مسائل خالف فيها « المطرفية » جمهور الزيدية حول « العقل » و « الرزق » و « كلام الله » تعالى :

### ١ - العقل

قال في الأساس وشرحه : « إن أئمة أهل البيت والمعتزلة يقولون إن العقل عرض ركبه الله في قلب الانسان تدرك به المدركات » ؛ وتقول « المطرفية » : بل إن العقل هو القلب نفسه بناءً منهم على أن صفة الجسم

هي الجسم نفسه ومحتجين بقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ السَّمْعُ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧] .

## ٢ - لا ملك لعاص !

وقالا : « ما حازه الانسان من مباح ، أو بتكسب مشروع ، نحو الشراء والأيهاب والاجارة ، فهو ملك من حازه ؛ وقالت « المطرفية » وهم فرقة من الزيدية منسوبون إلى مطرف بن شهاب كان في وقت الصليحي : لا ملك لعاص ؛ فما حازه العاصي وقبضه فهو مُغتصب له ؛ لأن الله لم يأذن له في تناول شيء من رزقه ، ولذلك جاز أن تغنم أموال الكفار والبغاة فدلّ على إنهم غير مالكين » .

## ٣ - كلام الله

وقال الامام القاسم وشارح أساسه : « والقرآن كلام الله تعالى ؛ ويقول أئمتنا والجمهور : وهو المسموع المتلوّ في المحاريب الذي يحرم على الجنب لمسه ؛ وقالت « المطرفية » : بل كلام الله : معنى في نفس الملك وليس بحرف ولا صوت ؛ وهو بناء منهم على أن صفة الجسم هي الجسم ؛ وهذا المتلوي في المحاريب عبارة عنه » .

## مناظرات وجدل

وهناك عدة مناظرات ومحاورات جدلية ، كانت تدور بين « مطرف » وأتباعه ، وخصوصهم ، وفي بعضها سخفٌ وسذاجة ، وما يجبّد قول أئمة من أهل السنة والجماعة ، أن لا خير للمسلم المؤمن في الايغال في المسائل الكلامية ، وتحذيراتهم من الوقوع في محذوراتها ، وبعضها فيه ما يشير إلى اتهام « ابن أبي الرجال » . . بأن « مطرف » كان داهياً ، وإنه كان يخاطب الناس بقدر عقولهم ، ويخلبهم بظاهر منطقته السليم ؛ وفيها أيضاً ما يدل على أنه كان على ثقةٍ من صحة عقيدته ، وقوة يقينه بسلامة منطقها ، وبراهين حججها ، وثبات راسخ في الاقتناع بحقائقها ، وإكمالاً لهذا البحث عن « المطرفية » الذي هو الأول من نوعه في تاريخ اليمن الأدبي سألتقط من المناظرات والمحاورات بعض ما تناثر منها في « المستطاب » و « مطلع البدور » .

## ١ - إثبات واجب الوجود

« قال مسلم : قالوا أتى رجل إلى مطرف فقال : دلني على إني مخلوق وإن لي خالقاً من قبل أن أعين وأرى حتى أتيقن [وكان الرجل يخاطب مطرفاً] وأمامها جدار ؛ فنظر إليه « مطرف » وقال : ما تقول لو أن قائلاً قال لك إن هذا الجدار لم يُبنَ ؟ قال الرجل : أقول إنه مبني غير مرتاب في ذلك . قال مطرف فان قال لك : نعم . هو كما قلت إلا أنه بنى نفسه ما كنت قائلاً ؟ قال الرجل : أقول هذا محال ؛ ثم لا أقبل قوله . قال مطرف : فلو قال لك : له بانٍ غيره إلا أنه مثله فماذا تقول ؟ قال الرجل : وهذا محال . قال : فان قال لك : بانيه بخلافه ، حي ، ليس بجهاد ، إلا أنه عاجز غير قادر فماذا تقول ؟ قال الرجل : لا أصدقه . قال مطرف : فان قال : هو حي ، قادر ، متقدم له ، إلا أنه جاهل بالبناء ! قال الرجل : أقول : هذا فاسد ومحال أن يوجد فعل فاعل محكم وهو غير عالم باحكامه ، ولا قادر عليه . قال مطرف : وكذلك ذلك الجبل ؛ بناءً مبني ، بانيه غيره ، وهو بخلافه ، ولا يكون إلا حياً متقدماً ، قادراً عليه ، عالماً به ، وهو خالق ما في السماوات والأرض وما بينهما ، قال فانصرف الرجل موحداً . »

## ٢ - مع الملك الصليحي

« قال مسلمٌ ولما استقر الصليحي بصنعاء [سنة ٤٥٥ هـ] وما بعدها ومطرف في عقده الثامن] كان يتأذى باجتماع المصلين في المساجد من الزيدية وذلك إنهم كانوا إذا اجتمعوا بها يذكرونه ، ويحتجون على ظلمه وجوره ، وربما كفروه ، فصر الصليحي أياماً يتردد في أمرهم ، ثم أمر بالمساجد فسُمّرت ، ومنعهم من دخولها ؛ قال : وكان الصليحي قد همّ بقتل « مطرف » لشيء نُقل إليه أنه أخذ من بعض عماله مالاً وأفتى بجواز أخذ مال الظالمين ؛ فطلبه إليه وقال له : تأخذ مالي وتقول : لا بأس بجوائز الظالمين ؟ فقال مطرف : أخبرني ما يجب عليّ لك وما يجب عليك لي ؟ قال الملك : يجب عليّ لك أن أتى بشاهدين ، فان لم أفعل وجب عليك ان تحلف ؛ ثم سكن بعض ما به ؛ ثم أبتدأ الصليحي وقال : قال النبي ﷺ : اختلفت أمة أخي موسى وافترقت إلى إحدى وسبعين فرقة الحديث إلى قوله : وستختلف أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة ؛ فمن هي الفرقة الناجية ؟ فقال مطرف : قال النبي ﷺ : الحق ما



اجتمعت عليه الأمة ، والباطل ما اختلفت فيه ، ولن تجتمع أمتي على ضلاله ؛ وقد أجمعتُ أنا وأنت على إمامي يعني علياً ، واختلفنا عند إمامك - يعني صاحب الغرب العبيدي وكان يدعو إليه ؛ فأعرض عنه الصليحي » .

### ٣ - مع شريف مكة

« قال مسلم : وأخبرني الشيخ الفاضل الحسن بن سعيد المسوري : قال أخبرني الشيخ الحسن بن أحمد بن زايد بوقش ، قال : حج الشيخ مطرف في أيام أمير من بني الحسن بمكة كان يقوم في حق الزيدية لعله « شكر » ، قال فنهض بمكيدة مطرف جماعة من الزيدية المخترعة حتى سعوا به إلى ذلك الأمير ؛ فقالوا : ها هنا رجل يزعم أنه ليس جدكم ﷺ ولا لكم فضل ، ويزعم أن الله لا يرزق العصاة ، وأنه تعالى لا يخلق شيئاً ولا يُوجدُه ، قال : فدعا به الأمير وقال : بلغني أنك تقول : إن ليس لنا ولا لجدنا فضل ؛ فقال مطرف : إن له ولكم الفضل بالأعمال ؛ فان قيل إنه قد أعطاه الله بلا عمل فسواء فعل ذلك تعالى به ﷺ أو فعله بعبده المملوك فان الله تعالى على كل شيء قدير ، ولا يقدر المخلوقون أن يخرجوا من حبله بحيلة [وبغير العمل] ليس لسابقتهم ومتقدمهم في الفضل حمد ، ولا لمقصرهم ذم . قال الشريف : فبلغني أنك تقول : إن الله تعالى لا يرزق الفاسق من خلقه ؟! قال « مطرف » : فأخبرني يامولاي عن جدك ﷺ حين قتل أعداء الله وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم ، هل أخذ ما هو له ، أو ما ليس له ؟ قال الشريف : بل أخذ ما هو له . قال : فهذا قولي .

قال الشريف : فبلغني أنك تقول إن الله تعالى لا يخلق الآن شيئاً ولا يوجدُه ! قال مطرف : أسأل لي هؤلاء المشايخ - وكانوا شهوداً - : هل خلقهم الله تعالى أم صفاتهم التي هي غيرهم ؟ قال فلما سمعوا ذلك قاموا عن المجلس وتفرقوا ولم يجيبوا بشيء » .

وقد علق يحيى بن الحسين على هذا الخبر بقوله : « يريد بذلك إنهم يقولون - أعني المخترعة - مقالة المعتزلة أن الذوات ثابتة في القدم فألزمهم بذلك لأن سائر العلماء من أهل السنة وقدماء أهل البيت لا يقولون إن الذوات ثابتة في القدم بل محدثة مخلوقة لله تعالى بحدوث الصفات وسائر المخلوقات ، والمطرفية في هذه المسألة وافقوا أهل السنة » .

#### ٤ - مع رافضي مهدي

قال اللحجي : وأخبرنا زيد بن أحمد بن عبيد قال حدثنا الشيخ الزاهد محمد بن إبراهيم بن رقاد بوقش قال : « التقى مطرف وشيخ للحسينية يقال له سعيد « بمدر » من شرق حاشد فكلمه في الحسين وأنه أفضل من رسول الله ﷺ ولجَّ في ذلك ، فقال مطرف : يا هذا أخبرني عن الحسين . هل جاء فيما أتى به بالكتاب والسنة أم بخلافها ؟ قال فأطرق الشيخ الحسيني وكان معه ابن له ؛ فقال له : مالك لا تحببه ؟ قال الأب : لم تدر أين تركني ؛ إذا قلت جاء بالكتاب والسنة فبهما جاء النبي ﷺ قبله ، والمأخوذ عنه أفضل من الآخذ ، وإن قلت : جاء بخلافها أخرجته من الدين . » والحسينية في اليمن هم أتباع الحسين بن القاسم العياني الذي سبق أن تحدثنا عنه .

#### ٥ - من الكوفة ياسيدي !

وهناك قصة ظريفة رواها أيضاً مسلم اللحجي ، ونقلها عنه مؤلف المستطاب قال : والتقى مطرف والقاضي سليمان بن عبد الله النقوي وهو يومئذ قاضي صنعاء للمناظرة ، وكان « النقوي » من قضاة الشافعية وأكبرهم علماً وكان يحفظ ثلاثين ديواناً ، وله علم واسع ، وعندما التقيا كان على مطرف بن شهاب مدرعة صوف ، والنقوي في شارة عظيمة ؛ أقبل وهو راكب على بغلة فارهة ، وحوله من علماء العامة جمع كبير ؛ وأما مطرف فكان معه ذعفان بن محمد بن سلمة ، وأخوه مسلمة بن محمد بن سلمة ، وكان الملتقى للمناظرة تحت « بيت بوس » . قال : فلما رأهم ذعفان ارتاع بشنارهم ، وكان على رأس النقوي غلام بمظلة ، فلما حصل بينهم الجدل والاحتجاج ، تراجع النقوي عن الجدل وبكى بكاءً شديداً وقال : أسباب وأنا على هذا السن ؟ وحكم بمذهب الهادي بصنعاء . قال : وكان فيما قاله له مطرف : ألم يقل النبي ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها . قال النقوي : نعم ؛ قال مطرف : فمن أين دخل فلان وفلان ؟ [ممن خالف علياً] . فسكت القاضي ، فقال الغلام حامل المظلة على رأس القاضي : قل من الكوفة ياسيدي ! وضحك الناس « [لوحات ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - مستطاب] .

#### برهان المنطق أقوى من بطش القوة

وحين نختم ما تسقطناه من أخبار مناظرات « مطرف » الشهابي ومحاوراته بهذه النكتة الظريفة نقول : ليت مسلم اللحجي قد أورد مناظرته مع الحافظ

القاضي سليمان النقوي كاملةً ؛ فلا شك أنها كانت ممتعة ومؤثرة ، وما اندفع القاضي النقوي إلى البكاء إلا لأنه فيما نظن كان قد احتد على مطرف ، وتناول عليه وشتمه ، وقابل « مطرف » كل ذلك بالحلم ، وأناة المنطقي الذي يبحث عن الحقيقة ، مما جعل « النقوي » يندم ويقول وهو يبكي « أسبابٌ وأنا على هذا السن ؟ » ؛ وقد غيرت تلك المناظرة مجرى حياة قاضي صنعاء النقوي كما يقول المؤرخون ، وأصبح من قضاة المذهب الهدوي في « صنعاء » في وقت لا شنار فيه ولا قوة لأي إمام زيدي غير هؤلاء العلماء المفكرين الذين ينزونهم بالتعطيل ، ويقولون إنهم طبيعون لا يؤمنون بالخالق جل وعلا ، ويدعون إلى التعايش والمساواة ، وحرية الرأي والقول ، ويظهر أن القاضي سليمان بن عبد الله النقوي كان حاد المزاج ، وأنه قد ورث ذلك من جده قاضي صنعاء الذي سبق أن ذكرناه ونحن نتحدث عن شيخ مشايخ « مطرف » العلامة أحمد بن موسى الطبري تلميذ الامام الهادي يحيى بن الحسين ، وقلنا إنه قد استدعى « الطبري » للمناظرة ولما أخرج وأحصر ، إنفعل وبزق في وجه الطبري ؛ ولكن يظهر أن الحفيد كان قريب الرجوع إلى الحق ، ولذلك بكى وقال ما قال ؛ وقد أشار إلى موقفه المؤرخ يحيى بن الحسين عندما ترجم له فقال : « كان جبرياً ثم دخل في مذهب أهل العدل من الزيدية » أي بعد مناظرته مع « مطرف الشهابي » وهذا يدل على أن حجة المنطق وبرهانه ، أوقع من حجة العنف والبطش ، ويؤكد أن الاعتماد على الحوار العلمي ، ومقارعة الحجة بالحجة ، والرأي بالرأي ، سلمياً ، وتحت راية التسامح ، أقوى وأبقى من الاعتماد على السلاح ، وفرض العقيدة والرأي بالقوة .

### القرآن والسنة هما المرجعان

ومع ذلك فلا يجوز لأي مسلم الموافقة على أي رأي لمُطرف ، أو لأحد أتباعه ، أو لأسانئته إذا كان يخالف كتاب الله وما صحَّ عن رسوله ﷺ . وموقفنا من « مطرف » وأتباعه هو نفس الموقف من أي رأي شاذ لا ينسجم مع نصّ وروح الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، ونلتزم الاعتدال ، وقد صح عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من قبلكم » . وقال ﷺ : « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ؛ فإن المنتب لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى » ، ونحن حتى الآن

لم نطلع على شيء يخرج « المطرفية » من حظيرة الاسلام .

هيمنة الفقهاء الجامدين على المؤرخين !

وقد حاول المؤرخ الفقيه السيد يحيى بن الحسين بن القاسم الدفاع عن المطرفية ، وخطأ من يزعم كفرهم ، وترجم لعلمائهم ضمن من ترجم لهم من أعلام الزيدية وذكر الكثير من صفاتهم الحميدة ، ومع ذلك فقد ظل منفعلاً بما قيل عنهم من قبل خصومهم ، وما نقلوه عنهم من أقوال بعد إبادتهم ، بالرغم من بُعد الزماني ؛ فمعارك الامام عبد الله بن حمزة بالسيف والقلم معهم ، كانت في أوائل القرن السابع الهجري . وتعليقاته عنهم في كتابه المستطاب كتبها في أواخر القرن الحادي عشر بعد مضي حوالي خمسة قرون ؛ ولذلك - وكأنه كان يخشى انتقادات الفقهاء المقلدين والمتعصبين - قال :

« واعلم أن المطرفية قد وقعوا في مقالة عظيمة خالفوا فيها السلف الصالح من الأئمة ، وسائر علماء المسلمين ، وقولهم لا يخفي بطلانه ، ولذلك رجع عنه منهم كثير حتى لم يبق عليه أحد الآن » [أواخر القرن الحادي عشر الهجري] ولم يكتف بهذا النقد المجمل بل نقل قول الامام أحمد بن سليمان في كتابه الحكمة الدرية وهو : « كانت الزيدية في اليمن فرقة واحدة فمركت المطرفية ؛ وكان سبب خروجهم أن رجلاً يُسمى « مطرف بن شهاب » عمّر هو وصاحبان معه ، موضعاً يقال له « سناع » بأرض « صنعاء » ، وابتنوا فيه « هجرة » ، وبنوا مسجداً ومطاهراً ، وجعلوا قواعد دينهم وأساسه بأن قالوا : العالم يُحبل ويستحيل ، وقالوا : قد ساوى الله بين الخلق في ست خصال : في الخلق والرزق والموت والحياة والتعبّد ، والمجازاة ، ونفوا جميع الأفعال عن الله وغير ذلك » .

ولم يكتف بنقل هذا الكلام المجمل أيضاً بل أردف قائلاً :

« قلت وقد مرّ نحو هذا من عقيدتهم ما ذكره النجّري ؛ قال السيد : وقد كان هؤلاء المطرفية قبائل ضخمة فأقمهم الله تعالى ، وطهر البلاد منهم لما حاربهم الامام المنصور بالله ، وقتل من قتل منهم ، واحتج عليهم بحجج كثيرة ، والأكثر منهم تابوا ورجعوا ، وصاروا سيوفاً على الباقي من المطرفية ، قال الامام المهدي : [ت ٨٤٠هـ] وقد انقرضت هذه الفرقة في هذه

الأعصار ولم يبق إلا « المخترعة » . قلتُ وأما في زماننا [توفي يحيى بن الحسين عام ١١٠٠ هـ] فالظاهر أنه لم يبق لهم ذكر .

ثم لم يكتف بذلك بل حاول مرةً أخرى أن يعتذر للفقهاء الجامدين والمتعصبين من زيدية « المخترعة » فقال : « وإنما ذكرنا من أطلعنا على ذكره من « الهدوية المطرفية » في هذا الكتاب لأن مذهبهم في الفروع والامامة مذهب أهل البيت ، وإنما خالفوا في العقيدة والمخالفة فيها لا تمنع من ذكرهم لا سيما وأن منهم من رجع عن مذهبه ، وقد ذكر كثير من المؤرخين لعلماء المذاهب الأربعة كثيراً من المخالفين لعقائدهم من علماء الاعتزال كالزنجشري وقاضي القضاة ، وابن الملاحمي ، وأبي الحسين » . وبعد هذا الاعتذار الذي يصور لنا خشية المؤرخين اليمانيين وخوفهم من مجرد ذكر عالم من علماء « المطرفية » ؛ فضلاً عن أن ينقل كلامه دون تحريف أو إلزام بها لا يعتقدوه أو تضليل وتكفير قائله ، عاد فأشار إلى الأزمنة التاريخية التي كان لهم ظهورٌ أثناءها فقال : « نعم وكان ظهورهم في زمن أبي طالب الأخير [وهو الامام يحيى بن أحمد الهاروني المتوفي سنة ٥٢٠ هـ] وزمن القاسم العياني [ت ٣٩٣ هـ] واستمر وجودهم إلى أول مدة الامام المهدي علي بن محمد [ت ٧٧٣ هـ] إلا إنه لم يبق إلا القليل لأن الامام المنصور بالله [ت ٦١٤ هـ] شردهم ، ونكل بهم ؛ ولا شك أن عقيدة المطرفية فيهارية عظيمة ، وخطر عظيم نسأل الله السلامة والتوفيق » [لوحات ٤٠ - ٤١] .

## نقدٌ وحوار

### ١ - علماء أمنوا برهم

لعل الأفق الضيق الذي كان فقهاء « المخترعة » من الزيدية يعيشون فيه ، ولا يتلمسون منه مخرجاً - وأمثالهم كثر في كل زمان ومكان - كان سبب كل عناء قاساه « مطرف » وأساتذته وأتباعه منذ توفي الامام أحمد الناصر بن الهادي عام ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ هـ وحتى أصدر الامام عبد الله بن حمزة الحكم بتكفير المطرفية وإبادتهم والتنكيل بهم عام ٦١١ هـ / ١٢١٥ م ؛ فيينا كان أولئك العلماء تلاميذ الهادي والمرتضى واليهري والهمداني والطبري يريدون بما يقولونه عن « الطبيعة » وعناصرها الأربعة الأصلية ، وقوانين الاحالة والاستحالة والإنبات والتوالد والحسن والقبح . تكوين مجتمع واعٍ

متعلم ، متراحم ، تسوده السعادة والرفاهية ، وينشدونه عالماً ترفرف عليه راية المساواة والأمن والعدل والعمل ، ولا يقصدون بالطبيعة وعناصرها إلا هذا النظام الألهي المحكم المتكامل ، ولا يعنون بالإحالة والإستحالة والتوالد إلا السنن والقوانين الألهية التي طبع الله بها وفطر السهوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، والتي جبلها في العناصر ، ووضع لها أحكاماً لا تزيع ولا تتناقض ؛ ثم جعل من طبيعة العقل البشري فهمها ، ومعرفة لواقع رباحها ، وتغيرات أنوائها ، وخصائص فصولها ، وعلاقة كل ذلك بدوران أفلاكها ، وحرث الأرض ، وانتقاء الأجواء ، واستحداث الألوان ، واستخراج الأدوية ، واستنبات الثمرات ، واستنباط العقارات ، وصنع السموم والمبيدات والروائح إلى غير ذلك ؛ من تطوير نواة واستكشاف سر ، إلى جلب خير ودفع ضر ، مؤمنين بالله ربهم وبقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء ، فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] .

نعم بينما كان هؤلاء العلماء يريدون ويقصدون وينشدون ، ويحاولون ذلك ؛ إذ بأولئك الفقهاء الحرفيون « المغفلون النافعون » ! يشوشون مقاصدهم ، ويحرفون مقالاتهم ، ويحشرون جهلاً وجموداً المسائل الكلامية عن الذات والصفات والخير والشر والخلق والتقدير ؛ ويلزمونهم عتياً ورهقاً بأقوال من سبق من الفلاسفة الملحددين ، أو الذين لم يعرفوا شريعة القرآن ، أو لم يهتدوا إلى الاسلام ، وتحدثوا عن تلك العناصر الأصلية وطبائعها ، فيتهمونهم بالضلال والغواية ومخالفة السلف الصالح وأئمة أهل البيت . ثم يكفرونهم وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويؤمنون بالقرآن والسنة ويؤدون كل فرائض الدين الحنيف ، ويقولون هؤلاء « طبائعيون » معطلون وهم بما يقولونه عنهم لهم ظالمون .

## ٢ - طبائعيون . . لكنهم مؤمنون !

ونحن نعلم أن الطبيعة لغة السجية التي جبل عليها الانسيان ويقال : طبع فلان السيف أو الجرة أي عمله ، وصنعها ؛ ونعلم أن الفلاسفة و « المتكلمون » قد اطلقوا قديماً لفظة « الطبيعة » على عناصر الانتاج الأولى التي هي التراب والماء ، والهواء ، والنار ، [الحرارة والضوء في عصرنا] . .

وتطورت الأبحاث حتى سمو تلك العناصر الأربعة بالعناصر الأصلية ، واطلقوا على مئات العناصر المستحدثة نتيجة تطور « العلم الطبيعي » « الفيزياء » إسم « العناصر الفرعية » ، وعب عباب ذلك العلم العجيب بدراسة خواص الأجسام ومعرفة قوانينها وأبحاث الجاذبية والتوازن والأصوات والحرارة والكهرباء والبصريات وغير ذلك .

كما نعلم أيضا أن « الملحدون » من الفلاسفة الأولين والمحدثين يطلقون لفظة الطبيعة على هذا النظام الألهي وقوانينه وسننه ، ويسمي العلماء مذهبهم « المذهب الطبيعي » « NATURALISM » وهو مذهب « الملحدون » الذين يردون أسباب الحياة والموت ، ويرجعون الظواهر إلى « الطبيعة » ، وحدها ويستبعدون كل مؤثر خارجي ؛ وهذا هو مذهب من كان علماء المسلمين يسمونهم « الدهريين » وقد كان هذا المذهب معروفا عند العرب قبل الاسلام بل وناقش القرآن الكريم من يدين به بقوله تعالى : ﴿وقالوا : ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، إن هم إلا يظنون ، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حُجَّتْهم إلا أن قالوا اتُّوننا بأبائنا إن كنتم صادقين ، قل الله يحييكم ثم يميتكم ، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الجناتية : ٢٤ - ٢٥ - ٢٦] .

فهؤلاء هم « المعطلون » و « الدهريون » و « الطبايعيون الملحدون » ولا يمكن عقلا وشرعا حشر المطرفية أو أي فئة إسلامية مهما كانت آراء علماءها أو البعض منهم في المسائل الفلسفية أو الكلامية سواء في العناصر الطبيعية أو شروط « الامامة » ماداموا يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ولا نستطيع أن نسمي المطرفية « طبيعيين معطلين » لأنهم قالوا : إن الحوادث اليومية كالنباتات والمولدات والآلام ونحوها حادثة من الطبايع الحاصلة في الأجسام لأنهم - وقد سبق سرد ذلك - يعتقدون ويقولون : إن الطبايع الحاصلة في الأجسام ، والعناصر الأصلية هي من خلق الله سبحانه بقصده وإرادته ، ويقرون بأن الله تعالى خالق كل شيء ، ولكن الخلق عندهم ليس بمعنى « الاختراع » لحظة لحظة للفروع المتولدة ، بل بمعنى

أنه سبحانه اخترع العناصر التي هي أصل كل شيء [وجعلنا من الماء كل شيء حي] « وجعلها على الاحالة والاستحالة » : فهم « طبيعيين مؤمنون » موحدون حنفاء ؛ وقد مر حوار « مطرف » مع الرجل الذي أراد أن يثبت له عقلا وجود ثابت الوجود الحي الخالق القادر الذي لا شريك له ؛ ولا ضير إذا سمينا « مطرفا » أو أتباعه ، أو غيرهم من العلماء « طبيعيين » فلن يخرجهم ذلك عن الاسلام إذا كانوا يؤمنون بما كان يؤمن به « مطرف » وأتباعه المسلمون ، وذلك ما ينسجم مع ما نعقله ونراه ونمارسه في حياتنا اليومية وفي عصر « الذرة » ، و « الالكترونيات » ! ولو أن أحداً منا الآن قال : إن « إديسون » اخترع الآلات الكهربائية أو الحاكي ، أو أن « فلانا » صنع قلباً تحرك به حيوان ودب على وجه الأرض . أو أن « علانا » ابتدع وأوجد وسيلة لانبات الجلد ، أو طريقة لتفريخ الدجاج من حرارة صناعية ، أو غير ذلك ، وهو يؤمن بالله خالق كل شيء ومبدع العناصر الأصلية ، وواضع أسرار كل توالد أو إحالة أو إستحالة فيها وأن تلك الفطرة والجبلة هي التي مكنت كلا من « إديسون » و « فلانا » و « علانا » من إيجاد وصنع وعمل واختراع ما أحدثوه فهل سيكون من يقول هذا معطلاً طبيعياً ملحداً ؟ لا . . لا . لا أظن عاقل يقر هذا .

ولكم كان الامام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى [ت ٨٤٠ هـ] عظيماً حين قال في البحر الزخار : « مسألة وقول الطبايعية : حدث العالم بالطبع . . باطل ؛ إذ أن الطبع غير معقول ، ولا يعلم ضرورة ، ولا دليل عليه . وإن عنوا به الباري فخطأ في العبارة » .

وإما إذا كانوا قد خطأوهم وأخرجوهم من طائفة الزيدية لأنهم أو البعض منهم قد انكر شرعية حصر الامامة في أولاد الحسن والحسين فان أهم فرق الزيدية كالصالحية والبترية يقولون بذلك ؛ ولم يقل أحد أن زيد بن علي قد خرج على نفسه حين تولى الامامين الصديقين أبا بكر وعمر !!

٣- هل مرقوا عن الزيدية ؟ وهل مذهب الهادي هو مذهب زيد ؟

وأود أن أناقش المؤرخين اليمنيين وعلماءهم الذين ضللوا « المطرفية » وأحاورهم وأخالفهم وليس لأنني أقر كلما قاله « مطرف » ، أو بعض أساتذته



أو أحد من أتباعه إذ لم أطلع على كل ما كتبه أو قالوه ، وإنما هي نتف من هنا وهناك ، أو بعض ما قرأته وسمعتة ممن يضلّهم أو يكفرهم ، أو ما نقله عنهم أو عن خصومهم مؤلف « المستطاب » ومنها ما قاله الامام الجليل أحمد بن سليمان [ت ٥٦٦ هـ] في كتابه : « الحكمة الدرية » : « إن الزيدية في اليمن كانت فرقة واحدة فمرقت الطرفية » إلى آخر كلامه الذي سبق سرده .

فأولاً : لا أوافق الامام على أن الزيدية في اليمن كانت فرقة واحدة فقد علمنا خلافات القاسم العياني وابنه للهادي ، وعندما تحدث الشهرستاني [ت : ٥٤٨ هـ] في كتابه الملل والنحل عن الزيدية جعلهم أربع فرق : الجارودية ، والسليمانية ، والبترية ، والصالحية ، وأما نشوان الحميري [ت ٥٧٣ هـ] وهو من معاصري الامام ابن سليمان فقد زاد أن الجارودية قد افترقوا في المهدي المنتظر ، وذكر فرقة خامسة هم « الحسينية » وقال إنهم أيضاً قد افترقوا . وجاء الامام المهدي [ت ٨٤٠ هـ] فزاد في البحر الزخار على من ذكره العلامة الشهرستاني ثلاث فرق « الجريرية » و « القاسمية » و « الناصرية » قال : « وكان يخطيء بعضهم بعضاً » [ص : ٤٠ - ج ١ -] وأئمة كل تلك الفرق الزيدية وجدوا قبل « مطرف الشهابي » . والأهم من كل ذلك أن المؤرخ الزيدي يحيى بن الحسين الذي نقل كلام الامام ابن سليمان كان قد أخبرنا في مطلع كتابه « المستطاب » بما يشعر أن مذهب الزيدية الأصلي انقرض في اليمن بعد وصول « الهادي » وظهور مذهبه ، وهو كلام خطير سوف أنقله بنصّه وألفت أنظار العلماء الذين يهتمون بالكتابة عن المذهب الزيدي في اليمن ليحققوا هذا القول ويبحثوا عن مغزاه ، يقول يحيى بن الحسين في المستطاب [لوحه رقم ٣٢] :

« فصلٌ ؛ وإلى هنا انتهى ذكر الزيدية الذين كانوا على المذهب الأول ، وهو مذهب زيد بن علي ، ومن بعده كان ظهور مذهب الهادي في اليمن ، والناصر الأطروش في الجليل والديلم ، وانقراض مذهب زيد بن علي الأول إلا القليل ممن استمر عليه ، وكان الهادي في الأصول على مذهب أبي القاسم البلخي المعتزلي لأنه شيخه أخذ عليه في علم الكلام وغيره ، ومذهب القاسم الرسي جد الهادي كان متوسطاً فيما بين حفيده « الهادي » وما بين « زيد بن علي » والسلف ، تارة يوافق السلف وتارة يوافق الخلف ، ولذلك اختلفت أقواله » . هذا ما قاله العلامة يحيى بن الحسين ولا أدري

لماذا نسي أو تناسى ذلك وهو يسرد كلام « ابن سليمان » : إن « الزيدية » كانت في اليمن فرقة واحدة حتى مرقت « المطرفية » ؟

وثانيا : لا أستطيع أن أوافق الامام الجليل على قوله : إن مطرفاً وصاحبيه قد مرقوا عن « الزيدية » لأنهم عمروا هجرة [أي مدرسة] ومسجداً ومظاهر في « سناع » ! وماذا في ذلك من مروق ؟ والهجرة للدراسة ، والمسجد للصلاة ، والمظاهر للتطهر والنظافة !

وقوله : إنهم زعموا أن العالم يحيل ويستحيل قد سبق إيضاح مقاصدهم وأما قوله : إنهم قالوا بالمساواة بين الخلق في ست خصال « الخلق والرزق والموت والحياة والتعبّد والمجازاة » فهاذا في ذلك من مروق أيضاً ؟ وهل يكفر بالله من يقول بالمساواة بين المسلمين في كل شيء عند المخترعة إذا كان الامام منهم وحاشاه ؟ وأين نحن من الحديث الشريف « الناس كأسنان المشط » ؟ .

وأما قوله : « إنهم نفوا الأفعال عن الله . فقد عرفنا إنهم انكروا نسبة ذلك إليهم ، وإنهم قد بينوا قصدهم ومرادهم من الاحالة والاستحالة والتوالد » . وقلنا إنه يشبه تماماً ما يعمل « الكيميائيون » و « الفيزائيون » و « الصيدليون » و « المهندسون » في معاملهم ومصانعهم ومزارعهم وما نشاهده ونعيشه في عصرنا .

#### ٤ - أسباب ودوافع الصراع الفكري والدموي

لقد ذكرنا ونحن نتحدث عن أبي الحسين الطبري أن مسلّم اللحجي قال إنه من المصادر العلمية التي استقى منها « مطرف » وأتباعه أفكارهم ، وأخذوا معارفهم وقد عرفنا أن ثمة آراء خاصة بهم فقهية وأصولية وفلسفية خالفوا فيها « المخترعة » من الزيدية وبعض أئمتهم ، وقد ذكر أيضاً « مسلم » أن أبا نصر الحنصي اليهري شيخ الحسن بن يعقوب الهمداني كان من أساتذة من أخذ عنهم « مطرف » وأصحابه كما أن أولاده كانوا من فرقة « المطرفية » . فهل ياترى يكون حدسنا موفقاً وتحميننا صائباً ، لو قلنا إن الهمداني صاحب الاكليل والدامغة - وهوزيدي المذهب - ممن شارك في نشأة فرقة « المطرفية » رغم مغالاته في التعصب العنصري والعرقى الذي لا

ينسجم وسعة آفاق « الطبري » و « مطرف الشهابي » ، و إخلاصهم للدعوة  
الاسلامية الخالصة التي لا يشوبها ولا يكدرها تعصب للأحساب  
والانساب !؟

#### أ - كانوا طلائع حضارة إسلامية

يُخَيَّلُ إلي أن ذلك العصر الذي طبعه الهادي يحيى بن الحسين بطابع  
العقل الخالص ، وإيمان المنطق ، وجدية العمل ، وصدق العقيدة ، وكان  
شعاره العدل والتوحيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان من  
رجالهم أمثال المرتضى وعبد الله بن الحسين ، وأبي نصر الحنصلي وأحمد  
بن موسى الطبري والحسن بن يعقوب الهمداني وأحمد بن عيسى الرداعي ،  
ثم من جاء بعدهم من فطاحل ، كأحمد بن سليمان وابن عبد الباعث ،  
وجعفر بن عبد السلام والأمير شمس الدين وأخيه ومطرف وأصحابه ونشوان  
الحميري وأولاده والمئات من أضرابهم . . . كان في الامكان أن يكون فجراً  
لعهد حضارة إسلامية كونية ، تعطي الحياة من ثمرات الخير والسعادة والعزة  
ما يصبو إليه البشر مع المحافظة على قوانين العبادة والطهارة الاسلامية وهو  
ما قصرت فيه الحضارة الغربية في عصرنا الحاضر التي أطلقت للعقل العنان  
« هندسياً وأقليديسياً » ، ولم تستطع أن ترم أو تلجم شهوات الانسان الذي  
يقعد له عدوه « الشيطان » في كل مرصد ليصده عن الصراط المستقيم .

يُخَيَّلُ إلي أن ذلك العصر كان حقاً مطلع فجر حضاري جديد على العالم  
الاسلامي لو لم تخنقه في مهده التفاهات والصراعات والأضاليل ، والقرمطة  
والشعبوية من جهة ، ومن أخرى أطماع أبناء الخلفاء والملوك والسلاطين في  
الجاه والسلطة وتناحرهم عليها ، وإبعاد الأكفاء عنها ؛ وهي نفس الآثام  
والكوارث التي خنقت وفي نفس العصر تبشير الحضارة الاسلامية في بغداد  
وحلب والقاهرة بل وفي الأندلس ! .

وقد سبب ذلك - وفي الساحة اليمينية التي تؤرخ لأدائها - الانقسامات  
المذهبية والطائفية مما سبق أن أوضحناه . وفي الدائرة « الزيدية »  
أو « الهدوية » اشماز أمثال « الحنصلي » و « الطبري » و « الهمداني » من  
تنبألة الجاه ، أو السادة والقضاة والمشايخ بالوراثة ، على حد التعبير  
« الناصري » ! وضاقوا ذرعاً باختلافاتهم وحمقاتهم التي تتنافى مع الاسلام

وتشدّ عما أراه الهادي وحارب من أجله « الباطنية » و « القرامطة » و « العباسيين » ليقوم دولة الاسلام ، وكان ما كان من حبس الهمداني والتجائه مع الحنصلي والطبري إلى ابن الضحّاك الحاكم الأقرب إلى القوّة والأمانة ، والذي لا يخاف من الرأي ولا يخشى الحوار .

### ب - تأثرهم بكتب المعتزلة

ولأن قوى « الباطنية » متمثلة في بقايا « الصليحيين » و « اليامين » وأنصار الدعوة الاسماعيلية الفاطمية ، ومبادئ « الخوارج » يمثلها الأباضية وأحكام « ابن مهدي » الصارمة . كانت تزعج كل فئات « الزيدية والهدوية » فقد اطمأنوا وارتاحوا لهجرة المطاردين من علماء المعتزلة والزيدية العراقيين إلى اليمن مع كتبهم ، وكانوا يقبلون على مجالسهم ويستسخون كتبهم ويقرونها بلهفة وإمعان ولا سيما وهم يجدون فيها الكثير الجم مما أخذوه عن إمامهم الهادي يحيى بن الحسين ، وهاجر بعض علماء اليمن إلى العراق وجلب معه ما استطاع من مؤلفات أئمة الاعتزال ، كما صنع القاضي جعفر ، والذي كان « مطرفياً » وأصبح معتزلياً هدياً يجادل ويناقش ويخاصم حتى علماء فتنه ويناصر ويؤازر الامام أحمد بن سليمان .

وإذن فقد كانت أسباب نشأة « المطرفية » والخلافات الحادة والجدل الشرس الذي نشب بينها وبين « الهدوية المخترعة » وغيرها من الفرق الزيدية في اليمن « كالجارودية » و « الحسينية » ثم « السليانيين » و « الحمزيين » ، إلى جانب « الاسماعيليين » و « الخوارج » ، أسباب كثيرة ، ودوافعها شتى بعضها يرجع إلى الخلاف في المسائل « الفقهية » والأبحاث « الكلامية » والآراء « الفلسفية » وبعضها لأسباب « سياسية » و « معيشية » .

### ج - موقف الأساتذة والآباء وموقف التلاميذ

وقد بدأ ذلك الخلاف من بعد وفاة الناصر بن الهادي ؛ فأما الآباء والأساتذة أمثال « الطبري » و « البهري » و « الهمداني » و « محفوظ الرّيدي » و « علي بن حرب » فقد أنكروا على « ورثة النظرية » تشبههم بشرعية الخلافة وهم لا يصلحون لها ولكنهم آثروا اللجوء إلى العلم والتدريس والاعتزال ، وأما تلامذتهم وأحفادهم فإلى جانب ذلك عكفوا على قراءة كتب الاعتزال التي وصلت من العراق ومنها كتب « النظام »

و « الجاحظ » و « التوحيدي » و « البلخي » و « الحاكم الجشمي » فكان لها أثرها في تطوير أفكارهم وآرائهم عن الحياة والكون والامامة والسياسة ، وتبنوا ما علموه أو استنبطوه من أفكار ، وجأهروا بها ، وبدلاً من أن تعيدهم إلى « الحظيرة » التي كان الامام أحمد بن سليمان وقاضيه جعفر يريدان إعادتهم إليها حصل العكس وانتشرت آراؤهم انتشار النار في الهشيم وكاد مذهبهم يعم اليمن لولا اللطف الالهي كما يقول « ابن أبي الرجال » ! وقد سبق القول إن مقالة « مطرف » عن فعالية العناصر الأربعة وقوانين الاحالة والاستحالة والتوالد الطبيعي ، لا تخرج عن ما قاله النظام والجاحظ وبعض المعتزلة الأوائل .

#### د - وكانت المأساة

وما جاء الامام أحمد بن سليمان إلى الحكم وانتخبه علماء الزيدية والهدوية ومنهم « المطرفية » إلا وقد انتشرت تلك الآراء والأفكار ، والناس فيها مختلفون بين مؤيد ومندد ومنها ما لا يستسيغ سماعه أو التفكير فيه « المقلد » أو « الجامد » ، أو من لا يبيحون لأنفسهم الخوض فيما لا يعينهم ، أو يسبب لهم حرجاً سياسياً من الفقهاء وذوي الجاه ، ولا سيما إذا سمع البعض منهم يقول : إن الخلافة الاسلامية تجوز في الصالح من المسلمين وليست حكراً تستبد به طائفة أو قبيلة أو أسرة ، وذلك ما يقوله بعض أئمة المعتزلة بل و « زيدية » العراق كالصالحية والبترية .

ثم كان بعد ذلك ما كان ، وحدثت مأساة « قضية المطرفية » التي قلنا في مطلع الحديث عنها أننا كنا نتمنى أن لا يتورط فيها الامام الجليل العالم الشاعر الفارس المجتهد عبد الله بن حمزة .

#### وفاة مطرف

لم يحدثنا أحد من المؤرخين الذين تسنى لنا الاطلاع على كتبهم عن تاريخ ولادة أو وفاة « مطرف الشهابي » وكنا قد استنتجنا أنه ولد حوالي عام : ٣٧٥ هـ ، وقد حدثنا المؤرخون أنه قد اعتذر عن مصاحبة الملك علي بن محمد الصليحي عندما عزم على الحج سنة ٤٥٩ هـ واستصحب معه كل الزعماء والمشايخ اليمنيين الذين يخشى أن يحدثوا شيئاً أثناء غيابه ، وقالوا إنه اعتذر بالمرض ، وإذا صحَّ استتاجنا لتاريخ ولادته فانه يكون قد جاوز

الثمانين في العام الذي عزم فيه الصليحي على الحج وقتل أثناء الطريق كما فصلنا سابقاً ؛ ورتجح أنه لم يعيش طويلاً بعد الصليحي وربما أنه توفي عام ٤٦٣ هـ والله أعلم .

### أولاد مطرف

وكان لمطرف ولدان هما علي وأحمد ويقول المؤرخون إنهما كانا من عبّاد وزهاد وعلماء الزيدية ، وأنهما كانا على رأي أبيهما في الاعتقاد ، وقالوا إن علياً بن مطرف كان مشهوراً بالفقه ومتبحراً في علم الأصول ، وإنه جادل وناظر القاضي الفقيه العالم الأصولي اسحاق بن عبد الباعث . وقد سكن « مَدْر » في أرحب وطالت إقامته بها ؛ وأما أخوه أحمد بن مطرف ويظهر أنه الأكبر سنّاً فقد صار إلى أرض بني شهاب في ناحية بلاد البستان ، وبها استشهد على يد الأمير محمد بن السلطان حاتم بن الغشم اليامي ؛ وكان قد صبّح قرية « قَرْن » غازياً ، فظفر بأهلها وقتل الكثير منهم ودمر القرية وصيّرها خراباً يباباً ، وتفرق أهلها أو من بقي منهم ما بين « بيت حنبص » و« حَدّة » ، أشار إلى كل ذلك المؤرخ يحيى بن الحسين في « المستطاب » ولكنه لم يخبرنا متى قتل أحمد بن مطرف ، ولا متى توفي علي ؛ غير أننا نعرف أن السلطان حاتم بن الغشم الهمداني قد استولى على صنعاء بعد وفاة السلطان سبأ بن أحمد الصليحي سنة ٤٩٢ هـ وأنه كان له ثلاثة أولاد هم محمد وعبد الله ومعن ، وكان محمد هذا الذي قتل أحمد بن مطرف مجنوناً شاذاً ، وهو الذي سبق أن ذكرنا أنه كان إذا تزوج امرأة وأحبها قتلها أو أحرقها ، وأن نهايته كانت الذبح بسيف أبيه حاتم بن الغشم قتله قصاصاً ، وقد توفي السلطان حاتم عام ٥٠٢ هـ ففي الامكان أن نقول : إن قتل أحمد بن مطرف كان عام ٥٠٠ هـ . . وأما علي فيظهر أنه انتقل بعد قتل أخيه من بلاد البستان إلى أرحب وسكن قرية « مدر » ؛ والعالم الكبير الذي ناظره وهو ابن عبد الباعث قد سبق أن قلنا في ترجمته أنه توفي سنة ٥٥٥ هـ ، فيمكن أن نستنتج أن وفاة علي هذا كانت في العقد الثالث أو الرابع من القرن السادس أي حوالي عام ٥٣٥ هـ .

وكل هذه الاستنتاجات تؤكد ما سبق أن قلناه واخترناه وهو أن العلامة « مطرف » الشهابي ولد حوالي عام ٣٧٥ هـ وتوفي وهو في العقد التاسع حوالي

عام ٤٦٣ هـ ، وقد عاصر وعاش الأحداث الرهيبة وشاهد أواخر سلاطين  
 اليُعفرين ، والأئمة والأمراء العيانيين ، والداعي يوسف ، وأواخر سلاطين  
 بني زياد ومواليهم ، وآل الضحاك ، ومحمد الزيدي ، والأئمة الناعطي ،  
 وأبي هاشم ، والديلمى ، ثم الملك الجبار علي بن محمد الصليحي ، وتفرج  
 على كل ما دار بينهم من صراع فكرياً وحربياً .

### إلى عدلية « المخترعة » المعاصرين

قد لا يرضى بعض أخواني وزملائي من علماء وفقهاء الزيدية والهدوية عن  
 بعض ما قلته في « المطرفية » ومبادئهم وموقف الامام عبد الله بن حمزة  
 منهم ؛ إما تأثراً بما سمعوه وقرأوه عنهم ، وما ظلّ الفقهاء والمؤرخون يكيلونه  
 لهم من صفات الغواية والضلال والشقاء والمروق بل والتعطيل والكفر خلال  
 ألف عام ؛ وإما لأنهم لا يزالون يعتقدون حقاً ما كان يعتقد علماء وفقهاء  
 « المخترعة » من انكار لتأثير القوى الكامنة التي وضعها الله في العناصر ،  
 ويجحدون الأسباب والمسببات ، ويقولون إن السم لا يमित طبعاً ؛ بل إن  
 قدرة الله سبحانه هي التي تخترع الموت أو حالته حين يُقضى على الملدوغ  
 بالموت ؛ وأن السيف البتار لا يقطع ولكن تلك الارادة أو القدرة هي التي  
 تبتز وتقطع ، وأن لا شم ولا لون ولا طعم ولا ذوق ولا حرارة ولا برودة ،  
 ولا تجمد ولا سيولة ، ولا تعفن ولا استحالة ، ولا تخلق ولا توالد يمكن أن  
 يقوم بذاته وطبعه وبواقع تركيبه ، بل بتدخل لحظوي يخترعه الله ساعة أن  
 يشم الانسان أو يطعم أو يتذوق أو يحس ببرودة أو حرارة ، وليس هنالك  
 قوانين أو قوى كامنة في العناصر الأربعة تتولد وتتخلق وتستحيل وتتأثر  
 بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة خلقها الله ، وفطر ذرات الكون عليها  
 وجبلها وجبرها بها ، ثم أحكم جلّت قدرته خلق العقل وجعل من طبعه  
 التفكير والفهم ، وركبه تركيباً بديعاً واعياً ؛ يستحق إذا أخطأ حامله من  
 البشر المؤاخذة واللوم من الخالق جل وعلا ، وأن يخاطبه بقوله ﴿ أفلا  
 تعقلون ﴾ ؟ ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ ؟ .

إنهم يضربون بذلك عرض الحائط ويعرضون عن كل ما تضحج به الدنيا  
 من اختراعات طبية وزراعية ، وصناعية وفنية ، ولهم أدلتهم وشواهدهم  
 وتأويلاتهم . ونحن بهذا العرض لا نريد أن نؤيد أولئك ولا فنند هؤلاء ،

وإذا كنا نستطيع أن نقول للأخوان الذين تأثروا بما سمعوا وقرأوا عن «المطرفية» ومن أفواه خصومهم، وفي كتب أعدائهم: أقرأوا ما قلناه ونقلناه عن «المطرفية» أنفسهم، أو من أقوال العلماء المنصفين، وتدبروه، ثم احكموا بما عنكم مَصُونِينَ أو مَحْطُئِينَ لنا.. ولا ضير، ولن يزعجنا ذلك!. ولكننا لا نستطيع أن نقول للزملاء والأساتذة من «المخترة» الذين لا يزالون يأخذون بأقوال آبائهم إلا لكم عقولكم وآراؤكم، ولنا عقولنا وآراؤنا، ولن نضللکم، ولن نرميكم بالغيوة والشقاء أو المروق والكفر كما رميتهم «المطرفية» بل ولن نشك في أنكم إنما تهدفون إلى تمجيد الله وتوحيده وتزبيحه.

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ رشفاً من البحر أو غرقاً من الدميم  
 مادام الجميع يرددون شعار الاسلام وكلمة التوحيد «لا اله إلا الله محمد رسول الله» وما دام الجميع يؤمنون بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر.  
 و«المطرفي» لم ينكر أن الله هو فاطر السموات والأرض والمحيي والمميت، وخالق العناصر والأحداث وبالمعنى الذي سبق شرحه وتفصيله.

أما من يريد أن يلومني على التطويل، أو انني أكثر القول واستطردت ذكر أشياء لا علاقة لها بالتاريخ والأدب؛ فعذري إليه أي أتحدث عن موضوع جديد وقد حملني ذلك على التطويل، وتلمس الشواهد وكثرة الاستطرادات. وليرحم الله أمير الشعراء شوقي القائل معتذراً لمن يتلمس المعرفة من البشر:

رَبِّ شَقَّتْ الْعِبَادَ أَرْمَانَ لَا كَتَبُ بِهَا يُهْتَدَى وَلَا أَنْبِيَاءُ ،  
 ذَهَبُوا فِي الْهَوَى مَذَاهِبَ شَتَى جَمَعْتَهَا الْحَقِيقَةُ الزَّهْرَاءُ ،  
 لِعَلَّاكَ الْمَذَكَّرَاتُ عَبِيدٌ خَضَعُ ، وَالْمَوْثَنَاتُ إِمَاءُ ،  
 جَمَعَ الْخَلْقَ وَالْفَضِيلَةَ سَرُّ شَفَّ عَنْهُ الْحِجَابُ فَهُوَ ضِيَاءُ  
 أَنْتَ مَا أَظْهَرَ الْوُجُودَ وَمَا أَخْفَى ، وَأَنْتَ الْإِظْهَارُ وَالْإِخْفَاءُ  
 وَيُرِيدُ الْأَلَهَ أَنْ يُكْرَمَ الْعَقْلُ .. وَأَنْ لَا تَحْقَرِ الْأَرَاءُ

وإذا كان الامام عبد الله بن حمزة قد كفر «المطرفية» فقد خطأه وخالفه من لا يقلون عنه علماً إن لم يكونوا أجل قدراً، وفي مقدمتهم الأئمة «يحيى



بن حمزة الحسيني « و » محمد بن ابراهيم الوزير « و » يحيى شرف الدين « وحسبي أن أحشر مع هؤلاء ؛ فوزاً ، وسعادة ، واطمئناناً .

## رسالة ابن النساخ

[ ٥٤٦ - ٦١٧ هـ ]

في عام ٦١١ هـ وبعد هلاك الناصر أيوب بن طغتكين بالسم ، ثم قتل غازي بن جبريل كما أسلفنا ، نهض الامام عبد الله بن حمزة إلى صنعاء فاحتلها واستقر في دار السلطنة ، وفي أثناء ذلك شن حملة الابداء على « المطرفية » وأخرب مسجدهم في هجرة « سناع » وهدم بيوتهم ومساجدهم في « وقش » وغيرها من مراكزهم في بلاد « البستان » ، ويقول المؤرخون أن أحد علماء وأدباء المطرفية وهو الفقيه العالم الحسن بن محمد بن النساخ قد كتب رسالة إلى الخليفة العباسي الناصر أحمد يحثه فيها على إرسال قوة إلى اليمن لمحاربة الامام ابن حمزة كما عمل من قبل عام ٥٦٧ هـ عندما شكوا طغيان « ابن مهدي الحميري » إلى المستضيء العباسي وكانت رسالته من أسباب خروج حملة توران شاه إلى اليمن .

ويقول المؤرخون : إن رسالة ابن النساخ الثانية كانت أيضاً من أسباب تجريد الحملة الأيوبية مع آخر سلاطين آل أيوب على اليمن الملك المسعود سنة ٦١٢ هـ وقد سبق أن أوضحنا تضعُّع الحالة بعد هلاك الناصر أيوب ولا شك أن الملك الكامل الأيوبي في مصر كان قلقاً ويدبّر وسيلة لانقاذ اليمن ، فلما وصلتته رغبة الخليفة العباسي في أن يستجيب لنداء « ابن النساخ المطرفي » صادف ذلك ما يهواه فأرسل ابنه « المسعود » وهو يومئذ حدث السن وأعانه بأتابكه « فليت » في جيش جرّار استطاع تخليص « صنعاء » من سيطرة الامام كما هو مذكور في كتب التاريخ [أئمة اليمن ص ١٤١ - وغاية الأمانى أحداث سنة ٦١٢ هـ وما بعدها] .

وقد سبق أن قلنا إن الامام عبد الله بن حمزة كان يحرّض زعماء المسلمين على « العباسيين » بل وأرسل إلى الناصر أحمد عدّة رسائل وقصائد ومنها تلك التي مطلعها :

يا أهل بغداد أن الله سائلكم عن ملة الدين إذ غيرتموا فيها

وفيهما من التنديد بل ومن الوعيد والتهديد ما يؤكد ما ورد في رسالة ابن النساخ المطرفي ولذلك فسرعان ما استجاب لتلك الاستغاثة وذلك التحريض .

ولم يحتفظ المؤرخون - أو على الأصح كتب التاريخ التي بين أيدينا - برسالة ابن النساخ كاملةً لكنها على كل حال كانت أحسن حظاً من أختها التي بعث بها يندد بأعمال « ابن مهدي » والتي لم يصلنا منها إلا بضعة أبيات سبق ذكرها ونعتقد إنه لولا ما ورد في هذه الرسالة من إشادة بفضائل الامام عبد الله بن حمزة لما احتفظ المؤرخون اليمينيون بما استحسَنوه من تلك الرسالة ؛ بل أن المؤرخ المعاصر السيد محمد بن محمد زبارة قد قال وهو يقدم لما ذكره منها بقوله : وقد ذكر فيها من مزايا الامام المنصور ما هي حقيقة بالاثبات كونها صادرة من ضد لصدّه مع بيان ما كان للامام من مكانة في قلوب اليمينيين ، وما كان عليه من الحزم والعزم والبسالة . [ص : ١٣٦ ج : ١] ولم يذكر منها إلا ما أورده المؤرخ يحيى بن الحسين في ترجمته لابن النساخ مع زيادات طفيفة وهي :

« السلام عليك أيتها المعالم المقدسة بالأكياس ، المطهرة من الأدناس ، المحلاة بأفضل لباس ، المنتخبة لخلفاء بني العباس ، المتأرج عرفها ونشرها ، والسائر مع الأمثال السائرة ذكرها ، وطن العترة الرضية ، ومغرس الشجرة المباركة النبوية :

ومغنى أمير المؤمنين وداره وفيها عماد الملك قرّ قراره  
تخيرها المنصور قدماً فحلها وأوطنها من طاب حقاً نجاره  
هي الروضة الغناء والربوة التي تخيرها قدماً ففاق خياره

عقوة العزّ والتحصين ، والحرم المحرّم الأمين ، مسقط رؤوس الخلفاء الراشدين ، والربوة ذات القرار المعين . وعند استلامك للباب الأعظم ، والمعاينة لذلك الحرم المحرّم ، تقبل مواضع القدم ، وتعرّف خدك بالسجود ، للواحد المعبود ، حين بلغك أقصى المرام ، باستهلالك بدر التمام ، ملك الاسلام ، جمال الدنيا والدين ، واسطة عقد الهاشميين أحمد الناصر للدين أمير المؤمنين .

فيكتحل الطرف المحاسنَ كلّها      ويرتاح إذ نال المنى والأمانيا  
خليفة أركى العالمين أرومةً      ومن لم يدع للعدل ضداً مناويا  
تشعشع نور الأفق من نور عدله      فيخجل في الأفق الهلال اليابانيا

وبعد ذلك تحضّه على الاستعداد لاطفاء نار تأججت باليمن ، أذكى  
وقودها قائم من بني الحسن ، تمالى أهل اليمن على نصرته ، وسارعوا إلى  
جماعته وجمعيته ، وعقدوا له الألوية والبنود ، وأطاعوا أمره كطاعة أمر  
المعبود ، وحشدوا له الرعية والجنود ، ولقد قدر علينا واستظهر ، فعند ذلك  
أصدع بما تؤمر ، وقد أعذر من أنذر :

وقبل ثرى أرض الخليفة وأسجد      وسلم سلام العارض المتردد ،  
وسائل بني عم النبي محمد      وأنشد بملاً الشدق فيهم وغرد  
أما بلغتكم دعوة المتهجد      وإيعاده فيكم يروح ويغتدي !؟

يسائل بني عمه الأخيار ، من أهل البادية والقرار ، في إعاره يوم من  
الأعمار ، لبيتك منكم الأوتار ، وينتقم منكم بالثار ، وعند استيلائه على  
الحرمين ، والتقاء أولاد البطنين ، ينهض إلى الشام والعراقين ، وعيد لا يفند  
واعده ، ومنهل لا يصد عنه وارده ، هي والله إحدى الكبر ، التي لا تبقى  
ولا تذر ، وأين منه المفر ، ولا ملجأ ولا وز :

ويجري إليكم بالمغاوير ضمراً      دلاص الدروع السابري ثيابها  
بيض مواض لا تفل غروبها ،      وسمر دقاق يطردن كعابها ،  
وزرد حديد كالشرار سهامها      وملحمة يحكي الجحيم التهابها  
ويوم ترى أيام صفين دونها      بمعترك ما إن يطير عقابها  
اللهم إلا أن تنهضوا إليه جيلاً بعد جيل ، ورعيلاً في إثر رعيلاً ، وتعدوا  
للجلاد ، السواعد الشداد ، والسيوف الحداد ، فعسى أن تحمي بحماها  
بغداد وكوفان ، وخراسان ، وتملك ما سواها من البلدان ، هيهات من ذلك  
هيهات لا إدراك لما فات ، وقد هياً لضرب الدينار والدرهم دارين ، وملاً  
بهيته وملكته قل قلب وعين :

وساعده المقدور حتى جرت له      بما يشتهي أفلاكها ونجومها  
ونادى أنا ابن المصطفى وابن عمه      عليّ ؛ أنا ترب العلى ونديمها  
أما أحمد جدّي ، وحيدر والدي      وإني للعلياء حقاً أقيمها

بكلام يستنزل العصم ، ويزلزل الشم ، أحلى من العسل ، وأمضى من البيض والأسل ، وقد بلغت دعوته جيلان وديلمان ، وطنجة واصفهان ، فماذا بعد اشتهاه بالقيام تنتظرون ، فكأنى والله بما يأمله فيكم يكون :

وتصهل في أكناف دجلة خيله  
ويصبي قضيب الملك ملكا لكفه ،  
ويدخل بغداداً فيقتل أهلها  
ويطلع فوق المنبر الأسمر الذي  
مقالة حقّ إن ونيتم رأيتموا  
ومن لم يخف من غائلات عدوه  
ومن جعل التفريط والعجز دأبه ،  
على ملك الاسلام ألف تحية

وتضرب فوق الشط منها مضاربه .  
وخاتمه في خنصر هو صاحبه ،  
ويضي بسلب الملك من هو سالبه ،  
خليفتنا للأمر والنهي راكمه ،  
بدراكم ما الكف في الطرس كاتبه !  
فرت نحره أنيابه ومخالبه ،  
وجانب رأي الحزم أعيت مطالبه ،  
إذا بلغتنا خيله وكتائبه !

### ضياح شعر ابن النساخ

هذا هو كلما نقله المؤرخون من رسالة ابن النساخ وأظن أن بعضها قد أهمل كياسة أو سياسة ، والرسالة قوية الحبك ، شيقة الأسلوب جزلة التعابير ، محكمة السبك شعراً ونثراً ، وقد أختارناظمها هذا الوزن المتدقق « الطويل » الذي يناسب رسالة سياسية خطيرة من شاعر موجع يحرض ملكاً .

ولا شك أن شاعراً له مثل هذا النفس ، قد قال وأبدع شعراً كثيراً ونثراً جماً . غير أنه قد أهمل أو أتلف ، أو ضاع ضمن ما أهمل وأتلف وضاع من آثار ومؤلفات ورسائل وأشعار « المطرفيين » ؛ وإذا كان قد كتب رسالته الأولى إلى الخليفة العباسي « المستضيء » عام ٥٦٨ هـ والتي شكها فيها طغيان وجبروت « ابن مهدي » وكانت من أسباب حملة « توران شاه » الأيوبي على اليمن سنة ٥٦٩ هـ وكان لا يزال في عنفوان شبابه ، وربما يدرس أصول الزيدية في إحدى مدارس الشيخ مطرف الشهابي في إحدى قرى بلاد البستان ؛ فهو لم ينشئ هذه الرسالة سنة ٦١١ هـ إلا وقد جاوز الستين من سني حياته ، ومن المحال أن يظل فترة أربعين عاماً لا يزال أثناءها أي نشاط علمي أو أدبي شعراً ونثراً وهو صاحب قريحة جيدة وملكة بيانية متدفقة .

ولم يحدثنا أحد ممن ذكر رسائله السياسية المثيرة والتي كانت من أسباب

زحف حملتين عسكريتين كبيرتين وفناء دول وقيام دول عن سنة ولادته ولا عام وفاته ؛ ولكنني أظن بأنه لم يكتب رسالته الأولى عام ٥٦٨ هـ إلا وقد جاوز العشرين فتكون سنة ولادته حوالي عام ٥٤٦ هـ ولا أظن إنه عاش طويلاً بعد وفاة الامام عبد الله بن حمزة وربما إنه قتل في إحدى الحروب بين طائفته وأولاد الامام عبد الله بن حمزة ، أو بين الأشراف والملك المسعود عام ٦١٧ هـ وهو في سن السبعين .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن ابن النساخ قد ذهب بنفسه إلى بغداد وخاطب الخليفة العباسي بقصيدة طويلة مطلعها :

لمشي الخلق ذي الملكوت حمدي رداء الحمد أفضل ما تُردّي

يخرسه فيها على الامام عبد الله بن حمزة ، فكتب الخليفة إلى الملك الكامل الأيوبي يحثه على حفظ اليمن وأن لا يتهاون بأمره فأرسل ولده المسعود وأتابكه جمال الدين بن فليت إلى اليمن سنة ٦١٢ هـ [الصليحيون ص : ٢٨٧] .

ويقول مؤلف « المستطاب » في ترجمته لابن النساخ بعد أن أورد بعض رسالته السابقة : « وقد قيل إن ابن النساخ اعتذر إلى المنصور بالله عما وقع منه بقصيدة أظهر فيها التوبة فقبل منه الامام اعتذاره وأجاب عليه بقصيدة رائعة وعفا عنه » [لوحه : ٤٤] وإلى أن نطلع على القصيدتين استبعد أن يكون ذلك قد كان ؛ فقد تتابعت الأحداث بسرعة ، وتوفي الامام عبد الله سنة ٦١٤ هـ ثم أن ابن النساخ لم يكتب بتلك الرسالة المثيرة بل أردفها بقصيدة تحريضية قيل إنه قد أنشدها الخليفة العباسي بنفسه في بغداد . وقد أورد المؤرخ زبارة القصيدة كاملة في كتابه أئمة اليمن وهذا نصها :

و ثوب الحمد أفضل ما تُردّي	لمشي الخلق ذي الملكوت حمدي
نظاماً ناظماً تبديد عقدي	حملت على البريد بسعد جدي
علقن له السعود بغير لد	شعاع فرنده يشفي نفوسا
وبغداد ، وكوفان بقصد	يروح إلى خراسان ومصر
فيسمع كل فلاح وجندي	ينادي في دمشق بفرد صوت
سأرسلها لخدمتها تؤدّي	قوافيها أزمتهما بكفي
لتلثم أرضها بثناء حمد	إلى حرم الخلافة منتهاها

يَحْتَكُمُ بِحِزْمٍ بَعْدَ رَشْدٍ  
شِبَاهَا تَسْتَطِيرُ بِأَرْضِ نَجْدٍ ،  
نَوَاصِي الْقَوْمِ مِنْ قَرَبٍ وَبَعْدٍ ،  
وَهَذَا ثَوْبٌ أَمْرِكُمْ تُرْدِي !  
يَبَاغِتْكُمْ بِجَدِّ أَيِّ جَدِّ ،  
أَجَشُّ ؛ مَعْقِبَا بَرَقَا بِرَعْدٍ  
وَبَاخِرِي ، وَوَقَعَةُ يَوْمٍ مَهْدِي ؛  
وَعَبْدُ اللَّهِ إِيْنُ أَبِي وَجْدِي ؟  
مَعَاذَ اللَّهِ لَوْ أَفْرَدْتَ وَحْدِي ؟ !  
يَثِيرُ عَلَيْكُمْ مَكْنُونُ حَقْدِي ،  
بَأَنَّ الْمَرْءَ هَمَّتْهُ التَّعَدِّي ؛  
مُعِيدًا لِلنُّضَالِ لَكُمْ وَمُيَدِي  
وَلَكِنْ لَا تَمْلَأْهَا بِخَلْدٍ  
بَعِيدِ صَيْتِهِ يَعْطِي وَيَجْدِي ؛  
يَفْضُ بِهِ صَلَابَةَ كُلِّ صَلْدٍ  
تَزُورُكُمْ مَكْفَرَةٌ بِسَرْدٍ ،  
وَمَذْجَجٌ ؛ أَسَدُ حَرْبٍ أَيُّ أَسَدٍ !  
وَعَنْسٌ ، وَالْأَلْيُ مِنْ آلِ سَعْدٍ ،  
وَجَنْبٌ ، وَالسُّكُوكُ ، وَحِي نَهْدٍ ،  
يُحَاكِي بِأَسْهَمٍ « عَمْرُو بْنُ مَعْدِي »  
وَوُدُّوهُ ، وَقَدْ جَاءُوا بِأَدٍ  
بِأَرْمَاحٍ مَثْقَفَةٍ وَجَرْدٍ !  
وَتَطْفِي نُورَكُمْ مِنْ غَيْرِ بَدٍّ !  
إِذَا مَا قَادَ جُنْدًا بَعْدَ جُنْدٍ  
يَصَارِفُكُمْ بِهِ نَقْدًا بِنَقْدٍ ،  
وَلَا عَهْدًا لَهَا أَبَدًا بِفَرْدٍ  
نَوَاصِيهَا عَلَيْهَا كُلِّ صَلْدٍ ،  
يَقُودُهُمْ شَرِيفٌ مِنْ مَعْدٍ  
وَلَمْ تَجْرُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ نَهْدٍ  
وَمَا لَيْتَ مَعَ التَّفْرِيطِ تَجْدِي !  
لَأَنْكُمْ أَوْلُو رَشْدٍ وَمَجْدٍ .

تُخَصِّكُمْ رِسَالَةَ ذِي وَدَادٍ  
سَأَنْتَزِعُ الْقَوَافِي مِنْ فَوَادِي  
لَهَا غَرْبٌ شِبَاهُ يَشِيبُ مِنْهَا  
نِيَامٌ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَنْتُمْ  
أَرَاكُمْ غَافِلِينَ ؛ وَسَوْفَ عَنْهَا  
وَيُرْمِيكُمْ بِبَغْدَادٍ بِجَيْشٍ  
يُنَادِي : يَا لِنِثَارَاتِ بِنْفَخٍ  
وَيَدْعُو : أَيْنَ أَدْرِيسٍ وَيُحْيِي  
أَأَنْسَى قَتْلَكُمْ لَهْمُو جَمِيعًا  
بِأَحْشَائِي عَلَيْكُمْ نَارٌ وَجِدٍ  
عَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَكُمْ ، وَنَبْدِي  
إِمَامَ هَاشِمِيٍّ فَاطِمِي  
أَشَارَ إِلَى الْخِلَافَةِ فَاتْتَضَاهَا  
وَسِيَاءَ الْمَلُوكِ عَلَيْهِ بَادٍ ،  
فَصِيحٌ ؛ لَفْظُهُ عَذْبُ فِرَاتٍ ،  
يَقُودُ قِبَائِلَ الْيَمَنِ اللَّوَاتِي  
بِكَنْدَةِ وَالذَّرَى هَمْدَانَ يَأْتِي  
وَحَيِّي حَاشِدٍ وَبَكِيلٍ مِنْهُمْ ،  
وَسَنْحَانَ وَخَوْلَانَ ، وَنَهْمٌ ،  
وَقَوْمٌ مِنْ بَنِي الْمَلَطُومِ شُوسٍ  
قِبَائِلٌ ؛ دَعْوَةُ الدَّاعِي أَجَابُوا  
كِتَابَهُ إِلَيْكُمْ دَالِفَاتٍ  
تَشْعِشَعُ ضَوْءُ نُورِ بَنِي عَلِيٍّ  
وَيَتْرَكُكُمْ لَهُ خَوْلًا عَبِيدًا  
وَيَنْقِمُ مِنْكُمْ بِالنَّارِ قَدَمًا ،  
وَعِظْنِي أَنْ دَارَكُمْ سَتَضْحِي  
إِذَا لَمْ تَهْضُوا بِالْخَيْلِ شَعْنَا  
مِنَ الْأَتْرَاكِ أَهْلَ الْبَاسِ حَقًّا  
إِذَا أَبْطَأْتُمْ إِبْطَاءَ فَنْدٍ  
أَصَبْتُمْ قَوْلَ لَيْتٍ يَجْرُ ضَيْمًا ،  
لَكُمْ أَرْتِ الْخِلَافَةَ مِنْ أَبِيكُمْ

ولا ندري من أي مصدر استقى الدكتور حسين الهمداني قوله إن ابن النساخ قد ذهب بنفسه إلى بغداد وقرأ أو أنشد قصيدته هذه على الناصر وفحواها يوحي بأن منشئها قد بعثها في البريد ، وفيها من التبكيت والتهديد ما لا يُقال إنشاداً ، وما لا يستسيغ الخليفة سماعه من شاعر في مجلس حكمه وبين ملاءٍ من حشمه وخدمه وكتابه ووزرائه .

### طبقات مسلم اللحجي

وقد سبق القول إن لابن النساخ قصيدة رائية أجاب بها على قصيدة للامام عبد الله بن حمزة يدافع بها عن مذهبه ، وينكر تهم الجحود والكفر التي كالمها لهم الامام وليست في متناول اليد الآن ، وابن النساخ حري بالدراسة والتنقيب عن آثاره شعراً ونثراً ، وننوي تأليف كتاب مستقل عن المطرفية وأعلامها من فلاسفة وفقهاء وعلماء وأدباء وشعراء بل وزهاداً وعباداً ، ولن يتسنى لنا ذلك إلا بعد العثور على « طبقات مسلم اللحجي » بأجزائها الأربعة التي سبق وصفها بلسان المؤرخ يحيى بن الحسين ، وقد اعتنى فيه بذكر أصحابه وأساتذته من رجال المطرفية منذ وفاة الهادي سنة ٢٩٨ هـ إلى منتصف القرن السادس الهجري ، وجعلهم خمس طبقات : الأولى : أولاد الهادي ومن عاصرهم ، وذكر الحروب بين الناصر والقرامطة .

والثانية : في ذكر المختار بن الناصر وأولاده وبني الضحاك وأحمد بن موسى الطبري .

والثالثة : من أخذ عن الطبري مثل مطرف بن شهاب وابن أبي الفوارس ، والامام القاسم العياني وسائر العلماء ممن أخذ عن أهل الطبقة الثانية وذكر المسائل التي اختلف فيها وعليها علماء وفقهاء الزيدية . والرابعة : من أخذ عن مطرف بن شهاب مثل نهد بن الصباح وابن صعتر وغيرهم .

والخامسة : في من عاصرهم مسلم من علماء المطرفية .

وهو بذلك قد غطى مائتين وأربعين عاماً ؛ ولن نطمع أن نجد شيئاً من آثار ابن النساخ الذي قلنا إنه ولد حوالي سنة ٥٤٦ هـ أي قبل وفاة المؤرخ مسلم اللحجي بعام واحد وسنفتش عن آثاره في طوايا المخطوطات إن شاء الله .

## رأي الامام الهادي في الأصول الثلاثة :

يُدعى « المظرفية » انهم استمدوا آراءهم ومعتقداتهم في المسائل « الأصولية » من الامام الهادي ؛ ونصادف ذلك ونجده صريحاً في أقوال « مظرف » و « عليان » و « مسلم اللحجي » المنشورة خلال التراجم لعلماء وفقهاء أتباع هذه الفرقة الزيدية ؛ بل ونجد البعض منهم يصرح انهم ما تنكروا للامام عبد الله بن حمزة وعارضوه الا لمخالفته بعض أحكام الهادي ، وكذلك صنعوا مع الامام القاسم العياني ؛ فما نصيب هذه الدعوى من الصحة ؟

في ترجمة السيد يحيى بن الحسين للعلامة « الهرثمي » تلميذ الامام المرتضى محمد بن الامام الهادي ما يسند هذه الدعوى ويؤيدها فهو يقول : « هو محمد بن سليمان الهرثمي نسبة إلى الهراثم من « وادعة » ، وكان من عباد الله الصالحين ، وأهل ولايته ، ومن عليه سيماء الخير ، وكان يحيى القول بالعدل والتوحيد ومن أهل الطبقة الأولى لأنه سمع عن المرتضى محمد بن يحيى ، وبقي في يده ويد ورثته « الهراثم » ما يدل على صحة ما كان يذهب إليه « مظرف » بن شهاب من إتباعه للهادي ، وكان له كتاب قديم بخط حسن فيه أصول المسألة عن العالم ، والفروق بين الأشياء والحقائق صريح في المذهب . واعترض مؤلف المستطاب هنا على هذا القول الذي لم يسنده إلى كتاب معين وقال : « يعني مذهب المظرفية ؛ والمراد مطابقة شيء منه لهم ، وإن كانت الأصول التي أخذتها المظرفية من أقوال الهادي بعيدة فيما يستدلون به على الإحالة والاستحالة ، لأن أقوال الهادي مجملة لا تصريح فيها بما يذهب إليه القوم ، وإنما أحدث هذا الرأي مظرف بن شهاب بفكرته ونظره ، وتوهم إنه يوافق أصول الهادي وهي موافقة بعيدة والله أعلم » . ولم يكتف بهذا الاعتراض بل عاد وأيد دعوى القوم بما نقله عن العنسي فقال : « وقال القاضي عبد الله بن زيد العنسي : إن مما احتجوا به من أقوال الهادي قوله في « المسترشد » في باب « القدوس » : « إن الله تعالى جبل الأشياء وجبرها على ما يشاء من تصوير خلقها وتركيب أجسامها » ، ثم قال أيضاً في كتابه « المسترشد » ما لفظه : « إن الفروع لا يقاس عليها الأصول ؛ فالأشياء في قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ الآية : « إنما هي مخلوقات تنتقل من خلق إلى خلق في



الحالات ! حتى قال الهادي في كتابه المسترشد من مجموعه ما لفظه : « ولو إنكم أنصفتهم عقولكم ، وتركتهم المكابرة عنكم ، ثم رددتم متشابه الأمور إلى محكمها ، وما يشد من فروعها إلى أصلها ، ثم نظرتم إلى النطفة مم هي ومم كانت ، حتى تنتهوا إلى ما منه ابتدئت وبأنت ، لوجدتم أصل ذلك إن شاء الله من الطين ، وأصل الطين من الماء بأيقن اليقين ، وكذلك فأصل خلق الشياطين من مارج من نار ، فاذا رجعتم إلى الأصول الثلاثة المفطورة المبتدعة ، من الريح الجارية المسخرة وما خلق من الماء وفطر فوقه من عجيب الهواء ثم خلق من هذه الثلاثة الأشياء جميع ما ذراً وبرأ » . انتهى بلفظة ، ثم فرعوا على هذا النص للهادي فروعهم الكثيرة ، وعزوها إلى الهادي أخذاً من هذا الأصل ، وجعلوا الخلق لأصل الثلاثة الأشياء من الله حقيقة ، وفروع ذلك من التنقل من الحالات خلق من الله مجازاً ؛ والحقيقة بما جبرها وطبعها عليه ؛ هذا محصول عقيدتهم ، وكلام الهادي يحتمل غير ما حملوه عليه من القول الفاسد ؛ فانه أراد بأن أصل المخلوقات وفروعها الكل حقيقة من خلق الله تعالى والعلم عند الله ؛ وبدليل نصح في جواب محمد بن الحسن بن الحنفية في آخره قال ما لفظه : قوله تعالى : ﴿ تَوْتِي أكلها كُلَّ حين بأمر ربها ﴾ . قال : « نسب إلى الشجرة إتيان أكلها وهو الخالق لها ولثمرها انتهى » . وقالت المطرفية خلقها بما جبرها عليه وجبلها لا بمعنى اخترعها وقال أهل الحق بل بمعنى اخترعها » [المستطاب لوحة رقم ١٠٥ - ١٠٦] .

وقد راجعتُ كتاب « المسترشد » في مجموع الهادي ، ولدي منه نسخة كتبت عام ١٠٥٠ هـ فوجدت أن ما نقله عنه العنسي صحيحاً ، وفي الكتاب من التفريق بين الأصول والفروع وان الفروع ترد إلى الأصول ولا تقاس عليها وأن المخلوقات « تنتقل من خلق إلى خلق » ، وقوله أن الأصول الثلاثة المفطورة التي هي عنده الماء والنار والهواء ، قد خلق الله منها جميع ما برأ وذراً ، وأن هذه « الثلاثة الأشياء خلقت وابتدعت من غير ما أصل مبتدأ » ، واستعماله لكلمات جَبَل وجبر ، وقد جعل « المطرفية » من ذلك أصلاً لمذهبيهم في الاحالة والاستحالة ، ولا ندرى ماذا في الكتاب القديم الذي كان بيد « الهرثمي » وتناقله عنه ورثته ؛ والذي قال يحيى بن الحسين ان فيه ما يدل على صحة ما كان يذهب إليه مطرف من اتباعه للهادي ، وفيه أصول المسألة عن العالم ، والفروق بين الأشياء والحقائق مما يطابق مذهب المطرفية .

والامام الهادي قد جعل العناصر ثلاثة ، لأن أصل الطين عنده من الماء . وقد أورد الهادي كل ذلك وهو يتحدث عن الارادة ومعانيها وتفسيرها . في كتابه « المسترشد » .

هل من عذر شرعي أو مبرر سياسي للامام ابن حمزة ؟  
و حين نحاول أن نلتمس عذراً ، أو نفتش عن مبرر شرعي أو سياسي ، لما أقدم عليه الامام عبد الله بن حمزة - وهو هو علماً وخلقاً وديناً - من فتح باب الحرب على المطرفية مع انهم من طائفته الزيدية اليمينية ، وفي الوقت الذي لا تزال جيوش الدولة الأيوبية من الغز والتركمان تحتل معظم أنحاء اليمن ، وهناك أيضاً معارضون من السلاطين وأتباع المذهبين « الباطني » و « الأباضي » ، ولماذا خصهم بتلك الضربة القاصمة ؟ حين نحاول التماس هذا العذر أو المبرر إنصافاً لتاريخ الامام الكبير بعد أن فشلنا في أن نجعل من مذهبهم العقائدي عذراً أو مبرراً ، وأعلننا أن تكفيرهم لهم لأنهم يقولون بالاحالة والاستحالة لا يُعد مبرراً شرعياً ، وليس في نظرنا فقط بل وفي نظر الكثير من العلماء والأئمة . . لا يستطيع أن يجد من يلتمس ذلك ويبحث عنه إلا إذا دُلل على أمرين :

الأول ؛ إنه قد حاول إقناع المطرفية بالحجج ، ودعاهم إلى المناظرة فأبوا وماطلوا ونكصوا مرارا ، والثاني أنهم أعلنوا العصيان عليه مع المحتسب « المشرقي » من آل الفضل ؛ فاضطر إلى تحكيم السيف لأنهم قد أصبحوا في نظره من الخوارج و « البغاة » .

وإذا استطاع المؤرخ ان يثبت ذلك ويدلل عليه فلن يبقى أمامه إلا موضوع تتبع مدبرهم ، وسبى ذرارهم ونسائهم ؛ ولعل الامام عبد الله بن حمزة كان متشددا مغالياً في نظرتة نحو من يسميهم « مجبرة » أو « مشبهة » أو نحو ذلك وقد روي إنه قال : « ليس هنالك من فرق بين أعمالنا وأعمال الظلمة إلا بالنية » ! والله وحده هو العالم بالنيات .

وبالنسبة إلى الأمر الأول وهو هل حاول الامام ردهم عن معتقداتهم بالحوار العلمي ، وحجج المناظرة ، قد نجد شيئاً من ذلك فيما ذكره مؤلف « المستطاب » وهو يترجم للفقيه العلامة على بن يحيى البحيري قال : « من

علماء الهدوية الكبار وهو ولد يحيى المقدم ذكره [كان عالماً شاعراً هاجر إلى مصر وبينه وبين نشوان مراسلات وتوفى سنة ٥٧٧هـ] عاصر الامام المنصور بالله [عبد الله بن حمزة] وله معه قضايا كبار لميل الفقيه المذكور إلى مذهب أبيه وأهله ، وهو مذهب المطرفية ، ووقع بينه وبين الامام المنصور مناظرات وامتحان في مذهبهم ، وله كتاب إلى المنصور بالله بسبب رجل منهم وصل إلى الامام وهو إذ ذاك بذي مَرَمَر يقال له عمار بن ناصر الشهابي ، وقد حضر مجالس المدرسة المنصورية هنالك ، وجرى كلام في المذاهب وانتهى حديثهم إلى ذكر الآلام ، وذكروا على الجملة ان فرقة المطرفية خالفت فرق الاسلام في نسبة الأفعال إلى الله تعالى ، ونسبة أفعاله إلى العباد ، وطال الكلام في ذلك وغيره من مسائل الخلاف فانصرف الرجل المذكور وقد امتلأ غيظاً وراح هجرة « وقش » فبث شكواه إلى الفقيه علي بن يحيى البحيري ، وذكر انه دخل على الامام فلم يحفل به ، ولا التفت إليه ، ولا سأله عن الحال ، ثم حكى ما يجري من السب في « المدرسة المنصورية » لمذهب « المطرفية » .

وقال ان البحيري كتب إلى الامام رسالة يُعرض فيه بما حصل لذلك الرجل ، ويعتب على ما جرى من السب والايذاء وما قوبل به من الاستخفاف والبداء ، وجعل في صدر رسالته أبياتاً قال فيها :

مقام أمير المؤمنين ابن حمزة	أجل وأعلا أن يحيط به وصفي
رفعت إليك الطرف فارتد خاسئاً	ولا غرو ان يرتد من خجلٍ طرفي
وأيقنت ان الصيد ما ضمه الفرا	فقلت لكفي عن كتابته كفي
على اني في القرب والبعد عنده ؛	موالاته حصني المتيع ، ولا أخفي

وقال بعد السلام « وأما المملوك فما تأخر عن الواجب عليه ، وأحبّ الأشياء إليه ، إلا بحال أثقلت فقاره ، وأوجبت ازوراره ، فمن عسى أن يبدله الله خيراً منه زكاة وأقرب رحماً » ؛ فهو ممن انفق من قبل الفتح وقاتل ، ثم لم يتعرب بعد الهجرة ، ولا نافق بعد النصرة ، ولا كان « كحاطب » يوم القى بالمودة ، ولا « كتميم » يوم نادوا من وراء الحجرات ، بل أقام على مكانته ، وأخلص من مودته ، ولكن ما أوجب بعباده ، إلا ما قال مولانا سلام الله عليه ولا أعاده ، ! وانما هو ممن قرب من الأحزاب واستأثر بالفيء ولم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، وفقراء الهجرة ، ومساكين الصفه ، « تفيض أعينهم من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون » ، والسابقون الأولون

منا ومن أهل النصره « مُرَجُونٌ لِأَمْرِ اللَّهِ » ، ولعل العواطف الأمامية ، والآراء الموفقة المنصورية ، ان تؤنس المملوك بكف تلك الأذية والخيار إليه ، سلام الله عليه ، من قبل « ان تزيغ قلوب فريق منا » ، فالانسان « خلق هلوعا » ، وقد كنا في أول الأمر والناس رحماء بينهم لا نسمع إلا سلاماً سلاماً ، وكل شيء على منتهى أمله من سكون الدهماء وحسن الحال وتمام النعمى ، والدعاء لأمير المؤمنين بطول البقاء لما ساق الله إلى الجميع بسببه ، وأجراه من الصلاح على لسانه ويده ، بالرفق الذي لا ضعف معه ، والشدة التي لا يشوبها عنف ، وعلو الهمة ، وقلة الغفلة ، واحكام السياسة ، وصواب التدبير ، فأبعد الناس عندك القريب ، وأقربهم منك في حق الله كالغريب ؛ فما أحد يعدو قدره ولا يتجاوز حده ، ولا يتكلم إلا فيما يعنيه « إلى آخر كتابه .

والرسالة بأسلوبها البديع تذكرنا بأسلوب الكاتب المترسل بشر البلوي الذي استشهدنا ببعض رسائله في السفر الأول والتي كان يبدجها بالآيات القرآنية بطريقة تفرّد بها بين أدباء عصره في مطلع العهد العباسي ، وبأيت السيد يحيى أورد الرسالة كاملة ، ولا شك ان لعل بن يحيى البحيري هذا أثار أدبية أخرى شعراً ، ونثراً ، كما ان لوالده كذلك وقد كان علماً وأدباً ولغة وشعراً ونثراً ، من نظراء نشوان بن سعيد الحميري إلا إنه من فرقة « المطرفية » الذين أتلّف معظم آثارهم .

ولعل هذه الرسالة من مقدمات نشوب الصراع . . بين الامام ابن حمزة وأتباع « مطرف الشهابي » ، ولعله قد بدأ جدلاً ومنازعة بين فقهاء المدرستين « المنصورية » الحمزية ، و« المطرفية » الهدوية . وفي الرسالة ما يشير إلى ان « المطرفيين » كانوا من أنصار عبد الله بن حمزة وانهم قد قاتلوا معه ، وضحوا بأنفسهم وأمواهم ، وفيها عتب مرير على الامام بأنه قد أبعدهم ، وهم المهاجرون والأنصار الأولون ، وقرب وأثر من لم يوجفوا معه على العدو بخيل ولا ركاب ، ثم ها هو لا يطلب من الامام إلا إيناسه بكف الأذية ، من قبل أن تزيغ قلوب فريق من أصحابه ، ويحبب إليه الاعتدال ، واحكام السياسة ، ويقول السيد يحيى إن الامام قد أجاب عليه برسالة ذكر إنه صدرها بأبيات منها

هلموا إلى داع دعاكم إلى الهدى بصير يحطّ اللّج ميمنة القف !  
فما يستوى المستبصرون بدينهم وقوم حيارى يعبدون على حرف

وكان الامام في كتابه قد طلب من « البحيري » الوصول إليه ، لأن المؤرخ يحيى قد قال : « وأتى جواب الفقيه يعتذر فيه ويذكر ان الشيعة [كأنه يعني أصحابه] لم يساعده على الوصول ، فكتب إليه الامام كتاباً طويلاً بالتحريض على الوصول إليه ؛ فأهملوا الكتاب ، ولم يجيبوا عليه بشيء » .

ولو ان السيد يحيى قد أورد نصوص تلك المراسلة لعرفنا المزيد من طبيعة المشكلة وأسرار « قضية » المطرفية ، وإبادة الامام لهم ، ويظهر من قول المؤرخ « فأهملوا الكتاب ولم يجيبوا عليه بشيء » إن « البحيري » لم يعد هو وحده الذي يرأس الامام بل قد تعصب معه قومه وأصحابه وهنا المدخل لاثبات ان الامام قد حاول اقناعهم بالحجج والمناظرة ، ولكن يظهر أن تسامي الامام بالفخر ، وإنه وحده المستبصر بدينه وهؤلاء ممن « يعبدون الله على حرف » قد نفّر البحيري وأصحابه من الاستجابة لدعوة الامام والذهاب إليه ، ويعلل ذلك مؤلف المستطاب فيقول :

« وزادهم نفوراً ما ظهر في مجالس الامام من تقرير العقائد الموجبة لكفرهم ، ويقوا على ذلك مدة ، وشاعت مذاهبهم في جهات بني شهاب ووقش وقاعه ، وغير هذه البلاد ، ثم ان الامام رأى جهادهم وإزالة هذه العقائد الباطلة ، فنهض إلى « مُدع » وخطب خطبة في الناس ، وأعلن بردتهم وكفرهم ، ليعرف القبائل وأهالي تلك الجهات بطلان معتقدتهم » .

هل تراخي « المطرفية » عن المناظرة ؟

ويواصل السيد يحيى نقلاً عن سيرة الامام فيقول : « فلما انصرف الناس عن ذلك الموقف ، تقدم من كبار أهل « مُدع » ومشايخهم جماعة إلى هجرة « قاعة » ، فعرفوا أهلها ما جرى من الكلام ، وأنه لم يبق لأحدٍ خروج عن طاعة الامام ، وسألوهم الحضور للمناظرة ، وكان شيخهم « الفصيلي » قد هرب إلى « مسور » لما علم باقبال الامام إلى البلاد الحميرية ، وبقي أبووهان ، والحملائي ، وعلي بن يحيى البحيري ، وهؤلاء كبارهم ، والمعدودون في أهل العلم منهم فأتوا للمناظرة ، وبعثوا جماعة ممن هو حال معهم من أهل « مُدع » ومن لا يخشون عليه بزعمهم سطوة الأمام ،

وأمرهم بالمدافعة عنهم ، فلما حضروا عقد لهم الامام مجلساً حضره مشايخ البلاد وكبار حمير وكثير من العسكر وقبائل العرب ، وانتظروا من الواصلين الجواب عما أمرهم بالأمس فتراخوا ؛ فشرح لهم الامام شرحاً طويلاً ، وعرف الناس بأمرهم ، ودعاهم إلى المناظرة في حصن « مسور » أو « ثلا » أو « ذي مرمر » ، فلما وصل إليهم طلبوا المعاذير والعلل ، وسألوه تسيير رجل عالم من جهته معهم إلى أهل هجرة قاعة ، لدخولهم في الاسلام ، وخروجهم من مذهب المطرفية ، فأجابهم إلى ما سألوه وجعل لهم أجلاً ثلاثة أيام وكتب لهم مشروحاً - « وثيقة » - أشهد فيها عليهم من حضر ، وشرط فيه إباحة دمائهم وأموالهم بعد انقضاء هذا الاجل ، إن أبوا الدخول في الاسلام ! وبعث إليهم القاضي الفاضل شرف الدين إبراهيم بن أحمد بن الأسد القهمي في جماعة من الاشراف ، وطائفة من المسلمين قدر خمسين رجلاً ؛ فلما حضروا إلى مسجد « قاعة » وحضر أهلها وعلماؤها أجمعوا مع القاضي في مسائل الخلاف كلها التي كان يعرفها وينظرونه عليها سوى مسألة واحدة وهي قولهم : إن فعل العبد لا يعدوه ولا يوجد في غيره [هكذا ؟] ثم لما استقر ذلك ودخل الامام « قاعة » وأقام في التدريس الفقيه محمد بن أحمد المحلي بهجرة قاعة ، يدرس أصول العدل والتوحيد ، ولم يبق لأهلها تصرف ، وكان لهم شيخ أعمى يطوف في البلاد ويغرس عقائدهم ويعلم النساء والصبيان فأمر الامام جماعة فجاءوا به إليه ، فضرب عنقه ؛ فلما وقع هذا الحادث جاء كتاب أهل وقش من سائر المطرفية يذكرون فيه ان اعتقادهم هو نفس اعتقاد أهل الحق ، واعتقاد العدلية المخترعة لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ، بل هو إلى التصريح بالحق أميل ، وقالوا هذا اعتقادنا فمن نسب إلينا غيره ، أو روى عنا خلافه فالث الله ينصفنا منه ، هكذا ذكر مؤلف سيرة المنصور بالله عبد الله ابن حمزة والله أعلم « المستطاب لوحه : ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ ] - .

هذا هو كل ما وجدته الآن عن الأمر الأول ، وهو اثبات ان الامام عبد الله قد حاول اقناع المطرفية بالحوار والمناظرة والحجاج لأجد له عذراً يبرر التجائه إلى العنف ان نكصوا عن المناظرة وهو حسب رواية مؤرخ سيرة الامام ، وليس فيما رواه بيان متى كان ذلك التراسل ، وهل قبل وفاة « ابن العفيف » أم بعد وفاته سنة ٦٠٠ هـ ؟ وهل قبل قيام السيد محمد بن منصور

الملقب بالمشرقي مع المطرفية أهل وقش وإنكاره ما وقع من الامام من تكفيرهم عام ٦١٠هـ أم بعد ذلك ؟ وقد سبق أن أشرنا إلى تلك الأحداث ؛ فهل يستطيع الناقد الحريص على تلمس أي مبرر شرعي أن يفهم مما سرده مؤلف سيرة المنصور بالله إنه قد حاول اقتناع المطرفية بالحجج ودعاهم إلى المناظرة فتراخوا ، ؟ أم أنه فقط طلب منهم الاعتراف بأنهم قد كفروا وخرجوا من الاسلام وانهم يريدون الدخول في دين الاسلام من جديد ؟

سؤال مطروح على الزملاء والأخوان من علماء وفقهاء الزيدية . ومن يعلم عن تلك القضية غير ما سردنا فعلية الادلاء به إنصافا لتاريخ إمام كبير .

هل أبادهم بعد البغي والخروج عليه ؟

أما بالنسبة إلى الأمر الثاني ؛ وهل أن الامام ما فتح الحرب عليهم ، وأباح دمائهم وأموالهم وسبى ذراريهم ، إلا بعد أن خرجوا عليه مع « المشرقي » سنة ٦١٠هـ واعتبرهم بغاة مارقين أم قبل ذلك ؟

فالظاهر انه من السهل معرفة ما حصل إذا عاد من يريد إيجاد عذر للامام أو تبرير موقفه إلى سلسلة أحداث الخلاف بين المطرفية والامام ، ونحن نعلم أنه قد تطور وظهر حسب رواية المؤرخين في مظاهر شتى ، سبق لنا الحديث عن بعضها ؛ ومن ذلك ما حكاه المؤرخ يحيى بن الحسين عن أحداث عام ٥٩٩هـ أن الفقيه العالم علي بن يحيى البحيري قد وصل إلى الامام عبد الله بن حمزة بخطاب من العفيف السيد محمد بن المفضل الوزير يحدرونه من عقد هدنة أو إبرام صلح مع الحاكم الأيوبي وردسار ويحرضونه على حرب الغز ويخبرونه أن أهل جهتهم وهم من المطرفية قد اجتمعوا لقتالهم . وكذلك وصل جماعة من أهل صنعاء بمثل ما وصل به البحيري [ غاية الاماني ج - ١ - ص : ٢٧٢ ] .

ويحدثنا مؤلف غاية الاماني أيضاً عن أحداث سنة ٦٠٣هـ بعد وفاة السيد العفيف فيقول : وفي هذه السنة « وقعت المراسلة فيما بين الامام والمطرفية أهل قاعه ووقش وسناع ؛ فتوعدهم الامام ، وحكم بتكفيرهم ، وجواز تشييتهم ، واستباحة أموالهم ، إن لم يتركوا مذهبهم الخبيث ، فتركوه خيفةً ، ورجع إليه من رجع ، وفي ذلك يقول الامام عليه السلام من أبيات :

لست « ابن حمزة » إن تركت جماعةً يتجمعون « بقاعة » للمنكر ،  
فلأوردن البيض في أعناقهم وسنايك الخيل الجياد الضمر

والظاهر ان هذه الرسالة هي تلك التي سبق الحديث عنها . والتي انتهت  
بدخول الامام « قاعة » وضرب عنق « الأعمى المطرفي » . وتظاهر من  
تظاهر من المطرفية بأن اعتقادهم هو نفس اعتقاد « العدلية المخترعة » .

ثم كان في سنة ٦١٠ هـ خروج المشرقي إنكاراً على تكفير « المطرفية »  
وسار إلى « مدع » و « مسور » ، وحارب أهل « عزان » و « المصنعة » ،  
ونشبت المعركة في « بني الفليحي » غربي مدع ، والقتل والسبي من قبل  
الأمير يحيى بن حمزة أخي الامام كما ذكرنا سابقاً وانظر غاية الأمانى  
[ ص : ٣٩٧ - ٣٩٨ - ج - ١ - وأئمة اليمن ج : ١ - ص ١٣٤ ] .

ومحدثنا زبارة عن أحداث عام ٦١١ هـ فيقول : بعد رجوع الامام بهذا  
العام من ذمار إلى صنعاء أمر بفتح الحرب على من في حصن براش من الغز  
وإخراجه مسجد المطرفية بهجرة « سناع » ، وإخراجه هجرة « وقش » ودورها  
ومساجدها ، فاخرت وحملت أخشابهها إلى « قاهرة » الامام ، وذهب أهلها  
كل مذهب وكتب ابن النساخ المطرفي رسالته الأنفة الذكر . [أئمة  
ج ١ - ١٣٦] .

ومن الملاحظ ان أحداً لم يذكر أن زعيماً من زعماء « المطرفية » ، أو شيخاً  
من مشايخهم أو قبيلة من قبائلهم ، قد انضم إلى الأيوبيين ، أو الغز ضد  
الامام « ابن حمزة » أو سلفه « ابن سليمان » ، وانهم كانوا عماد جيش  
المحتسب الزيدي العفيف محمد بن المفضل قبل دعوة « ابن حمزة » ، ثم  
كانوا من أقوى واخلص أنصاره حين دعا لنفسه ، وقد أشار إلى ذلك الفقيه  
على البحيري في رسالته التي عاتب بها « ابن حمزة » وسبق ذكرها .

وإذن ؛ ومن هذه الأحداث والتسلسل التاريخي الذي يصور علاقة  
المطرفية بالامام عبد الله نستنتج انهم قد اختاروه أولاً إماماً زيدياً ، منقداً  
ثم عارضوا بعض آرائه واجتهاداته الفقهية والاصولية وقالوا إنه قد خالف  
احكام الهادي ، ثانياً ؛ ثم عارضوا سياسته إزاء الغز وأرادوا منه ان لا يعقد  
معهم هدنة ، ولا يوقع معاهدة صلح ؛ وربما انهم لم يكونوا مطمئنين إلى



قبوله هداياهم ، ولا راضين عن ذلك الاكرام الذي كان يغمر به من ينضم إليه من قوادهم ثالثاً ، وأما رابعاً وبعد ان ضاق بهم ذرعاً ومات وزيره العفيف الذي كان يحميهم ويدافع عنهم ، أعلن تكفيره لهم وجواز تشييتهم واستباحة أموالهم فثاروا مع « المشرقي » عام ٦١٠ هـ وتحول الصراع الفكري إلى حرب ضروس دامية ، وأخيراً وبعد عودته من « دمار » إلى « صنعاء » سنة ٦١١ هـ مال عليهم ميلته الشديدة وأباد خضراءهم .

وإذن فقد كانت هناك مناظرات ومحاولات للتفاهم ، وقد سبب هؤلاء المواطنين « المتطرفون » للامام الحاكم إحراجات فقهية وعلمية وسياسية ، ولم يحكم عليهم بالفناء والأبادة والسبي ، إلا بعد أن عارضوه وخرجوا عليه ؛ ولكنهم لم يخرجوا عليه إلا بعد أن كفرهم ، وأباح دماءهم وأموالهم وقتل الأعمى عالمهم ، ولم يوافق على ذلك علماء كبار من أعلام الزيدية منهم السيد العفيف وابن أخيه المشرقي .

فما هو رأي علماء وفقهاء الزيدية المعاصرون ؟  
هل كان للامام عذر شرعي في موقفه من « المطرفية » ؟

### المتعنتون والموسوسون

وقبل أن انتقل بالقارئ إلى « الأرجوزة المرعبة » لا بد أن أقول كلمة انصاف لا أريد منها ولا بها أن أدافع عن موقف الامام عبد الله بن حمزة من المطرفية ، كما اني لم أقصد بها سبق ادانته ، فلست بمفتي ، ولا الحكم الذي تُرضى حكومته ، وإنما أنا مؤرخ أدب .

وإنصافاً للامام وتاريخه فأنا لا أستطيع أن أعذر المتأخرين من فقهاء المطرفية المعاصرين للامام « ابن حمزة » في أواخر القرن السادس ، وبداية السابع الهجري ، فقد « تطرف » بعضهم فعلاً ، وغالى في مسألة « الاحالة والإستحالة » وحقيقة « التوالد والتخلق والانبات » وحولها وابتعدوا بها عن الهدف الفلسفي العلمي الذي كان يرمى إليه أساتذتهم ، إلى ما يشبه الوسواس التافهة . والتخرصات الباطلة .

فبينما كان أصحاب الهادي والمرضى وتلامذتهم الذين ذكرهم « مسلم اللحجي » في تاريخه وطبقاته يريدون بما يرتثونه ويقولونه ، تفهم أسرار

النظام الألهي ، والتعمق في معرفة العلوم الرياضية والطبيعية ، والهندسية والحساب ، لكي يطوروا مجتمعهم ، ويعيشوا سعداء في عالم يسوده التراحم والمحبة والتعاون والمساواة كما قال ابن أبي الرجال ، وهم يتحلون بالصبر والحكمة حتى أن عالمهم عندما بزق خصمه الذي يناظره في وجهه اكتفى بأن قال له ضاحكاً « العلماء مجتمعون على أن ريق الإنسان طاهر ؛ هات جواب المسألة » ! بينما أولئك الآباء والأساتذة كانوا كذلك . . إذا بنا نرى أحفادهم وتلاميذ تلاميذهم وقد تحول بعضهم إلى فقهاء متعنتين موسوسين كذلك السخيف الذي أوجد من نبتة الشعير الناجمة في إحدى زوايا مسجد « الالهونوم » موضوع نقاش وجدل ، حشر فيه مسائل الخير والشر والتحسين والتقبيح والعدل والظلم وفتن العامة وضعاف العقول .

وقد روى تلك الحكاية السخيفة مؤلف المستطاب وهو يترجم لبعض رجال الطبقة الأخيرة من رجالات « المطرفية » بعد وفاة « مسلم بن محمد اللحجي » قال : « الشيخ راشد الأهنومي كان مطرفياً ، وكان شيخاً معتمداً في زمانه عند أصحابه قال « الحجوري » إنه من جملة من بايع الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة . وقال عبد الله بن زيد العنسي وكان راشد المذكور قد قرأ واشتغل على أبي الوقار وهو من « الباطنية » فربما وافقهم في الطباع وتشيع وتنسك ؛ رأى يوماً حبة شعير قد نبتت في جانب المسجد من داخل الجدران بعد أمطار غزيرة ، فسأل أصحابه : هل يجوز لأحد أن يחדش المسجد ولو بإبرة ؟ قالوا : لا يجوز هذا . قال راشد ولم ؟ قالوا لأن ذلك قبيح ولو زاد في الخدش ووسّع لحزب المسجد ، وخرابه قبيح ، فتركهم أياماً [حتى كبرت نبتة الشعير] ثم سأهم : ما تقولون في هذه النبتة في جدار المسجد أليس قد خدشت فيه موضعها ؟ قالوا نعم . قال فهذا قبيح أو حسن ؟ قالوا حسن . قال أستم قلتُم بالأمس ان خدش المسجد قبيح ؟ قالوا بلى . قال : فهذا خدش له ، وربما لو كبر وكثر لشغل حيّزاً وضايق المصلين ، فقال عوامهم : هذا صحيح وما هو إلا قبيح ، وقال آخرون : هذا القول لا يجوز لكم لأن الله الخالق هو الذي أنبت الشعيرة . وكثر الجدل وكبرت المناظرة ، واكتسحت الشبهة قلوب العامة واشتعلت نار الحمية ، وكادت أن تؤدي إلى فتنة ، ثم افتاهم الشيخ راشد بقوله : إن هذا النبات ليس من خلق الله وإنما حصل من المواد والطباع وبلغت حيلته حيث أراد

ويظهر أن أمثال هذا الشيخ السخيف قد كثروا ، وضاق بهم الامام ذرعاً ، ولعل بعض كتب « الاعتزال » التي استجلبها الامام ابن سليمان والقاضي جعفر ثم الامام ابن حمزة من العراق ووصلت إلى أيدي من لا يستحقون دراستها إذ لا يجيدون فهم غوامضها ، وبهذا يمكن لنا أن نقول إنه بقدر ما كانت تلك الكتب رفداً عقلياً وفكرياً وفلسفياً لعلماء ومتكلمي الزيدية أمثال القاضي جعفر والرصاص وابن سليمان وابن حمزة فقد فتحت أيضاً أبواب الفضول لغير المؤهلين من ضعاف العقول ، وذوى الفطن الجامدة ، والتافهين والموسوسين ؛ وهم طبعاً وثقافة ممن يدسون أنوفهم فيما لا يتقنونه ، ولا يجيدون فهمه ، ولا يستطيعون تمييز متشابهه من محكمه ، وهؤلاء هم بلاء المجتمعات في كل زمان ومكان سواء كانوا في « المدرسة المنصورية » أو في « المدرسة المطرفية » ولهذا حذر بعض فقهاء وأئمة المسلمين من التوغل في ما يسمونه علم الكلام وكتب الفلسفة « أشعرية » كانت أو « إعتزالية » ؛ وحين نقول هذا وأن كتب المعتزلة قد سببت لبعض المغفلين والموسوسين أمثال الشيخ راشد الأهنومي على فضله ونسكه الغلو ، وإثارة الشبه التي ينفعل بها الجهلاء ، فلا ننكر إن تلك الكتب قد فتحت آفاق المعرفة للنوائغ والأذكياء فحلّقوا بها في سماوات الابداع وكان لليمن منهم الأعلام من الأئمة والأقطاب .

فهل يمكن القول بأن الامام « ابن حمزة » قد ضاق ذرعاً بأمثال الشيخ راشد وقد كثروا ، وخاف من أن تنتشر تلك الوسوس بين العامة وتتطور إلى « تعطيل » ؛ ولذلك تشدد في موقفه مع المطرفية حتى كان ما كان ، وإن هذا هو سر قوله المشهور . « إنه ليس بين أعمالنا وأعمال الظلمة من فرق إلا النية » أو كما قال ؟

### الخلط بين الدين والفقہ !

وإذا افترضنا ان ذلك - أو شيئاً منه - قد كان ؛ فلا أستطيع إلا أن أرفع أصبع احتجاج ، وأقول معارضاً : لقد كان ثمة خلط بين ما شرعه الله لنا ديناً - وهو ما تدعن له الفطرة السليمة التي يولد كل مولود عليها - وبين ما تستنبطه عقولنا ، وتتوصل إليه اجتهاداتنا فقهاً وعلماء !

وأصول الدين ثلاثة : الألوهية ، النبوة ، المعاد .

فمن كان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والآخر ويؤدي واجباته فهو « المسلم » بالمفهوم القرآني الذي بيّنه تعالى بقوله : ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملّة أبيكم إبراهيم هو الذي سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول عليكم شهيدا ، وتكونوا شهداء على الناس﴾ [الحج آية - ٧٨ -] .

أما « الفقه » وشعبه وتظنيّاته ، فهو مجال حوار الأفكار والجدل ، وكذلك النظريات العلمية ، والتطلعات الفكرية ، تتصادم وتتواءم ، وتظل مثاراً للاختلاف والاتلاف ، ومن هنا كان تعدد مذاهب الفقهاء وأئمة الاسلام ، « وكلهم من رسول الله ملتمسٌ » ، ومن هنا أيضا كان لكبير من فقهاء الاسلام - إن لم يكن أكبرهم - وهو الامام محمد بن ادريس الشافعي عدّة آراء متباينة فكان له في « اليمن » والجزيرة العربية ، المذهب الذي يسمونه الأول ، ولما هاجر إلى مصر ، ومناخها ومجتمعها يختلف كان له - في بعض مسائل الفقه - ما يسمونه المذهب الثاني أو الأخير .

فكيف نعامل من قد نعتبرهم ذوي فطن جامدة ، أو عقول سخيّفة ، إذا تمادوا في وساوسهم ، أو دسّوا أنوفهم فيما لا يفقهونه ملحدّين أو كفارا ؛ وهم يقولون « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ويؤمنون بالمعاد ، ويصلون ويصومون ، ويزكون ويحجون ، وهو ما كان عليه حال « المطرفية »؟!!

إن الخلط بين « أصول الدين » - الألوهية ، والنبوة ، والمعاد - وبين مسائل الفقه والنظريات العلمية ، والتصورات الفلسفية ، قد سبّبت الكوارث والمحن والمآسي للبشر على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم وأجناسهم ؛ وما حدث « للمطرفية » حلقةٌ تعسّة في سلسلة دامية ؛! ولو شئت لضربت الأمثال ابتداءً من « سقراط » و« غليلو » ، ومحنة « الامام أحمد بن حنبل » واستشهاد « ابن حريوه » إلى مأساة العالم المفسّر « سيد قطب » في عصرنا هذا .

ماذا قال علماء اليمن عن المطرفية ؟ :

سبق أن سردت بعض آراء أئمة وعلماء اليمن في « المطرفية » ممن يخطئون

بعض آرائهم ولكنهم لا يكفرونهم ثم قرأت في كتاب « تاريخ بني الوزير » ترجمة طويلة للأمير المنتصر محمد بن مفضل العفيف الذي كان معاصراً للامام عبد الله بن حمزة وقد تعرض المؤلف للحديث عن المطرفية ودفاع الشريف العفيف عنهم وآراء وأقوال العلماء فيهم سواء ممن عاصرهم أو جاء بعدما أبيدوا ، ونكبوا فرأيت أن البحث سيكون أنجع وأكثر فائدة إذا أضفت كلامه إلى ما سبق ، يقول السيد أحمد بن عبد الله الوزير المتوفي سنة ٩٨٥هـ ما يلي : « وكان يعتقد عدم كفر المطرفية ، وكذا كانت عقيدة المنصور - يقصد عبد الله بن حمزة - في أول أمره وعقيدة عمه . ذكر أبو فراس في سيرته عن عمه انه كاتبه في ذلك وذكر في كتابه إن هؤلاء أفاضل شيعة الهادي والقاسم وأتباعهم ولا مصلحة في حربهم واعتقاد كفرهم ، وهم أحبار أطهار ، وليسوا بأشرار ولا كفار ، هذا معنى كتاب عمه إليه الذي ذكره في السيرة ، وأجاب عمه عن ذلك بأبيات مذكورة في ديوانه [أي في ديوان الامام عبد الله بن حمزة] وسيرته ، وكذا كان رأي غيره من المتقدمين كالأمير المعتضد يحيى بن منصور بن مفضل وأخوه المهدي محمد بن منصور وغيرهم من المتقدمين كالامام يحيى بن حمزة والعلامة علي بن عبد الله بن أبي الخير الصايدي الذي قال : « وقفت « بالرجو » وكانت من ديار التطريف على كتب عديدة فيها خلاصة مذهبهم ، وتحقيق قواعد عقائدهم فلم أجد فيها شيئاً من الموجبات لتكفيرهم ، وانما اعتقادهم اعتقاد أبي القاسم البلخي . قال : وهم عندي أئمة محاريب . وكذا ذكر الامام أحمد بن يحيى إنه وقع بينه وبين شيخه القاضي يحيى بن محمد التائي المرادي المذحجي وكان علامة الأصوليين مراجعه في أمر « المطرفية » واعتقادهم فقال الامام المهدي : اعتقادهم هو اعتقاد أبي القاسم البلخي بعينه ، وأنكر القاضي ذلك قال الامام فأتيته به نصاً له في كتابه عيون المسائل وأريته إياه ؛ كذا ذكره في شرحه الداغ » . ثم قال : « ولما يكن الأمير المنتصر محمد ابن مفضل يعتقد كفرهم لم يزل يقرر عند الامام المنصور [ابن حمزة] انهم أشياع الهادي وأتباعه ، وإنه لا يعلم عليهم اعتقاداً قبيحاً ؛ وكانوا يصرحون بذلك في كتبهم وتصانيفهم ، والامام المنصور يتلقى ذلك بالقبول . وشيعة « الظاهر » الذين يختصون بالامام كلهم « مخترعة » وبين الطائفتين تباغض كلي فكانوا ينقلون للامام عن المطرفية أقوالاً في مسائل جمّة تقتضي الخروج

عن الدين ، والامام يتغاضى ولا يصغي كل الاصغاء إلى قولهم ، ووصلوا إليه أفواجا من كل ناحية وكانوا قد انتشروا وتأسس مذهبهم في جميع بلاد الزيدية وطالت مدة لبثهم إلى نحو ثلاثمائة سنة » [تاريخ بني الوزير لوحات ٢٠١ - ٢٠٣] .

## أصل افتراق الزيدية :

قال ابن الوزير : « وكان اصل افتراق الزيدية إلى الاختراع والتطريف إنه كان في الزيدية رجلان احدهما علي بن شهر وكان بموضع يقال له « بيت أكلب » من نواحي جبل عيال يزيد وكان رأس المخترعة ؛ والآخر علي بن حرب وكان بريده وهو رئيس المطرفية وعنه أخذ مطرف بن شهاب العبّادي الشهابي ونهد بن الصباح العنسي ، وكان نظيراً لمطرف في المعرفة وتمهادي الخلاف بين هاتين الطائفتين من الزيدية وبين الفرقة الثالثة وهم الحسينية والزمان واحد ؛ وكانت الحسينية تعتقد إن الحسين بن القاسم أفضل من رسول الله ﷺ ، وان كلامه أبهر من القرآن ؛ ومن هذا الجنس المرذول ، والمطرفية يقولون بخلق العناصر الأربعة وبالأنفعال فيما عدا ذلك ، وهذا هو عين مذهب أبي القاسم البلخي وهو الذي صح عنهم ، ووجد في كتبهم ، وأما غير ذلك مما نسب إليهم فلم يوجد في كتبهم ، ولا اعترفوا بنسبته إليهم بل تبرؤا منه أشد البراءة ، وقصيدة ابن النساخ في سيرة الامام المنصور تصريح بالبراءة من ذلك وغيره ؛ وكثير من علمائهم قد ذكر ذلك وشدد النكير والاستعاذة من جميع ما رموا به ، والظاهر ان ذلك الذي أسند إليهم على طريق الالزام ؛ كما يروى إن بعض المخترعة قال لبعضهم : لو فرضنا ان موجد العناصر انعدم بعد إيجاده لزم وجود العالم بدونه ! فقال المطرفي ولو فرضنا عدم الصانع لزم ثبوت الذوات بدونه ! ونظير ذلك من الالزامات على الأصول والقواعد ، وكان قد ينقل إلى الامام عنهم ما لا يليق من هذه الالزامات ، وبمكونها عنهم بالتصريح ؛ وللناس بعد تقرر المذاهب سيما في مسائل الاعتقاد عداوة شديدة ، وتحامل يفضي إلى التجاهل ، ونسبة ما يعلمون من حال من نسب إليه خلاف ما نسبوا ؛ لكن تحملهم العداوة على ذلك ، ويروج ذلك عندهم ، والبناء على ان ما لزم الشخص على أصله قد صار مذهبه وقوله وينسب إليه ، ويصح أن يقال فيه : قال فلان كذا ؛

وإن نفي ذلك عنه ، وأعلن بالبراءة منه ، مثل قول « المخترعة » : انكرت « المطرفية » أربعائة وستين آية . وهذا أحد وجوه كفرهم ، وقالت « المطرفية » : نحن نبرأ إلى الله من انكار آية أو بعض آية ، أو انكار شيء مما نزل على محمد ﷺ أو جاء به من كتاب أو سنة ؛ فقالوا : إن ذلك لازم لكم أليس الله يقول : نهب لمن نشاء « انثاءً ونهب لمن نشاء الذكور أو نزوجهم ذكرانا واناثا » وأنتم تقولون ذلك بالانفعال عن الطوائع الأربع ؛ فقد أنكرتم هذه الآية ، وعلى هذا النحو من الالتزام في سائر الآي . وقالت « المطرفية » : نلزمكم انكار هذه الآية بنظير هذا الالتزام بأن الله لم يخلق شيئاً ولا وهبه ، إذ ليس الله عندكم في المخلوقات إلا مجرد اكتساب الصفة ؛ فانه لو حلف حالف بطلاق امرأته ما خلق الله شيئاً لم يحث ولم يك منكراً لقوله « خالقي كل شيء » إذ لم يخلق الله شيئاً ؛ ! ونظير ذلك مما هو في هذا المسلك الالتزامي ؛ فهذا تحقيق ما بين الطائفتين من المقالات وان تعددت مفردات المسائل .

« و « المخترعة » انما سموا بذلك لقولهم باختراع الله الأعراض في الأجسام ، ثم لم تزل نار العداوة بين هاتين الفرقتين مشبوبة بتزايد وكان رأي الأمير المنتصر وابني أخيه رأي من لا يكفر بالالزام والتأويل من أهل البيت كالمؤيد بالله ورواه عن الجميع من أهل البيت فقال في الزيادات : لا أرى فيما يحفظ أحداً يكفر بالالزام ، وقال مثل ذلك القاضي عبد الله في شرح الزيادات في شرح هذا الموضوع ، قال : وهذا الذي يصححه أصحابنا ، وهو المعول عليه ، ومراد المؤيد بالله إنه لم يرد ذلك لأحد من المتقدمين وإلا فقد ذهب محمود وغيره إلى ذلك وكذا قال القاضي عبد الله في تعليق الشرح : إن الجمهور لا يكفر بالالزام ولا يفسق ، وقال محمود : بل يكفر به ويفسق ، وما قاله ضعيف لأنه لو صح لزم تكفير كثير من أهل المذاهب وتفسيقهم ، والفسق والكفر انما يكونان بما يدين به المكلف قولاً أو عملاً أو اعتقاداً لا ما ينكره ويبرأ منه [لوحة : ٢٠٤ - ٢٠٥] .

### الالزام ودار الكفر ودار الحرب :

ثم استرسل « ابن الوزير » وأورد أقوال فقهاء آخرين في الموضوع حتى قال : « والالزام : هو أن يلزم الغير على ما يقول به ما لا يقول به ؛ وإلى

ذلك ذهب كثير من المتأخرين من الأشعرية والمعتزلة له فلا يكفر عندهم المشبه الذي لا يقول باللحمية والدمية ! والآراء في ذلك مختلفة وكذا الروايات عن العلماء والأئمة ، ومذاهب كثير من أئمتنا المتأخرين القول بعدم التكفير كمذهب أبي طالب وروايته عن الهادي والقاسم وأكثر الأئمة بعد الهادي خلا ان الامام المنصور بالله [ابن حمزة] خالف الأئمة باعتقاده لكفرهم ، ولا يفرق بين دار الكفر ودار الحرب وقال في حق المطرفية : زادوا على المجوس والنصارى وكذا المجبرة ، وحكم عليهم بحكم المحاربين وسار فيهم بذلك : فأما المطرفية فلم تنزل بينه وبينهم المجاملة والمبايعة والمشايعة على عهد الأمير المنتصر بالله محمد بن الفضل ولما توفي وكان المنصور بالله بصعدة عظم عنده مصابه وأمر صنوه الأمير يحيى بن حمزة وجماعة من وجوه الأشراف وكبار أهل دولته بالقدوم إلى وقش للعزاء ورثاه بالقصيدة المعروفة المشهورة ، ثم إن شيعة الامام كثروا الكلام في المطرفية ، ورووا عنهم أموراً جمة في المعتقدات على صفة شنيعة ، ونقلوا عنهم أيضاً اعتراضات وقدها في بعض سيرته فأفضى ذلك إلى المنافرة بينهم وبين الامام ؛ وكان ربما قد ينقل بعض ذلك في أيام المنتصر بالله وهو يراجع الامام لهم ، ويذنب عنهم ، ويعرف الامام بأنهم يبرأون من الأمور المنسوبة إليهم ، وانهم شيعة الهادي وأتباعه ولا يرون جواز الخروج عن مذهبه ويعتقدون ان الحق في الاجتهاديات مع واحد ، فلذلك حظروا الخروج عن مذهب يحيى ؛ فلما مات وكان الأميران يحيى بن منصور وأخوه محمد بن منصور أقل من عمهما خلطة للامام فلما أفضى الأمر إليهما ولم يكن منهما ما كان من عمهما ، ولم يكن قولهما عند الامام مثل قوله في القبول ، فأرادا المراجعة عن هذه الطائفة مع انهم يعتقدون خطأها ، ولكن عقيدتهما مثل معتقد من سلف من الأئمة الهادين ، وكثير من العلماء الراشدين ، في عدم الاكفار بالتأويل والالزام ، فلم يقبل الامام منها ذلك ، ولا سلك فيهم مثل مسلك أكثر أئمة الهدى ، ومصاييح الدجى ، في اعتقاد الكفر دون استحلال المحاربة بل جعل حكمهم حكم الحربيين ، واستحلّ دماءهم وأموالهم وأخرب ديارهم ومساجدهم وحكم بأنها مساجد ضرارية وكذا حكم بذلك على المجبرة ، واستباح نساءهم وسباهم بالمهجم ، وأم ولده سليمان من سبايا المهجم وقال في ذلك :

سليمان بيتاك من « هاشم » ومن آل « قنطور » بيتا شرف



وكذا استبى صنوه يحيى بن حمزة من « صنعاء » ستائة سيبة واقتسموهن في قاع « طيسان » وقال الامام المنصور في ذلك :  
 « أما السباء فتحن الأمرون به »

فلما كان ذلك من الامام وقد كان سبقه الامام أحمد بن سليمان وكان يعتقد كفرهم ، ولحق بعده الامام أحمد بن الحسين ومن بعده من الأئمة ومعتقدهم واحد فيهم وفي غيرهم من المجبرة والمشبهة وسائر فرق الضلال ولم يستبيحوهم بل فرّقوا بين دار الكفر ودار الحرب ؛ واما الامام عبد الله بن حمزة في حياته وأولاده من بعده ففقضوا ان الدار واحدة ، والحكم واحد ، حتى إنهم لما وقعت المراجعة بينهم وبين الامام المعتضد يحيى بن المحسن بن محفوظ الشامي في ذلك ألزمهم ان مكة المشرفة على حسب معتقدهم دار حرب وسخر منهم وقال في أبيات :

وقالوا : إن مكة دار حرب حماها الله من طاغٍ وعادا !  
 [لوحة : ٢٠٧ - ٢٠٨] .

وهي سخرية لاذعة ولعل معارضة أولاد عبد الله بن حمزة للامام المحسن ومحاربتهم له كان من أسبابها معارضته وإنكاره تكفير وإباحة أموال وأعراض المطرفية ، ومن ينبزونهم بالمرجئة من طوائف المسلمين .

### أسباب النكبة السياسية :

وكلام ابن الوزير يؤكد ما ذهبنا إليه من أن هناك أسباب فقهية وسياسية سببت جنوح الامام عبد الله بن حمزة إلى التشدد مع طائفة المطرفية وتكفيرهم واعتبار دارهم دار حرب ؛ فهم يعتقدون التخضية في الاجتهاديات وإن الحق دائماً مع واحد ، وعبد الله بن حمزة قد خالف الهادي في مسائل الفروع قال ابن الوزير : « ولما استباح الامام منهم ما استباح أعلن تكفيرهم في كتبه ورسائله وأشعاره واحتجاجاته وأراجيزه ومقصوراته وأشعاره ومنها قصيدته الرائية التي أولها :

عجّت مطرف من سيفٍ أعدّها عجيح حاملةٍ وقرأ على دبرِ  
 وفيها :

قل للشهائي ذي العليا وسيدها وقل لأهل الحمايا من بني مطرِ

لا يغلبنّ على أديانكم نضرٌ لا بارك الله فيها اليوم من نضر

وقد أجاب على هذه القصيدة علامة المطرفية حسن بن محمد بن النساخ صاحب الرسالة المشهورة إلى الخليفة العباسي . وذكر في قصيدته خلاصة مذهبهم وتبرأ من أمور نسبت إليهم . وحين رأى الأميران ما عزم عليه الامام فيهم غضبا لهم واعتقدا أن ذلك كله بسبب المخالفة له في الامامة ، ومسائل الفروع ، وإنه لو كان من أجل الاعتقاد لكان ذلك منه من أول أمره وقد كان لهم مكرما ، وكانوا له متبعين مبايعين مناصرين وهم على ذلك الاعتقاد وشوشت خواطرها في إمامته بذلك السبب ، ولما وقع في أيامه من قتل الأمير الكبير يحيى بن أحمد بن سليمان على الصفة القبيحة ، وانه خنق بالعمائم وطرح في المحطة فلم ينكر الامام على أخيه يحيى بن حمزة وسائر من نسب إليه ذلك من أخوته وقربائه وذلك من أعظم المناكير ، وقد أكثر الناس على الامام إنكار ذلك حتى قال محمد بن نشوان في اعتراضاته : ومنها إنه قتل ابن امامه وهو معتد بشرابه وطعامه ، وجاءته الرسائل في ذلك من جميع الجهات » [لوحة ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١] .

ثم قال : « وكان رأي الأميرين فيهم التخطئة في بعض الاعتقادات المنسوبة إليهم نسبة صحيحة ، وقبول قولهم في إنكار ما رموا به من سائر الاعتقاد ، وتعظيمهم في غير ذلك من أمور الديانات والطاعات ، وكانوا أبلغ أهل زمانهم في ذلك وأعلامهم حالاً ، واستنكر الأميران على الامام المنصور تكفيرهم وقتلهم وخراب مساجدهم ، واستحلال ذلك منهم ، وقد انكر عليه غيرهما من الزيدية والشافعية ومن أنكر ذلك عليه بعض أعمامه وأجاب عليه الامام بقصيدة مذكورة في ديوانه كما أنكر ذلك عليه الامام الداعي يحيى بن المحسن بن محفوظ الشامي وغيره ومنهم القاضي سري بن إبراهيم قاضي صنعاء في زمن بني أيوب فقال في كلامه ورسالته التي نقد عليه فيها أمورا : « ومنها انه قتل المطرفية وهم عبّاد هذه الأمة وزهادها ورهبانها » ؛ وقد عارض محمد بن منصور الامام ودعا إلى نفسه وتكنى بالمهدي وقال الامام في ذلك

كفعل بني مطرف يوم جاؤا بمهديّ لهم مقلوب عَيْنِ  
في أبيات له [لوحة : ٢١٢ -] .

وأكد « ابن الوزير » الدوافع السياسية فقال بعد أن ذكر التفرقة بين دار الكفر ودار الحرب وان دار الكفر أعم من دار الحرب فكل دار حرب دار كفر ولا عكس ، ما يلي : « وكان من حوامل الأُميرين على المدافعة عنهم إن الامام لم يعامل « الحسينية » بمثل تلك المعاملة وكانوا يصرحون بأقوال كفرية لا تأويل فيها مثل قولهم ان الحسين بن القاسم أفضل من رسول الله وأن كلامه أهر من القرآن إلى غير ذلك من أقوالهم وضلالاتهم ولهم قواعد أربع كل واحد منها كفر صريح ولهم كتب في ذلك وتصانيف ورسائل وأشعار » [لوحة : ٢١٤ - ٢١٥] .

### طغيان العلم

لقد نقل ابن الوزير في كتابه أقوال الأئمة والعلماء بحصافةٍ وأنصافٍ وهو نفسه مع إجلاله لعلماء وزهادٍ وأقطابِ المطرفية بخطئهم ولا يوافقهم في بعض ما يذهبون إليه ولكنه عقلاً وشرعاً لا يستطيع ان يقر سيرة الامام عبد الله بن حمزة فيهم ، لأنهم مهما كان لهم من أفكار فهم من أهل القبلة المؤمنين الموحدون وأفكارهم الفقهية والعلمية وآراؤهم السياسية لم تخرجهم عن الايمان بالله وشرعية الاسلام ، وقد آثرت أن أسجل في هذا البحث أقوال ابن الوزير لانه ينقلها ويرويها مسنده إلى آباءه الذين عاصروا المطرفية وعاشروهم واعترضوا معهم على مخالفات الامام عبد الله بن حمزة الفروعية والسياسية والتي أشرنا إلى بعضها . وخير ما نختم به هذه الاقتباسات قوله : « وكانت « المطرفية » لسعة علومهم وصلابة تدينهم ، وصبرهم على العبادة والقيام والصيام يحتقرون معارف غيرهم ، ويقع من بعضهم إعجاب بالتبحر في العلوم ، وللعلم طغيان كطغيان المال ؛ وكان من ذلك إنهم لا يذكرون الامام أحمد بن سليمان بالامامة إنما يسمونه الأمير وكتب إليه بعضهم أبياتاً منها :

أقر السلام على الأمير ورهطه	تسليم من هو للأمير يصون
ويرى بأن وداد آل محمدٍ	أجراً له وبه يتم الدين
فهم الأفاضل والبرية دونهم	أتى يقاس إلى الرفيع الدون
من لم يكن من حزب آل محمدٍ	فهو اللئيم الخاسر المغبون
من لم يدن بيقين ما دانو به	فهو الظنين وما يقول ظنون
وبقول يحيى وابنه وجدوده	دنا ولسنا بالخلاف ندين

وقال الامام المتوكل أحمد بن سليمان في رسالة له : ومن عادتهم استحقار من عاصرهم من أهل البيت حتى جرى فيهم المثل : الشريف في وقش كالمشعل في سناع وقد نظم ذلك بعض السادة فقال :

أيها الشيعة الذين استباحوا      سبنا لستم من الأشياء  
ولذا شبه الشريف لديكم      مثل ماءٍ بمشعل في سناع  
قال : « وكان منهم عدد عظيم ذو معارف واسعة وقد ذكر مسلم في طبقاته منهم خلقاً » [لوحة ٢٢١ - ٢٢٢ تاريخ بني الوزير] .

ولعل طغيان العلم الذي أشار إليه لم يكن مقصوداً على علماء المطرفية في وقش بل وسرى إلى أشرفها ومن ذلك ما رواه السيد أحمد الوزير عن جده الهادي بن إبراهيم بن علي أن المهدي محمد بن منصور الوزير كان يعتقد قصور الامام عبد الله بن حمزة في العلم وقد عنف عمه المنتصر بالله العفيف على مبايعته وقال : « لا خير في إمامة صبي » ! [لوحة : ٢٣٣] .

### أصول الدين وموقف الأفغاني

هذا وإن كنت قد حاولت جهدي الالتزام بتصوير ما كان - أو ما خيل إلي إنه كان - دون إبراز ما أظنه أو أراه صواباً ، فلعل من واجبي أن أشير إلى ان ما واجهه « مطرف الشهابي » ومشايخه وزملائه ثم الفرقة التي لقبت باسمه ، وما قاساه علماءؤها ، هو ما يواجهه المجتهدون والمصلحون ، وأصحاب العقول المستنيرة من قبل أهل الجمود وأدعياء العلم ، وفقهاء التقليد الذين لا يستخدمون عقولهم الا في سفاسف . الأمور ، والجدل « البيزنطي » ، ولا يشمخون بها إلى دراسة المواضيع الخطيرة ، لاستنباط ما يُنتفع به ، بل ويرمون من يحاول ذلك بالزندقة والألحاد .

وهو نفس الموقف الذي واجهه واكتوى بناه المصلح العالم الفيلسوف السيد جمال الدين الأفغاني عندما تحدث عن الجرائم والكائنات الحية ، وتحورها وتطورها . مثبتاً بالمنطق ان الخالق جل وعلا هو الذي نفخ في كل شيء « نسمة الحياة » بتقدير محكم ، وجبَل ثابت لا يشد ، ولم يفقه الجامدون والمقلدون كلامه فكفروه ونسبوا إليه القول بقدم العالم .

ولما ألقى محاضرةً عن « الصناعات » وفلسفتها بالاستانة سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠ م وتعرض لذكر « النبوة » و « الحكمة » ، والفرق بينهما ، ثارت ثائرة شيخ الاسلام العثماني حسن فهمي أفندي ، وزعم ان جمال الدين تحدث عن « النبوة » كصنعه ! وكانت الفتنة المشهورة .

وللسيد جمال الدين الأفغاني في « أصول الدين » - وهي عنده « الألوهية » و « النبوة » و « المعاد » - وتحصيل الايمان اليقيني بها بتعاون « العقل » و « النقل » - له في ذلك كلام مفيد يغني عن متاهات وتشايعب الكثير من « المتكلمين » التي قد تؤدي إلى « التجديف » والمرء ، وتكفير وتفسيق أهل البحث والنظر قال : « والحق الذي يرشد إليه الشرع والعقل ان يذهب الناظر المتدين إلى إقامة البراهين الصحيحة على اثبات صانع واجب الوجود ، ثم منه إلى إثبات النبوات ، ثم يأخذ كل ما جاءت به النبوات بالتصديق والتسليم بدون فحص فيما تكنه الألفاظ ، إلا فيما يتعلق بالأعمال على قدر الطاقة ، ثم يأخذ طريق التحقيق ، في تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحة ؛ كان ما أدت إليه ما كان ، لكن بغاية التحري والاجتهاد ، ثم إذا فاء من فكره إلى ما جاء من عند ربه ، فوجده بظاهره ملائماً لما حققه ، فليحمد الله على ذلك ، وإلا فليطرق عن التأويل ، ويقول « آما به كل من عند ربنا » فانه لا يعلم مراد الله ونبيه إلا الله ونبيه . . . ولا بد في كمال النجاة ، ونيل السعادة الأبدية من أن ينضم إلى ذلك التخلي عن الرذائل ، والتخلي بالأخلاق الكاملة ، والأعمال الفاضلة ، ومن تلك الأخلاق والأعمال : تكميل قوة النظر ، وارتكاب طريق العدل في كل شيء ، إذ لا ريب ان كل من خالف ما كان عليه النبي وأصحابه فهو في النار » [الأعمال الكاملة ص : ٢٢١ - ٢٢٢] .

### التكفير والتفسيق

وقد حذر السيد جمال الدين الأفغاني من مجازفة الباحث المؤمن واندفاعه إلى تكفير أو تفسيق من يخالفه في الرأي ، أو يخطيء وهو يحاول بالبحث والنظر الوصول إلى معرفة الحقيقة فقال :

« واعلم أي وإن كنت برهنت على حدوث العالم ، وحققت القول فيه ، على حسب ما أدى إليه فكري ، ووقفني عليه نظري ، فلا أقول بأن القائلين

بالقدم قد كفروا بمذهبهم هذا ، وأنكروا به ضرورياً من الدين القويم ، وإنما أقول إنهم أخطأوا في نظرهم ، ولم يسددوا مقدمات أفكارهم ، ومن المعلوم انه من سلك طريق الاجتهاد ، ولم يعوّل على التقليد في الاعتقاد ، ولم تجب عصمته ، فهو معرض للخطأ ، ولكن خطأه عند الله واقع القبول ، حيث كانت غايته من سيره ، ومقصده من تمحيص نظره ، أن يصل إلى الحق ، ويدرك مستقر اليقين ، وكل من أعتقد بالالوهية التامة ، ونزه الحق عن جميع النقائص ، واعتقد بنبينا محمد ﷺ ، وبما جاء به ، ولم يكذب شيئاً ممل نقل عنه ، مع علمه بأنه قد نقل عنه ، فهو مؤمن ناج ، عدل رضي عند الله تعالى « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » وعلى المرء أن يسعى إلى الخير جهده ، فأياك أن تنهج نهج التعصب فتهلك » [الأعمال الكاملة لجمال الدين ج ١ ص ٢٨٠] .

### الأرجوزة المربعة

أما الأرجوزة التي قلت ان من يقدر الامام عبد الله بن حمزة يتمنى انه لم ينظمها ، وأن تاريخه الأدبي لم يُبتَل بها ، كما ابتلي تاريخه السياسي بقضية المطرفية ، فهي أرجوزة في « الامامة » بين يدي منها الآن إثنان وعشرون بيتاً ، وهي فصاحة وقوة أداء من النسق العالي ، ولكنها فكراً ورأياً وموضوعاً ، لا يليق نسبتها إلى عالم تقي ، بله إلى إمام مرضي . وعند أن سمعتها لأول وهلة وأنا في عنفوان شبابي أقرأ في جامع الفليحي بصنعاء قلت بداهة ؛ وأنا الزيدي المذهب والهوى والنسب : هذا لا يمكن أن يقوله الامام عبد الله بن حمزة ولولا أن أساتذتي قالوا لي إنها مثبتة في ديوانه لكابرت في انكاري ، إذ لا أتصور بحال من الأحوال ان مسلماً يبلغ به الاغراق والغلو - وإن تهادى في اغراقه وغلوه - أن يعتقد ، أو يخط قلمه ما ورد في تلك الأرجوزة المنكرة عقلاً وذوقاً وشرعاً .

وبعد أن شرقتُ وغرّبتُ ، وعرفت كيف ينحل الناس غيرهم الشعر الذي لم يقوله ، وكيف يدسّون عليهم القول الذي لم ينظموه ، وحيل الحاق ذلك في الكتب والدواوين بمكر ودهاء ، وبشتى الوسائل الأبلسية إما تشنيعاً ، أو تأييداً للمذهب ، أو لغرض من أغراض الدنيا ، أو رغبة في عرض من عروضها ، أو لمجرد الهواية والرياضة الفكرية ، أو خوفاً من سلطة ، أو افتراءً على خصم ، .. قلت لنفسي : ولماذا لا تكون تلك الأرجوزة من هذا

القبيل ؟ ولماذا لا يكون أحد خصوم الامام عبد الله بن حمزة وما أكثرهم من العلماء والسياسيين والشعراء قد وضعها ودسها عليه ، وأثبتها في ديوانه ؟ وقد جاهرت بهذا الرأي منذ زمن ، فقال لي أحد الزملاء لكن جامع ديوان الامام أحد أولاده ! فقلت : وإنن ! فقد كان ابنه أحمد شاعراً كبيراً وإذا كان قد تجرأ على مقاتلة الامام أحمد بن الحسين فكيف لا يتجرأ على وضع قصيدة ؛ وقد كان متطرفاً في تعصبه وتشيعه ودعاويه !؟

وأَيُّ مسلمٍ أو عاقلٍ ، بل أَيُّ انسانٍ يقرّ ما ورد في تلك الارجوزة ؟ فلا قيمة عند ناظرها للايان والصلاة والصيام ، ولا للعلم والعبقرية والشهرة بالفضل بين الأنام ، ولا للمعرفة المحيطة بكل فن ، ولا للكمال الانساني خلقاً وخلقاً ، وطبعاً وسلوكاً ، إذا لم يكن من يملك كل ذلك حسناً أو حسينياً ؟!

أي مسلم ؟ أي عاقل ؟ بل أَيُّ انسان - مهما كان دينه - يقرّ مثل هذا ؟

وليس ذلك فحسب . . بل ان ناظم الارجوزة يزعم . ان ذلك المسلم المؤمن المتعبّد ، والعالم المجتهد المتهجّد ، حتى ولو كان من أرفع بيت في « اليمن » وقد طُهرت سيرته ، كما شرفت سيرته وعلايته ، وكان يحكم بالعدل والاحسان ، وبما أنزل الله ، ويجاهد أعداء الاسلام ، وينقذ الحدود ، ويجنّد الجنود ، إذا طمح الى الرئاسة وادّعى الامامة ، وهو ليس « فاطمياً » فان جزاءه الموت والاعدام . وأن تسأل لسانه من فيه ! ومعنى ذلك انه سيجري ذلك أول ما يجريه على الخلفاء الراشدين الأربعة وعلى خامسهم « عمر بن عبد العزيز » لأنهم ليسوا « فاطميين » ، وسهل عليه بعد ذلك أن يصلب غيرهم من زعماء المسلمين ! فأَيُّ دينٍ ؟ وأيُّ عقلٍ ؟ وأيُّ انسانية تُقرّ هذا ؟

نعم أي عقل وأي دين يقرّ من يدعي أنه درّة وغيره بعرّة ؟ وأنه نضار وغيره تراب ؟ ، وانه جوهره وسواه مدره ؟ وأنه معصوم مختصّ برحمة الله وفضله دون البشر ؟ وله الأمر فرض من الله قد ملكه بريته ، وحقّكه في الأعناق والدماء والأموال ، ومن عصاه زخّ في الجحيم بين يدي فرعون وهامان !؟ أي عقلٍ وأي دين يقرّ مثل هذا الهديان ؟

ثم . ثم بعد كل ذلك . فرضيعهم عالم طبعاً وفطرة ، وشيخ غيرهم جاهل حتى ولو شاب شعر رأسه وانتثر وهو عاكف على الدراسة وطلب العلم !

إنه جنون وهوس ولا أستطيع أن أتصوّر عالماً أدبياً ، وفارساً شجاعاً ، وكريماً وإماماً مثل عبد الله بن حمزة يعرّوه مثل هذا الهوس والجنون !

وخيرٌ لي ، ولعقلي ، ولذهبي أن أجد انه قد نظم هذه الارجوزة التافهة حتى ولو تحمّل وزرها أحد أولاده الشعراء الأفاذا .

إنها مدسوسة عليه من عدوّ لدود ، أو من متعصب عنود .

من خصم ماكر ، أو مغال مكابر . إمّا من أحد « المطرفية » أو أحد « المخترعة » وما أكثر من يجيد صناعة الشعر والنثر بين أساطينهم .

وأما إذا صحّ انه هو الذي قالها . فلن أتحرّج إذا قلت انه جاء بها هو أظفح وأبشع من مأساته مع « المطرفية » ان لم يكن قد تاب وندم .

لقد مضت بشاعة تلك المأساة المفجعة وانقضت أجزانها ، لكن هذه الارجوزة المرعبة ، ستظل تلعن الكفاءات ، وتقتل المواهب ، وتجلد العبقريات ، عند من يعتنق أفكارها ، ما ذرّ نجم وأشرق صباح ، وستظل صوتاً مرعباً يفتح في أذن تاريخ اليمن الأدبي .

أما الارجوزة فهذا نصّها أو نصّ ما بين يديّ منها :

موحد مجتهد صوام . .  
وذكره قد شاع في الأنام  
إلا وقد أضحى له ذا فهم  
محكم الرأي ، صحيح الجسم ،  
ولا إلى آل الحسين المؤمن  
قد استوى السرّ لديه والعلن ،  
لنفسه المؤمنة القوامه ،  
ونفذت أسيافه أحكامه ،  
وسلّ للعاصين سيفاً قاضيا ،

ما قولكم في مؤمن قوام  
حبر بكلّ غامض ، علام  
لم يبق فنّ من فنون العلم  
وهو الى الدين الحنيف يتمي  
وماله أصل إلى آل الحسن  
بل هو من أرفع بيت في اليمن ،  
ثم انبرى يدعو إلى الامامه  
ثمّة أجرى بالقضا أقلامه  
وقطع السارق والمحاربا



ويث في أرض العدا الكتابيا،  
لما تنأى أصله من أصلي،  
«أهل الكسا» موضع علم الرسل؟  
فينزعون لِسْنَهُ من فيه!  
إذ صار حق الغير يدعيه!  
ولا النصار الأبرزى كالحجر،  
فحاذروا في قولكم مس سقر،  
واختصنا بفضله ورحمته،!  
من كل ما أظهر في بريته،!  
نملك أعناق ذوي الإيمان!  
بين يدي فرعون أو هامان!  
نص عليه جدّهم خير البشر  
لو شاب شعر رأسه أو اتشّر.

وقاد نحو ضده المقانبا  
ما حكمه عند ثقة الفضل  
ولم يكن من معشري وأهلي  
أما الذي عند جدودي فيه  
ويؤتمون جهرةً بنيه  
يا قوم ليس الدرّ قدراً كالبعر،  
كلّاً ولا الجوهر مثل للمدر  
حمداً لمن أيّدنا بعصمته  
وصير الأمر لنا برمته  
صرنا بحكم الواحد المنان  
ومن عصانا كان في النيران  
العلم في آل النبي من صغر  
وغيرهم ليس بمغنيه الكبر

فأين آية : ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ ؟

وآية : ﴿قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي ، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ؟

وآية : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ؟

وأين آية : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ؟

أين أحاديث : « لا فضل لعربيّ على عجمي إلا بالتقوى » ، و « الناس  
كأسنان المشط » ، و « الناس لأدم وأدم من تراب » و « لا يأتيني الناس  
بأعمالهم وتأتوني بأحسابكم وأنسابكم » ، و « لو سرق فاطمة بنت محمد  
لقطعت يدها » ؟ أين كل ذلك ؟ وهل يجوز أن يتناساه ، أو لا يعلمه إمام  
زيدي كبير مثل الامام عبد الله بن حمزة ؟

أما أنا فلا أستطيع أن أتصوّر أن مثل هذا يكون !

هل كان جاروديا ؟

نحن نعرف أن الامام عبد الله بن حمزة زيديّ ، يفضّل عليّاً على سائر  
الصحابة ، ويرى أولويّته ، ويرى في حديث الغدير نصّاً واضحاً جليّاً ،  
ويقول بامامة الحسن والحسين ، ومذهبه حصر الامامة في أولاد البطنين ،  
وقد صرّح بذلك وجاهر شعرا ونثرا في قصائده وأراجيزه ومؤلفاته ؛ ولكن هل  
كان رافضياً مغالياً ، أو جارودياً يكفر من سبقوا عليّاً ويسبهم ويشتمهم

كالحاروديين والروافض ؟ الذي نعرفه انه كان يُحطّي من يسب أو يشتم الصحابة وقد حكى المؤرخ الفقيه السيد يحيى بن الحسين ذلك في كتابه غاية الأمانى في أحداث عام ٥٩٨ هـ . عندما اجتمع الامام بنائب الأيوبيين في صنعاء الشهاب الجزري قال : « ثم اجتمع به في موقف عام فسأله بأدب وتلطف وكانت له - أي للشهاب الجزري - مشاركة في الاطلاع على الأخبار والسير والآثار - عن مسائل كثيرة ، منها : ما الحجّة في تقديم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على غيره من الصحابة في رأي الشيعة ، واطلاق السبّ عليهم ، وعن فرقة من الشيعة يعتمدون التيمّم بالتراب مع وجود الماء فأجابه الامام على كل مسألة بمقتضاها بمشهد من أصحابه وبين له بياناً شافياً ، وانه لا يجوز اطلاق سب الصحابة رضى الله عنهم ، وذكر مناقبهم وسبقهم الى الاسلام واجتهادهم في أمر الدين ، فطابت نفوس أصحاب الجزري واعتقدوا إمامة المنصور بالله ثم بايعوه في ذلك الوقت . [غاية الأمانى ج ١ ص : ٣٦٠] كما أن العلامة الحافظ القاضي أحمد بن عبد الله الجنداري قد بين مذهب الامام المنصور وهو يشرح المسألة السابعة والعشرين في كتابه سمط الجمان شرح الرسالة الناصحة للاخوان وهي أرجوزة أو مسمطة الامام في « أصول الدين » التي سبق الكلام عنها وأشار الى أنه قال في كتابه « الشافي » « ان خطأ من تقدم علياً رضى الله عنه صغير في جنب سبقهم وسعايتهم لنصرة الدين وحسانتهم العظيمة أولاً وآخراً » .

وقال ان ذلك هو رأي الزيدية المخترعة وأكابر أئمة أهل البيت [ص : ١٢٧ نسختنا] ولا تنسجم هذه الأقوال الجديرة بامام ، وفحوى « الأرجوزة » المرعبة ، وقد سبق أن تحدّثت في السفر الأوّل عند الكلام عن « الامامة الهادوية » ، أو الرياسة العليا عن موضوع حصرها في « أولاد البطين » وناقشت العلامة المؤرخ عبد الله الشماحي واتفقت معه على ان « الحصر » تحجّر ، وانه قد جرّ الويلات على اليمن وعليّ المذهب الزيدي نفسه ، وبحثت موضوع نظرية الحكم في الاسلام عموماً ، وأسباب التعثر بين النظرية والتطبيق ، كما تعرّضت لنفس الموضوع وأنا أتحدّث عن « المطرفية » وأشارت إلى أن مذهب الامام زيد نفسه لا يقول بالحصر ، وأن أتباعه الأوائل من « الصالحية » و« البترية » كانوا لا يقولون بحصر الامامة أو الرياسة العليا في ذرية « الامامين » الحسن والحسين رضى الله عنهما ،

وَيُسْتَحْسَنُ أَنْ يَرِجَعَ الْقَارِئُ ذَلِكَ فَالْعَادَةُ وَالتَّكْرَارُ لَا يَسْتَسَاغَانِ وَقَدْ  
أَعْرَبْتُ عَنْ رَأْيِي بِوَضُوحٍ وَصِرَاحَةٍ هُنَالِكَ .

### صرخة الشماحي وصددها

ولقد وقف القاضي العالم المؤرخ الشاعر الكاتب عبد الله بن عبد  
الوهاب الشماحي من الأرجوزة المرعبة موقفاً فيه الكثير من الحق ، والقليل  
من العتب والانكار . وكما ناقشته في موقفه من « الامام الهادي » فلعله من  
المفيد أن أسجل أولاً تعليقه على تلك الأرجوزة :

قال : « انها قطعة تحكم على نفسها ، وعلى المتمسك بها بالعزلة ، إنها  
دعوة ان انطلت على مجموعة من الأتباع ، وانداحت في دائرة ضيقة من  
الدهاء ، فقد جنت على القائل بها وأسرته ودعوته ، وأبعدت الدعوة عن  
التطور والتوسع وعن مساندة ذوي الرأي والشان في مجتمعا » .

ثم قال : « انها نظرية عتيقة أضرت بالمذهب الزيدي القوي التشريع ،  
وأضرت بالمؤمنين بها وقد عارضها منذ القدم بعض أعلام العلويين والزيدية  
وأخيراً وقف في وجهها أحمد المطاع والموشكي وغيرهما » [ اليمن  
ص ١٠٥ ] .

وعليّ ثانياً أن أسجل أن وقفة الشماحي هذه كانت وقفة حق وانصاف .  
فهل يرضيه أن أجد نسبته الى الامام عبد الله بن حمزة وأن أقول معه :  
إن فحوى تلك الدعوة أمر ينفيه محمد ﷺ ولا تقره دعوته التي جاءت لتحرر  
الانسانية من العبودية لغير الله ؟

وأن أسجل باسم أئمة أهل البيت وفي مقدمتهم الهادي والمرضي ويحيى  
بن حمزة الحسيني ، وأحمد بن يحيى المرتضى بل وشرف الدين والقاسم  
بن محمد ولو شئت لقلت وأحمد بن يحيى حميد الدين شطب هذه الأرجوزة  
ورفضها وأقول انها لا تمثل إلا رأي قائلها كائناً من كان ، وان العقل والدين  
والانسانية منها براء .

أنا أعرف أن هذا استطراد قد ينكره « المنهجيون » ، ولكن مالي ولهم !  
لقد صرخ القاضي العالم زميلي في المسجد والنادي والسجن عبد الله  
الشماحي يقول : « نرجو من اخواننا الفاطميين أن يشاركونا في نظريتنا فهبَّ

جميعاً إلى إذابة التحجّر في الامامة ونقف معاً على مستوى الأخوة العربية والاسلامية .

وها أنا أقول لبيك يا عبد الله بن عبد الوهاب وأنا باسم محمد بن ابراهيم الوزير والحسن بن أحمد الجلال ومحمد بن اسماعيل الأمير وأستاذه هاشم بن يحيى الشامي وزملائك الشهداء عبد الله الوزير وحسين الكبسي ، وزيد الموشكي ، وأحمد عبد الوهاب الوريث ، أشاركك الدعوة لإذابة التحجّر ، والوقوف على مستوى الأخوة العربية الاسلامية ، وفي ظلال ميثاق ودستور الجمهورية العربية اليمنية ، وراية المبادئ الاسلامية الصحيحة .

إن صرخة « الشماحي » المدوية كان لا بد أن تسمع صداها ، وما أظن ذلك الزميل الزيدي الكريم إلا سيسعد عندما يسمع هذا الصدى . وسلام عليه في العالمين .

بعض الشعر نفثة طيش أو همزة عنفوان !

وأما إذا ثبت أن الأرجوزة للامام عبد الله بن حمزة ، ووجدت بخطه المعروف عند العلماء الثقات ؛ فاني أرجح عندئذ ، بأنها نفثة طيش وعنفوان شباب ، وكثيراً ما يعرفون ذلك الأذكىاء ، ولا سيما إذا كانوا شعراء ؛ ونحن نعلم أن دعوة « ابن حمزة » الأولى كمحتسب زيدي كانت سنة ٥٨٣ هـ وهو في الثانية والعشرين من عمره ، والفوضى السياسية تطمّ ربوع اليمن ، وربما أن خاطراً بشعاً زينه له شيطان شعره فقال ما قال ؛ ولأمر جليل قال الله يخاطب رسوله ومصطفاه ﷺ ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ [٩٧ - ٩٨ المؤمنون] وقد يفتت الشاعر ، وقد يفتت بما يشبه الجنون ؛ وقد حكى الله التهم التي كان الكفار يجاربون بها الوحي والذكر المبين ، فقال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، بَلْ أَقْرَأَهُ ، بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء : ٥] و﴿ وَيَقُولُونَ أَأَنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتَنَا لَشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ [الصافات : ٣٦] و﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾ [الحاقة : ٤١] وقال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفكٍ أئيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ، والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ ييمون ، وأنهم يقولون

ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ،  
وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿ ﴾ ،  
ولا ريبٌ عندي - إذا كان الامام عبد الله في نزقة شباب ؛ قد قال تلك  
الأرجوزة - فانه قد رجع عنها وذكر الله كثيرا وندم وتاب ، وقد سمعنا قديماً  
وحديثاً ندم الشعراء على بعض ما فرط منهم ، وتوبتهم واستغفارهم بل  
واحراقهم لكل أشعارهم أو جلها .

وسمعنا شاعر الاسلام أبا العلاء المعري يقول وهو يقدم لديوانه « سقط  
الزند » : « وما وجد لي من غلو علق في الظاهر بآدمي ، وكان مما يحتمله  
صفات الله عز سلطانه فهو مصروف اليه ، وما صلح لمخلوق سلف من  
قبل ، أو لم يخلق بعد ، فانه ملحق به ، وما كان محضاً من المين لا حجة  
له ، فاستقيل الله العثرة فيه ، والله تعالى استغفر وإياه أسأل التوفيق » .

ولقد سمعنا وقرأنا أن الملوك والزعماء واشراف العرب في الجاهلية  
والاسلام كانوا لا يحبون لأولادهم أن يشتهروا بالشعر ، وقصة أمرؤ القيس  
أمير الشعراء مع أبيه حجر معروفه ، وأصغينا إلى الامام الشافعي يقول :  
ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد .

وقال الشريف الرضي يخاطب نفسه :

مالك ترضى أن تعد شاعراً بعداً لها من عدد الفضائل  
وقال يخاطب أباه :

إني لأرضى أن أراك ممدحاً ، وعلاك لا ترضى بأني شاعرٌ

وقد حاول شاعر العربية أبو الطيب المتنبي أن يدافع عن نفسه حين قال  
وفؤادي من الملوك وإن كان لساني يرى من الشعراء .

ومع ذلك فلأنه شاعر معروض للذلة والهفوة والهمزة والأندفاع ؛ وقد  
تقحم في أشد الهجاء فحشاً مما لا يليق بالناس الأبرار سواء كانوا رعايا أو  
ملوكاً ! وبعض النقاد يقولون إن قصيدته في « ظبه » مما دس عليه وأخلق به  
وبفحشها أن تكون كذلك .

ولأمرٍ ما نزه الله سبحانه رسوله ومصطفاه عن قول الشعر ، وقد كان الكفار والجاحدون يقولون إن النبي ﷺ شاعر إمعاناً منهم في التقليل من قيمة الوحي لأن معظم الشعراء يقولون ما لا يفعلون ، ويهيمون في كل واد ، ويكونون عرضةً لتنزل الشياطين ؛ فقال تعالى : وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبين » ؛ يريد جل وعلا ان القرآن ليس من جنس الشعر ، أي الكلام المزخرف الموزون والذي قد يبني على خيالات فاسدة ، وأوهام واهية ، ومنه الحسن ومنه القبيح ، ومنه الكذب ومنه الصدق ؛ بل هو ذكرٌ من الله يُقرأ في المحارِبِ ويُنال بتلاوة آياته ، والعمل بما فيه الأجر والفوز في الدارين ؛ وقد يكون الشعر من همزات الشياطين ، وأما القرآن فإنه ذكرٌ للعالمين ، « لينذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين » [يسن : ٦٩ - ٧٠] .

وإذن ، فإذا ثبت أن « الأرجوزة المرعبة » من كلام الامام عبد الله بن حمزة أيام عنفوان شبابه الشعري ، وحماسه المذهبي ، فلا يخامرني ريب إنه قد ندم على نظمها ، ورجع عما تعنيه ، وتاب منها وأتاب ، لأن أقواله التي نقلها عنه الثقة ، وأثبتها في مؤلفاته وأشرنا إليها سابقاً تقضي بذلك ولأنه كان من العلماء الاعلام .

### أراجيز الجدل المذهبي

والحديث عن « الأرجوزة المرعبة » للامام عبد الله بن حمزة ومحاولتي المتكلفة أن انزّه عنها أو أن أقول انه قد تاب وندم على نظمها ؛ وذلك بدافع تقديري لذلك العالم الجليل ، أو لأنني أنتمي الى الطائفة الزيدية ، التي ينتمي أصلاً إليها . . يجزني الى ذكر « أراجيز » و « قصائد » الجدل المذهبي التي دارت بين علماء وشعراء « المطرفية » و « المخترعة » من أتباع المذهب الزيدي .

ولقد أشرت في بعض الفصول السابقة إلى بعض أعلام الفقهاء وأئمة اليمن الذين عرفوا بالشعر واتخذوا منه وسيلة للاعراب عن معتقداتهم المذهبية وآرائهم الدينية والسياسية وفيهم « الهدويون » و « الباطنيون » و « الحسينيون » ، ومنهم « الأشعريون » و « المعتزلة » و « الخوارج »

و « الشيعة » و « الحنابلة » وغيرهم . وقد نشبت عدة ملاحاة بين شعراء كل تلك الطوائف وليس في اليمن فقط بل وفي سائر الأقطار الاسلامية عبر العصور . وهناك الكثير من المنظومات في علم الكلام ومسائله الخلافية ، والفقه فروعاً وأصولاً ، وقد سبقت الاشارة إلى بعضها ونحن نتحدث عن اعلام الفترات السابقة وهي خليقة ببحث مستقل ، ولا تقل أهمية فنية وأدبية عن تلك الملاحات العنصرية والعشائرية التي دارت بين شعراء « القحطانيين » و « العدنانيين » وأشرت إليها في فصل « الدوامغ » .

على أن من أهم تلك الملاحات الجدلية ، والنقائص المذهبية و « التراجز » العقيدي ، ما نشب بين شعراء فئتي « المطرفية » و « المخترعة » من صراع شعري أثمر العشرات من القصائد والأراجيز التي تراجزوا بها ، وهم جميعاً ينتمون إلى إمام واحد هو الهادي يحيى بن الحسين وكل منهم يدعي أنه « زيدي » الرأي والمذهب ، ويزعم ان الحق يدور معه حيث دار .

وقد تأججت نار فتنة « أراجيز » الجدل ، وقصائد الصراع المذهبي في أواسط القرن الخامس الهجري وظلت حامية الوطيس حتى أواسط القرن السابع الهجري ، ولو أن باحثاً أو ناقداً يعني بجمعها ، والبحث عن ما هو موؤد منها وتأليف ما تشتت منها في حنايا المخطوطات ولا سيما طبقات الزيدية لمسلم اللحجي ومطلع البدور لابن أبي الرجال ، والمستطاب ليحيى بن الحسين وغير ذلك من الكتب التي لم تنشر بعد لأضاف إلى ديوان الأدب العربي شيئاً ثميناً جديداً .

ومن أقدم الأراجيز تلك التي أنشأها الشاعر اسماعيل بن علا وهاجم بها « المطرفية » وهي طويلة ومنها :

يا أخوي من بني عقيل      كم شرك بالواحد الجليل  
يزعم أن خلق كل جيل      بحكمة الأربعة الأصول

ومنها :

وقلتم الموت المتاح المرئم      ليس من الله عليكم يحتم  
سودا وصفرا قلتم وبلغم      من الطباع ؛ والغذاء والدم  
إن سلمت في المرء فهو يسلم !

رووا لنا أن صبيّاً ماتاً في « ريدة » وجاور الأمواتا  
فقال شيخٌ حضر الوفاة وحمل المشعل والمخلاة  
لو أحكمته أمه ماتاً !

ومن الأراجيز التي ساهمت في اشعال الفتنة الطائفية تلك التي ألفها  
العلامة محمد حميد وقد سبقت الاشارة إليها في ترجمته وهي التي ناقضها  
الشاعر المطرفي أبو السعود بن زيد الذي وقفنا معه وقفة ليست بالقصيرة في  
السفر الثاني وقلنا إنه قد ردّ عليه بأرجوزة طويلة سببت له الموت بتحريض  
ابن حميد .

وقد أفضى بي الحديث عن « الأرجوزة المربعة » إلى ذكر « أراجيز الجدل  
المذهبي » لأنني أظن ان الحماس الذي دفع الشاعر الامام عبد الله بن حمزة  
في أرجوزته إلى أن يقول :

العلم في آل النبي من صغرُ نصّ عليه جدهم خير البشرُ  
وغيرهم ليس بمغنيه الكبر لو شاب شعر رأسه أو انتثرُ  
يا قوم ليس الدر قدراً كالبعرُ ولا النضار الأبرزي كالحجرُ  
كلا ولا الجوهر مثلٌ للمدرُ فحاذروا في قولكم مسّ سقر

وهو قول مرفوض عقلاً وشرعاً كما أوضحنا وإنما اندفع هذا الاندفاع الذي  
قلنا إنه ربما كان في عنفوان شبابه وإنه قد ندم لذلك ، ليردّ رداً غير مباشر  
على ما قاله العلامة المطرفي أبو السعود بن زيد في أرجوزته عندما فند الرأي  
الذي يقول ان الامامة بالنص دون وجود الصفات والشروط ، وبطلان قول  
من يقول إن الفضل يكون بلا عمل إذ قد قال :

والنص وصف بالشروط العاليه ليس كما قال فروع الغاليه  
بالسبق حاز السابقون الفضلا وانتخبوا أئمةً ورسلاً  
حكماً من الله تعالى فصلاً لكل من كان لفضل أهلا  
لا يظلم الله ولا يحابي والفخر في رأي ذوي الأبواب  
بالصبر والصدق وترك العاب لا بالمنى والكبر والأنساب  
كل بني حواء من أم وأب لم يخلقوا من فضة ولا ذهب  
يل لهم الفخار أهل ونسب والفضل بالتقوى على حسب الرتب  
من علم الله تعالى خيره قلده في المسلمين أمره  
وأختاره منهم وأعلى قدره يحكم بالحق ويحيى ذكره



إلى أن قال :

معروفة الترتيب والأقسام  
في الحكم والخصائص الجسام  
والطيبين من بني البتول  
والأثر المصحح المنقول  
والاجتهاد في صلاح الدين  
كما حكى القاسم في المكنون  
كالشمس يفي حيرة الوقاف  
وآل عمران وفي الاعراف ،  
أو لم تكن حكماً من الله وجب  
جازت إذا في كل عجم وعرب  
ولو أتى سام بمثل جهله  
منتخباً في عصره بفعله !  
لما وفوا بالعهد والميثاق  
ليس كما قلت بلا استحقاق  
من صلب إسحق وكانوا هوداً  
والبغي أردى قبلهم ثموداً  
وحجج الله تعالى قائمة  
ليس على ما قالت البراهمة !  
أو طاهر من أهله زكي  
فعالم مستبصر تقى  
مجانب أهل البروق الخالبه  
مع الكتاب والعقول الثاقبه

للناس من أفعالهم أسامي  
من عهد هابيل وعهد سام  
فان تكن خصائص الرسول  
واجبة في العقل والتنزيل  
فهي إذا بالصبر واليقين  
والعلم بالمفروض والمستنون  
وفي الدليلين دليل شافي  
شاهده في سورة الاحقاف  
وإن تكن واجبة بلا سبب  
لم تبناه تعالى وانتخب  
عصى ابن نوح فانتفى من أهله ؛  
لم يك سام سامياً في فضله  
والطيبون من بني إسحق  
كانوا هم أئمة الآفاق  
لكن قوماً نبذوا الحدودا  
فمسخوا لما بغوا قرودا  
للفضل بالتقوى شروط لازمه  
بالعدل في كل زمان حاكمه  
إن لم يكن في فترة نبي  
يمضي حقوق الشرع رباني ؛  
مواضب على الفروض الواجبه  
ينهي عن الفحشاء خوف العقابه

لا شك عندي إن تلك الغضبة المضرة الحمزوية ، التي هتك بها الشعر  
شرعة العقل والمنطق والعرف والفترة ، كانت ترد رداً مباشراً على أرجوزة أبي  
السعود بن زيد ولا سيما حين قال الامام :

لما تنأى أصله عن أصلي  
أهل الكسا موضع علم الرسل !  
ولا إلى آل الحسين المؤمن

ما حكمه عند ثقة الفضل  
ولم يكن من معشري وأهلي  
وما له أصل إلى آل الحسن

بل هو من أرفع بيت في اليمن      قد استوى السر لديه والعلن  
أما الذي عند جدودي فيه      فينزعون لسنه من فيه  
ويؤتمون جهرة بنيه      إذ صار حق الغير يدعيه !  
اللهم نستعيد بك من شطحات القلم وجمحات اللسان .

وهذه الأراجيز ونقائضها من الجانبين إلى قصيدة أبي السعود بن محمد العنسي الطويلة التي أثبتناها في ترجمته ورائية الامام عبد الله بن حمزة والرد عليها من قبل العلامة المطرفي « ابن النساخ » ، إلى قصائد وأراجيز أخريات موزعة ومشتتة في كتب التاريخ والتراجم والطبقات وسير الأئمة والسلاطين وكتب علم الكلام تصوّر إحدى المعارك الأدبية والفكرية في تاريخ اليمن بل هي من أكبر المآسي في تاريخ الاسلام . وهي جديرة بالدراسة ؛ ولو جمعت وحقت لأثرت ديوان الشعر العربي وأضافت جديداً متمماً إلى كنزه الثمين .

## ٢ - الامام الداعي يحيى بن المحسن الحسيني

[ت ٦٣٦هـ / ١٢٣٩م]

الامام الثاني من أئمة الفترة الرابعة ومن حاربه أبناء الأئمة هو الامام الداعي المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى بن ناصر بن الحسن بن الأمير المعتضد بالله عبد الله بن الامام المنتصر محمد بن المختار القاسم ابن الامام الناصر أحمد بن الامام الهادي يحيى بن الحسين ابن القاسم الرسي .

دعا إلى نفسه اثر وفاة الامام عبد الله بن حمزة ١٢ المحرم عام ٦١٤هـ الموافق أبريل سنة ١٢١٨ م بنواحي « صعدة » وبإيعه معظم العلماء ، ولكن الأمير محمد بن الامام عبد الله بن حمزة ، أعلن « الاحتساب » في « كنين » وتابعته سنحان ، وإخوانه وسائر الأشراف وحصلت بينهم وبين الداعي معارك كانت الغلبة فيها للأشراف الحمزات وقد ظل متنقلاً ما بين الأهنوم وشهارة وخولان الشام وغيرها حتى تلاشى أمره وانعزل في هجرة « ساقين » يدرس ويُدْرَس ، ويكتب ويؤلف حتى توفاه الله في شهر رجب عام ٦٣٦هـ / ١٢٣٩م بعد اثنتين وعشرين عاماً من الصراع والتغرب .

وكان ممن أحرز شروط الامامة عند أهل الحل والعقد من الزيدية ، ولكن

أولاد الامام عبد الله بن حمزة عارضوه وحاربوه ، وتحالفوا ضده وضد خلفه ، مع الأيوبيين والرسوليين ، وقد ترجمه السيد محمد زبارة في كتابه « أئمة اليمن » فقال :

« أخذ العلم بصعدة عن الفقيه سليمان بن عبد الله السفيناني ، ومحمد بن الحسن النجراني ، والأمير علي بن الحسين الحسيني وغيرهم ، وتبحر في العلوم ، وحقق منطوقها والمفهوم قال الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة : إن لصاحب الترجمة علم أربعة أئمة ، وإن رُبِع علمه يكفي الامام الأعظم . وإلى ذلك أشار محتجاً على أولاد الامام عبد الله بن حمزة لما عارضوه :

شهد المنصور عبد الله لي      بظفار ، وبصنعا ، وحكم  
إن لي علماً غزيراً ربُّعه      عندنا يكفي الامام المحترم ! »

« وكان شاعراً بليغاً بطلاً شجاعاً وله مؤلفات نافعة في العربية وغيرها ومنها في أصول الفقه كتاب المقنع وفيه يقول :

هذا الكتاب كتاب المقنع الشافي      أرْبَى على الكتب في مجموع أوصاف  
دجى معانٍ تجلَّى منه في شهب      من الكلام درارٍ بين أصداف  
أدلة كسيوف الهند قاطعة      صقلتها بصقيل الفكرة الصافي  
وما احتذيت مثلاً فيه عن أحدٍ      إلا طريقة آبائي وأسلافي

وعاقه الحمام عن إكمال تأليفه فأكمل الجزء الثاني منه البدر العلامة الأمير محمد بن الهادي بن تاج الدين المتوفي سنة ٥٧٢٠ هـ « [ص ١٤٣ - ١٤٤ ج ١ - ] .

وتعرض ابن أبي الرجال وهو يترجم للأمير محمد بن الهادي لذكر الامام الداعي فقال : « وكان الامام يحيى بن المحسن الغاية في العلوم درايةً وروايةً وكان بليغاً ، فصيح النظم والنثر بل واشتهر عند بني الهادي أنه أفصح قریش ، وله من الشعر كل معنى عجيب ، وله في النحو مصنفات وكتابه المقنع من وجوه كتبه « [مطلع ص ٤٠٠ ج ٤ : ] .

أرضُ الله واسعة :

ومما كتبه يعاتب الأمير محمد بن عبد الله بن حمزة على معارضته له .

ألم ننقم بثأركموا قديماً  
قتلنا « عامراً » فيه انتقاماً  
بحمزة يوم أهلكه الزواحي  
و « منصوراً » بأطراف الرماح  
فأرض الله واسعة النواحي  
إذا ملكت يداك مسير يوم

ظلم القرباب :

ولا شك ان الألم والحسرة كانا يعتصران قلبه ، حين يرى انه يستطيع القيام بحجة الامامة الزيدية ، ويأمر بالعدل والاحسان ، ولا يحول بينه وبين ذلك إلا معارضة أولاد الامام عبد الله بن حمزة الذي كان يرشحه للخلافة ويقول : « إن عنده علوم لا يحتاج إليها الامام ، وإنه لا يعلم في دار الاسلام أعلم منه » ولذلك قال :

وعاذل لام في اغترابي  
فقلت مهلاً فان عقلي  
ظلم القرباب لم يدعني  
جهدت في نصحهم وخانوا ؛  
ولم أطع في الهوى عدولاً ،  
وأنكرت « يعرب » مرامي  
كأنني قد أتيت إذا ؛  
يهدي إلى الرشد ليس يهدي  
أورى لهم في الخطوب زندا ،  
راموا ضلالاً ، ورمت رشدا !  
ولم أطق للقضاء ردا ،  
فلم أجد في البعاد بُدا !

إعتزاز المنهزم :

ولم يكن يتصور أن يحاربوه ثم يسالمون « الرسوليين » فقال من قصيدة إلى الأمير المؤيد أحمد بن القاسم وكان الأشراف كانوا قد آذوا أهله في « صعدة » :

أترضى بهدم الدين يانسل قاسم ،  
وما كان إلا نشر أيمن دعوة  
فعارضها أبناء حمزة عنوة  
هموا حسدونا أرثنا من جدودنا  
ثلاثون منا من إمام نعهده ،  
وكشف حريم جدهن محمد  
إلى الخلق تهديهم بحق وترشد  
ومالوا إلى الكردي جهلاً وقلدوا  
ضلالاً وأرباب الرياسة تحسد ؛ !  
ومحتسب ؛ هل فيهم ذاك يوجد ؟

وأظنه حين أغترب ؛ يلحق جراح خيبته ، وأساه على أشراف بني حمزة ، وينظر ترددهم على أبواب سلاطين الجور ، ويتذكر موقف عميه الأميرين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى القطابري وأخيه محمد بن أحمد وزهدهما

ومناصرتها للامامين أحمد بن سليمان وعبد الله بن حمزة ورفضهما لعرض الأخير عليهما بأن يعمرا قلعة « تلمص » لهما ، خشية أن يصبح حصناً لأولادهم يظلمون الناس متحصنين بها ، كما هو شأن أولاد الامام ابن حمزة معه ، ومع من سيأتي بعده من أئمة الحق والهدى ؛ لم يجد من عزاء ولا نصير إلا أن يفتخر بنفسه قائلاً :

أنا كنز الله في الأرض وما      قلت في دعواي هذا كذبا !  
 وأمين الله في الخلق فهل      بعد هذا ابتغي لي مكسبا ؟  
 وإذا صدت « معدُّ » لم نلِّم      إن دعونا للعلل أبنا « سبا »  
 « حمير » الشم و « كهلان » الأولى      كرموا فرعاً وطابوا منصباً

### مؤلفاته وآثاره :

يقول الباحثة عبد الله الحبشي في كتابه « حكام اليمن المؤلفون » ان من مؤلفاته :

- ١ - رسالة الجواب على « الشتوي » ذكرها « الزحيف » في شرح « البسامة » ونقل منها بعض الفقرات .
- ٢ - المقنع في أصول الفقه ، ومنه نسخة مخطوطة ذكرها بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي .
- ٣ - أرجوزة أولها :

الحمد لله المعيد المبدي      أحمده فهو ولي العبد  
 ومنها نسخة مخطوطة ضمن مجموعة بمكتبة الامبروزيانا برقم : ٩٩ ولم يذكر موضوعها .

٤ - شعر الامام المعتضد نقل منه بعض المختارات العلامة « الزحيف » في مآثر الأبرار .

### منزلته الشعرية :

أما منزلته العلمية ؛ فحسبه شهادة الامام عبد الله بن حمزة وأما ما قاله المؤرخ الأديب الشاعر إنه « اشتهر عند بني الهادي بأنه أفصح قريش » ؛ فلا أستطيع أن أقرّ هذه الدعوى العريضة قبل الاطلاع عليه ، وحظي حتى الآن منه نزرٌ يسير ، ولكن حياته وصراعه طيلة اثنتين وعشرين عاماً في سبيل الدعوة إلى الحق والخير والعدل والاحسان هي اسما من كل شعر ؛ وفوق

بلاغة أي بيان .

### الصفات المشتركة

بين أمراء بني « حاتم » و « الحمزات »

لا أعرف في تاريخ العرب ؛ الجاهلي منه والإسلامي ، أسرتين تمكنتا من السلطة وتنافستا عليها في عصر واحد ورايتهما « الفروسية » وشعارهما « الشعر » ، كأسرتي « الحاتميين » الهمدانيين و « الحمزيين » الحسينيين .

ولا أعرف حكماً ولا سلاطين ولا أمراء في تاريخ العرب والمسلمين . . . كانت « الفروسية » و « الشعر » ودوافعهما تتحكم في تقاليدهم وعقائدهم وأحداث مجتمعاتهم بل وفي سلوكهم مثل الأمراء والسلاطين « الحاتميين » و « الحمزات » . . . في هذه الفترة التي نتحدث عنها بعد وفاة الامام عبد الله بن حمزة ، وفشل خلفه الامام يحيى بن المحسن ، وموت المسعود آخر سلاطين بني أيوب .

وكانوا فرسان رهان ؛ بطولاً وشجاعةً وفروسيةً وشعراً ودهاءً ومكرًا ، ولعبوا أدواراً غريبة عجيبة مع الأئمة ، وسلاطين بني رسول ؛ سرعان ما يخلفون ، وسرعان ما يتفقدون ، والفروسية هي القانون الذي له يخضعون ، والشعر لغتهم التي بها يتخاطبون ؛ أصدقاء أو متخاصمين ، متحالفين أو متحاربين .

وقد سبق أن تحدثنا عن أبيهم السلطان الفيلسوف الطيب الشاعر حاتم بن أحمد بن عمران الذي نصبته همدان لها سلطاناً سنة ٥٣٣ هـ ، وذكرنا ما دار بينه وبين الامام أحمد بن سليمان من صراع بالسيف والقلم والسنان والبيان ، وعرفنا أنه كان يملك من عتاق الخيل ما لا يملكه غيره في عصره ؛ وكنا قد عرفنا إن جده عمران كان أحد أركان الدولة الصليحية ، والدعوة الاسماعيلية ، وأنه كان عالماً وشاعراً ، وأن أباه القاضي أحمد بن عمران اليامي كان عالم همدان ، والمستضاء برأيه يخلع ويولي من يختار ويشاء من السلاطين والزعماء وما إن توفي السلطان حاتم بن أحمد حتى خلفه ابنه علي بن حاتم عام ٥٥٦ هـ واستمر في السلطنة إلى أن قُصها عليه السلطان توران شاه سنة ٥٧٠ هـ كما ذكرنا سابقاً وظل حيناً مع الأيوبيين ، وحيناً مع الأئمة ، وتارةً مستقلاً حتى توفي سنة ٥٩٦ هـ قبل وفاة الامام بن حمزة

بحوالي ثمانية عشر عاما ، وقد كان كأبيه فارساً شاعراً خراجاً ولاجاً ، وتعمّر طويلاً حتى اشتهر أولاده وأحفاده بالفروسية والشعر أيضاً .

وقد سبق أن ذكرنا ما كان يتمتع به آل حمزة من صفات العلم والأدب والفروسية ، وذكرنا ان الامام عبد الله اجتمع له من الخيل ما لم يجتمع لغيره وذكرنا أرجوزته الفريدة في الخيل وشرحها لابنه أحمد بن عبد الله وكان له من الأولاد حوالي عشرة معظمهم فرسان شعراء .

وإذن فهناك صفات مشتركة توحد بين هاتين الأسرتين وتحدوهما أيضاً إلى التنافس على السلطة والجاه وحب التفوق والسبق في الميادين التي يتسابق فيها فرسان الامارة وأرباب البيان . ولهم أخبار مثيرة مبثوثة في كتب السير والتراجم والتاريخ .

#### مساجلات الحرب والشعر :

لما ثار مرغم الصوفي في سنة ٦١٩ هـ بعد سفر السلطان المسعود إلى مصر واستنابته على اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول ، الذي انهزمت حملته العسكرية على « الصوفي الثائر » في « سحمر » وبلاد يريم ، وحوصر نور الدين في « دروان » وتفرق عنه « الغز » ، طمع الأمير المحتسب محمد بن الامام عبد الله بن حمزة في احتلال صنعاء واغتنام فرصة هزيمة « الغز » وتمزقهم ، وكان أحد عيونه من الفقهاء قد أعلمه بكل تلك الأحداث وحثه على الزحف على صنعاء .

وقد استجاب الأمير محمد إلى ذلك ؛ وحشد حوالي سبعمائة فارس والفي راجل وزحف بهم نحو صنعاء واحتل جبل « عَصْر » غربياً ، وأجاب على صديقه الفقيه بأبيات من جملتها :

لك عقبى يومٍ تظل به البيض حيارى ، والنقع فيه مشارٌ  
حولي اليعربان « عنزٌ » و « قحطان » و « جنبٌ » وأختها « أنهارٌ »

وكان السلاطين من آل « حاتم » في فترة وئام مع « الغز » ، ومن المناصرين لهم ضد الأمراء الحمزيين فنهض الأمير سالم بن علي بن حاتم وعلوان بن بشر بن حاتم في خيل ورجال من ذي مرمر اعانة لمن في صنعاء من أمراء « الغز » وقد وصف الأمير بدر الدين محمد بن حاتم المعركة التي

دارت بين الأشراف الحمزات وبين الغز والتي انتهت بهزيمة الأشراف وصفاً مفصلاً في كتابه « السمط الغالي الثمن » [ص ١٧٩ - ١٨٩] .

والذي يتصل بما نحن بصدده هو قوله : « يحكى إن الأشراف لما همّوا بقصد صنعاء ، وأجمعوا أمرهم ، لم يكن عندهم شك في الاستيلاء على صنعاء وكان عز الدين محمد بن الامام يتمثل في سيره إلى صنعاء بيتين لوالده عبد الله بن حمزة من قصيدة :

لا تحسبوا أن « صنعاء » جلّ مأربتي ولا « تعزّ » ولو أشجيت حُسّادي  
وأذكر إذا شئت تُشجيني وتطربني كَرّ الجياد على أبواب بغداد .

ويقول لكل من وجدته في طريقه : تقدموا معنا للغنائم فحين رجع منهزماً مصاباً في عينه اعترضته امرأة وقالت : أين حقنا من الغنائم يا شريف ؟ فكان الأمير يحكيها لأصحابه ويقول : هان عليّ تلاف عيني ولم يهن عليّ قول الحرمة ! ويقال إن الأمير عز الدين [محمد] وأخاه شمس الدين [أحمد] لما تقدما إلى « تلا » ليلة انهزامها كانا يتقارضان قصيدة ارتجالاً على ظهور خيلهما ومن جملة ذلك قول الأمير عز الدين :

فلو نظرْتنا يا ابنة العم أعين بصنعاء يوم « ابن الرسول » إستهلّت  
فقال شمس الدين :

عشية أرسى جمعهم بلبانه ونفسى قد وطّنتها فاطمأنت  
ثم قال يُعزّي « دحروجاً » عن أخيه جابر :

فقل لأمير الدين صبراً فانها صروف الردى مها ادلهمت تجلّت  
ومادام عز الدين فينا فأننا على ذروة في المجد أشرف ذروة

وما برحوا كذلك حتى وصلوا تلا وقد افترق جمعهم ، ولم يصل منهم غير أربعين فارساً وهم الأشراف وعبيدهم . وقال بعض المتعصين للأشراف : « إن الهزيمة لم تكن ذلك اليوم من جبن فيهم ولا خور ، ولكن بارادة المقدور وهو ان الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة كان من جملة من حضر هذه الوقعة فمازال يقاتل حتى جاء وقت العصر ، فنقل حصانه عادلاً لصلاة العصر ، ولحقه غلمانة وحاشيته فظن باقي عسكر الأشراف إنه انهزم والله أعلم أي ذلك كان » .



وبالرغم من أن السلاطين آل حاتم كانوا يجاربون في صف الغز ضد الأمراء آل حمزة فقد كتب السلطان مدرك بن بشر بن حاتم بعد تلك المعركة قصيدة إلى الأمير المنهزم بعين واحدة ؛ الأمير محمد بن الامام عبد الله بن حمزة يسليه ويعزيه وكأنه من أنصاره وشيعته وقال فيها :

وقفى قليلاً لا أبالك وانظري	غضبي رناك عن الهزبر المخدر
أيدي السباع بكل ظفر أخضر	عما قليل والفلأة تجسها
ومضج بدمائه ، ومعفر ،	ما بين منجدل يخر لوجهه
ولا عجب لجزر الأبحر	فالبحر يجزر بعد مد عبابه الطامي ،
حمدتك حين سللت صافي الجوهر	يا عز دين الله كم من مهجة
والموت يمشى مشية المتبختر	غادرت في ضرم الوطيس تحسها
حتى تحامتك العدا وبكت أسباب الردى	فأنتم أولى بيت قاله الحسن
بن هاني في قديم الأعر	فقت لكم ريح الجلاذ بعنبر
وأمدكم فلق الصباح المسفر	فليهنكم حمد المعالي بأسكم
لما تدانى عسكر من عسكر	هي غلطة في الدهر بل هي غبطة
أدت بسهل الورد ضنك المصدر	إن لم تكن أمساً ؛ فقد كانت لكم
من قبله ؛ وغداً لكم فاستبشر	

وكتب السلطان علوان بن بشر بن حاتم اليامي إلى الشريف عز الدين محمد بن الامام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة .

وأسمى في المعالي من يسامي	أسادات الورى من كل حي
وأحماها إذا عدم المحامي	وأربطها لدى الهيجاء بأسا
علي فعدتم في كل عام	أهنتكم قدوم العيد فرضاً
إلى المأموم منكم والامام	وأهدي نحوكم أزكى سلامي
فما يشفي سوى صدق الكلام	وأسمعكم أحقاً ما سمعنا
ولما تخش عاقبة الملام	بأن جموعكم طارت شعاعاً
فراراً لم تكرر ولم تحامي	وولت غير كاسبة ثناء
تحامت من بني حام وسام	سوى عشر فحياً الله عشرأ
شهاب الدين محمود المقام	ولم يحضر من الأمراء إلا
ليوث الحرب في يوم الصدام	ونور الدين والبدر المرجى
وهم ما بين رمح ورامي	وخيلهم إلى مئة وعشر

فماذا تصنعون إذا ألت  
ولاحت راية المسعود فيها  
هنالك تندمون ولا محيص  
فأن تقبل نصيحة ذي وداد  
أتيتم طائعين إلى مليك  
فتى هزت بنو أيوب منه  
وقلدت الأمور إليه لما  
وقالت عند ذلك قول فذ  
فأعط القوس بارها ودعها  
فذب برأيه والسيف عنهم

جنود الملك في يمن وشام  
كلائحة على أرجاء طام  
إذا حُمَّ القضاء لدى الحام  
فان النصح من شيم الكرام  
شريف النفس ذي منن جسام  
حسامٌ مضى يفل شبا الحسام  
غدا لا بالددان ولا الكهام  
أديب شاعر حسن النظام  
فقد أودعتها في كف رام  
وقام بملكهم أوفى قيام

فأجابه عز الدين محمد بن الامام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان بن  
حمزة يقول :

أمن برق تألق بابتسام  
لذكر الوصل أو لفراق غيد  
رعى الله الديار وساكنيها  
فلا تعجب لتذكاري فاني  
وأعجب من تذكر وصل هند  
سليهم المتوج أرضعوه  
وأودعه السلام فلا عدمننا  
ويخبر عن طراد الخيل قولاً  
بأن جموعنا طارت شعاعاً  
سوى عشر أغارت غير نكر  
ولو كان الأمير الندب فيها  
لزارت بيتنا عصب عصاب  
ولكن عاقه الرحمن عنا  
وكيف تعدد هذا القول نصحاً  
فواعجباً تدافع عن حمانا  
فليس لنطح صخرتهم سوانا  
وإن كانوا لعمر أبيك أسداً

أرقت ولم تذق طعم المنام  
تضيء وجوهها جناح الظلام  
وروى ربعا صوب الغمام  
ذكرت منازل الحي الكرام  
كتاب جاءنا من ملك يام  
لبان المجد من قبل الفطام  
أنامل نمنمت أركى سلام  
أحقاً ما يقال من الكلام  
وولت لم تكر ولم تحامي  
فعادت جناحاً مثل السهام  
عماد الدين محمود المقام  
بكل مهند غضب حسام  
فلم يحضر ويوم الروع حامي  
وقد صدعت له صم السلام  
وتنسبنا إلى فعل اللثام  
بني حسن فكف عن الكلام  
تشب لدى الوقائع بالضرام

## مخاطبة الملوك :

والسلطان مدرك بن بشر بن حاتم هو منشى القصيدة في وصف معركة عَصْرُ بين الأشراف والغز ؛ وكان قد طلب منه الأمير بدر الدين ابن الرسول أن يعمل له أبياتاً تتضمن ذكر الوقعة والفخر بما كان لبيعثها إلى الملك المسعود إلى مصر مع رؤوس النظراء ممن قتل في المعركة وهي :

سلا ذات سمطِ الدرِّ والمارنِ الأقيي      لدى عَصْرٍ من أصدقِ الضربِ والطعنا ؟  
ومن شهدت « صنعاء » لولا بلاؤه      لما فارقت رعباً ، ولا فارقت أمنا ،  
فقد كانت البيض الخرائد خيفة السبا من أعاديننا أساءت بنا الظنا  
فلما تدانى الفيلقان عشيةً      غدا الهام فيها منهم والظبا منا !  
ورحنا إلى قصر « القليس » نصافح الكؤوس ،      يُغْنِينا النديم الذي غنّى !  
وخيل غشتنا بالأسنة بعدما      تكدّسن من هنا علينا ومن هنا  
ضربن الينا بالسياط جهالةً      فلما تعاركنا ضربن بها عنا  
وشيمتنا وصل السيوف بخطونا      إذا أقصرت حتى نعيد العدا طحنا  
ونحن متى شئنا دسرنا عدوتنا      ولم نحتمل حقداً دفيناً ولا ضغنا  
فلا زالت الأخبار منكم تسرنا      كما سرکم في مصر مخبرکم عنا !

وقد قال المؤرخون إن الملك الكامل الأيوبي لما أطلع على القصيدة استعظم التزام المخاطبة فيها بنون العظمة ، وقال للملك المسعود من هذا يايوسف الذي يخاطبك بهذه المخاطبة ؟ فقال : رجل من أمرائي يعرف بابن الرسول . فقال الكامل : هيهات والله ما هذه مخاطبة أمير بل مخاطبة ضد ، فان لم تثب عليه وثب عليك ؛ قالوا « وأسرها يوسف في نفسه » فلما عاد إلى اليمن سنة ٦٢٤هـ قبض على الأمير بدر الدين وأخويه فخر الدين وشرف الدين أبناء « ابن رسول » وبعثهم إلى مصر ولم يبق غير أخيهم عمر الذي سلم إليه بابه وجعله أستاذ داره ، ولم يكن يعلم أن ناظم القصيدة هو مدرك بن بشر بن حاتم وقد حكى مؤلف السمط إن من أسباب القبض على بدر الدين الحسن بن رسول وأخويه وشاية من الحسام لؤلؤ . فقد كان يريد الكيد له حسداً ومنافسة ، وانه قال للمسعود إن بدر الدين أرسل يطلب مالاً من خزينة تعز فأجابه معتذراً فعاد جوابه : إذا لم ترسلوا لي الأموال نزلت وأخذت الحریم بعقصهم فحين سمع المسعود ذلك عظم عنده على ما قد صار مؤصلاً لديه من وصية والده ثم علق على ذلك بقوله : « وكل شيء

تحتمله الملوك وتغضى عنه إلا الدالة عليهم ، والطعن في دولتهم والخوض في حرمهم » [ص : ١٩٣] .

والمحاورات الشعرية بين شعراء وفرسان هاتين الأسرتين مبثوثة في كتب التاريخ والتراجم وقد نأتي على بعضها عندما نترجم للمشهورين من شعرائهم إن شاء الله .

## دولة بني رسول

سبق القول إن الملك المسعود الأيوبي لما غادر اليمن إلى الحجاز في طريقه إلى مصر عام ٦٢٦ هـ ، أناب عنه الأمير عمر بن علي بن رسول وقد نقل الخزرجي في كتابه العقود اللؤلؤية وصفاً مثيراً للجهاز الذي أعده الملك المسعود لرحلته إلى « مكة » فمصر ؛ وقد كان يعلم أن والده إنما طلبه ليوليه على الشام بعد وفاة الملك عيسى بن العادل ولذلك اهتم بأن يأخذ معه من اليمن ما خف حمله وغلا ثمنه كما يقولون ؛ وكان « أتاكبه » عمر بن رسول قد وافقه وساعده على ذلك لانه يطمع في الملك والاستقلال باليمن ، أو كما يقال « أحلب حلباً لك شطره » ! فقد كان كل من الرجلين طموحاً ؛ ويؤكد هذا ان الملك المسعود قد فرح فرحاً شديداً لما طلبه والده السلطان الكامل ليوليه « الشام » ، واستعجل السفر وهو يشكو مرضاً ، وطلب إليه « ابن رسول » وقال له : قد عزمت على السفر وقد جعلتلك نائبي في اليمن ، فإن مت فأنت أولى بملك اليمن من أخوتي ، لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد ، وإن عشت فأنت على حالك ، وإياك ان تترك أحداً يدخل اليمن من أهلي ولو جاءك الملك الكامل والذي مطوياً في كتاب ؛ فإذا لح عليك اعلمتني حتى أجتمع أنا وعمي الأشرف عليه نحاربه ونشغله ، وهذه الكراهية من قبل المسعود لأهله ، واستعداده لكي يحافظ على عرشه في اليمن إلى جانب عرشه المنتظر في الشام أن يحارب والده ! قد صادفت طموحاً مماثلاً عند « ابن رسول » فقال له أخشى أن أخوتي يعارضوني ؛ فقال المسعود أنا أكفيك أمرهم فمن في مصر لن يعودوا ، وأمر بالقبض على من في تعز وحبسهم .

أما الجهاز الذي أعده لرحلته فقد كان من جملة ألف خصي ، وخمسةائة

صندوق من فاخر الأقمشة والملبوس ، وثلاثمائة بهار من العود الرطب ومن العنبر الفاخر ، وأربعمائة سرية ، ومن الجواهر واللآلئ والأحجار النفيسة ما لا ينحصر ، وسبعون ألف ثوب صيني معلّم بالذهب ، ومن الصنائع ما لا ينحصر عدده حتى قيل إن المراكب التي أقلت هذا سبعون مركبا ؛ وقد أتخذ المسعود وأتابكه ونائبه عمر بن رسول ملك اليمن المنتظر حيلة مآكرة للحصول على كل هذا الجهاز ، إذ قد صيح في البنادر : « من أراد السفر إلى الديار المصرية فليسا فر مع الملك المسعود قبل سفره بمدة ، فأقبلت التجار من كل ناحية بأنواع التجارات والبضائع وحين أجمع بهم المسعود في ثغر عدن ، قال لهم بيعوني هذه البضائع التي عندكم لتسلموا من العشور فباعوها منه فأخذها منهم وكتب لهم بأثمانها إلى اليمن ، وسلمهم حوالات إلى كل ناحية ؛ وصاحوا بالويل والثبور ، فلم يلتفت إليهم ولم يحصل لأكثرهم شيء » ! نقل ذلك الخزرجي عن سبط ابن الجوزي مؤلف « مرآة الزمان » ثم قال « وعدّد « الجوزي » الأصناف التي سافر بها وعظمها حتى ان السامع لا يكاد يصدق بها ولهذا تركت ذكرها ، قال : « وكان ظالماً شديداً الظلم سيء السيرة في رعيته سفاكاً للدماء » .

ثم ذكر انه لما وصل المسعود إلى مكة المشرفة اشتد به الألم ، فأقام بها إلى ان توفي بها يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الأولى من سنة ٦٢٦ هـ ، وأوصى ان لا تهلب عليه الخيل ويئتف شعرها ، ولا تقلب السروج ، ولا يسود أحد من المماليك ثوباً ، وأن يقبرين الغرباء ويروى انه استوهب ثوبين برسم الكفن من بعض الناس ، وكان عمره يوم توفي تسع وعشرين عاماً ؛ وقال الخزرجي معقباً : وكان قد حمل معه جميع خراج اليمن من البيضاء والصفراء والجواهر الغالية والطرف والغلمان والحواري فتقدم بكل ذلك وبسأولاده وحاشيته مملوكه الأمير حسام الدين لؤلؤ إلى مصر [ص : ٤٧ - ٤٨ - العقود]

### عمر بن علي أول ملوك بني رسول [٦٢٦ - ٦٤٧ هـ]

وقد سبق القول انه ما أن بلغت وفاة المسعود إلى اليمن حتى صمّم نائبه عمر بن علي بن رسول على الاستقلال بملك اليمن غير انه لم يستعجل ولم

يبادر باعلان ذلك ، بل راسل الملك الكامل إلى مصر وأعلن ولاءه فاطمأن إليه وثبت ولايته ، ولما أكمل ترتيب أمره ، ومسك بزمام السلطة تلقب بالملك المنصور وكتب الخليفة العباسي في بغداد ، ودعا له في خطبة الجمعة ، وكان ذلك سنة ٦٢٨ هـ .

وقد ساعدته الظروف على الاستيلاء على معظم اليمن بره وبحره وسهله ووعره ؛ فأخوته بدر الدين الحسن بن علي بن رسول ، وفخر الدين أبو بكر بن علي وشرف الدين موسى بن علي كان قد اعتقلهم ونفى بعضهم إلى مصر الملك المسعود ، وصوت الامامة قد خمد ، وورثتها من أبناء « ابن حمزة » و « العياني » في صراع مع الامام يحيى بن المحسن الذي كان نهاية أمره الانعزال والغربة ، والانكباب على الدراسة والتأليف ، ويضاف إلى ذلك ان السلطان عمر نفسه كان كما يقول الخزرجي من أهل العزم والحزم جواداً كريماً سريع النهضة ، محراباً لا يسأم الحرب ، وصاحب حلم ودهاء ، فاستولى في أقرب وقت على كل حصون اليمن ، وقد وصل إليه حين قصد صنعاء سنة ٦٢٨ هـ اشرف الحمزات وفي مقدمتهم الأمير يحيى بن حمزة أخوه الامام عبد الله وأولاده والأمير أحمد بن عبد الله بن حمزة وجميع أخوته فتحالفوا معه وتعاهدوا وعقدوا صلحاً عاماً وقالوا له كما يقول الخزرجي : « يامولانا تسلطن على اليمن ، ونحن نخدمك ونباعك على ان بني أيوب لا يعودون إلى اليمن » ، ووصلهم السلطان بأموال جزية وخلع سنّية ، وأقرهم على بلادهم لمحاربة الامام يحيى بن المحسن ، ولم يجر بين الحمزات وبين السلطان عمر أي قتال حتى قيام الامام أحمد بن الحسين سنة ٦٤٦ هـ إلا مرة واحدة ، حين غضب على الأمير يحيى بن حمزة وزحف بجيش جرار فاحتل بلاد حجة سنة ٦٣٢ هـ ، وبعد أن ظفر بهم السلطان عقد معهم صلحاً جديداً وترك لهم بعض حصونهم واقطاعياتهم . لأنه كان يعلم انه لولا خذلانهم للامام « ابن المحسن » لما تمكن من توطيد عرشه .

### بائية ابن حمير

لمع في أيام الملك عمر نجم الشاعر الكبير محمد بن حمير ؛ فكان صوت بلاطه ، وحادي ركابه ، وقد هنأه بالنصر والظفر الذي حازه في بلاد حجة بقصيدة طويلة عارض بها قصيدة أبي تمام « السيف أصدق أنباء من الكتب » وهي :

هتتَ بالنصر لما جئت في لجب  
ومرحبا يارسولي الملوك وإن  
غزوت « مَبِين » إذ هاجت شقاشقها  
هَمُوا بنا لم ينالوه وغرهموا . .  
وحفَّ جيشك من هنا بهم وهنا  
قدمت والقوم في تيه وفي بطر ؛  
لما رأوك وخيل الله مقربةً  
أتوا إلى ملك بالعدل مشتمل ،  
فسلموا وأفادوا من نفوسهم ،  
وعدت في « سورة الفتح » التي قرئت  
وصاحب الغدر يوم « الجاهلي » ثوى  
أذلت عاتيهم ، واقتدت عاصيهم  
فاليوم « قِلحاح » لا يرغو بها جمل ،  
ياثالث العُمَريين اسمع مدائح من  
يدعوك يابن عليّ حين تسمعه ،  
أعطيته ذهب الاحسان فانسكبت  
وعنده الخيل من نعامك صافنةً  
قد كنت أسقى بشعبٍ واحداً وكفى  
من هاهنا ملك ؛ من هاهنا ملك ،  
لا أختشي الفقر بعد اليوم عندك ، بل  
أكرممتني ؛ فرأيت الكل يكرمني  
مدّاح أولكم ، مدّاح آخركم  
لم يدرك « المتسبي » بعض منزلتي  
ولا « ابن هانيء » أيام « الرشيد » له  
ماذا أعدّد مما حزت من رتب ،  
وليس بكبر حصن حزت أو بلدُ  
ولو أردت الثريا من مطالعها

مظللاً بالردينيات والقُضْب  
غاب السما كان والجوزاء لم تغب  
وفي « الطويلة » ألفاف من العرب  
ما غرّ أشعب من وهم ومن كذب  
فما التقوك بغير الأسر والهرب  
ورحت والقوم في ويل وفي حرب  
حوليك والنصر قبل الخيل في قرب  
لا ؛ بل إلى ملك بالتاج معتصب  
وتاب من كان قبل السيف لم يتب  
وأهل « ملحاح » في « تبت أبي لهب » !  
جوعا ؛ ومرأته « حمالة الخطب »  
« والسيف أصدق أنباء من الكتب »  
والذئب لو نظحته الشاة لم يشب  
مهدٍ لملكك شكر الروض للسحب  
يا جوهر الملك : هذا جوهر الأدب  
أشعاره ذهباً من ذلك الذهب  
والبر منك ومن أبنائك النجب ،  
واليوم قد كثر الرحمن في شعبي  
من هاهنا ملك ، قاموا قيامك بي !  
عند « المظفر » صنو التاج والقُطْب  
لنسبتي . وإلى إحسانكم نسبي  
ما خان في أول منكم ولا عقب ،  
إذا كان جار بني حمدان في حلب  
مثل الذي لي من نعامك من سبب ،  
ومن يعدد قطر العارض السرب ،  
بعد الحجاز وبعد البيت ذي الحجب !  
قلعتها وهي أم السبعة الشهب

وقد كان محمد بن حمير شيخ شعراء عصره في عهد الملك المنصور عمر  
بن علي بن رسول وعهد ابنه الملك المظفر ، وهو من فحول الشعراء في هذه  
الفترة ، وسوف نذكر بعض أخباره وأشعاره في ترجمته إن شاء الله .

لولا الأشراف والمظفر . . .

لكان أول الرسولين . هو آخرهم !

حكم الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول اليمن طيلة إحدى وعشرين سنة ، ما عارضه أثناءها ضد إلا اندحر ، ولا خاض حرباً الا انتصر ، ولم يُطَلَّ عام ٦٤٢ هـ إلا واسمه على منابر مكة ، وعدن ، وحضرموت ، وعموم اليمن ، ما عدا « ذي مرمر » و « بيت روم » و « ثلا » و « ظفار كحلان » و « الطويلة » ! وبقدر ما ساعدته الظروف في بداية أمره ، وساعده جدّه وكرمه وشجاعته وقوة همته وعزيمته . . فقد بدأ حظّه يتعثر وبرزت له في السنتين الأخيرتين مشاكل كثيرة ، وكان هو نفسه الذي فتح أبواب شرّها على نفسه ؛ فهو أولاً قد استسلم للست زوجته بنت الأتابك وأم ولديه ؛ المفضل والفائز ، وأخضعه حبه لها لتنفيذ كل رغبة تطلبها ، ومن ذلك تفضيله لابنها المفضل على ولده الأكبر الفارس الهمام المظفر يوسف ، وقلاه وأبعده إلى « المهجم » واستحلف المماليك والعسكر لابنه المفضل ليكون له خلفاً ، وثانياً رغب - وبرأي الست أيضاً - في أن يعزل ابن عمه أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول عن صنعاء ، وكان قد أقطعه إياها منذ تولي الملك وأن يُقَطَّع صنعاء لأحد أولاده فانزعج الأمير ابن العم ، وبدأ يتمرد ويتآمر عليه . وثالثاً استكثاره من الجواري والمماليك وكان يملك منهم ألف فارس مدرب ، ومن الغلمان الصغار مثلهم . ورابعاً شغفه بعمارة القصور ، ومظاهر الترف ، وكان أيضاً مجاهراً بالشراب ، ويعقد للشرب مقاماً في يوم معلوم . إلى غير ذلك مما يكلف خزينة الدولة النفقات الكثير ، ولعل خزينته في عام ٦٤٥ هـ قد نضبت ، فأقدم على وضع ضرائب جديدة على المواطنين من فلاحين وتجار ، وفرض قانون « خرص الثمار » بدلا عن « الأمانة » في تقدير الزكوات ، فتضرر الناس من ذلك ، وأعلن العلماء سخطهم وتبرمهم ، واندفع الشيخ القطب أحمد بن علوان فأرسل إلى السلطان عدة نصائح ومنها قصيدته التي يقول فيها :

و «لحج» أبين بل «صنعاء» بل «عدن» ،  
جيران بيتك والأحلاف والسكن ،  
وللرعية دورٌ كلها دمن !

هذه « تهامة » لا دينار عندهم  
فما ذنوب مساكين الجبال وهم  
عارٌ عليك عبارات مشيدة



هم الأمانة ؛ والسلطان مؤتمن ،  
حاشاك ؛ عقلك عقل راسخ فطن ،  
أنى له ؛ وبأي الحق يُتزن ؟!  
وسوف نظعن عنها مثلما ظعنوا  
من الذين إليها قبل قد ركنوا !

فانظر إليهم فعين الله ناظرة  
ولا تفاخر بجمع المال كيف أتى  
ترى الألوف ولم تستفت حاملها  
أنا وأنت ومن قد نالها خلف  
لا تركنن إليها انها سخرت

وقال في سجينِ أبى الاعتراف بما يملك لتفرض عليه ضريبة  
« الخرص » :

أقرر ؛ وكلّ مقالٍ قاله كُتبا ؛  
به إلى السجن والأغلال أو ضربا ، ؟!  
وشاهداه بأن الحكم قد كذبا !

ويقصدون به القاضي فينطقه :  
وكيف إقرار من ان لم يقرّ مضى  
والله يعلم والقاضي وكاتبه

وكان القدر كان على ميعادٍ مع كل ذلك كإرهاصات لقيام الامام أحمد  
بن الحسين بأحياء الامامة والرئاسة الاسلامية العامة فبعث دعوته إلى كل  
مكان واستجاب لها خلق كثير ومال إليه بادية ذي بدء الأشراف الحمزات ،  
ونقضوا الصلح الذي بينهم وبين السلطان ، وليس ذلك فحسب ، بل  
وحتى ابن عم السلطان ونائبه في صنعاء والذي انزعج من رغبة « الست »  
في زحزحته من منصبه ، ونقله إلى مكان آخر قد كاتب الامام أحمد  
بن الحسين ، ورغب في الانضمام إليه ، ثم تأمر مع ممالك الملك نور الدين  
عمر على اغتياله في قصره بالجند ليلة السبت التاسع من ذي القعدة سنة  
٦٤٧ هـ وانتهوا قصوره ، وساد الخوف والفرع والقتل والسلب ، ونصب  
الماليك القتلة الأمير أبو بكر بن علي بن رسول ولقبوه بالملك المعظم ،  
ونصبت « الست » إنها « المفضل » ، وكان المظفر يوسف بن عمر مغاضباً  
لأبيه لما قدم عليه أخويه المفضل والفائز لمكان أمهما المعروفة ببنت « حوزة »  
من قلبه ؛ مع ان المظفر أسن وأرشد منها ، وأكمل عقلاً . وقد هم بمغادرة  
اليمن والألتحاق بالعراق ؛ ربما ليشرح للخليفة العباسي سوء الحال  
باليمن ، ويستعين به على نصح أبيه ، فلما بلغه الخبر وهو في المهجم ترك  
ما عزم عليه ، وكانت المدن والحصون والأموال مقبوضة في أيدي منافسيه  
وأعدائه ، ولم يكن في يده غير قائم سيفه ، فشحذ همته ، وصاح في العشائر  
وقبائل العرب ، وتوجه بهم إلى زبيد ، واسترجع عرشاً كاد أن ينهار . وقد

فصل ما جرى المؤرخون ولا سيما في « السمط الغالي » و « العقود اللؤلؤية »  
و « غاية الأمانى » .

ويحيل لي ؛ بل هو ما يستنتجه من يدرس تاريخ اليمن في تلك الفترة ؛  
أن فرصة الامام أحمد بن الحسين « أبو طير » بما كان يتمتع به من مواهب  
وصفات جليلة ، وبالظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت تكتنف  
البلاد ، وتتحكم في الناس ، كانت تهيؤه للتغلب ، والفوز والقضاء على  
« الغز » و « الرسولين » ، أو استسلامهم دون قيد أو شرط ، لو أخلص له  
الأشراف « بنو حمزة » ، والأمراء « آل حاتم » وتعاونوا معه على إقامة حكم  
يمنى إسلامي ؛ أو لو أنه نفسه حاول بمرونةٍ كسبهم إلى صفه ، وبذل من  
الجهد ما يبذله الطامحون الذين يظفرون أحيانا بالمطاوله ، ما لا يقدر على  
كسبه بالمصاوله ! وأعتقد انه لولا « المظفر » بشجاعته ودهائه ، ومطاولته  
ومصاولته ، وصبره ومصابرته ، قد استطاع وتمكن من أن يتدارك أسرته وقومه  
الذين بدأوا يتناحرون ، من هلاك محقق ، وفناء مرتقب ، وأن ينقذهم وهم  
يتهيئون ليكونوا وجبة دسمة تتواهب على قصعتها أيدي الجياع من المظلومين  
والحاقدين لتغير مجرى تاريخ اليمن . . . ولما كانت دولة بني رسول .

وما كان أصدقه وهو يحاور زعماء « الغز » وقادتهم ، ويحاول توحيدهم ،  
حين ظفر بعلي بن هارون الذي كان قد تعهد بالبيعة للمفضل أخيه قطب  
الدين ، ابن زوجة الملك المنصور « حوزة . . الست » التي كانت صاحبة  
الرأي الأخير في حياة أبي « المظفر » ، وكان قد امتنع في حصن « منيف » فلما  
مثل بين يديه مستسلماً يعتذر ويطلب العفو . قال له المظفر : « من أرشد أنا  
أو قطب الدين ؟ فقال علي ابن هارون وعسكره : بل مولانا السلطان أرشد  
وأحلم . فقال « المظفر » هذا الناموس الذي يعمله « الغز » هو تركيب الله  
فيهم - أي تولية الأرشد - وإلا فهم بين العرب كالشامة البيضاء في الثور  
الأسود !

وغامر المظفر ، وتآمر وقامر ، واستدرج آل « حمزة » وأغرى واشترى بني  
« حاتم » ، وطاول الامام أحمد بن الحسين وعقد معه صلحاً على أن تكون  
له ما يُسمى باليمن الأسفل ، ويكون للأمام ما يدعونه « اليمن الأعلى » ؛  
حتى استجر أنفاسه ورتب أموره ثم ضرب ضربته وكان ما كان .

حقاً . . لولا « المظفر » وخطته الحكيمة لكان أبوه الملك الجبار أول ملوك  
الرسوليين وآخرهم ؛ فالمظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول هو حقاً  
مؤسس الدولة الرسولية التي استمرت أكثر من مائتي عام .

### مجالس الشراب لطائفها ونزواتها

كان السلطان نور الدين عمر عالماً ؛ يحبّ مجالسة العلماء والفقهاء ويقرأ  
عليهم أمهات الكتب ، وكان أيضاً يطرب للشعر ويتذوق الجيد منه ،  
ويثيب عليه بسخاء وكرم ، وكان شاعره منذ كان في مصر التاج بن العطار  
المصري ، وله فيه عدّة قصائد واستصحبه معه إلى اليمن ، وقد قال  
المؤرخون ان السلطان نور الدين عمر كان له يومٌ معلوم في الاسبوع يعقد  
فيه مجلساً للشراب والطرب والشعر ، وكثيراً ما كانت تحدث في هذه المجالس  
لطائف ، وكان الشعراء يترقبونها لبثّ مشاعرهم ، ونفث ما في صدورهم ،  
وقد تسبّب نزواتها المآسي .

ومن اللطائف أن السلطان في مجلس شراب وطرب أثاب الشاعر اليمني  
الكبير محمد بن حمير بجائزة سنية ، وكان شاعره المصري « ابن العطار »  
حاضراً فقال للملك : مولاي اني شاعرك من الديار المصرية وأراك تفضل  
« ابن حمير » علي وتنعيم عليه أكثر مني ! فقال له الملك عمر : إنه حاضر  
القريجة ، سريع البديهة ، وأتم يا أهل مصر وان كنتم أهل فضل وأدب  
فانكم تبطنون ، ثم التفت إلى ابن حمير وقال له ما تقول ؟ فالتفت « ابن  
حمير » إلى « ابن العطار » وقال ارتجالاً :

مُتَعَجِّرٌ بَعَامَةً مَعْقُودَةٌ      لَوْ بُعِثِرَتْ مَلَتِ الْفَضَاءَ خَمِيرًا  
وَأَبُوكَ عَطَارٌ ؛ فَمَا بِالِابْنِ      يُهْدِي الصَّنَانَ إِلَى الْأَنَامِ بِخُورًا ؟  
قالوا : وكان به شيء من ذلك . فضحك السلطان نور الدين وقال :  
أجبه ولكن ابن العطار أفحم .

وحكى الخزرجي في العقود الوئولية ان الأمير أسد الدين ابن أخي  
السلطان كان حاضراً معه في يوم مجلس للشراب ، وكان للأمير أسد الدين  
شاعر من أهل المشرق يقال له علي بن أحمد فجعل أسد الدين يثني على  
شاعره المذكور فالتفت السلطان نور الدين إلى شاعره « ابن حمير » وقال له :

ما تقول ؟ : فقال ارتجالاً :

أنا البحر فياضاً بكلّ غريبة      أحلّى بها المنصور درّاً وجوهراً  
وما ان أبالي من عليّ بن أحمدٍ      وعن شعره ذقن «ابن أحمد» في المسكِ  
فضحك السلطان وقال : وما منعك عن قافية الراء ؟ قال خوف  
ابن أخيك هذا .

ولقد كان الدسّاسون يتربّون فرص تلك المجالس ويستغلّونها وربّما  
سببت الويل والثبور ، كما حصل للشيخ عمار صاحب حصن «يُمين» الذي  
كان مطيعاً للسلطان لكنه ممتنع على حصونه فقد أغرى الشاعر «ابن حمير»  
السلطان نور الدين به وحرّضه على قتله وإزالة حصونه ففعل ! قالوا : إنّ  
محمد بن حمير وفد على الشيخ عمار فأقام على باب داره ساعة من نهار ، ولم  
يأذن له ، فكتب إليه رقعة يقول فيها :

بالباب أصلحك الله امرؤ لسنّ      أمضه السير والادلاج والسهرُ  
وإلى أرض ذُبْحانٍ فصادفها      مثل القتادة لا ظلّ ولا ثمر ،

فلما وقف الشيخ عمار على رقعته وقع على ظهرها يقول :

بل كالغمامة فيها الظلّ والمطرُ .

ثم أذن له فاكرمه وأنصفه وأقام عنده أياماً فلما انصرف عنه . . لقيه جماعة  
من عبید عمار فنهبوه وأخذوا ما معه ، فذهبت الظنون بابن حمير كل  
مذهب ، ولم يعد إلى عمار شاكياً ، بل اتهمه ووقع في خاطره ، انه هو الذي  
أمر العبيد بذلك لؤماً وبخلاً ، ولم يتورع في هواجسه ، بل ذهب فوراً إلى  
مقر السلطان عمر واستأذن عليه ، وحين دارت أحاديث الأدب على مجلس  
الشراب ، وامتزجت سورة الصهباء بثورة الحقد ، وتعتقت بعقار الغضب ،  
انشد الملك هذه القصيدة :

ما شاقّ قلبي أحداجٌ واکوارُ      ولا شجتنِيَ أعلام وآثارُ ،  
ولا أسائل أهل النجد إن نجدوا      ولا أسائل أهل الغور إن غاروا  
قد يزار الذئب إذ لاحوله أسدٌ ،      ويصهل العيرُ إن لم يُلَفَ خطارُ ،  
سررت باليمن الخضراء حين صفت      لابن الرسول فما في تلك أقدارُ ،  
وكان فيها عضاريطٌ زعانفةٌ      فما بقى من بني البظراء ديارُ !

لكن بقي فردٌ ثُولولٍ يُعاب به ؛  
ان قلت لم يبق سلطان سوى عُمر  
أو قلت: لا قصر إلا قصر «دملوة»  
أو قلت: ما أحسن «المعشار» من «جوة»  
فخذ «يُمينا» ولا تقبل معاذره . .  
لم يتفق قط سلطانان في بلد ؛  
ما غبت إلا رمى بالعين «دملوة» ،  
و«ابن المجلى» يمينه بملحمة  
مولاي لا تحتقره فابن ملجم قد  
بُس الخبيئة تحت الفرش قملة

\*\*\*

ولا شك ان « الشاعر » الحاقد كان قد اختلق من الأحاديث ما أثار  
غضب الملك المنصور ، وأنه قد روى عن « ابن المجلى » الذي يظهر انه كان  
أحد ندماء وشعراء « الشيخ عمار » ما يهيج نزق السلطان ، ثم أردف كل  
ذلك بهذه القصيدة التي تقطر أبياتها غيظا وضغينة ، فما كان من السلطان  
عمر إلا أن جهز لساعته جيشاً وهاجم حصن « يمين » واستولى على كل ما  
فيه وقتل الشيخ عمار وكان ذلك في سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م ولا ندري ما كان  
مصير النديم الشاعر « ابن المجلى » .

ومع ذلك فلا يمكن أن نهمل ما ذكره المؤرخون للسلطان نور الدين عمر  
من اهتمام بتشبيد المدارس والمعاهد والمساجد والحصون ايها حل ، وقد  
عددها « الخزرجي » في العقود [ص ٨٢ - ٨٣ ج ١ - ]

ومن شعر شاعره المصري ابن العطار فيه حين استولى على حصن سماوه :  
ما ساء الدنيا على ابن علي  
بيعيد فكيف أرض سماوة ؛  
ملك يومه لفتح مبين  
في الأعادي ، وليله للتلاوة .

ومن قصيدة لابن حمير فيه :

قل للقوافي قفى على عمر  
حلي المكان الرفيع ترتفعي  
من خمدت ناره فان أبا  
إياك أن تُخدعي فتخدعي ،  
ولا تحلي الوضيع تتضعي ،  
أحمد نيرانه على اليفع

وله فيه أيضاً من قصيدة طويلة :

قد قيل جاور لتغني البحر أو ملكاً  
ما حاز ما حزت لا عرب ولا عجم ،  
إذا الحدود بهم أبناءهم شرفوا  
والكل أنت ، وفيك السر أجمعه  
عزوا بعزك أولاهم وآخرهم  
أنت المليك وأنت البحر يا عمر  
ما شاد ما شدت لا جن ولا بشر ،  
أو فاخروا فبك الأجداد تفتخر ،  
فلا يغررتك إن غابوا ، وإن حضروا ،  
كما بأحمد عزت كلها « مضر »

\*\*\*

### ٣ - الامام أحمد بن الحسين

[ ٦١٢ - ٦٥٦ هـ ]

أما آخر أئمة اليمن في العصر العباسي ، وهو ثالث أئمة الزيدية في هذه الفترة التي نتحدث عن أداها والذين حاربوا الأيوبيين وخلفاءهم الرسولين وحوربوا أيضاً من قبل ورثة الامامة من السادة والأشراف فهو الامام أحمد بن الحسين المولود بهجرة « الكومة » من بلاد الظاهر في ذي القعدة سنة ٦١٢ هـ والمتوفي شهيداً في شهر صفر سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٩ م وهو نفس العام الذي قتل فيه آخر خلفاء بني العباس في بغداد ، إلا أن الخليفة في أواخر شهر المحرم ، والامام في مطلع شهر صفر وتلك من إحدى العبر .

نسبه :

ترجمه المؤرخ السيد محمد بن محمد زبارة في « أئمة اليمن » فقال :  
« الامام الأعظم الشهيد المهدي لدين الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن عبد الله ابن القاسم بن أحمد بن أبي البركات اسماعيل بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن محمد بن الامام القاسم الرسي بن ابراهيم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب اليمني المعروف بصاحب « ذيين » . »

مشايخه :

وقال : « وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الرصاص الحوثي ، والشيخ الحسن الكناني والفقيه قاسم بن أحمد الشاكري ، والفقيه صالح بن أحمد

عريق ، والفقيه أحمد ابن محمد الأكوخ ، وغيرهم ، حتى صار أحد محدثي الزيدية ومن أكابر أعلامهم وكرمائمهم وانتشر فضله وله رسائل عديدة وأبحاث مفيدة .

## مزاياه :

قال زبارة : « وترجمه الشيخ علي بن الحسن الخزرجي الشافعي المؤرخ بالقرن التاسع في كتابه « طراز أعلام الزمن في طبقات أعلام اليمن » فقال : كان إماماً فاضلاً سيّداً كاملاً ، حسن السيرة ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، حليماً ، كريماً ، جواداً ، أمثل الأئمة الزيدية في عصره ، أجابته بعد دعوته كافة الشيعة وعلماء الزيدية ومدحه عدة من الشعراء بجملة من القصائد الطنّانة ، قلت : « وكان لطيف الشائل ، شديد الشكيمة ، سريع النهضة ، عالي الهمة ، كثير العبادة والصلوات ، واتسعت رقعة نفوذه في أقرب وقت ولكنه ابتلي بالأشراف « الحمزيين » من أول دعوته الى خاتمة عمره وله في الجود والكرم أحاديث تهتز لها القلوب ، وترتاح لسماعها الأرواح ؛ حتى قيل انه كان يحثو المال حثوا ، وانه حصر ما وهب من الخيل فبلغت الف وستائه وسبعين فرساً ، وانه أعطى ابن هُتَيْمَل الشاعر التهامي من الدراهم والخيل والثياب ما قيمته مع الدراهم نحو عشرة آلاف » [ص : ١٥٢ - ج - ١] .

نعم ؛ تلك كانت مزايَا الامام الجديد الذي ظهر بعد طول انتظار ، وترقّب ، ونحن نعلم أنه نهضَ بأعباء الامامة ، ودعا لنفسه في صفر عام ٦٤٦ هـ وهو في عنفوان شبابه ، لما يتجاوز الرابعة والثلاثين ، ولقد استجاب لدعوته كافة علماء ومشايخ الزيدية ؛ لأنهم منذ وفاة الامام عبد الله بن حمزة ، وتلاشي أمر خلفه يحيى ابن المحسن ، وقد تحوّلت كل مخاليف ووديان وحصون ومدن اليمن الى إقطاعات موزّعة على قواد عساكر « العزّ » ، وأمراء سلاطينهم بني « رسول » ، شعروا بالضيق ، ورأوا « نظرية » دعوة « زيد » بل و« الهادي » ، وقد صارت « تركة » يتنازع عليها ذوو الأرحام ، أو مسائل جدل تتناقر على منصات خزعبلاتها « الكلامية » ديكّة « المخترعة » و« المطرفية » ؛ وفقهاء الوسوسة والغفول . فما إن سمعوا الدعوة ومن « ثلا » المنطقة « الزيدية » العتيّدة ، والدّاعي لا يمت بدعوى

سيطرة وراثية الى « الهادي » أو « العياني » أو « ابن حمزة » حتى خشعت لها نفوسهم ، وهطعوا مؤيدين ، وماجت البلاد واضطربت وبات آل رسول في أمرٍ مريب . بل ولبّاهما احفاد الأئمة المتصارعين على « التركة » ، وإن لأمدٍ قصير .

### النعمة التي أصبحت نقمة !

لقد نبع أحمد بن الحسين من قلب الامة لا يدعي « وراثة » الامامة ، ولا يزعم أنها حقاً اكتسبه لأنه من أولاد « حمزة » أو « أحفاد » « العياني » بل وليس من ذرية « الهادي » يحيى ابن الحسين بن القاسم الرسي مؤسس الامامة في اليمن لأنه لا يلتقي به نسباً إلا عند الامام القاسم الرسي ، وقد عرفنا كيف تورط بعض أحفاد « الهادي » و « العياني » في شباك الشقاق والخصام وهو ما قد وقع فيه أولاد « حمزة » ؛ ولهذه المزية الفذة ، إلى جانب تلك المزايا من العلم والكرم ، والشجاعة وعلو الهمة ، والزهد والورع ، التفت حول دعوته الطائفة الزيدية بكل فئاتها ، واكبرته الأمة اليمنية ، وتطلعت إلى نيل الخير على يده كل طبقاتها ، وكانت تلك « نعمة » لوتلاحم الجميع ، واتحدوا وتعاونوا على البر والتقوى ، ولو أخلص أمراء « الأشراف » و « بني حاتم » لما يترقب من خيراتها .

ولكن ؛ لأنهم كانوا قد ألفوا « الاقطاع » ومردوا على ابرام العقود وعلى نقضها ، وتعودوا على الحلف والتلفظ بالعهود المغلظة على الوفاء والاخلاص وهم ينوون النكث بها ، وأنقنوا صناعة الولوج والخروج ، والكر والفر ، والمطاوله والمساولة أيضاً مع الأيوبيين والأئمة والرسوليين وفيما بينهم . . . سرعان ما تحولت تلك « النعمة » الظاهرة إلى « نقمة » كبيرة ، مزقت شمل الأمة ، وأدت في النهاية ، وبعد صراع مرير إلى قتل الامام أحمد بن الحسين ! .

أما كيف أصبحت « النعمة » « نقمة » فان الامام باخلاصه وصدقه وورعه ، قد وثق بعهود ووعود أولئك الأمراء والأشراف ، وقرهم وجعلهم من أنصاره وقادة جنده واكبر أعوانه حين ملك « صعدة » و « صنعاء » و « ذمار » و « كوكبان » وما يربض حولها ويمتد بينها من حصون ، وقرى



ووديان ، ثمّ دفع « المظفر » الرسولي إلى أن يعترف بالأمر الواقع ويرم اتفاقية بينه وبين الامام يكون بموجبها للمظفر ما يسمّى باليمن الأسفل وللامام ما يدعى باليمن العليا جغرافياً .

وأراد الامام أن يطبق الشريعة ؛ فلا اقطاع ولا محاباة ، وأن يأخذ الجميع بما في ذلك نفسه وذويه بقوانين العدل والمساواة والانصاف ، وعدم التفريط في الحقوق والواجبات والحدود الشرعية بين أمير وابن سلطان وحفيد إمام ، وبين أيّ فرد من اليمنيين ، وأن يعيد آل « حمزة » وبنو « حاتم » ما بأيديهم من قلاع وحصون للدولة وبيت مال المسلمين ؛ فتأمروا عليه وراسلوا « المظفر » ، ولم يستطع الامام بغشاوة ثقته العمياء ، وعناد تصلّبه في الحق ، وما يراه ديناً لازباً أن يلمح ذلك التآمر ؛ فاستمع الى نصائحهم وهم إنّما يغشونه ، وصدّق أقوالهم وهم انما يخادعونهُ ، كما انه اعتمد معهم الصراحة والصدق ولم يلجأ الى الخيل والغدر فيقلّم أظفارهم .

وكان شقاق أولاد حمزة قد ظهر من أول عام دعوة أحمد بن الحسين ، وكان الملك عمر بن علي بن رسول والد المظفر لا يزال حياً ، وكان هو الذي بدأ التآمر على الامام مع الأميرين محمد وعبد الله ابني يحيى بن حمزة فملكهما حصون « قراضة » و « الموقد » و « عزّان » وغيرهما على ان يلتزما بحرب الامام ، وكذلك عمل مع الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة وحصلت عدة معارك ومناوشات بين جند الامام وأنصاره وجنود « الغز » والحمزات وقد « تحقّق الامام بعد ذلك ان الأشرف الحمزات كانوا يتربصون به الغوائل » كما يقول المؤرّخ زيارة [ص : ١٥٦ - ج - ١ - أئمة اليمن] .

وقعة « قارن » ونصح الشاعر

يقول المؤرخ يحيى بن الحسين : « وفي شوال من السنة المذكورة [٦٤٧هـ] وقع الاختلاف بين الامام المهدي [أحمد بن الحسين] والأشرف فالتقوا إلى « قارن » ، ووقع الحرب العظيم ، فكانت الدائرة على الأشرف بني حمزة قتل من أصحابهم ثلاثمائة ونيف وثمانون قتيلاً ، وأسر آخرون فمنهم من فدى نفسه ، ومنّ الامام على جماعة منهم ، وهلك آخرون ممن جرح في المعركة ، وتفرّقوا في الأودية وكان يوماً مشهوداً يقول فيه « ابن هتيمل » شاعر الامام من قصيدة :

قرنت بأهل « قارن » يوم سوءٍ أرحتُ به الزعيم من الزعامه  
[غاية ج - ١ - ص : ٤٣٢] .

ويقول المؤرخ زبارة : « وكان الامام عليه السلام قد ناصح الأشراف  
الحمزيين وصارحهم بما بلغه عنهم في وقعة « أرتل » ، وحاول اصلاحهم ،  
فانفرجوا عنه الى بلاد « الظاهر » وكان أمرها اليهم فجنّدوا الجنود ، وعاثوا  
في البلاد ، والامام يحيى حركاتهم ، ثم نهض الى « الجنات » شمالي مدينة  
« عمران » في عسكره . واجتمع أصحاب الأشراف وهم قبائل بلاد  
« الظاهر » و « سفيان » ، و « مرهبه » و « الصّيد » ، و بني صريم » ،  
ومعهم الأمير محمد بن أحمد بن المنصور [عبد الله بن حمزة] فتقدموا الى قرية  
« يشيع » واستدعى الأمير عبد الله بن يحيى بن حمزة بعض الجنود الرسولية  
من حصن « كوكبان » وغيره وساروا زهاء ألف وسبعمئة مقاتل الى قرية  
« قارن » غربى « البون » ، فاستغاث أهلها بالامام واعلموه بما كان فحفت  
لنصرتهم ، وفي « قارن » حُمّ القتال ، وزلزل الزلزال ، وانتهت المعركة ،  
بهزيمة الأشراف بعد أن قُتل منهم نحو ثلاثمائة وثمانون قتيلاً عدا من فرّ منهم  
جريحاً ومات في الشعب ، ومن كان خروجهم على حكم الامام تم  
تأمينهم » .

ومن أشهر ما قيل بعد وقعة قارن من الأشعار قصيدة عامرة للشيخ  
الأديب قاسم بن علي بن هتميل التهامي نحو ستين بيتاً منها :

إذا جئت الغضا ولك السلامة  
وقل للوائلية : هل لروحي  
حللت تهامة ، وحللت نجداً  
تكلفني العواذل نقل طبعي  
عليك بأحزم الأمرين تسلّم ،  
ولا ترأّم محل الضيم واشمخ  
الى المهدي أحمد أرقلت بي  
الى من لو وزنت الخلق طراً  
شبيهه سمّيه خلقاً وخلقاً  
تواضع عن لباس « التاج » زهداً  
قرنت بأهل « قارن » يوم سوءٍ  
فما أبقي حسامك من عراهم

فطارحٌ بالتحية ريم رامة ؛  
وما أتلفت من جسدي غرامة ؟  
وأين وأين نجد من تهامة ؟  
ولا حباً هنّ ، ولا كرامة !  
فكم أمر عواقبه ندامة !  
بأنف لا تذله الخزامة ،  
مراقُ العدو تحسبها نعامه !  
بظفر منه ما وزنوا قلامه ،  
وهدياً في الطريقة واستقامه ،  
فصار « التاج » من خدم العمامه !  
أرحتُ به الزعيم من الزعامه ،  
ومن سرواتهم إلا ذمامه . . !

لقد باتت دماؤهموا شراباً . . لهم . . ولحومهم ظلّت طعاماً !  
خذ « الحمزات » بالألطف واخفض جناحك للقراية والرحامه ؛  
ولا تعجل ؛ فربّ حمي أنف يمكن بعد نفرته زمامه ،  
فهم عين وأنت لها سواد وهم بيت وأنت له دعامة

\*\*\*

[ص : ١٥٦ - ١٥٧ ج - ١ - أئمة]

والقصيدة كما قال زبارة ستون بيتاً وهي متداولة مشهورة ولها معارضات على وزنها وقافيتها كثيرة ، وانما يهمننا منها الآن تلك الأبيات الثلاثة التي ينصح فيها الامام ان يلين جانبه للأمرء من بني « حمزة » ، وكأن « ابن هتيمل » وهو الشاعر الزيدي المتحمّس للامام المهدي قد سمع شيئاً من التذمّر أفضى به اليه أحد « الحمزات » ، أو كأنه قد شاهد من معاملة الامام لهم ما لا يرتضونه وقد ألفوا البذخ ، وعاشوا حياة فروسية وشعر وأمارة وترّف ؛ وكأنه كان يخاف من أن ينقلبوا على الامام ويتحوّلوا الى خصومه من الغزّ والرسوليين ، وأصدقائهم من الأمرء الشعراء بني حاتم .

وقد أورد له المؤرخ الخزرجي قصيدة نونية بديعة قالها أيضاً بعد وقعة « قارن » اختار منها زبارة أربعة وعشرين بيتاً ومطلعها :

أغلقتَ فضلة قلبك « المرهون » وجهلت فاستأمنت غير أمين  
والذي يهمننا الآن ، ونودّ الاشارة اليه أنه بعد أن أغرق في مدح ابن الحسين كعادته قد تعرض لوصف فرحته بأن الخلافة حسب معتقده قد عادت إلى أصحابها الشرعيين فقال :

وأرى الامامة بالنبوة أصبحت مقرونة كالحاجب المقرون  
يهنى بني الحسن المثنى أنهم قد عوضوا المحقوق بالمظنون  
رجعت خلافتهم إليهم بعدما ألقى « الأمين » بها الى « المأمون »  
ملك تقمصه « ابن هند » فاغتنى بعد « ابن هند » في بني « ميسون » !  
وغدت « بنو العباس » تزعم مثله « بالفتح » و « الفضلين » و « الإفشين » !  
خلعوهم بالطالع المسعود من « مهديهم » والظائر الميمون  
بأغراً علم ، هاشمي قائم في الله بالمفروض والمسنون

ثم عاوده الخوف على أمله هذا ، وخشي أن يتلاشى إذا نشب الصراع بين الامام وأمراء « بني حمزة » ، فاستأنف النصح من جديد للامام بأن يصانع « الحمزات » وأن يمزج الفظاظمة بالرحمة ، والقسوة باللين وكأنه كان يدرى بطموحاتهم فقال :

خذ في علاج ذوي النهى بفظاظمة في رحمة ، وبقسوة في لين ،  
فلقل ما اعتدل القنا ما لم يكن تثقيفه بالنار والتسخين  
واشدد قواك بال « حمزة » واعتضد بالشمس طالعة على الشاهين

ولعل الشاعر « ابن هتيمل » كان يخشى ما حصل بالفعل بعد انضمام الأمير الفارس الشاعر أحمد بن عبد الله بن حمزة الى الملك المظفر يوسف بن عمر ، وكان ما كان ! أترأه كان يلمح الأمور بمنظار الغيب ؟ أم هو حرصه على تحقيق نظريته الشاملة عن « الخلافة الاسلامية » والتي لم يجمعها بها بل صرح قائلاً في نفس القصيدة :

ما نحن في شيء ، ولم نظفر إذا لم تسأل عن « شطب » « بقتسرين » ؛  
فاترك جيادك تغز من « صنعاء » إلى « مصر » ، إلى « حلب » ، إلى « جيرون »  
فعلى « العراق » وأهلها لك لفة لحقت معرّتها « بصين الصين »

ولا شك ان « ابن هتيمل » قد ذهل لمقتل الامام وبأيدي من كان ينصح له بمداراتهم واكرامهم ؛ ولا شك انه قد أفرط في خيالاته ، وأغرق في تصوراته حين طلب من الامام ما هو شبيه بالأحلام ، وما يكاد يكون مستحيلاً . وقد نعود إلى الموضوع عند أن نتحدث عن الشاعرين أحمد بن حمزة والقاسم ابن علي ابن هتيمل إن شاء الله .

هل كان فوق مستوى مجتمعه ؟

قالوا : إن المغيرة ابن شعبه - وكان أحد دهاة العرب في عصره - خلا بالامام علي رضي الله عنه مرتين في يوم واحد ، وكان الخبر عبد الله بن عباس يراقبه فلما انصرف المغيرة بعد المواجهة الثانية دخل ابن عباس على الامام وسأله عما دار بينه وبين المغيرة من حديث ؟ فقال الامام نصحني أولاً أن أقر معاوية بن أبي سفيان على امارة الشام ، فلم أوافق ؛ فجاء إلي ثانياً يقول إنه قد رجع عن رأيه الأول ، وبصوب سرعة عزله . فقال ابن

عباس - وقد كان أيضاً داهية . لقد نصحك في الأولى وغشك في الثانية ،  
 ويروى أن رجلاً سأل الامام علياً : « لماذا أطاع الناس أبا بكر وعمر رضي  
 الله عنهما وعصوك ولست أقل منها سابقةً وفضلاً ؟ فقال عليه السلام لأنهم  
 تولوا على أمثالي ، وتوليت على أمثالك ! أو كما قال !

والذي يظهر من سيرة أحمد بن الحسين وتصرفاته إنه كان متشدداً ، بالغ  
 الشح في ورعه ، لا يترخص ولا يستجيز معالجة شئون الحياة الدنيا بوسائل  
 يرى فيها خللاً على دينه ، أو يقدر إنه سيسأل عنها امام الله ولا يملك جدالاً  
 عنها ، أو مبرراً لها ، وكان لا يقرب من يقولون ان الغاية تبرر الوسطة ، ولا  
 أن المكر والمخادعة من الدهاء ، وكأن مستواه ؛ ديناً وإخلاصاً وورعاً ، كان  
 فوق مستوى مجتمعه ، الذي كان قد تأثر بما طمّ العالم الاسلامي يومئذ من  
 الترف واللهو ، وتقاليد العجم والهنود والشركس ، والمغول والغز والتركمان .  
 ولذلك فلم يغتنم فرصة استجابة العناصر اليمينية لدعوته ، ولم يستطع  
 مسaire من أرادوا باخلاص نصرته وتأييده عند ظهوره من أمراء اليمن ،  
 ومشايخها وسلاطينها ، الذين كان الأيوبيون قد قتلوا سلطاتهم ، وقلموا  
 أظافرها ، وهم يحاولون وتحت زعامة الامام الجديد أن يكونوا دولة يمنية  
 يحكمها أبنائها ، لا تخضع مقدراتها لسيطرة « الغز » و « المماليك » ، ولا  
 تسيطر من « بغداد » أو « القاهرة » ، شريطة أن يكونوا هم في واجهة هذه  
 الدولة ، وان يكون لهم من مصالحها الحظ الوافر ، والنصيب الذي يحافظ  
 على مظاهر العظمة والامتياز .

#### موقف بني حاتم وقصيدة التمرد

ولم استنتج هذا من موقف الامام أحمد بن الحسين مع « الحمزات » ، ولا  
 من نصح الشاعر « ابن هتيميل » له فحسب ، بل ومن موقفه من سلاطين  
 آل « حاتم » الهمدانيين ؛ فقد حدث أنه حين زحف واحتل صنعاء بعد قتل  
 السلطان نور الدين عمر الرسولي أن نفذ حيد القصاص في رجال من همدان  
 رغم تشفع سلاطين آل حاتم الذين كانوا قد مالوا معه واعلنوا طاعته ، فأدى  
 ذلك إلى نفورهم عنه ، وانضمامهم إلى معسكر الأيوبيين ، ثم تأمرهم  
 وأصدقائهم « الحمزات » مع « المظفر » عليه . في قصة مفصلة في كتب  
 التاريخ . وقد صور دوافعها تصويراً شعرياً أحد شعراء آل حاتم ، وتفرد  
 بسردها مؤلف « السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن » وهو

من الأمراء الحاتمين قال : « لما بلغ هذا العلم - يريد مقتل السلطان نور الدين - إلى صنعاء انتهز الاشراف الحمزيون الفرصة ، ونهضوا بأجمعهم إلى صنعاء في حملة الامام ، وأقبل العرب من كل جهة فمال الأمير أسد الدين إلى « براش » هو وماليكه ، وهرب أجزل العرب إلى الامام ، وجاء الامام فدخل صنعاء ، وكان يحارب أسد الدين على براش ، وخيل أسد الدين تغير في الطريق ، وأوقع الامام في الناس ، وكان معه من بني حاتم جماعة فقتل منهم من جُشِمَ رجلين أو ثلاثة على تهمة قتل من غير حقيقة ، فَأَنْفَتَ همدان من ذلك ومالت إلى حصن « ذي مرمر » وإلى « العروس » ولم يبق معه منهم أحد . . . وقال شاعرهم :

وقلّبت آرائي بطوناً وأظهُرا ،  
 مخافة أرضي الشامتين وأضجرا ،  
 على أن أرى عن مذهبي متكبرا  
 ويبلغ « يحيى بن الحسين » و « جعفرا »  
 ومن مُبلِّغِ عنا البُتول وحيذراً  
 أقام حقوق الدين حولا وأشهُرا  
 أنسخ على الاسلام حتى تدعثرا  
 وكان رجاها أن يقوم وينصراً  
 ولا مُنكرٌ يدعو إلى الله مُنكرا  
 وإلا قصدنا الأرحمى « المظفرا »  
 وحامي حماها أن يُضام ويُقهِرا  
 إذا كان همُّ النُكس كأساً ومزهِراً  
 فأنسى بكسرى في الملوك وقيصرا  
 وشاد عليها مفخراً ثم مفخرا  
 وجُردا تبارى في الأعتة ضُمرا  
 فمن زاره لم يغدُ في الناس مُعسرا  
 وتغشى نواصيها وروداً ومصدرا  
 وأدهم كالليل البهيم وأشقرا  
 لجولتها إلا صريعا معفرا  
 عشية لاقى الألف أبلج مُسفرا  
 وضرب الطلى حتى ترى النقع أكدرا

حلبتُ زماني يابنة العم أشطرا ،  
 ورمتُ فلم أقدم على ما أرومه  
 ولا ساعدتني همة « مُذكريّة »  
 فمن يبلغ « المنصور » عنا شكيّة  
 ومن مُبلِّغِ عنا النبيّ محمداً  
 بأن إماما قام بعد ابن حمزة  
 فلما استقلت في أزال ركابهُ  
 أباح دماء المسلمين ومالها  
 فيا معشر الاسلام لم يبق مُنصفُ  
 فإن تثاروا أو تنكروا كان عاجلاً  
 كبير بني غسان وابن كبيرهم  
 فتى هُمهُ فتح الثُغور وسُدّها  
 حمى الملك بالبيض الصّوارم والقنا  
 وشاد العلى حتى استقرت أصولها  
 هنالك تلقى النيل والخير والغنى  
 ووزنا براشاً والجواد محمداً  
 هماما كنصل السيف يهتز للعلى  
 ويجلبها ما بين أخمر صلدم  
 ويرمي بها ركني أزال فلا ترى  
 كفعل أبيه يوم جرد سيفهُ  
 ومنا له الاسعاد بالطعن في الكلى

ولا مخرَجاً من مذهب كان أزهرها  
ولكنه أبدى العُقُوقَ وأضمرا  
واغضب من صيدِ القبائلِ مَعْشراً  
غدا بشديدِ الرأيِ والفعلِ أخبرا  
إذا غضبوا عَلَّ القنا وتكسراً  
وتاجُ بني يامِ بنِ أصبى مؤخراً  
ولا حُرمتِ كأساً من الموتِ أحمرأ  
رئيسِ بني غسانِ لما تنصراً  
ليركبُ فيها كبره من تكبرأ  
وخصَّ بها همدانِ قومي و «مُذكراً»  
أكان لها عذرُ هناك فتعذراً  
فما لي لا ألقاه ندباً مشمراً

وما ذاك للمهديِّ بُغضاً ولا جفا  
ولا خُطَّةً نخشى من اللهِ إثمها  
وأرضى « سعيد الشوحطي » وجنسه  
وقد قال فيهم شاعرٌ ذو فصاحةٍ  
ولا تُغضبُوا بالعزلِ أقيالِ معشرِ  
أبضحى سليلِ المذبحيِّ مقدماً  
إذن سقيت همدانُ كأساً مريرةً  
ألا فاشهدوا أني عذرتُ « ابن أيهم »  
فوالله لولا الله لا شيءٌ غيره  
فقل لذرى قحطانِ لله درها  
علام وفيم اليومِ تُغضي على القذى  
هو الموتِ أقصى ما يُخاف ويُتقى



لله در الحكيم الذي قال : « ان الشعر ديوان العرب » فان الشاعر في  
خطرة من خطراته وفي ساعة انفعالٍ مما يرضى أو يُسخط ، ليستطيع ان  
يسجل ما لا يستطيع المؤرخ تسجيله ، ويقول ويثبت ويرسم ما قد يتحاشى  
المؤرخ قوله أو اثباته أو رسمه ، ولولا هذه القصيدة ما وجدنا ما يصور  
الدوافع وراء انحياز بني حاتم إلى الرسوليين بعد أن كانوا قد اندفعوا في تأييد  
الامام الجديد ، ولولاها لما عرفنا شيئاً عن المواطن « سعيد الشوحطي » ،  
والمواطن « المذبحي » واستتكاف سليل « تاج بني يام » عن أين يكون  
لأمثالهم أحمأ في الله والحقوق والواجبات ، ولقد أحسن إلى التاريخ المؤرخ  
الحاتمي باثبات هذه القصيدة التي لا شك انه قد سمعها من قائلها ؛ أحد  
أعمامه أو أولاد أعمامه ، وإذا كان قد قال إن الامام قد قتل الرجلين أو الثلاثة  
من أصحاب بني حاتم الهمدانين على تهمة قتل أي قصاصاً وقال إن التهمة  
غير حقيقية ، فذلك يدل على إنه أيضاً كان يتعصب لموقف آباءه وأعمامه ،  
ولا يضيره ، ولا يحقر من إحسانه إلى التاريخ باثبات هذه القصيدة التي رفع  
بها من قدر ابن الحسين وهو لا يدري ، أن يتعصب لأهله وذويه !

إنها قصيدة حية تنبض بشتى العواطف والمشاعر المتضاربة ، وتنقل لنا

الصورة الواقعية للمجتمع اليمني الذي أراد أحمد بن الحسين أن يقيم فيه حكماً إسلامياً أساسه العدل والمساواة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنها صورة حية لا نفتقر معها إلى حدسٍ أو تخمين ، لكي نحكم على أن ذلك المجتمع كان غير مستعد لما يريده ابن الحسين ؛ فهو لما أقام حداً شرعياً على رجلين من إحدى القريتين « عظيمين » قصاصاً لأنهما قتلا عمداً عدواناً شخصين أو أشخاصاً مسلمين ؛ ربما كان « سعيد الشوحطي » أو ابن « المذبحي » أحدهما أو كليهما ، أو مع آخرين من « جنسهم » ليسو من السلالة « اليامية » ؛ لما عمل ذلك قد أتى بالفارقة « وأباح دماء المسلمين » في رأي ابن التاج الياامي ! وسليل « مُذكر » ! وهو لما أراد صيانة حقوق الأمة وأموالها بعد ان ظلت دهراً إقطاعات يستغلها ويأكلها ويلعب بها أمراء الغز والسلاطين والأشراف والمشايخ . بكفّ أيدي العابثين ، وعزلهم وابعادهم ، عن مراكز القوة والسلطة ، قد اغضب أقيال معشرٍ إذا غضبوا على القنا وتكسروا !! إذ كيف يصبح « ابن الشوحطي » و « ابن المذبحي » مساوياً قيمةً وإنسانيةً وحقوقاً لابن « مُذكر » و « حاتم » و « حمزة » و « يام فيقاص به ؟! ولذلك صرخ صرخته الجاهلية مُذكراً بحادثة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع « جبلة بن الأيهم » وقال :

ألا فاشهدوا اني عذرت « ابن أيهم » رئيس بني غسان لما تنصرا !

وإذن . . وقد قدم الامام « سعيد الشوحطي » بأن اعتبره نفساً مسلمة من قتلها فكأنما قتل الناس جميعاً ، وقد أحرّ « سليل تاج يام » وقاصّة بأبن « المذبحي » فلتشرب كأس الذل والهوان همدان ، ولتسُق الموت الأحمر ، أو فلتشأر ، أو فلتتنصّر ان استطاعت ، أو فلتقصّد « الأريحي المظفرا » . .

الذي فاق « كسرى وقيصرا » . . وسيلقى « الحاتميون » و « الحمزات » و « المشايخ » و « السلاطين » عنده ومنه النيل والخير والغنى والخيول المطهمة ، وسيقطعهم الأراضى ، ويملكهم رقاب البشر ولن يؤاخذهم إذا نهبوا أو سلبوا أو قتلوا « ابن المذبحي » أو « سعيد الشوحطي » ومن هو من « جنسهم » من اليمنيين ! الذين ليسو من نسل « مُذكر » و « حمزة » و « يعفر » و « جعفر » ! ذلك هو المجتمع الذي أراد « ابن الحسين » « أبو طير » « صاحب ذيبين » ، ابن الأمة اليمنية المسلمة العالم الفقير الزاهد العابد الورع أن يقيم فيه حكماً إسلامياً وأن يمثل فيه دور الخليفة الراشد



« عمر بن الخطاب » ! أو دور « عمر بن عبد العزيز » !

و « شاعر همدان » هذا الذي لم يصرح باسمه المؤرخ « محمد بن حاتم » لا أشك ولا أرتاب أنه أحد سلاطين بني حاتم ؛ فهو إما أن يكون الأمير الشاعر الفارس مُدرك بن بشر بن حاتم الذي سبق أن وصف معركة عصر بين الأشراف والغز وأنشأ قصيدة على لسان الأمير بدر الدين الرسولي مطلعها :

سلا ذات سمط الدر والمارن الأقنى لدى «عصر» من أصدق الضرب والطمنا  
وأرسل بها إلى الملك المسعود في مصر وكانت من أسباب ضغن  
« الأيوبيين » عليه كما أسلفنا ، والذي كتب قصيدة عزاء إلى الأمير محمد  
بن حمزة مطلعها :

غضى رناك عن الهزبر المخدرِ وقفى قليلاً لا أبالك وانظري  
التي سبق ذكرها ، أو هو السلطان « علوان » بن بشر بن حاتم الذي  
كتب إلى الأمير محمد بن حمزة قصيدته الميمية التي مطلعها :  
أسادات الورى من كل حيٍّ وأسماى في المعالي من يسامى  
والتي ينصحها فيها بموالة « الأيوبيين » و « الرسولين » ، وقد ذكرناها  
مع جواب محمد بن عبد الله بن حمزة أنفا ، أو لغيرهما من أولاد وأحفاد  
« حاتم بن أحمد » فقد كان جلهم فرساناً يجيدون الشعر والقريض ؛ كما كان  
« الحمزات » .

والقصيدة لا شك « حاتمية » لأنه يفاخر فيها بأحد جدودهم « مُذَكِر »  
وبجدهم القديم « يام بن أصبى » .

ويقول أيضاً انه قد زار « أسد الدين الأمير الرسولي »  
وزرنا « براشاً » والجواد محمداً فمن زاره لم يغد في الناس مُعسراً ؛

ويذكره بفعل أبيه « ابن رسول » في وقعة « عَصْر » مع الأشراف  
« الحمزات » .

كفعل أبيه يوم جرد سيفه عشية لاقى الألف أبلج مُسْفِراً ؛

وذكره أنهم قد كانوا من أنصارهم في تلك الوقعة

ومنا له الأسعاد بالطعن في الكلى وضرب الطلى حتى ترى النقع اكدرا

وكل ذلك يرجح أنها للفارس الشاعر مدرك الحاتمي اليامي صاحب  
قصيدة سلا ذات سمط الدرّ والمارن الأقي .

والقصيدة كما قلنا تنبض بشتى المشاعر المتبانية ، والعواطف المتضاربة ،  
فهو شيعي الهوى والمذهب ، وهواه ومذهبه يريدان منه أن يخلص للامام  
الحسني وأن ينصره ويجاهد معه ، ولكن المنصب والجاه والسلطة والعزة  
العنصرية حسبا ونسبا ، وها هو الامام بدأ يعزل بعض السلاطين والامراء  
ويستعيد الاقطاعات والحصون التي استولوا عليها ، ويُنفذ الحدود الشرعية  
حتى على الأقبال والاشراف ؛ فتحدثه نفسه الامارة بالاقدام على شيء  
خطير ، لا ندري ما هو ، ولكنه يتردد ؛ يهّم ولا يفعل ! ويروم ولا يقدم  
« على ما يرومه » ! مخافة أن يشمت به الشامتون ، ويُقلّب آراءه بطنا  
وظهراً ؛ فيرى ان شكواه إلى ذكرى السابقين من الأئمة كالمصور ابن حمزة ،  
والهادي يحيى بن الحسين ، وإلى « جعفر » . . ولعله عنى الامام جعفر  
الصادق ، بل وإلى « البتول فاطمة » و « حيدر » علي بن أبي طالب ، وإلى  
الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، من هذا الامام الجديد  
الذي لم يرع حقه ولا جاهه ولا منصبه ، ولا شرف محتده ، قد يجعل له  
ولقومه تبريرا لما سيقدمون عليه من الشقاق على الامام والالتحاق بالمظفر وآل  
رسول ، وهو عمل لا شك أهون مما كان قد حدثته نفسه الامارة به ، ورامه  
ولكنه لم يقدم على فعله ، وجمجم به شعراً ولم يفصله ، لأنه لو فعله لتنكر  
لمذهبه كما يقول :

ولا ساعدتني همة « مُذكرية » على أن أرى عن مذهبي متنكرا !

وإذن فأخفت الضررين على همته وعلى مذهبه ، وعلى الامام الجديد ، هو  
أن يخرج على الامام ويلتحق بالمظفر :

وما ذاك للمهديّ بغضاً ولا جفاً ولا مخرجاً عن مذهب كان أزهرها !  
ولا خطة نخشى من الله اثمها ، ولكنه أبدي العقوق وأضمرا

وأرضى « سعيد الشوحطي » وجنسه وأغضب من صيد القبائل معشرا ،  
وأضحى « سليل المذبحي » مقدما ، وتاج بني « يام بن أصبى » مؤخرا !

وكل هذي التبريرات توحى بأن آل « حاتم » مثل آل « حمزة » لو وجدوا مداراة ومحابة من قبل الامام أحمد بن الحسين حتى ولو أقل مما ينتظره من « المظفر » وآل « رسول » لما فارقوا سوحه ، ولظلوا له وزراء وقادة ، وشيدوا معه دولة كتلك التي شيدها المظفر ، وورثها أولاده من بعده أكثر من قرنين ! ولكن العالم الزاهد الورع في ابن الحسين لا يهتم بالملك والدولة إذا كانت على حساب دينه ، ولا يساوي ملك قرنين أو ثلاثة قرون لحظة من راحة ضميره إذا شعر أنه قد نهى عن منكر أو أمر بمعروف أو حكم بما أنزل الله .

لقد مات شهيداً ولم يخلف من قرابته وأولاده أئمة ولا ملوكاً يحكمون اليمن أكثر من قرنين ومنهم الصالح المحمود السيرة ، والطلح الغشوم ، كما رأينا في ملوك وسلاطين بني رسول حتى اضمحلوا سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤ م ، وقد انتصر المظفر ببذله لسلاطين آل حاتم ، وأمراء الأشراف ما يطمعون فيه من حطام الدنيا ، ولم يساوهم ولا أمثالهم من الاقيال بالمواطن « سعيد الشوحطي » ، والرعوي « ابن المذبحي » ، وعاش بعد « ابن الحسين » ثمانية وثلاثين عاماً حاكماً بأمره ، ودانت له كل أصقاع اليمن ، ونصب ولده الأشراف ملكاً بعده ، وورثه بعده أحفاده . . ولكن نهاية الجميع كانت واحدة . . . الموت ! والموت سهل ؛ ولكن ما بعد الموت من حساب وعقاب وجزاء وثواب ، هو ما توقاه أحمد بن الحسين ورفض أن يساوم فيه ، فأبيها المنتصر ؟ وأبيها الأسعد حظا ؟

إن قصيدة « شاعر همدان » تذكرني بقصيدة الشاعر الفارس أحمد ابن يزيد القشبي الثاني التي قالها في إبراهيم العلوي « الجزار » بعد أن فتك بقومه سنة ٢٠١هـ في مجزة « ريده » فقد كان الشاعر فيها أيضاً منفعلاً بشتى المشاعر والعواطف المتناقضة المتضاربة ؛ وان اختلف الموقفان فقد كان « إبراهيم العلوي » معتدياً جباراً وليس للمجزرة التي دبرها أي مبرر شرعي أو إنساني ، وكان أحمد بن الحسين يريد أن يحكم بما أنزل الله . وقد أوردنا شيئاً من قصيدة « القشبي » عندما تحدثنا عنه في السفر الأول .

وبعد ؛ أفليس من العجيب أن يتذكر الأمير الحاتمي ، سواء كان « مدركاً » أو « علوانا » أو « بشرا » أو « عمرا » وهو يفارق الامام أحمد بن الحسين مع قبيلته وينضمون إلى جبهة « المظفر » حادثة « لطمة » الملك الغساني « جبلة » بن الأيهم والتي دفعته إلى الخروج من دين الاسلام إلى النصرانية ؟ أكان يشعر انه يقارف إثماً حين قال :

ألا فاشهدوا اني عذرت « ابن أيهم » رئيس بني غسان لما تنصرا ؟

وهل ندم وهو على فراش الموت كما روى المؤرخون ان جبلة قد ندم ؟؟ !

وما شطح القلم وما جمح ، حين جنح إلى ترداد أبيات « قصيدة التمرد الحاتمية » وأطال الوقوف معها ، ثم تساءل تلك التساؤلات ؛ ولعله كان حرياً أن يتساءل أيضاً هل كان من الخير لأحمد بن الحسين ولليمن أن يتعاون مع الأشراف والحاتميين ، وسائر المشايخ ، وأرباب الأطماع من الفقهاء ؟ وهل كان من الأفضل لو تحاشى بمسائرتهم وارضائهم وتملقهم الصراع الدامي الذي كان هو أخيراً إحدى ضحاياه ؟ وهل كانت اليمن ستكون أحسن حالاً ، وأكبر سعادة ، وأقوى شأنًا تحت حكم الامام أحمد بن الحسين القاسمي ، ومن قد يخلفه من أولاده وأسرته ، لو أرضى « الحاتميين » و « الحمزات » ومن على شاكلتهم ؟ أم أنه ما كان ، ولا خلفاؤه من بعده طال الزمن بهم أو قصر سيستطيعون أن يصنعوا لأنفسهم ولليمن أكثر مما صنع الملك المظفر الرسولي وورثته الملوك والسلاطين طيلة قرنين من الزمن ؟!

لا يستطيع هذا القلم ، ولا أظن غيره يستطيع ان يحكم ، إلا إذا شطح وجمح ، وتعسف وتكلف ، أو تعصب وتمذهب ، فقد كان المظفر عالماً حكيمًا ، ذكياً حليماً ، شجاعاً كريماً ، واستطاع برجولته ، ومصاولته ومطاولته ، ومداراته لأطماع الطامحين ، أن يوحد اليمن الطبيعية ولفترة لم تتسنّ لغيره من قبله أو بعده ، وان يظل أكبر ملوك الجزيرة العربية حوالي أربعين عاماً ، وأسس دولة تعد من أحسن الدول في تاريخ اليمن الاسلامي ، ووجد بين خلفائه الصالح والطالح كما وجد بين سلاطين سائر الدول التي حكمت اليمن من قبل ومن بعد ، وما أظن أن أحمد بن الحسين كملك كان سيتمكن من عمل شيء أفضل مما عمله الملك يوسف بن عمر

ولن يعمل خلفاؤه كسلاطين قاسمين لا أحسن ولا أسوأ مما عمله السلاطين الرسوليون ! ولكن هذا القلم يستطيع أن يقول دوننا تحرج : إن ما عمله أحمد بن الحسين واختاره وارتضاه لنفسه قد كان أحسن وأفضل له ، وأقرب إلى ما يتطلبه الواجب الديني من أئمة الرشد والهدى الأمرين بالعدل والاحسان والناهين عن الفحشاء والمنكر والبغي .

### آثاره ومؤلفاته

تولى الامام أحمد بن الحسين الامامة وهو في الرابعة والثلاثين ، وظل طيلة عشر سنوات وهو لا يخرج من معركة إلا إلى أخرى ، إما في ميادين الحرب والقتال ، أو في ساحات الجدال والمناظرات ، أو سرايب المكر والمؤامرات ، واستشهد وهو في سن الكهولة لم يتجاوز الرابعة والأربعين ، فلا يُنتظر من مثله أن يجد وقتاً للتأليف . ومع ذلك فقد خلف لنا خمسة آثار لا تزال كلها مخطوطة وهي :

- ١ - « حليفة القرآن في نكت من أحكام أهل الزمان » وتوجد منه نسخة بمكتبة جامع صنعاء .
- ٢ - « الرسالة الزاجرة لصالح الأئمة ، عن إساءة الظن بالأئمة » ومنها نسخة بمكتبة الجامع أيضاً .
- ٣ - المفيد الجامع ، لمنظومات غرائب الشرايع » وهي فتاوي فقهية جمعها معاصره الفقيه علي بن سليمان الصريمي . ومنه نسخة بمكتبة الجامع بصنعاء [ص : ١٠٥ الحبيشي] .

ويقول الدكتور حسين بن عبد الله العمري إن الآثار الثلاثة توجد ضمن مخطوطة من مخطوطات المتحف البريطاني رقمها OR:03811 . وان خطها نسخ تخين الحروف مشكول وتاريخ كتابتها سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م . وفي المخطوطة المذكورة أيضاً :

- ٤ - عهد من الامام كتبه إلى بعض امرائه .
- ٥ - نص كتاب له إلى بعض أمرائه أيضاً . وقال العمري : « ويبدو أن ما في المتحف هو كل ما كتب » [ص : ١٧٠ - ١٧١ - مصادر التراث] .

ولم أطلع على شعر منسوب إلى الامام أحمد بن الحسين ؛ إلا أن المؤرخ ابن أبي الرجال قال في ترجمته للسيد جعفر بن أحمد بن جعفر وهو يتحدث

عن قضية « الحشاشين » الذين حاولوا اغتيال الامام انه كان ذا قدرة على نظم الشعر ونقل عن السيد يحيى بن القاسم قوله : « لقد رأيته يقول النظم ويصوغ القريض ثم يقول : « إن الشعر من مظان العتب والانتقاد ، ولا أرى بتركه بأساً ! وإذا فقد عزف عن قول الشعر تورّعاً ، وخشية أن تشطح به نزوة من نزواته فيقع فيما وقع فيه سلفه الامام عبد الله بن حمزة !

### قصة « الحشاشين » ومحاولة اغتيال الامام

في سيرة الامام أحمد بن الحسين قضية غريبة تثير الدهشة والعجب ، وهي قصة « الحشاشين » ومؤامرتهم على اغتياله ، وقد تفننت الروايات في سردها ولا سيما في تعليل أسباب حدوثها وبواعثها ومن كان وراءها والمدبر لها .

وليست سيرته التي ألفتها أحد أعيان عصره السيد شرف الدين يحيى بن قاسم الحسنى في متناول يدي الآن فألخص ما كتبه عنها كشاهد عيان ، ولكن المؤرخ السيد محمد بن زبارة قد كفانا المونة فأوجزها بقوله : « وفيها - أي سنة ٦٥٣ هـ - كتب السلطان المظفر إلى ملك بغداد العباسي يشكو ميل الناس إلى الامام وطاعتهم له ، فبعث إليه برجلين من « الحشاشين » ، وهم قوم من جهات خراسان والديلم ، من شأنهم المخاطرة بنفوسهم والاقدام على من أمروا بقتله غيلة من الملوك ولو كان فيه هلاكهم ، فلما وصلا إلى « المظفر » أرسلهما إلى الامام في هيئة المصلحين وأغراهما بقتله .

« فوصلا إلى الامام في ربيع الثاني من هذه السنة وهو في حصن « حلب » بالقرب من حصن « ثلا » فأكرمهما ، ولبثا في مقامه أياماً ، ثم دخلا لموادعته ، ولم يكن عنده إلا الفقيه قاسم بن أحمد الشاكري ، والفقيه عبد الله البهلوي ، والشيخ عبد الله الصعدي . فقال لهما الامام : تكلمما حاجتكما فتكلم أحدهما بكلام غير مستقيم وقال : مرادي القى إليك حديثاً سرّاً ودنا من الامام فاتهمه ، ومال إلى الفقيه قاسم الشاكري يساره ، فانتهز « الحشيشي » الفرصة وجذب سكيناً من باطن ثيابه وانحط على الامام فطعنه في موضع « المحجمة » من كتفه الأيسر حتى دخل السكين زيادة على أصبع ، وأراد أن يطعنه ثانياً ، فقبض سكينه الفقيه قاسم الشاكري وأوثقه وضغطه إلى الجدر ، ثم كان قتل « الحشيشي » وصاحبه ، وشفى الامام من

تلك الجراحة بعد أن منعه من صلاة الجمعة نحو شهرين . وقد ذكر تفصيل خبر هذه الحادثة القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في ترجمة الأمير جعفر بن أحمد بن جعفر بن القاسم العياني في كتاب « مطلع البدور » ، وذكر بعض الأشعار التي نظمت في تهنئة الامام بسلامته من ذلك قصيدة أولها :

هنياً كلما مرّ الجديد      بما أولاك ذو العرش المجيد ،  
ولا زالت تصاحب كل يوم      معاليك السعادة والسعود ،  
أمير المؤمنين فداك قومٌ      رضي فعالمهم غدرٌ عنيدٌ

وقصيدة منها :

ألا تبت يمين فتى ترامت      به من أرض « بغداد » الاكام  
أراد السوء بالاسلام كفرا      وطفغيانا فعاجله انتقام

[ص : ١٦٨ - ١٦٩ أئمة ج - ١] .

هذا ما لخصه زبارة وقد رجعت إلى « مطلع البدور » فوجدت ابن أبي الرجال قد نقل القصة كاملة برمتها عن السيد يحيى بن القاسم مؤلف سيرة الامام « ابن الحسين » وخلصتها ما نقله « زبارة » ، ولا زيادة إلا ما فصله عن ما سماه « فرقة الحشيشية » وانهم « من الملاحدة القرامطة المعطلة يأتون من تخوم خراسان » ، وأصل نشأتهم ، ومركز قيادتهم وكيفية تدريبهم ، وذكر ان رسول « المظفر » إلى الخليفة العباسي رجل يقال له « ابن أبي الفهم » ووصف الرجلين المنتدبين لاغتيال الامام بأن أحدهما : « رجل قد طعن في السن ، أعور العين ، طويل القامة ، جليل المشاش شيطان مريد » والآخر : « غلام حدث السن في سن الشباب كامل الخلق » وقال انها قد وصلا مرسلين من « المظفر » إلى صنعاء مع ابن أبي الفهم إلى صنعاء وفيها اجتمعوا بالسلطان أحمد بن علوان ابن بشر بن حاتم الياامي وفيها دبّروا المؤامرة التي لخصها زبارة وأن « الفدائين » قد أرسلوا إلى الامام في شهر ربيع الآخر سنة ٦٥٣ هـ مع خطاب من السلطان الحاتمي يقدمها إليه كرسولي صلح من المظفر وانه هو نفسه « يريد الوصول ويطلب الذمة الأكيدة ، مما لم يبق لدى الامام أي شك في رغبة القوم في الصلح » . وكان ما كان وسلم الامام وقتل الرجلان وقيلت القصائد التي نقل المؤرخ زبارة منها ما نقل ،

والقصيدة الدالية من شعر السيد جعفر بن أحمد ، ومنها يذكر موقف الفقيه نظام الدين قاسم الشاكري وشجاعته في القبض على « الحشاش » :

وسلمك الآلة ولا ظهيرٌ      ولا حول لديك ولا ودودٌ  
سوى الفذ « النّظام » ، وأي كافٍ      تقر بفضلِه بيضٌ وسود !  
وجاد بمهجة كرمت ! وأنى      بمهجته هنالك من يجود ؟  
وقام بكل ما ترضى وتهوى      مقاماً ، ما له أبداً جحود

وأما الأبيات « الميمية » فهي من قصيدة للقاضي مسعود بن عمر العنسي ومطلعها .

بحقّ ذمّام عهدكم وعهدي      وحرمة صحبتي كيف الامام ؟  
ألا كيف الذي تهوي الرواسي      لدعوته ويتصدع السلام ؟  
وكيف يد كمثل يمين عيسى      إذا مسّحت أزيل بها السقام ؟

ومنها :

ظللتُ وقد أتاني العلم أخفى      بردني عبرتي ولها انسجام ،  
وبتّ على الفراش كأن جنبي      تعرّض دون مضجعه السهام  
يراقبني السّها فأقول مهلاً :      ترقّ بي ؛ فاني لا أنام . . !  
أنسى أنعم المهدي عندي      فأنكرها ؛ إذا بثّ الذمام !

وبعد البيتين الذين ذكرهما زيارة البيت التالي :

كما فعل « ابن ملجم » في علي ؛      وأخّر عن خليفتنا الحمام !

ومن التهاني التي ذكرها « ابن أبي الرجال » أبيات للامام الحسن بن بدر الدين قال « وكان إذ ذاك أيام سيادته لكنه الغرة الشادخة في العترة » وهي :

راموك والله رام دون ما طلبوا      وكيف يُفرقُ شملٌ وهو جامعهُ ،  
عوايدٌ لك تجري في كفالتة      لا يجبر الله عظماً أنت صادعه ،  
كم قبل ذلك من فتق منيت به      والله من حيث يخفى عنك راقعه ،  
ضابقت جوانبه ، واشتد مخرجه      وأنت فيه رحيب الصدر واسعهُ ،  
رداً إليه وتسليماً لقدرته      فمن يجادله ، أم من يدافعه ؟ .

[ص ٣٨٣ - ٣٩٥ قسم - ٣ - نسختنا مطلع] .



من كان وراء مؤامرة الحشاشين ؟

تلك هي قصة محاولة « الحشيشيين » - حسب تعبير المؤرخين اليمينيين - وقد قلت إنها قضية غريبة تثير الدهشة والعجب ، ولا يستطيع من له إلمام بالتاريخ الاسلامي العام ومعرفة بتاريخ كل الدول والطوائف والسلطنات التي حكمت اليمن أثناء العصر العباسي الثاني إلا أن يتساءل : هل حقاً كان الخليفة العباسي « المستعصم » وراء مؤامرة اغتيال الامام أحمد بن الحسين وبطلب من الملك المظفر الرسولي . كما تدعى سيرته ، وشعر العنسي ، ونقله ابن أبي الرجال وزبارة دون تعليق ؟

أما أنه قد قيل ذلك واشتهر وأشيع أثناء الحادثة وبعدها ، فلا أشك في ذلك ، وإن الألسن قد تناقلت الخبر وكان حديث المجالس والرسائل والقصائد الشعرية . وبالغ المدبرون الحقيقيون ، والواقفون وراء عملية الاغتيال ، في تثبيته مغالطة وتضليلاً ؛ كما أغرق أنصار الامام وأشياعه في نشره تعظيماً للامام ، وتهويلاً للمصاب ، وتنديداً بالعباسيين والرسوليين خصوم « الامام الزيدي » ! واستعمل « الباطنية » كل وسائلهم لتصديق ذلك . وقد ساعد الأشاعة وجعلها أشبه بالواقع الذي لا واقع سواه أن الرجلين « الحشيشيين » قد قتلوا فوراً ودفن السر معها .

ولكن يخامرني الشك في أن الخليفة العباسي المستعصم هو الذي أرسل « الفدائيين » من « الحشاشين » إلى الملك « المظفر » ، وذلك ما ينسجم مع واقع الخليفة العباسي يومئذ ؛ وقد اكتسح « المغول » المعمورة ؛ و« هولاكو » الجبار يناشد « المستعصم » الضعيف الأهوج المشغول بالجواري واللعب بالحمام ، وبما لا يليق بالقادة . . أن يأتي إليه ضارعاً ذليلاً وإلا فسيواجه ما لا قبل له به ، وسيزحف إلى بغداد ويجعلها حصيداً هشيماً ! أسبَّهت « المستعصم » في مثل هذه الحال بالانصال بزعيم « الحشاشين » في « اصبهان » أو « الموت » ، أو أي قلعة من قلاعهم ويستأجر منه « فدائيين » ليذهبوا إلى « اليمن » ويغتالوا « الامام الزيدي » لصالح السلطان الرسولي ، ويتجاهل ، وينسى ما هو فيه وأهله وذويه من محنة وبلاء ؟! كلا . . . كلا ؟

ومع ذلك فإن التاريخ يحدثنا بأن « هولاكو » كان قد قضى على الدولة

« الباطنية » « النزارية » دولة الحشاشين سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٦ م وقتل آخر زعمائهم « ركن الدين خورشاه » قبل أن يزحف على « بغداد » فمن من ياترى استأجر الخليفة العباسي « الفدائيين الفارسيين » ونحن نعلم أن الفدائي من فرقة « الحشاشين » الباطنين « النزاريين » كان لا يضحى بنفسه إلا من أجل رئيسه الذي قد ضمن له بالخلود في جنات النعيم !

مع العلم بأن الخليفة العباسي - وأي خليفة قبل المستعصم - لم تكن له أي سيطرة أو سلطة على دولة « النزارية » الباطنية في فارس منذ أسسها زعيمهم « الحسن بن الصباح الحميري » بل كان الخلفاء العباسيون يعيشون في رعب من « الفدائيين » الحشاشين .

ومن البعيد أيضاً أن يكون « المظفر » من السداجة بحيث يعتمد على « حشاشين » أحدهما كما وصفه مؤلف سيرة أحمد بن الحسين « رجل قد طعن في السن ، أعور العين ، طويل القامة ، جليل المشاش ، شيطان مرید » والآخر « غلام حدث السن » ويرسلها باسم وفدٍ للمفاوضة والصلح مع الامام ويقصد الدخول عليه واغتياله ، ويتنظر ان الامام سيقبل ذلك أو يصدقه . لا أتصور ان المظفر الداھية يتصرف مثل هذا التصرف !

وأنا لا أقول هذا انكاراً للحادثة ، فلا شك انها قد حصلت ، ولا أقوله دفاعاً عن المظفر ، وأنه لا يتورع عن الموافقة على اغتيال أحمد بن الحسين ، ولا يرتاح إلى هلاكه . . ولكنني أشك في أنه وبمساعدة المستعصم العباسي الذي يشرح نفسه للسحل والموت في بغداد على يد « هولوكو » قد كانا وراء محاولة هذا الاغتيال .

المؤامرة باطنية « حاتمية » يمنية !

وإذن فمن هم الذين كانوا وراء عملية محاولة الاغتيال ؟

هناك نص في سيرة « ابن الحسين » وصف به مؤلفها الفدائيين اللذين حاولوا قتل الامام وهو كما أوردته ابن أبي الرجال كما يلي : « وهم فرقةٌ من الملاحدة والقرامطة المعطلة يأتون من تخوم بلاد خراسان يعزوهم أهل تلك الناحية إلى بلدة تعرف « بالموت » من نواحي الديلم لا يسكنها إلا « الباطنية » .

وإذاً فقد كان الرجلان من فرقة « النزارية » الباطنية الذين يعرفون « بالفداوية » والحشاشين ؛ وهناك في السيرة نص ثاني يقول : ان الرجلين حين وصلا إلى « صنعاء » قد استقبلهما السلطان أحمد بن علوان بن بشر بن حاتم الياامي وان أحمد هذا قد خرج معها من « صنعاء » وتقدموا إلى « كوكبان » ، ثم كاتب الامام ، وأراه الرغبة من السلطان المظفر في المصالحة وان يسلم له حصن « كوكبان » وأظهر انه يريد الوصول إلى الامام ، وانه يبعث مع الرجلين برسالة مطالباً « الرفاقة والذمة الأكيدة » من الامام حتى يصل إليه آمنًا لأنه كان مع جملة أخوانه وأعمامه سلاطين بني حاتم مؤيدين للمظفر مناوئين لابن الحسين .

وإذن فالرجلان كما أظهرهما أحمد بن علوان السلطان الياامي انهما رسولان من « المظفر » إليه يأمره بالاتصال بالامام لعقد صلح ؛ وإذا وافق فان الرجلين قد خولا بأوامر إلى أمير « كوكبان » لكي يسلمه للامام ، والمفوض في عقد الصلح نيابة عن المظفر هو السلطان أحمد بن علوان وليس ذلك الشيطان المريد جليل المشاس الأعور الطاعن في السن « ! وهذا هو المظفر الذي لفقهُ السلطان أحمد الياامي للمؤامرة .

وإذاً فقصة رسالة المظفر إلى الخليفة العباسي في عام ٦٥٣ هـ وقد اكتسح هولاءكو فارس ، وهو في طريقه إلى « بغداد » بعد أن قضى على كل ممالك خراسان بما فيها دولة النزاريين الباطنية « الحشاشين » ؛ ليُدْفَع على دولة الخلافة العباسية ، قصةً مفتعلة ، لا تستقيم ولا تثبت أمام ما نعرفه من أحداث التاريخ ولا يقرها المنطق السليم .

ونحن نعلم أن الدعوة الفاطمية في اليمن منذ أواخر أيام السيدة بنت أحمد قد نهجت نهج أنصار الدعوة الفاطمية في فارس وخراسان والشام ولجأت إلى التستر وقالوا بالامام المستور « الطيب » ولم يعترفوا بامامة الخليفة الحافظ في مصر ، وساروا في ذلك على منوال أنصار « نزار » بن المستنصر في فارس . وان اختلفت الدعوتان في اسم الامام المستور ومن هو ممثله في الأرض !

ويقول مؤرخ الصليحيين الدكتور حسين الهمداني : « بعد مقتل الامام الخليفة الأمر بالله التجأت الدعوة بمرور الزمن أكثر فأكثر إلى « التستر »

وذلك إنها فقدت تأييد الدولة ولقد كادت الدعوة تصير نسياً منسياً لو لم يلجأ أهلها إلى التستر بمعاملهم المنيعة في جبال « حراز » و « نجران » و « اليمن الأسفل » [ص : ٢٥٠ - صليحيون] .

وقد أشار الدكتور الهمداني أيضاً إلى ان الدعوة بعد ذلك قد انقسمت على نفسها فبينما ظلت السيدة واتباعها وفيه للدعوة القديمة الرسمية . . ثم لما رأت مؤامرة الخليفة الحافظ عبد المجيد على دولتها قررت استقلال اليمن من سيطرة وهيمنة الدعوة في مصر وانفصال هيئة الدعوة من مركزها بالقاهرة انفصالاً تاماً وقالت بالامام المستور . [وذلك ما عمله مؤسس الباطنية النزارية في فارس] . . بينما مال ملوك آل زُريع الهمدانيين في عدن إلى الدعوة المجيدية التي انتشرت أخيراً في معقل اليمن [ص : ٢٧٠] . فالموقف الذي وقفه الحسن بن الصباح الحميري هو نفس الموقف الذي وقفته السيدة ثم دعاة الفاطمية وأقطابها من بعدها بعد أن قضى عليها - أولاً - ابن مهدي ثم الأيوبيون سياسياً ، وحاربهم الأئمة أحمد بن سليمان وعبد الله بن حمزة وأحمد بن الحسين أخيراً في المنطقة الوسطى « يريم » و « إرياب » وما صابقتها عقائدياً وعسكرياً . فلماذا لا نظن أن السلطان أحمد بن علوان الحاتمي قد ظل وفيماً لمذهب جده عمران بن الفضل الياامي وكذلك اخوانه وأولاد عمه ، وكانت صلاتهم بالأشراف الحمزات وتأليبهم على الامام سواء كان يحيى بن المحسن أو أحمد بن الحسين نتيجة دراسة وتخطيط كي يتمكنوا من إعادة السلطة والنهوض بأمر دعوتهم الباطنية عندما تحين الفرصة كما فعل جدهم عمران مع الملك علي محمد الصليحي ؟ ولماذا لا يكون هذان الرجلان الفدائيان الحشاشان قد شردا ضمن من شرد من فارس إلى اليمن إثر احتلال « هولكو » لخصون مملكتهم في « الموت » وحملها معها شريعة النزاريين الحشاشين التي من وسائل تنفيذها « الفدائية » واغتيالات زعماء الدول والفرق التي تحاربهم واستغل ذلك السلطان الياامي ولا يبعد انه قد فاتح السلطان المظفر في موضوع اغتيال الامام وانه سيزوره باسم عقد صلح ومعاهدة مع السلطان المظفر فأذن له وكان ما كان وهذا الافتراض هو الأقرب إلى منطوق الأحداث التاريخية ونحن نعلم أن الدعوة الاسماعيلية منذ نشأتها وحتى أيام الامام أحمد بن الحسين في القرن السابع لم تحارب عقائدياً وعسكرياً من قبل أي فئة في اليمن مثلما حوربت من قبل « الزيدية » وأئمتها

وقد أصبح الباطنيون بكل فئاتهم يعتقدون مطمئنين إلى اعتقادهم ان خصمهم الحقيقي هو « الزيدي » الشيعي وإمامه الذي ينكر الرجعة المهديوية ، والعصمة لغير الأنبياء ، وكل البدع التي فتنوا بها المسلمين في فارس والشام ومصر واليمن وغيرها ، وانه لا ملوك « الغز » ولا « الترك » ولا الطامعون الطامحون من مشايخ اليمن سيستطيعون ان يحولوا بينهم وبين ما يبتغون على المدى الطويل ؛ لأنهم بالمصانعة والمطاولة والخداع والتستر والمكر والتقية سيستطيعون أن يعيشوا ، ويمارسون شعائرهم ويرتبون أمورهم حتى يحين الأوان « ويدعو الداعي » فيندفعون من سراديبهم كالصقور والذئاب كما اندفع علي محمد الصليحي من قلعة « مسار » في « حراز » وطوى اليمن طياً .

وقد كانوا لا يستنكفون أن يتظاهروا بالولاء والطاعة والاخلاص لكل حكام اليمن ، ماعدا أئمة الزيدية ! وقد أشار إلى ذلك الدكتور الهمداني فقال : « إن الداعي علي بن حنظلة [ ٦١٢ - ٦٢٦ هـ ] قد التزم مع أعوانه سياسة عدم التدخل في الخلاف القائم بين الملك المسعود الأيوبي وأعوانه آل رسول وبين الأشراف ، وعلى الرغم من ذلك لم ينجح الداعي وأهل دعوته من مخالفة الأشراف ، فكان الداعي مثل من سبقه من رؤساء الدعوة مضطراً ان يلتجئ إلى حماية السلطان وأمراء آل رسول طبقاً لقانون المحافظة على البقاء » [ ص : ٢٩٥ - صليحيون ] .

وإذن فالمؤامرة كانت « باطنية » « يمنية » ومن قبل « الحاتميين الياميين » وليست هذه نظرة جديدة ارتأيتها وأنا أحرر هذه الفصول اذ قد قلت في منظومتي التاريخية

ما جاء « حشاشهم » من « أصبهان » ولا « بغداد » بل جاء من « صنعاء » أو « عدن »

ومما يؤكد ما أذهب إليه ما يرويه مؤلف السمط الغالي « الحاتمي » ؛ وهو « أن بني حمزة وبني حاتم والأمير أسد الدين محمد الرسولي - الذي كان قد لجأ إلى براش بعد دخول الامام أحمد بن الحسين صنعاء سنة ٦٤٨ هـ - كانوا قد اجتمعوا واتفق رأيهم على دخول صنعاء والقبض على الامام ، وكان ذلك بغير رأي أحمد بن عبد الله بن حمزة ، فلما علم أنكر القضية وأقسم بالله على أخوته وأولاده وأصحابه لئن فعلتم ما توسمتموه لأضعن السيف على

فؤادي ، وقد كان الأمير أسد الدين هو وبنو حاتم على أكمة « الزبيب » المشرفة على « صنعاء » ومعه كافة همدان ، فلما لم يساعدهم الأمير أحمد بن عبد الله على ذلك أمروا الأمير أسد الدين بالعودة إلى براش » وعاد الحاتميون وبقية الحمزيين إلى التظاهر بالاخلاص للامام ؛ والأمير أحمد بن عبد الله انما عارضهم في إلقاء القبض على الامام وقتله ، أما في المخادعة فكان هو الذي دبر المصالحة بين الامام وأسد الدين وبعد ان تم الصلح وما أرادوا به إلا خديعة أحمد بن الحسين كان ابن حمزة هو الذي أشار على أسد الدين بالرجوع إلى ابن عمه الملك المظفر وقال له : « لن ينفعك إلا ملازمته والوقوف تحت أمره » ، ثم خادع الامام وأشار عليه بأن يجهز جيشاً يرأسه أسد الدين لمحاربة المظفر وكان قد أحكم التدبير مع أمراء بني حاتم وأسد الدين على إنه إذا قرب من ابن عمه صالحه ودخل في طاعته ، وانطلقت الحيلة - كالعادة - على الامام الصادق المخلص ، وجهز مع أسد الدين قوة ومعه فيها الأمير عبد الله بن سليمان بن موسى الحمزي والأمير أحمد بن علوان بن بشر بن حاتم الياامي وجماعة من أخوته بني حاتم ، وكانوا قد علموا وتيقنوا انه لن يثبت لهم أمر إلا بالتعاون مع الملك المظفر ، وما أن تقابل الجيشان حتى سعى الأمير أحمد بن علوان بالصلح بين المظفر وابن عمه وكان اللقاء الذي وصفه الحاتمي بقوله : « ولم يكن أحسن منه لقاء ولا أنق ولا أهبج » وانقلب الجميع جيشاً يقوده أسد الدين الرسولي وبنو حاتم ليحاربوا الامام الذي اضطر إلى مغادرة صنعاء إلى « سناع » وكان ما كان مما سجله المؤرخون والتفاصيل في ص : ٢٧٧ - ٢٧٩ - من السمط وص : ٤٣٥ من غاية الأمانى ؛ فالمؤامرات ومحاولة القضاء على الامام قديمة ، وكان أحمد بن علوان الذي دبر قضية محاولة اغتيال الامام مع « الحشاشين » من أكبر أقطابها ومدبرها .

### خروج الرصاص على الامام واستشهاده

في عام ٦٥٥ هـ اجتمع الشيخ الفقيه العالم أحمد بن محمد الرصاص الحوثي أستاذ الامام أحمد ، وأحد أكابر الداعين له والمؤيدين لدعوته مع بعض العلماء والفقهاء ، وطعنوا في سيرته ونقموا عليه بعض تصرفاته ثم خرجوا إلى بلاد عذر وحجور ، وأطلقوا ألسنتهم وأقلامهم معترضين ناقدين ، ودارت بينهم وبين الامام الرسائل ثم رجح أن يبعث إليهم

الشريف الحسن بن وهّاس الحمزي لمناظرتهم وكان بعض المخلصين من مستشاري الامام قد نصحوه ان لا يكون « ابن وهّاس الحمزي » هو ممثله فلم يسمع ؛ ولما وصل إليهم خادعوه وناظروه حتى صار من جملتهم ، ولما بلغ الأمير أحمد بن الامام عبد الله بن حمزة خبرهم كتب إليهم ، وقوى عزائمهم ، ثم خرج إليهم من صنعاء والتقوا في « البون » واجتمعت كلمتهم على حرب الامام ، وكتبوا إليه يطلبون منه الاجتماع بالبون للمناظرة ، وكان رد الامام ان يتركوا الشقاق ويصلوا إليه ، وتفاقم الأمر لما هاجموا حصن « ذروة » وهو من معاقل الامام وفيه بعض أهله وانتهبوه وهتكوا حرمة من فيه ، واتصلوا بالملك المظفر وقد كان الأمير أحمد بن عبد الله بن حمزة كتب إليه . . يخبره بميل العلماء عن الامام ويطلب منه المدد والعون على حرب الامام ؛ قال المؤرخ زبارة : « فأمدّه بمائة ألف درهم مظفريّة مع الشريف الحسن بن حمزة فوافاهم قبيل قتل الامام بوقت يسير فطرحت تلك الدراهم بين الخيام قال بعضهم : ولقد رأيت الدرهم المظفري فاذا هو فضة خالصة وزنه قفله أو زيادة مكتوب في الدائرة الوسطى بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ، وفي الدائرة الخارجية ليظهره على الدين كله ، أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي رضي الله عنهم وفي الدائرة الوسطى من ظاهره السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور ، وفي الخارجية : الامام المعتصم بالله أمير المؤمنين ، ضرب بزبيد سنة ٦٥٠ خمسين وستمائة [ص ١٧٣ - أئمة ج - ١ - ] .

وبعد ذلك تجهز الامام لملاقاتهم بجيش جرار والتقى الجيشان في « شوابه » في أوائل شهر صفر ٦٥٦ هـ . وكان الامام في ثلاثمائة فارس والفي راجل ولكن يظهر أن الدراهم الفضية المظفريّة كانت قد أدت رسالتها فما أن جابهوا جيش الأشراف وعددهم لا يزيد على ثمانين فارساً وأربعمائة راجل حتى انهزم أصحاب الامام إلى موضع قريب من الموضع الذي هو فيه بحيث يظن انهم لا يخذلونه كما قال المؤرخون ! قالوا « فثبت ثباتاً حسناً وقاتل قتالا شديداً ، حتى عُقِر فرسه ، وأصيب بسهم في وجهه فوقع على الأرض ورماه محمد ابن هاشم عم الشريف الحسن بن وهّاس وأجهز عليه جماعة واحتزوا رأسه » إلى آخر القصة . وكتب الأمير أحمد بن الامام عبد الله بن حمزة إلى

الملك الرسولي يشره :

تَجَدُّدُ السَّعَادَةِ أَوْجِبُ شُكْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ لِلْمَقَامِ الْعَالِيِّ خَلَدَ اللَّهُ  
مَلِكُهُ ، صَدُورُهَا مِنَ الْمَصَافِ بِشَوَابِهِ ، وَرَأْسُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بَيْنَ يَدَيْ :

وَأَبْيَضُ ذِي تَاجٍ أَصَابَتْ رِمَاحُنَا بِمَعْتَرِكِ بَيْنَ الْفُؤَارِسِ أَقْتَمَا  
هُوَى بَيْنَ أَيْدِي الْخَيْلِ إِذْ فَتَكَتْ بِهِ صَدُورُ الْعَوَالِي تَنْضَحُ الْمَسْكَ وَالِدَمَا

قال السيد محمد زبارة : « وفي هذه البشارة من روح البغض والتحامل ،  
وقوة الشر الكامنة ما لا يخفى ، ولا قوة إلا بالله » .

وقد سجل السيد صارم الدين ابراهيم بن محمد الوزير حادثة قتل الامام  
فقال في بسامته :

وزلزلت عضد المهدي أهدنا بأحمد ورمته منه بالكبر !  
فخضبت شيبه لابن الحسين دما وعفرت وجهه الوضاح بالعفر  
وكلفت « حسناً » تحسين أقبح ما جرت به من صروف الدهر والغفر  
وسامه « الشيخ » من « حوث » مجاهرة بعد الولاء على صاع من الفطر  
دارت رحي حربهم للدين طاحنة فليت أن رحاها تلك لم تدر  
ضحوا بأبيض يستسقى الغمام به ، قد بايعوه فكانوا أحسر البشر  
مالوا إلى أحمد عن أحمد وبغوا على الامام وقالوا جار في السير

[ ١٧٤ - أئمة ج - ١ - ]

وقد وصف الأمير محمد بن حاتم حادثة استشهاد الامام في كتابه السمط  
الغالي الثمن وصفاً مفصلاً انظره في ص ٣٢٣ إلى ص ٣٣٢ .

وقد ناح شعراء اليمن على الامام وبكوه بكثير من القصائد ولو جمعت كل  
المراثي التي قيلت فيه وفي التنديد بقاتليه والخارجين عليه لكونت ديواناً ضخماً  
وقد رثاه شاعره وأكبر شعراء اليمن في عصره القاسم بن هيثم بعدة قصائد  
منها النونية التي يقول فيها :

أقسمت أحلف صادقاً وأنا الذي ما قط أحلف حانثاً يميني  
إن الشجاعة والساحة والندى حلت بقبر في ربا « ذيين » ؛  
حيث الامام « ابن الحسين » تخيم يا حبذا من طاهر ودفين ،  
حيث بن فاطمة الامام مضمخ بدم الشهادة ثاوياً في الطين ،



ذاك الذي أحى شريعة جده  
ونفى الضلالة والجهالة واثني  
فبغت عليه أمة ضليّة  
قتلت اماماً كان سيد مجدها  
ما كان يوم « شوابية » في عصرنا  
قد كانت الأيام مشرقة به  
فتوى فأظلمت البلاد وعظمت  
فعليه مني ألف ألف تحية  
وهي طويلة مشهورة .

ومن قصيدة قال ابن أبي الرجال إنها طويلة قيلت في الرصاص وأتباعه :

الويل كل الويل للرصاص  
وياويلهم يوم القيامة في لظى  
يدعون يوم الدين هل من منقذ ؟  
حرصوا على قتل الامام وهم على الكفار  
والفساق غير حراس !  
ورخصت نفوس بني النبي عليهم ،  
فأذاقهم ذو العرش غب فعالمهم  
لم تمض خمسة أشهر حتى فنى

ولحزبه الداني معاً والقاصي !  
من شدّ أغلالٍ وسَفَع نواصي ،  
طلبَ المناص ؛ ولات حين مناص !  
ونفوسهم في الشرع غير رخاص  
وكذاك سوف يذيق كل مُعاصي  
من لم يبوء بالتوب والأخلاص !

### مصير الثلاثة الكبار

وقد باء الأقطاب الثلاثة الذين تأمروا على الامام أحمد بن الحسين ومن شايعهم بالخسران ، ولم يتمتعوا بعد استشهاده بما كانوا يطمعون فيه من جاهٍ وسلطان ، وتخرمتهم المنون ، واجتاحتهم الكوارث واحداً واحداً ، وقد تفنن المؤرخون اليمينيون في وصف مصائرهم ، وما حل بهم بما شاءت لهم مشاعرهم نحو الامام الشهيد ، ولا سيما فيمن عوجل بالعقوبة الدنيوية وهم الثلاثة الكبار « الرصاص » و « ابن وهاس » و « ابن الامام عبد الله » .

### ١ - من هو الرصاص ؟ وما كان مصيره ؟

أما « الرصاص » ؛ وقد كان كما ذكرنا أحد أساتذة الامام ابن الحسين ومن أكبر أعوانه وكان يُكبره ويُجله ويعطيه ما لا يعطى غيره ، لما يعرفه من حبه للدنيا ! فانه توفي بعد مضي سبعة أشهر من قتل الامام ، وذلك في

رمضان عام ٦٥٦ هـ ، وكان من العلماء الذين يُرجع إليهم وكتابه « جوهرة الأصول وتذكرة الفحول » من أشهر كتب الزيدية في علم الأصول وعليه شروح كثيرة ؛ وقد ترجمه المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال في « مطلع البدر » فقال :

« الشيخ العالم المجتهد الأصولي أحمد بن محمد بن الحسن الرصاص »  
« كان عالماً متبحراً لا يشق غباره » ، وبعد أن ذكر بعض مؤلفاته وأثاره أورد رسالته التي كتبها اثر دعوة الامام أحمد بن الحسين إلى علماء العالم الاسلامي والتي افتتحها بهذه الأبيات :

هل ركبُ مكة حاملون تحيةً      تهدي إليكم من محب مغرم  
أغضى الجفون على معين ساجم ،      وطوى الضلوع على جوى متضرم ،  
إن لم يبلغها الحجيج فلا رموا      بالجمرتين ولا سقوا من زمزم !

وذكر فيها من صفات الامام الحميدة ما يؤهله للخلافة الاسلامية العامة ؛ نشأة وعلماً وكرماً وسلوكاً وأخلاقاً ، وهي رسالة طويلة وتؤكد ما قاله ابن أبي الرجال معقباً : « وكان هذا الشيخ آية من آيات الله ، فصيح اللسان ، لا يتردد أحدٌ في سعة علمه » .

لولا ما كان منه نحو إمامه الذي شهد باستحقاقه الامامة . ثم قال :  
« وقد ذكر بعض العلماء انه ندم ، وقد نقل توبته الحفيد العلامة حميد بن أحمد حميد » [ص ٢٤٨ - ٢٥٦ ج ١ - ] وقد علل بعض المؤرخين أسباب خروجه على الامام ونقمته عليه وان منها انه طلب توليته على بلاد « الظاهر » فلم يسعده الامام بذلك .

وقال السيد يحيى بن الحسين : « وفي شهر رمضان من السنة المذكور مات الشيخ أحمد بن محمد الرصاص الخارج على الامام أحمد بن الحسين فكان بين موته وقتل الامام سبعة أشهر واندلج لسانه على صدره حال النزاع نعوذ بالله من سوء الخاتمة ؛ وأي كبيرة أعظم من الخروج على امام حق ؟ بل وأي معصية أعظم من قتله ؟ نسأل الله العصمة والتوفيق بمنه وكرمه » [ص : ٤٤٦ - غاية اللأماني ج ١ - ] .

وقد وصف يحيى بن الحسين أيضا معركة « شوابة » في كتابه

« المستطاب » عندما ترجم للشيخ أحمد الرصاص باستيعاب واطناب ،  
وختم الترجمة بقوله : « وروى ان لسانه بلغت عند موته إلى صدره ، ولم  
يستطع الكلام ولا الوصية ، ولم يرو أحد عنه توبة والله أعلم » .  
[ ص : ٧٩ - ٨٢ ] .

## ٢ - الامام « ابن وهّاس » الحمزي

سبق أن قلنا ان الامام أحمد بن الحسين كان قد أرسل الأمير الحسن  
بن وهّاس الحمزي ليمثله في مناظرة الناقلين عليه من العلماء الذين خرجوا  
مع الرصاص بالرغم من ان بعض مستشاريه قد نصحه بارسال شخص  
آخر ؛ وقد تحقق سوء ظن ذلك المستشار ، وخابت ثقة الامام ؛ فما هو إلا  
أن التقى بالشيخ الرصاص وأصحابه حتى انضم إليهم ، وقد مناه  
الرصاص بالإمامة ورشحه لها ؛ وقد كان فعلاً من العلماء ومن ذرية الامام  
حمزة ابن أبي هاشم الذي هو الجد الجامع لكل الأشراف « الحمزات » .

وفي اليوم الثالث من قتل الامام أعلن الحسن بن وهّاس دعوته ، وبإيعه  
الشيخ الرصاص ومن إليه والأشراف الحمزات ، وسار إلى صعدة وخول  
الأمير أحمد بن عبد الله واخوانه وأولاد عمه التصرف في شئون نصف « بلاد  
الشام » ، ولما علم الملك المظفر بدعوة « ابن وهّاس » بعد أن كان قد تلقى  
بشارة الأمير أحمد بن عبد الله بن حمزة بقتل الامام انزعج وساء ظنه فبعث  
« رسول المهات » الأمير أحمد بن علوان بن بشر الحاتمي إلى الأمير أحمد  
بن عبد الله إلى صعدة ، وكأنه قد فهمه ان أمر « ابن وهّاس » لن يتم ،  
وعاد السلطان الحاتمي إلى المظفر بالأخبار التي ترضيه وتطمئنه ، ويقول  
المؤرخ زبارة : « ولم تمض مدة يسيرة حتى اختلف الحمزات مع الحسن بن  
وهّاس وكره الناس حكمه ثم القى القبض عليه الأمير داوود بن عبد الله ابن  
حمزة وظل في سجنه بحصن « ظفار » عشر سنوات وخلع نفسه في سنة  
٥٦٦٨ هـ ومات بصعدة سنة ٦٨٣ هـ .

## ٣ - الأمير الفارس الشاعر

أما ثالث الأقطاب فهو الأمير العالم الأديب الفارس الشاعر أحمد  
بن الامام عبد الله ابن حمزة الذي تردد اسمه كثيراً فيما سبق من الفصول ،  
وقد كان أحد قواد معركة « شوابة » وبعد استشهاد « ابن الحسين » أرسل

« البشارة » إلى المظفر كما سبق ثم توجه نحو صعدة فلبث بها شهرين وعشرة أيام وفاجأه الأجل المحتوم في أوائل شهر ربيع الآخر من نفس العام ٦٥٦ هـ .

والأمير أحمد بن عبد الله من الشخصيات البارزة أثناء الفترة التي نتحدث عنها ، ومن المؤثرين في أحداثها السياسية والأدبية والاجتماعية ، وكان ذا فطنة وذكاء وشجاعة وكرم ، ولا يسع من يتتبع مجريات حياته ، وخطوات سيرته ، إلا أن يعجب به ، ويوليه تقديره ، ويتمنى لو أنه لم يتورط في حادثة قتل ذلك الامام العظيم الصالح أحمد بن الحسين ، ولا سيما وقد كان أول الملبيين لدعوته عام ٦٤٦ هـ بل ومن المشجعين له على القيام ، ومدحه بقصائد كثيرة منها تلك التي يقول فيها :

أضاء على الاسلام نورك وانجلي      بوجهك ليل الهم وابتسم الدهر  
وقد علم الاعلام من آل أحمد      بأنك أنت الفلك لما طغى البحر ،  
وانك لاوان ، ولا أنت طائش ،      ولا مضمر سر الحقود ، ولا وعر

ولا شك ان الامام ابن الحسين بتشدده ، وتزمته ، وتصلبه ، في الحق ، قد أجبره على اتخاذ موقف العداء الذي انتهى به إلى مأساة القتل الحزينة ، والتي لا أشك في أنه قد حزن لها حزناً بالغاً في أعماقه وربما كانت من أسباب موته ندماً وكمداً !

وكنت أشرت إلى أي سأحدث عنه وعن الشاعر « ابن هتميل » في فصل « الشعر والشعراء » ولكني رأيت أن يكون الحديث عنه بين الحكام والأئمة كما سبق وفعلت مع الشعراء الأمراء الصليحيين والحجوريين والحاتميين ، لعلاقته الوثيقة بأحداث الرسوليين والياميين وإمامة أحمد بن الحسين واستشهاده .

وقد سبق أن ترجمت له في كتابي « شعراء اليمن في الجاهلية والاسلام » وقلت فيها : « الأمير الشاعر الفارس الطموح أحمد بن الامام الفارس العالم الغشمشم عبد الله بن حمزة ، مثير القلاقل والفتن ضد الامامين يحيى بن المحسن وأحمد بن الحسين ، وحليف الملك المظفر يوسف الرسولي ، وسند أخيه الفارس الشاعر المحتسب محمد بن عبد الله بن حمزة .

نشأ وشب وترعرع في كنف والده ، ومن يطلع على كتابه الذي شرح به قصيدة والده في الخيل وأوصافها يعرف مقدار تبخره في العربية وعلومها ، ومعرفته بأيام العرب وأخبارهم ، وسعة اطلاعه وتمكنه من علوم الفقه والحديث والتفسير .

وقد ترجمه ابن أبي الرجال في « مطلع البدور » فقال : « الأمير الكبير الشريف الخطير المتوكل على الله أحمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان » « كان من أكبر الأمراء والسراة الجلّة العلماء ، محقق في اللغة والنحو والأنساب وأيام العرب وله في سائر العلوم قدم ثابتة ، مع ولوع بالمكانم والشرف والفصاحة وكان أبوه يصحبه في صباه ، وألممه طريق أهله الهداة ، فتلقى البعض ، وأعرض عن البعض !

ثم أورد قصيدة وجهها أبوه الامام إليه ناصحاً وهي التي يشير ابن أبي الرجال إلى انه « تلقى البعض » من نصائحها ، « وأعرض عن البعض » وهو يعني بذلك مخالفته للملك المظفر ، ومناوآته للامام أحمد بن الحسين وهذا هو نص قصيدة والده الامام :

ألا ليت شعري يا أحمد وفي القول منتقدٌ يُنقَدُ  
أتصبح كالبيتٍ للزائرين . . . وكالبدر حقت به الأُسُعدُ  
وكالليث يزأرُ للدراعين . . . ونار الحروب بهم توقدُ  
وكالبحر تطفو قراقيره ، ويدفعها للجب المزبدُ ؛  
وتحمى حماك ، وتبنى علاك ، ويزهوبك الدستُ والمسجدُ  
وتعتقب الخيل عند الصباح . . . وقد صرع الأصيدُ الأصيدُ !  
وتردى الكمي بغوارة ، وتُقحم فيها السنان اليدُ  
وتضرب بالسيف ثبت الجنان ، وكف الشجاع به ترعدُ ،  
وتلوى جياذك خلف الجياد وقد ضاق بالشارد المشردُ !  
فتمنعها وهي مطرودة ، فترجع من حينها تطردُ ؛  
وتحلم حين يطيش الحليم . . . وتصدر قومك ان أوردوا ؛  
ويأتيك للعلم مسترشدُ ، ويأتيك للمال مسترفدُ ،  
فتنبي أخ العلم بالغا مضات حتى يعود بها يرشدُ ،  
وتعطى أخ المال ما يبتغي من المال . فهو غداً ينفدُ  
وتحمى على الظالمين الجهاد بضرب يشيب له الأمرُ ،

وتخفّض للصالحين الجناح . . وإن لامك الناس أوفندوا ،  
وتغلظ قولاً على الفاسقين ، وإن شايعوك وإن اسعدوا !  
وتنهض مضطجعاً بالقيام عليهم ، وسيفك لا يُعمد  
ودين جدودك دين الآله وغيرهم جاحدٌ ملحدٌ . .  
وجدك « يحيى » سليل الحسين وهادي الانام فلم يهتدوا !  
وجدك حمزة من جانب فهذا الهلال وذا الفرقد  
فما عذر مثلك ان لم تكن كأبائك الشمّ يا أحمد !

فهذه القصيدة التي يتساءل فيها الوالد الامام ، وقد لمح في ابنه أحمد  
دلائل النجاية فتصوّره وقد أصبح مثابة للقصاد ، وبدرا يحف به أهل  
الفضل ، وليثاً يخوض المعامع غير هياب ، وكالبحر كرمًا يجمي الحمى ،  
وتزهو به محافل الإمارة ، ومحارِب الصلاة ، ويضرب بالسيف ، ويُروى  
الكمى ، ويعتقب الخيل ، ويلوى الجياد ، وتصوّره عالماً فذاً ومعطاءً  
كريماً ، ويخفّض للصالحين الجناح ، وأظن ان كل ذلك قد كان وأن الابن  
قد أجاب على تساؤلات أبيه بالايجاب ، وهو ما يعنيه المؤرخ ابن أبي الرجال  
بقوله « فتلقى البعض » ، لكن مناوأتة أولاً للامام يحيى بن المحسن وثانياً  
للامام أحمد بن الحسين ، ومخالفته للملك المظفر ، وتأمّره مع أسد الدين  
وسلاطين آل حاتم ضدهما لا يجيب على تساؤلات الوالد بأنه سيحمي على  
الظالمين الجهاد ، ويغلظ القول على الفاسقين . . وان شايعوه وأسعدوه ، بما  
يُرضيه وتقربه عينه ! وهو ما قصده « ابن أبي الرجال » بقوله : « وأعرض عن  
البعض » ، ويقول أيضاً في ترجمته له مُعقباً : « ولقد كان من الشرف بمكان  
عظيم ، ولم يضع من قدره الا ما كان من أمر الشهيد السعيد أحمد  
بن الحسين عليه السلام وقد نقل عنه « التبري » ما يدل على الندم .

ثم أورد نص البشارة التي بعث بها الأمير أحمد من ميدان معركة « شوابة »  
إلى الملك المظفر ، ووافق النص الذي ذكره المؤرخ الأمير محمد بن حاتم في  
« السمط » وهو كما يلي : « يجدّد الخدمة ، ويشكر النعمة لله تعالى ثم  
للمقام العالي السلطاني خلد الله ملكه ، ويُنهي صدورهما من المصنف بشوابة  
ورأس الامام أحمد ابن الحسين بين يدي وخاتمه في أصبعي :

وأبلج ذي تاجٍ أشاطت رماحنا      بمعترك بين الفوارس أقتما . .  
هوى بين أيدي الخيل اذ فتكت به      صدور العوالي ينضح المسك والدماء !

وكان من سعادة مولانا السلطان ويمن طيره ، أن قُتل عدوّه على يد غيره . ثم عقب على ذلك ابن أبي الرجال بقوله : « والله المستعان من هذه الشنعا ، والزلة التي أساءت منظرا وسمعا » .

ولا ندري ما هو مستند ناقل ندمه على فعله ، وهل قال في ذلك شعرا ؟ وهل نشتم من قوله للمظفر : « وكان من سعادة مولانا السلطان ويمن طيره ، أن قتل عدوّه على يد غيره » شعوره بأن قتل الامام كان جريمة لا يرتضيها لصديقه وحليفه السلطان ؟

### أبيات الشامت « ابن يحيى » العنسي

وقد ذكر كل من « الحاتمي » وابن أبي الرجال أن الأمير علي بن يحيى العنسي الذي بعث اليه الأمير أحمد بن عبد الله خبر استشهاد الامام قد بعث أيضاً الى الملك المظفر بالبشارة التالية شعراً :

قتل ابن الحسين لا قدس الله تعالى ربّ السماء ترابّه ؛  
قتلته يا أيها الملك النّيب « بنو حمزة » بوادي شوابه  
يالها ؛ يالها ! الا بيض الله تعالى وجوهها من عصابه

وقد حاول بعض القراء تغيير هذه الأبيات البشعة ، فجعل البيت الأول هكذا : قُتل ابن الحسين قدّس الله الخ والبيت الأخير هكذا : فتبا لها ولا بيض الله الخ . وذلك تحريف واضح .

وعلي بن يحيى العنسي كان من ولادة « المظفر » وله أخبار وأشعار ، وقد كانت نهايته السجن بيد المظفر مع ابن عمّه أسد الدين الرسولي .

### هل من عذر لأبن حمزة !؟

ولعل من الانصاف لشاعرنا الفارس أحمد بن عبد الله بن حمزة أن نذكر بعض ما دفعه إلى مناوأة الامام ؛ وقد ذكرنا من قبل نصائح « ابن هتيمل » له بالعطف والرفق ، وأن يعتمد على الأمراء من بني « حمزة » ، وقلنا ان ابن هتيمل ، ربما كان يرى في ذلك المصلحة للامام والدولة ، ويخشى من انضمام أمراء بني حمزة إلى « بني حاتم » ، و « آل رسول » فيتألب الجميع عليه ، ويظهر انه لم يصغ إلى تلك النصائح ، وللامير أحمد بن حمزة أبيات كتبها الى الامام يستعطفه بها وهي تشير إلى أن الامام لم يعامله المعاملة التي

تليق به كرئيس للأشراف ، وابن إمام سابق وأمير فارس طموح ، يقول فيها :

أعيذك أن تنافسني مطالاً  
وكان الحق لو أنصفت اني  
يعز علي أن ترضى بسخطي  
ذوى غصني لحبسي عن سائتي ،  
سأستر تحت أثوابي هزالاً ،  
ومهما تستعن غيري فاني  
وقد صدقت سواي بك الظنون  
وقد أخرت ؛ أولهم أكون  
على زميني ؛ وإرضائي يهون  
ولم تنضر على العطش الغصون !  
إذا أبديته شمت السمين !  
عليك بحسن رأيك أستعين

\*\*\*

وهذا استعطف مريد ، هو إلى العتاب والاحتجاج أقرب منه الى الاستعطف ؛ إنه مخاطبة قرين لقرين ، وند لند في الشرف والمكانة والطموح . . ولعله كان مخلصاً في ولاءه الأصيل للامام ، ولعله كان أكثر دراية من الامام بأحوال الناس ، والمشايخ وخبيا آل حاتم والرصاص وأضرابهم ، وأكثر معرفةً بمتطلبات الحياة الهائجة ، وقد خالط وعاش الغر والماليك وزعماء الأيوبيين وآل رسول ، ويريد من الامام أن يتطور مع ما تتطلبه الظروف ؛ وهو في نفس الوقت يرى أنه أحق من غيره بأن يكون الأول بين أعوان الامام المقربين اليه ؛ وليس من السهل على مثله أن يعرض وهو الأمير الفارس بأن غصنه قد ذوى ، وأنه يستر حاجته خشية شماتة الأعداء ، ومع ذلك فانه سيستعين بحسن رأيه ، وهو تعريض موجه أليم ! ولا نعتقد أنه كان يستجدي المال ، ولا أن أحمد بن الحسين قد بخل به عليه ، فقد حكى المؤرخون انه كان كريماً جواداً « حتى قيل انه كان يحثوا المال حثوا ، وانه حصر ما وهب من الخيل فبلغت ألف وستائة وسبعين فرساً ، وأنه أعطى « ابن هتيمل » عشرات الألوفا من الدراهم والدنانير » ؛ ولكننا نظن ان الامام قد قصر فلم يُقدِّره حق قدره ، وقدّم عليه من يظن الأمير أنه كان أولى بالتقديم منه ، ولنستمع اليه يشكو الى صديقه الشاعر مسعود بن عمرو العنسي وهو ابن قاضي أبيه الامام المنصور :

يا خليلاً مولعاً بالوفاء  
ليت إن النسيم إن هبّ وهنا  
لا السديار الديار بعد التناهي  
وصفّيني إذ خانني أصفياي  
من « ظفار » ينيك عن أنبائي !  
يا بن عمرو ولا الوري بالوراء !



جهل الناس حقنا ، وتناسوا كل عهدٍ ، وجاهروا بالجفاء ؛  
ما ذنوب الذين هم في المحاريب سجوداً ؟ وما ذنوب النساء ؟  
ويتيم ، ومقعد ، وضرير من غصون النبوة الكرماء ؟  
ظلموا الفاطمين ظلماً ، وألغوا فيهما اليوم حق أهل الكساء  
تلك في صعدة « بتول » وهذى في « ظفار » شبيهة « الزهراء »  
قل « لعوان » ما جرائم قوم لم يكونوا للدين بالاعداء !  
أنبه بالذي ذكرت ، وكرر ، فعساه يشجيه بعض شكائي  
وعليه مني سلام محب ذاك في الصباح والامساء  
وإمام الزمان كرمه الله بري - فاعلم - من السفهاء !  
خالفوا أمره ؛ وجاؤا بما قال وما لم يقل من الأسواء ،  
غير ان الانكار قد كان فرضاً من إله السما على الزعماء !  
فكأنى - يابن الاكارم - ما ألبست قومي ملابس النعماء !  
كيف كانت رعايتي لبني الزهرا ، وحفظي حرمة العلماء ؟  
وظلاي الظليل في كل حي من نزار ويعرب العرباء ؟  
ظن قومي أني عجزت ؛ وما حاولت إلا السكون للدهماء !

\*\*\*

انها نفثة مصدور يتميز غيظا ، ولعل بعض حاشية الامام قد تعمّد  
التقليل من شأنه ولا ندري من هو هذا « عوان » أو « غوان » ؟ ولا شك انه  
كان موظفا على خزائن الدولة ، وانه كان مقرباً الى الامام ، وانه قد أساء الى  
الأمير أحمد ، ولا شك ان الأمير كان في ضائقة مالية ، وأنه مضطراً قد  
أفضى الى صديقه الشاعر وابن « قاضي أبيه » بما لا يستطيع أن يفضي به  
إلا الى صديق عزيز كريم ، ومع ذلك فهو يطلب منه أن يجبر « عوان » بما  
ذكر عساه أن يرعوي ، وان يهدي اليه سلام المحب الذاكر ، وما أسرع ما  
يتحوّل المحب الذاكر إذا لم ترع حقوقه الى منتقم ناثر ، وهو يذكر في شكواه  
احدى محارمه « بتول » في « صعدة » ، والأخرى « الزهرا » في « ظفار » ،  
والعجائز اللواتي في المحاريب :

ويتيم ومقعد وضرير من غصون النبوة الكرماء !  
ثم يذكر صديقه بمواقفه ، وهو في سدة السلطة والحكم ، وكيف كانت  
رعايته للأشراف وحفظه حرمة العلماء ، وظلاله الوارفة يفيء اليها الجميع

ثم يصرخ صرخة المتوعد :

ظن قومي أي عجزت ؛ ! وما حاولتُ إلاّ السكون للدهماء !

ولعلّ هذه الشكوى لم تؤثر في « عوان » ، وربما انها لم تصل الى مسامع الامام « البريء » كما يقول الأمير من أعمال السفهاء ؛ وإذا فالى إثارة الدهماء ، وبعد ان بلغ السيل الزبا فلا بد من الخروج وإلى أين ؟ إلى الملك « المظفر » الرسولي الذي يترصّ بحكمة ودهاء بالجميع ، « المظفر » الرسولي خليفة « الأيوبيين » الذي أفنى والده الامام عبد الله بن حمزة جلّ عمره في محاربتهم وقتالهم معرضاً عن وصية أبيه التي تقول :

وتخفّض للصالحين الجناح  
وتغلظ قولاً على الفاسقين  
وتنهض مضطعاً بالقيام  
فما عذر مثلك ان لم تكن  
وإن لامك القوم أو فندوا ،  
وإن شايعوك ، وإن أسعدوا ،  
عليهم وسيفك لا يغمد ،  
كأبائك الشمّ . . يا أحمد ، !

تلك هي كل المبرّرات الدنيوية التي يستطيع من يريد أن يفتش عن عذر لذلك الفارس الشاعر .

الخروج وقصيدة الرفد « الحاتمية » !

وغضب الليث الجريح ، وما أبشع غضبة الليث الجريح ولا سيما إذا جاع ! ولا بد أنه قد تذكر وصايا أبيه وكان لها مع ضميره حديث طويل حزين ، ولا بد أن وساوس الضرورات قد توافدت على صماخه كالفراش و « الوطاويط » تقلقه في ليله ونهاره ، ويقظته ومنامه ، مهمة ؛ تقول : « الضرورات تبيح المحظورات » ، و « النار ولا العار » ، وأن سوء حال « البتول » في « صعدة » و « الزهراء » في « ظفار » ، ومن يعولهم من يتيم ، ومقعد ، وضرير ، يقلقه ويسهّده ؛ لقد بلغ السيل الزبا ، وجاوز الحزام الطبيين . . و :

إذا لم يكن إلاّ الأسنة مركبٌ فلا رأي للمضطر إلاّ ركوبها

واندفع تحت الحاح تلك الضرورات ، وأصواتها المزعجة ، وأعلن خروجه على الامام وانضم إلى أسد الدين ابن عم المظفر وواليه في صنعاء ، وأصدقائه الشعراء السلاطين من آل حاتم ؛ علوان بن بشر ، وابنه أحمد

« رسول المهّمات » ، وعلي ، ومحمد ، والآخرين ، وسرّ المظفر وآل رسول  
 وبنو حاتم بانضمام الأمير الفارس ، وأمدهم الملك المظفر بالعدة والعتاد  
 والمال ، وزحفوا لمحاربة الامام الذي كان لا يزال مسيطراً على الجوفين وبلاد  
 صعدة ، وقد اجتاحوا « براقش » و « الزاهر » ، ثم ساروا الى « صعدة »  
 وأخرجوا الامام منها ونهبوا نهباً شديداً ، وأسروا نائب الامام فيها الحسن  
 بن وهّاس الحمزي ، الذي سيخرج على الامام فيما بعد ويحضر معركة  
 « شوابة » ، ويدعي الامامة ، ويحبس كما أسلفنا ، وكان خروج الأمير أحمد  
 وتتابع كل تلك الأحداث سنة ٦٥١ هـ .

وكان لا بدّ للأمير الشاعر ان يشكر الملك المظفر الذي أمّده وساعده ،  
 وان يمدحه بقصيدة عصماء ، ولكن لسانه لا تزال معقودة تتلعثم بنصائح  
 والده الامام عبد الله ، وأصدائوها ما تزال تتردّد على صمّاعه ، وأصواتها  
 الخافتة تقلقه حين تختلط بفحيح وساوس « الضرورة » ومبرراتها عندما أهين  
 واحتاج ! وكان أصدقاؤه سلاطين آل حاتم قد نصحوه بأن يشكر الملك ،  
 فانه ينتظر ذلك منه ، وكأنّه قد أفضى اليهم ، بأنّه قد أحصر ، ولم يستطع  
 الشعر ، ولا وجد اليه سبيلا ، فيتبرّع السلطان علوان بن بشر بنظم قصيدة  
 على لسانه ويرفده بها ويتقمّص شخصيّة الأمير الزيدي ابن الامام عبد الله  
 بن حمزة ممتدحاً السلطان الملك المظفر الرسولي وشاكراً له على انجاده قائلاً :

يزورك من نجد وإن كنت مُتهمًا  
 فاضحى أنيقاً مشرقاً متبسّمًا .  
 ويهدي تحيائي فرادى وتوأمًا ،  
 حمى قصبات الملك أن تهضّما  
 وقد جنّ ليل الحادثات وأظلمًا  
 إذا جاد برق من نوالٍ وأسحما  
 وجدت فلم تترك على الأرض مُعدما  
 ولو أنه يرقى إلى الجوّ سلّمًا  
 أبشك أخبارًا وإن كنت أعلمًا  
 وأستنجدُ الأخبار كي أشفي الظّمًا  
 حللت به عقداً من الهمّ مُبهما  
 وأقضي لبانات النفوس وأنما

سلامٌ مشوقٍ ودّه ما تصرّما  
 سلامٌ كنشر الروض باكره الحيا  
 يخصّك من قرب وإن كنت نائياً  
 فيا أيها الملك المظفر والذي  
 ويا دافع الجلاء والخطب منهم  
 ويا مخجل الأنواء والبرق خلّب  
 ملكت فلم تفخر ونلت فلم تطل  
 وصلت فلم تترك عليها مُعانداً  
 إليك أبا المنصور أهديتُ أحرفاً  
 وأثني بها أوليتني من صنائع  
 وأستنض العزم السعيد وطالما  
 لأنقم ثاراً أو لأكبت حاسداً

وَتَمَّ عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَدْعَ مَتَمَّا  
 تَهْبُ بِهَا رِيحُ الصَّبَا إِنْ تَسَمَّا  
 يَضِيقُ بِهِ رَحْبَ الفِضَا حَيْثُ يَمَّا  
 وَيَطْوِي رِبَاهَا مَحْرَمًا ثُمَّ مَحْرَمًا  
 طَنْيْنَ ذِبَابَ عُنْدِهِ أَنْ تَرْتَمَّا  
 وَنَذَكُرُ عَهْدًا فِيهِ كَانَ مَقْدَمًا  
 وَجَبْنَا المَرَاثِي وَهُوَ كَانَ مَحْرَمًا  
 تَبَارَى كَأَمْثَالِ السَّرَاحِينِ سَهْمًا  
 كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ مِنْهَا تَبَسَمًا  
 تَبَادُرُ بِالْتِرْحَابِ إِذْ كُنَّ وَجْهًا  
 وَلَا قَائِمٌ إِلَّا تَوَلَّى وَأَحْجَمًا  
 وَكَانُوا سَكَارَى قَبْلَ ذَلِكَ وَنَوْمًا  
 شَقِيقِكَ مَحْمُودِ الثَّنَا مَانِعِ الحِمَا  
 عَلَى مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ إِلَّا تَجَشَّمًا  
 لَهُ الشَّرُّ إِلَّا كَفَّ ثُمَّ تَبَسَّمًا  
 غَدَا مَجْدُهُمْ فَوْقَ السَّمَاءِ مَحْيَمًا  
 وَلَا أَرْضِي إِلَّا كَرْنَا وَمُنْعِمًا  
 إِلَى أَنْ نَزُورَ جَنَّةَ الخَلْدِ فَاعْلَمَا  
 مُؤَكَّدَةً لَمْ أَخْشَى فِي ذَلِكَ مَائِمًا  
 وَمَنْ طَافَ بِالبَيْتِ العَتِيقِ وَأَحْرَمًا  
 وَأَعْطِيَتْ مُلْكًا يَمَلَأُ الأَرْضَ وَالسَّمَاءَ  
 وَلَمَّا أَدْقُ مِنْ بَارِدِ المَاءِ مَطْعَمًا  
 وَليْسَ سِوَى الدُّنْيَا مَرَادًا وَمَشْتَمًا  
 عَلَيْهَا وَلَا فِي رِفْضِهَا مَتَنَدَمًا  
 وَلَمْ أَذْكَرْ نَجْدًا وَلَا أَبْرَقَ الحِمَا  
 فَلِلَّهِ مُلْكًا مَا أَعَزَّ وَأَكْرَمًا  
 حَمَاهَا وَأَعْلَاهَا سِهَامًا وَمِرْزَمًا  
 وَإِنْ هُوَ لَمْ يُدْعَ ابْتِدَا وَتَكْرَمًا  
 وَلَا زَالَ مَأْوَى للوفودِ وَمُنْتَمَى

فَشَمَّرَ لِشَيْدِ المَجْدِ إِذْ أَنْتَ أَهْلُهُ  
 فَلَمْ يَبْقَ فِي الأَقْوَامِ إِلَّا حُثَالَةٌ  
 نَهَضْنَا بِجَيْشِ مَنْكَ يَطْمِي عِبَابَهُ  
 يَجُوبُ بِقَاعِ الأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا  
 وَيَغْشَى لَطَى الحَرْبِ العَوَانَ كَأَنَّهُ  
 نَزَلْنَا بِوَادِي الجَوْفِ نَزَعَى خِمِيلَهُ  
 فَلَمَّا قَضَيْنَا عِنْدَهُ كُلَّ حَاجَةٍ  
 صَعَدْنَا . . . بِهَا أَعْمَالُ صَعْدَةِ سَبْحًا  
 وَلا حَتَّ عَلَى الأَقْطَارِ أَعْلَامُ يَوْسُفَ  
 وَصَاحَتْ طَيُورُ السَّعْدِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ  
 فَلَا مَلِكَ إِلَّا وَأَرْخَى قِيَادَهُ  
 وَلَا حَيَّ إِلَّا اسْتَيْقَظُوا بَعْدَ هِجْمَةٍ  
 وَهُوَ دَرُّ الأَرِيحِيِّ مُحَمَّدٍ  
 فَتَالَهُ مَا جَشِمْتَهُ مِنْ مُلْمَةٍ  
 وَلَا قَلْتَ مَهَلًا يَا خَلِيلِي وَقَدْ بَدَا  
 فِيَا ابْنِ المُلُوكِ العُرِّ مِنْ آلِ جَفْنَةٍ  
 لِأَنْتَ صَفِيُّ الوُدِّ إِذْ أَنْتَ أَهْلُهُ  
 فَلَا يَقْطَعُنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاطِعُ  
 حَلَفْتُ بِرَبِّ النَّاسِ حَلْفَةَ صَادِقٍ  
 وَبِالمُصْطَفِيِّ جَدِّي وَبِالمُرْتَضَى أَبِي  
 لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ الدِّينَ لِهَ خَالِصًا  
 لَمَا سَمَحْتُ نَفْسِي بِدَيْنِ مُحَمَّدٍ  
 فَلَمَّا رَأَيْتُ الحَقَّ مُلْقَى زَمَامَهُ  
 تَنَكَّبْتُ عَنِ تِلْكَ السَّبِيلِ وَلَمْ أَعْجُ  
 وَعُدْتُ لِشَيْدِ المَجْدِ أَرَعَى سِوَامَهُ  
 وَيَمَّمْتُ مَحْمُودَ الطَّرَاقِ يَوْسُفًا  
 لَقَدْ فَخَرْتُ غَسَّانَ مِنْهُ بِمَاجِدٍ  
 مَجِيبًا إِلَى دَاعِي التَّكْرَمِ وَالنَّدَا  
 فَدَامَ قَرِيرَ العَيْنِ فِي خَفْضِ عَيْشَةٍ

\*\*\*

المعارك مع الامام وقصيدة « لعلّ الليالي » :

وما هي إلا أسابيع حتى أطمأن الأمير إلى ما هو فيه ، وخفتت أصوات  
نصائح أبيه ، وتلاشت أطيافها ، واستمرأ الحياة التي يعيشها مع الأمراء  
والسلاطين ، وخاض معهم حروباً حامية الوطيس ضدّ الامام أحمد  
بن الحسين ، ولنستمع الى وصف دقيق للأحداث التي أعقبت احتلال  
« صعدة » ، ولزيارة الأمير أحمد للملك المظفر إلى « زيد » ، ومدحه  
بقصيدته الرائعة التي أحدثت دوياً هائلاً في المجتمع اليمني ، وعارضها  
الكثير من شعراء اليمن ، وكان الأمير الفارس الشاعر كان قد انشأ  
بقصيدة « الرفد الحاتمية » ، وكانت كالكأس الأولى فغربد شيطان شعره ،  
وأنساه تلمات نصائح أبيه ، وأدار كأس الشعر حمزياً محضاً ؛ يقول محمد  
بن حاتم في السمط الغالي الثمن في وصف ما جرى للأمير أحمد بن عبد الله  
والأمير أسد الدين الرسولي :

« ثم دخل الأميران أسد الدين وشمس الدين إلى صنعاء من صعدة بمن  
معها من الأسراء يوم الجمعة ثاني عشر (من) ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين  
وستمائة . وفي شهر شعبان من هذه السنة طلعت الخزائن ومعها الأوامر  
بخروج الأمير أسد الدين صحبة الأمير شمس الدين إلى الظاهر ، فخرجا  
بالعساكر (المنصورة) ، وقصدوا بلاد حاشد - وهي مخلاف ابن وهّاس ،  
فخربوا فيها ، واسترهنوا ، ثم نهضوا إلى مصنعة بني القديم فأخذوها ،  
ونهضوا إلى البون ، ثم إلى الظاهر ، وأخذوا موضعاً يسمى الأبرق قهراً  
بالسيف . ثم قصدوا الامام أحمد بن الحسين إلى موضع من بلاد حمير يسمى  
الهجر ، وقد كان جمع جمعاً كثيرة إلى نقيط الخصبات وأمرهم بحفظه .  
ففرق الأميران عساكرهما في جوانب النقيط ، فطلعوا على عساكر الامام ،  
فولّوهم الأدبار ، ومنح الله النصر والظفر العساكر المظفريّة . فهزموا عسكر  
الامام ، وقتلوا فيهم القتل الدرّيع ، وهرب الامام بعد أن أشقى على  
الهلاك . وفي ذلك اليوم قتل الفقيه حميد بن أحمد (المحلي) وطائفة من شيعة  
الامام وفقهائه ، وتحصّن الامام في حصن حلب بالمصانع . . . ثم رجع  
الأميران إلى الظاهر من معين على التقدم جهة « حوث » فاختلف عليهم  
عسكرهم ، ومالت الأسديّة إلى العودة إلى صنعاء ، فلم يُمكن إلاّ تخوفهم  
والقفول إلى صنعاء . فدخل الأمير أسد الدين صنعاء ، وأقام الأمير

شمس الدين في الرحبة إلى أن تجهز للنزول إلى أبواب السلطان . وكان تجهزه للنزول في شهر شوال من السنة المذكورة ، فنزل هو وأخوه الأمير داوود وكافة أصحابه ، وكان الركاب السلطاني المظفر في زبيد المحروسة . فلما وصلوا (الأشراف) خرج مولانا السلطان في لقائهم ، وحشد العساكر من كل أوب حتى سدّت الفضاء ، وكان له من المقابلة والاتحاف ما استغرق الأوصاف ، وحملت الاقامات عليهم في مدة سيرهم حتى وصلوا الباب الشريف ، . فضربت لهم الخيام والمطابخ على باب الشبارق مدة إقامتهم ، وحملت الفواكه لهم من كل جهة ، واجتمعوا بمولانا السلطان ثلاثة أيام ، وكانت إقامتهم شهراً ، وأطل عيد الأضحى ، وهم بالباب الشريف .

وامتدح الأمير شمس الدين مولانا السلطان بقصيدة ، وهي :

وتبدو نجوم الدهر وهي سعود  
وجرت به للرامسات برود  
فأضحت به العين الوحوش تروء  
قباب طباء ريقهن بروء  
هل الروض روض والزروء زروء؟  
متى يلتقي بالمتهمين نجوء؟  
على مثل ما لاقيته جليء  
جوى واشتياقاً ليس فيه مزيد  
بنشر تحيات لهن صعود  
وبين براش لي بهن عهد؟  
قريب ولا نجح الرضاء بعيد  
منيب ولا يخشى الهوان طريد  
مجامع لا تشقى بهن وفود  
عليهن من نسج العفاف بروء  
بنار ولا بين الرجال حقود  
وبسري حوض لست عنه أذوء  
بحور وحلماً كالجبال ركود  
إلى الأفق أيدينا ونحن قعود  
وأعلن منهم كاشح وحسود

لعل الليالي الماضيات تعود  
عفا منزل ما بين نعان واللوى  
وكانت به العين الغواني أوانساً  
مجر أنابيب الرماح ومبتنى  
فيا دارنا بين العيننة والحمى  
هواي بنجد والمنى بتهامة  
وإن فتى دامت موثيق عهده  
ولما شرى البرق اليماني هاج لي  
فهل لجنوب الريح أن تلثم الثرى  
على أربع بين الصعيد وصعدة  
مشاعر حج الطالبين فلا الأذى  
كرمن فلا يخشى الغوائل عندها  
ملاعب أمهار الجياد وملتقى  
وأبراج أشباه المهام في كناسها  
نعمنا بها أيام لا البغي نافث  
ظلالي فيها للورى غير قاص  
وقومي يوم الروع حين وفي الندى  
ونحن نطول الناس عزاً وتنتهي  
إلى أن دعا داع إلى البغي للورى

ودلّ عليّ الحلمَ قومي وأنسيت  
 وأنكر إحساني الذين جلودهم  
 وكم مات من قومٍ فحيوا بحكمنا  
 بسطنا على العُربِ المكارمَ بسطةً  
 ولما صبرنا ظنّت النَّاسُ أننا  
 فما سنّ فينا النَّاسُ إلا ظلامه  
 لقد جحدتنا النَّاسُ كلَّ فضيلةٍ  
 ولما قصدتُ الملكَ ذا التاجِ يوسفًا  
 دعوتُ فلباني فتى لا مزيدُ  
 ومالي لا أرخي الرِّكابِ إلى ذرى  
 وألقيتُ كفي في أناملٍ لم تحنْ  
 وما ابنُ أبي حفصٍ بدون الذي دعا  
 أعاد إليه مُلكَ غمّدانٍ وابتنى  
 مكارمَ سنّتها الملوكُ ويوسفُ  
 صبرتُ على حملِ العظامِ فانتَهتُ  
 فسوِّحك مقصودٌ وكفك قاهرُ  
 وفي كلِّ يومٍ أنت تبدو على العدى  
 سبيل فتى لا الموتُ يطرقُ همهُ  
 ويَعْلَمُ أنّ الدَّهْرَ ليس بدائمٍ  
 أنخنا بك الآمالَ وهي ركائبُ  
 وقد كُنْتُ عريّة الرواحلِ برهةً  
 ودأويتُ لابنِ العمِّ داءً وجدته  
 فأدنيتُ من أمواجِ بحركِ غمرة  
 وحفّ بسرجي التُّركِ والعربِ فاغتدى  
 كذاك السعيدُ الخيرُ بالخيرِ واثقاً  
 بمن بشرَ المظلومَ في كلماته  
 فدم في ظلالِ الملكِ ما هبّت الصِّبا

ممالكٍ لم تنظّمَ لهنَّ عقودُ  
 عليهم إذا استشهدتْهنَّ شهودُ  
 وكم أخلفتُ سحَبٌ ونحن نجودُ  
 لنا أبطرتهم والضُّلوكِ جحودُ  
 على كلِّ خسفٍ سادرون هُجودُ  
 كما سنّ في قتلِ الحسينِ يزيدُ  
 كأننا نصارى ملةٍ ويهودُ  
 علمتُ بأنَّ الهَمَّ ليس يعودُ  
 ملولٌ ولا واهي اليديّنِ بليندُ  
 به الشُّهْبُ شُهْبٌ والصَّعيدُ صعيدُ  
 عهوداً ولم تخلفْ لهنَّ وعودُ  
 له الحميريُّ الملكُ وهو فريدُ  
 مفاخرٍ في الدُّنيا لهنَّ خلودُ  
 لآثار ما سنّ الملوكُ يُشيدُ  
 إليك العلانُ إن الصُّبورَ سعيدُ  
 وجنّدك منصورٌ وأنت حميدُ  
 بخطبٍ وتبدي في الندى وتعيدُ  
 ولا الموتُ ممّا يتقي فيحيدُ  
 وأنَّ خلودَ المكرماتِ مُفيدُ  
 لارسائها لطفُ الإلهِ يقودُ  
 وأطرقتُ حتى لا يقالَ مريدُ  
 على الصُّبرِ ينمو حظه ويزيدُ  
 أصولُ بها في من بغى فيبيدُ  
 بعزك ركني اليوم وهو شديدُ  
 برّبٍ له كلُّ الملوكِ عبيدُ  
 بنصرٍ له أهلُ السِّبائِ جنودُ  
 وما حنّ في جنحِ الظلامِ رعودُ

\*\*\*

وعلى أثر ذلك جهز مولانا السلطان الأمير شمس الدين للحركة ، وحمل

إليه من الأموال والخلع ما استغرق أمله ، فيقال إن الذي أنعم عليه من النقد مائتا ألف دينار إلى غير ذلك من الخيول والكسوات وغيرها ، وجرّد معه مائة فارس من المماليك بالحلقة ، مقدّم المماليك بلال القطبي ، ومقدم الحلقة الأميني ، فأخذ بها الأمير شمس الدين الجوف ، واستباحه .

(ثم جرت بعد ذلك أشياء أفضى الأمر بها إلى قتل الامام أحمد بن الحسين) [السمط الغالي ص : ٣٠٧ - ٣١٦] .

### صدى القصيدة في المجتمع اليمني

في تاريخ اليمن الأدبي قصائد مشهورة تهم المجتمع اليمني سياسياً ، ودينياً ، وطائفيًا . مثل « دماغه الهمداني » ، و « دالية نشوان الحميري » و « بسامة ابن الوزير » . وقصيدة « لعل الليالي » هذه لأحمد بن عبد الله بن حمزة ، وقد سبق أن وقفنا وقفة غير قصيرة مع أرجوزة والده المرعبة . وهناك المئات من قصائد الضجّة في تاريخ اليمن ! وقد عارض القصيدة المذكورة شعراء « الزيدية » بل ان المؤرخين الزيود يتحاشون أن يثبتوها دون القصائد المعارضة لها أو التنديد بها ، وقد استمعنا لما أورده الأمير محمد بن حاتم مؤرخ آل رسول فلنستمع لما يقوله أحد مؤرخي الأئمة في وصف ما جرى من قبل الأمير الفارس الشاعر الخارج على إمام الحق ! ووصف رحلته إلى الملك المظفر وقصيدته « لعل الليالي » ، يقول السيد يحيى بن الحسين في « غاية الأمانى » وهو يتحدث عن أحداث عام ٦٥٢ هـ :

« فيها أرسل المظفر إلى الأميرين أسد الدين [الرسولي] ، وشمس الدين [الحمزي] بجراية عظيمة ، وأمرهما بالخروج من صنعاء لحرب الامام فخرجوا إلى مخلاف « وهاس » من بلاد حاشد وأخربوا فيها عدة مواضع ، ثم سارا إلى مصنعة آل أبي القديم فأخذها ، وتوجها إلى البون ثم إلى الظاهر فأخذوا موضعاً عرف بالأبرق ، ثم قصدا الامام إلى « هجر » من بلاد حمير وكان الامام قد جمع جمعاً كبيراً وجهزهم إلى نقيل الخصبات فغشيهم عسكر الأميرين من جوانات النقيل ، فهزموهم أشد هزيمة ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ومن أعيانهم الذين استشهدوا الفقيه العلامة حميد بن أحمد المحلي صاحب التصانيف المشهورة رحمه الله ، وكان من أعيان أصحاب الامام ، وأسر الشريف أحمد بن يحيى بن حمزة ؛ ثم رجع الأميران إلى صنعاء وسار



الامام إلى « مدع » وفي شهر شوال سار الأمير أحمد بن المنصور بالله وأخوه داوود في جماعة من بني حمزة إلى المظفر ، فوافوه في زبيد ، فقابلهم بالانعام والأكرام ، وضرب لهم الخيام والمطابخ على باب « الشبارق » فأقاموا عنده شهرا كاملا ، ووفد عيد الأضحى وهم لديه فأنشأ شمس الدين قصيدة رائعة يمدح فيها المظفر تركنا ذكرها كونها في مدح « سلطان جائر » .  
[ص : ٤٤٠ - ٤٤١ غاية ج - ١ - ] .

هذه القصيدة التي يقول المؤرخ « الزيدي » مع أنه كان من أكثر اليمنيين المؤرخين إنصافا : إنه ترك ذكرها لأنها في مدح سلطان جائر ؛ مع أنه يكتب تاريخه بعد حوالي خمسمائة عام ، قد ذكرها غيره كالخزرجي والجندي ومحمد بن حاتم ، وابن أبي الرجال لم يوردها إلا في ترجمة الفقيه أحمد بن أسعد الزيدي الذي عارض القصيدة بأخرى على نفس الوزن والقافية ، كما ذكر قصيدة مناقضة أخرى للعلامة القاسم بن أحمد الشاكري . ومطلعها :  
أحبابنا ؛ إن الهوى لجديدٌ وان مكاني منكم لبعيدٌ .  
ولا تداني قصيدة شاعرنا الفارس تصويراً وتعبيراً ووجدانا وبيانا .

نعم ؛ لقد هزت قصيدة الأمير الحمزي المجتمع اليمني ، وانتشرت في أوساطه انتشار النار في الهشيم ، وأحدثت ردود فعل مختلفة في ذلك الشعب الممزق ، عقائد ومذاهب وأهواء وطوائف ، ولما وصلت إلى علماء وأدباء وفقهاء « صعدة » وهم يدينون بالحب والولاء للامام أحمد بن الحسين ، ويعتبرون المظفر الرسولي « تركمانياً » دخيلاً على اليمن ورد مع « الغز » و « المماليك » خافوا أن يكون الأمير أحمد بن الامام عبد الله قد أرسلها إلى « الزيدية » في « العراق » و « مكة » وخشوا أن يظن شيعة العراق ومكة وغيرهما الظنون في أهل اليمن ، لأن قائلها ابن امام زبيد عظيم ، وله مركزه الديني الكبير ؛ فانتدب القاضي الأديب الفقيه أحمد بن أسعد الزيدي وعارض القصيدة وناقضها بأخرى بعث بها علماء صعدة مع رسالة إلى علماء العراق و « مكة » يقولون فيها : إن الأمير شمس الدين أحمد ابن عبد الله بن حمزة لا يمثل في قصيدته إلا نفسه ، وإن أهل اليمن على ولائهم للامام وإن « ابن حمزة » كما يقول « ابن أبي الرجال » « قد انحط من ذروته وتهافت بالوفادة إلى السلطان التركماني » وهذه هي قصيدة الشاعر أحمد

بن أسعد الزيدي التي تصور « الصدى » الحزين المؤلم في نفوس شيعة « أحمد بن الحسين » :

قفار بها عوذ الوحوش هجود  
عليهن من نسج العفاء برود  
أنيس من الحى الذين تريداً !  
إذا ذكروا تلك العهد جديد  
وليس لحي في الحياة خلود  
لو ان الليالي الخاليات تعود  
وردُّ الذي يفنى القضاء بعيد !  
من الريب ما لا يرضيه مجيد  
سرت فيه أضغان له وحقود  
لكل امام كايد وحسود  
ومن كايد الرحمن فهو مكيد  
كما فعلت بالأنبياء يهود  
قتيلٌ ؛ وبعض في البلاد طريد  
وهدم ما كان الهداة تشيد  
لعارٌ عليه . . والذوائب سود . .  
كفى ذائد بعد المشيب يذود !  
كريم له أهل السماء جنود  
رسوم الهدى وانهد منه مشيد  
غدت « عدن » مرعوبةً و « زيد »  
إمام لأولاد البتول يسود  
له كغواصي المزن حين تجود  
شقيي ؛ ومن شاء الهدى فسعيد  
فأمسى بأطراف البلاد يرود  
حميلاً كما تزجى الركاب وفود  
بتقريضه حتى يقال « لييد »  
دنائاً وأوتاراً ترن وخود  
لقد سار درباً ما اقتفاه رشيد  
مليك له كل الملوك عبيد

منازل فيها قائمٌ وحصيدٌ  
وآثارهم بين العيينة والحمى  
ولم يبق ما بين الصعيد وصعدة  
ينوح عليها « المترفون » فوجدهم  
ويبعون في الدنيا خلوداً وجنة  
يودون من فرط الصباية والأسى  
قضى الله أن تفنى الدبار وأهلها ،  
تبدل « شمس الدين » بعد يقينه  
ولما دعا داع إلى الحق صادق  
ووالى عليه الكافرين ، ولم يزل  
وفي [طمع] مازال يعمل كيده  
فأهلك أحبار الورى وهداتهم  
وكم نالت الأحياء منهم ، فبعضهم  
وشاد مع الكفار مهديم دينهم  
ومالت به الأهوا شالاً ؛ وانه  
فكيف بشيخ قد حتى الدهر قدحه ؟  
وما انفك يقتاد الجنود لقائم  
إمامٌ دعا بالحق لما تنكرت  
إذا سار سار النصر ؛ أوصال صولة  
فساد الورى طراً غلاماً ، ومثله  
وأضحى زمام الملك بين أنامل  
ودانت له الأملاك قسراً ؛ فمنهم  
وطرد « شمس الدين » كل مطرد  
وأصبح يزجى الأرحبيات وافداً  
يحن إلى سوح « المظفر » مولعاً  
وحفت به غلف العلوج وحوله  
فمن مبلغ عنى الأمير وحبزه  
وكابره ما قد شاءه لوليه

إذا اشتجرت سمر الرماح أسود  
سراييل من نسج الحديد سرود  
فأدى القضا ما كان منه يجيد  
بيلقعة تطوى عليه لحدود !  
سعيراً لها صم الصخور وقود ؟  
عليها رقيب لا يضل عتيد ؟  
لقائهم - لو يعلمون - سعود  
وأن قتيل الظالمين شهيد  
يديها لها ؛ نافي الأله ، جحود  
لأكرم من تهفو عليه بنود  
لكم حين تعداد الجدود . . جدود  
بكسب المعالي مبدىء ومعيد  
وللضد منكم علقمٌ وصديد  
وكادت له صم الجبال تميد  
له بين قطر الخافقين نديد  
وفيه علامات عليه شهود  
وعلم على علم الأنام يزيد  
ومنكم عليها حاضرٌ وشهيد  
وليّ حمى عن دينه ، ومريد  
عن الرشدا اغلال لكم وقود  
وما الناس إلا ملحدٌ وعنيد  
من القول لم ينظم لهن عقود  
عليها رجال ركع . . وسجود  
نآ منكم مستبصر وعنود  
إلى الله بالود الصحيح أهود  
عسير علينا جوهنّ ، وبيد  
ولي بصر - لولا الخطوب حديد  
ليُقبس من أنواره ويُفيد  
ولكن حظي في الأمور زهيد  
طعان ، ومنى خطبة وقصيد  
حميدٌ ، لطيف بالعباد . . مجيد

وأفرى رجالا من قريش كأنهم  
بها ليل من آل النبي عليهم  
وقد كان يرجو من بنيه مشيعا  
فياليت شمس الدين أمسى محله  
ألم يأن أن تخشى القلوب وتتقى  
وأن تنتهى أهل النهى عن جراير  
ويكفى بني الزهراء ان نحوسهم  
وان قتيل الظالمين معذب  
وان لهم فيه سمواً وعزة  
أمامكم المهدي حقاً ، وانه  
له شرف يعلو الورى وجدوده  
تقي نقي العرض قد تعلمونه  
لأهل التقى منكم شفاء ورحمة  
مليك تحامته الملوك مهابة  
ودانت له الأقدار عقوا فلم يعش  
وأشبه ذي وجه بوجه محمد  
مظهرة أخلاقه وطباعه  
فضائله سارت بها الركب في الورى  
دعاكم إلى نفي المعاصي فمنكم  
وهامت بكم آراؤكم فكأنها  
وساخطم في دينكم كل ملحد  
وكانت لكم في الاحتساب زخارف  
أبحتم بها الأرواح والمال برهة  
فلما دعا من اكمل الله أمره  
أذب عن المهدي ديناً وانني  
وإن حال من دون الامام مخاوف  
لعمرك ما قد قلت فيه مقلدا  
وصاحبته عشرين عاماً وانه  
أتوق إلى نفي المناكير شيقاً  
وعند بني « الزهراء » من دون دينهم  
على آل طه رحمة الله . . انه . . .

لقد سببت قصيدة « لعل الليالي » الكثير من الاتعاب واللوم والتهم لشاعرنا الفارس ، والتي نظن انه ما نفت بها إلا بعد حديث نفسي طويل كما ذكرنا ، ويدل على ذلك اشارته المريرة إلى ما عاناه من « ابن العم » ، وهي إشارة توحى بانه كان يفضل الاصغاء إلى « وصية » والده الامام ، ولكن الضرورة قد الجأتها ، ولم تدع له مجالاً لِصَبْرٍ ، وما أشبع « الضرورات » التي تتفحم بالبعض حواجز المبادئ ، وتدفع الطامحين إلى ممارسة أعمال يكرهونها طبعاً وعلماً ومذهباً ؛ أو ليس قد قال :

أنخنا بك الآمال ، وهي ركائبٌ لأرسائها لطف الآله يقودُ  
وقد كنتُ عزيتُ الركائبُ برهةً وأطرقت حتى لا يقال : مريدُ !  
وداريتُ لابن العم داءً ؛ وجدته على الدهر ينمو خطبه ويزيد  
وقصيدة أحمد بن أسعد « فائقة » كما قال « ابن أبي الرجال » ، وقد كانت  
سخريته لاذعة عندما قال :

تبدل « شمس الدين » بعد يقينه من الرّيب ما لا يرتضيه مجيدُ ،  
ولما دعا داع إلى الحق صادقُ سرت فيه أضغانٌ له وحقودُ  
ووالى عليه الفاسقين ؛ ولم يزل لكل إمامٍ كائدُ ، وحسودُ !  
ومالت به الأهوا شِمالاً ؛ وانه لعارٌ عليه والذوائب سود !  
فكيف به شيخٌ حنا الدهر قدحه ؟ كفى ذائداً بعد المشيب يذودُ !

ولعل أفسى ما ورد في القصيدة مناقضته لقول الأمير :

وحفّ بسرحي الترك والعرب فاغتنى بعزك ركني اليوم وهو شديدُ ،  
كذا يستعين الحرُّ بالحرِّ ، واثقاً . . بربِّ له كل الأنام عبيد !

فقال القاضي أحمد ساخرا :

يحنّ إلى سوح « المظفر » مولعاً بتقريضه كما يقال « لبيد » !  
وحفت به غلف العلوج ، وحولته دنان ، وأوتار ترن وغيدُ !

لا شك ان « الشاعر » الفارس ابن الامام قد عض سن الندامة !

وقد رثاه بعد وفاته صديقه الشاعر مسعود بن عمر العنسي بعدة قصائد منها رأيية مطلعها :

يا زفرة في الحشا تعلقو وتنحدرُ  
يا قائلاً: قال: مات ابن الامام عسى  
ترفقي ؛ فعسى أن يكذب الخبرُ ،  
تعنى سواه بفيك الترب والحجرُ !

وله من أخرى :

يا دهر حسبك من توهين أسبابي ،  
يا دهر افنيت أركانِي وأحبابي  
الشهيد حميد [ ٥٨٢ - ٦٥٢ هـ ] .

والشهيد الفقيه حميد بن أحمد المحلى الذي ذكر مؤلف السمط انه قتل في معركة نقيل « الخصبات » التي قادها الأمير أحمد بن عبد الله بن حمزة ضد الامام أحمد بن الحسين هو العالم الكبير صاحب المؤلفات الكثيرة في التاريخ وأصول الدين ومن أجلها « الحدائق الوردية في مناقب وتراجم الأئمة الزيدية » في مجلدين وهو من مصادر كتابنا هذا ، وقد أشرنا إلى كتابه « محاسن الأزهار » شرح قصيدة الامام عبد الله بن حمزة التي يخاطب بها الخليفة العباسي ، وله كتاب « العمدة » في أصول الدين ، وكتاب « النصيحة » و « عقائد الآل » و « الوسيط » و « الحسام » و « الرد على الباطنية » وغير ذلك [ زبارة أئمة ج - ١ - ص : ١٦٦ ] وقد ترجمه ترجمة طويلة المؤرخ ابن أبي الرجال وقال انه كان زاهداً ورعاً متبحراً في كثير من علوم المنقول والمعقول ، وانه الذي تولى تهذيب الامام أحمد بن الحسين أيام قرائته وكان يسميه الوالد ويراجعه مراجعة المؤدب قال « ولما قام الامام بأعباء الامامة عضده حميد باللسان والسنان ، وكان عليه يدور فلك الامامة ، ويتولى مهماتها من وزارة وكتابه ، وفتيا وفصل وكان يقول : أنا أخاف على دعوة الامام لو حدث بي حدث وكان كذلك فانها انهارت بعده أمور ، وامتدت أعناق » [ مطلع ج - ١ - ص ١٩٦ - ٢٠١ ] .

وكان استشهاده يوم ٢ رمضان ٦٥٢ هـ وقد ناهز السبعين .

### الملك المظفر

[ ٦١٩ - ٦٩٤ هـ / ١٢٢٣ - ١٢٩٣ م ]

هو يوسف بن عمر بن علي بن رسول ولد عام ٦١٩ هـ بمكة المكرمة وأبوه عامل عليها من قبل الملك المسعود الرسولي ، وتولى الحكم سنة ٦٤٧ هـ وهو

في عنفوان شبابه لما يتجاوز الثامنة والعشرين وتوفي عام ٦٩٤ هـ وهو في الخامسة والسبعين .

وقد عرفنا مما سبق انه كان نجداً شهماً عصامياً وانه كان شريداً في « مَهْجَم » تهامة ، ينوي مغادرة اليمن عندما اغتيل والده الملك المنصور عمر بن علي أول ملوك بني رسول عام ٦٤٧ هـ ، وأنه كان حانقاً على أبيه لتقديم أخيه الأصغر المفضل عليه نزولاً عند رغبة أمه الست « بنت حوزة » التي كانت قد تحكمت في مشاعر السلطان وشئون الدولة ، وأصبحت مع مماليكها ذات الحل والعقد ، وقلنا أن العبث والفساد كانا قد سادا ، مما أدى إلى اغتيال الملك « المنصور » نور الدين عمر ، وأن المفضل وأخاه وأمه ومماليكهم قد سيطروا على خزائن المملكة وجيشها وحصونها ، ولم يبق للمظفر الفارس الشريد غير قائم سيفه ، وقد عرفنا كيف شحذ همته ، ووجد عزمه ، وجابه الموقف الضنك بشجاعة نادرة ، وإرادة حذاء ، وان الحظ قد ساعده فتغلب على جميع خصومه ، واستعاد عرشاً كاد ينهار ، وقلتُ إنني اعتقد انه لولا « المظفر » العصامي بدهائه وشجاعته ومصالوته ومصابرته لكان أول ملوك بني رسول هو آخرهم ، وإنه في نظري المؤسس الفعلي لدولة بني رسول التي استمرت أكثر من قرنين .

ولقد طالت مدة ملكه إذ قد استمرت بضعة وأربعين عاما ، وحكم لفترةٍ منها كل أصقاع اليمن الطبيعية ، وتفاصيل سيرته وأخباره المثيرة مذكورة في « السمط الغالي » و « العقود اللؤلؤية » وغيرهما من كتب التاريخ .

ويعد المظفر من أفاذا حكام اليمن عبر العصور ولما مات قال خصمه الزيدي الامام المطهر بن يحيى : « مات التابع الأصغر ، مات معاوية الزمان ، مات الذي كانت أقلامه تكسر رماحنا » .

### الملك العالم المؤلف

كان المظفر متضلعا في العلوم ، يحب الدرس والكتب ، ومجالسة العلماء والصالحين كما يقول الخزرجي ، ويشغل أوقات فراغه بالقراءة والبحث والتأليف ، وقد قرأ الفقه على الفقيه محمد بن ابراهيم الفشلي وعلى الفقيه محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري ، وقرأ النحو واللغة على الشيخ

العمك ، والمنطق على الفقيه أحمد السُرْدُدي ، ويروي الخزرجي عن الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي انه قال : طالعت أمهات كتب الحديث من كتب مولانا الخليفة المرحوم فوجدتها كلها مضبوطة بخط يده حتى ان من رآها يقول : « لم يكن له شغل طول عمره مع كثرة اشغاله إلا القراءة والتحقيق » وروى عن معلمه الفقيه محمد بن الحضرمي انه قال : كان مولانا الملك المظفر يكتب كل يوم آية من كتاب الله تعالى وتفسيرها فيحفظها ويحفظ تفسيرها عن ظهر قلبه غيباً . قال وكان له في علم الطب يد طولى ولما افتتح مدينة ظفار الجبوضي ذكر في كتابه إلى الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر انه يحتاج إلى طبيب لمدينة ظفار لأنها وبيئة ؛ وقال : « ولا يظن المقام العالي أنا نريد الطبيب لأنفسنا فانا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا ، وقد اشتغلنا فيه من أيام الشيبية اشتغالا كثيرا ؛ وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب وله كتاب الجامع ليس لأحد مثله » ثم ذكر الخزرجي حادثة تدل على اهتمام المظفر بالكتب وعنايته بالبحث عن نفائسها وتحقيقتها فقال : إنه طالع في تفسير الرازي فوجد في نسخته نقصاً في بعض المواضع فبعث إلى قاضي القضاة في مصر فجاءه بأربع نسخ فوجدتها ناقصة أيضاً ، فلم يقنع بذلك واعتقد ان النقص من الناسخ فأرسل رسولا قاصداً إلى خراسان فجاءه بنسخة المؤلف التي قرئت عليه فرأى فيها نفس النقصان وتبييضاً كثيراً وهنا تيقن أن النقص من قبل المؤلف [عقود ج - ١ - ص : ٢٣٤] أما مؤلفاته فالمشهور منها :

١ - أربعون حديثاً انتزعها من كتاب الترغيب والترهيب ؛ عشرون حديثاً منها في الترغيب ، وعشرون حديثاً في الترهيب [العقود ص ٢٣٣ ج - ١ - ] .

٢ - « تيسير المطالب في تسيير الكواكب » يقول عنه مؤلف كشف الظنون انه يقع في خمسة أبواب وثمانية فصول ، ويقول الباحثة عبد الله الحبشي : « وفي فهرس مكتبة الجامع كتاب بعنوان « المطالب في تسيير النيرين وحركات الكواكب » لعله نفس كتابنا ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم : ٢٥ بمكتبة الجامع المصادرة .

٣ - « المخترع في فنون من الصنع » .

يقول الحبشي انه من الكتب النادرة ، وهو في صناعة الكتاب رتبه على عشرة أبواب :

- الباب الأول : في القلم .  
الباب الثاني : في عمل أجناس المداد .  
الباب الثالث : في عمل الليف وتلوين الصباغات .  
الباب الرابع : في الكتابة بالذهب والفضة .  
الباب الخامس : في وضع الأسرار في الكتب ، وما يمحو الدفاتر والرقوق .  
الباب السادس : في غراء المجلدين ، وغراء السمك ، وإلصاق الذهب والفضة .  
الباب السابع : في تجليد الكتب وآلاتها .  
الباب الثامن : في معرفة ألوان الحزير على اختلافها .  
الباب التاسع : في معرفة قلع الآثار والصبوغات من الثياب وعمل الصابون .  
الباب العاشر : في تطيب النفط وعجن اللك .

ومنه نسخة مخطوطة سنة ١١٤٨ هـ في ٤٨ ورقة بمكتبة الأمبروزيانا برقم ٢٢ G وأخرى كتبت سنة ٧٢٧ هـ في ١٧٩ ورقة بدار الكتب المصرية برقم : ٦٠٧ لـ .

٤ - البيان في كشف علم الطب للعيان . يقول الزركلي انه رآه باحدى مكتبات الطائف في مجلدين : « انظر مستدرك الطبقة الثالثة من الاعلام ص ٢٦٦ » .

٥ - العقد النفيس في مفاكهة الجليس .

منه نسخة مخطوطة في خزانة مجلس الشورى بطهران .  
« انظر الاعلام مستدرك الطبعة الثالثة ص : ٢٦٦ » .  
كل هذا نقلناه عن كتاب الحبشي : حكام اليمن المؤلفون ص : ١١٠ - ١١٤ .



## المظفر والشعراء

كان الملك المظفر يمثل الأديب الحق ، وهو من عرفه ابن خلدون بقوله : إنه « الآخذ من كل فن بطرف » فلقد كان فقيهاً ولغوياً ومحدثاً ومفسراً وراوية وخطيباً وهو إلى ذلك طبيب وفارس ، وكان يحب الشعر ويثيب عليه بكرم ، ويعرف جيده من رديئه وينقده نقد الصيرفي الخبير للدراهم والدنانير . وله مع شعراء زمنه مواقف وأخبار هي التي تهمنا في سيرته أكثر مما تهمنا فتوحاته وانتصاراته وصراعاته السياسية ، مع الأئمة والسلاطين والمنافسين له من أعمامه وأخوته وأولاد عمه والذين أمضى معظمهم جل حياته معتقلين خشية أن يخرجوه عليه وأن ينازعوه وأولاده من بعده على الملك ، وكان آخر من وقع منهم في فخه ذلك الخراج الولايج أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول والذي ظل طيلة حياته كريشة في مهب الريح لا تستقر على حال من القلق ؛ تارة مع ابن عمه وأخرى مع الامام ، والمظفر يتربص به الدوائر حتى ضمه إلى أبيه وعمه وبقية الأسرة الرسولية في سجن « تعز » المشهور . وليس ذلك فحسب بل وصديقه الشاعر علي ابن يحيى العنسي الذي كان أول من ألّب على المظفر ، وناصر أخاه « المفضل » بعد قتل الملك المنصور سنة ٦٤٧هـ وكتب إلى أسد الدين القصيدة الرائية يحثه على القيام في « صنعاء » والاستعانة « بآل حاتم » و « الحمزات » وأوها :

لشنتها شعث النواصي ضمرا  
تفري السباب واليباب المقفرا  
بل درعه ليثا هماماً قسورا  
لتقيم مجداً أو تُشيد مفخرا  
حتماً وإمّا أن تموت فتعذرا  
حاشا لمثلك أن تنام ويسهرا  
آه على موت يباع ويشتري  
لتخص من بين النجوم الأنورا  
يروى القنا علقنا نجيعاً أحمرا  
تلقي العدى والشم سنحان الذرا  
عصب ترى منها العديد الأكثرا  
كالسيف ما يمت مضربه فرى

لو كنت تعلم يا محمد ما جرى  
قُباً تراها في الأعنة شزباً  
تعدو بكل مسوم في سرجه  
ترمي بها دربي زبيد على الوحي  
لا بد أن تنجي أخاك حقيقة  
أضحى محبك في القيود مكبلاً  
إن ابن برطاس تمكن فرصة  
صح : آل حمرة تات وأخصص احمدا  
واهتف بهمدان الكرام يجبك من  
وبني شهاب للمروة موضع  
وبمذحج وأنا الزعيم بجمعها  
يأتيك علوان سنان قناتها

وفلاحٌ تسألُهُ الوصولُ بقومِهِ  
قدَّها عرابياً من تميمٍ ومرخيةً  
فإذا حشدتْ جيوشهم وحصصتها

ولما بلغت هذه القصيدة « المظفر » أغضبته وأمر شاعره « ابن دعاس »

بأن يجيب عليها فقال :

يا قائلاً ! أتراك تعلمُ ما جرى  
ما ينبغي هذا المخلوق ولو  
دع آل حمزة وانشرح من ذكرهم  
وبني شهاب دَعَهُم فالشمس لا  
ووصفت همداناً وعلوان الذي  
أتحشهم يأتوا زبيد ودونها  
مُثلت يداك وفوك من بطن الثرا  
من ينتصر بعساكر بدعية  
فالله قدم من أراد ولم يكن  
أتبشر السارين بالليل الذي  
كم بين من يسري يريد مسافة  
أنظر إلى الملك المظفر كي ترى  
في كفه يسرٌ وعسرٌ ، من يشا  
يهب الألوفا مع المائين وطال ما  
انظر إلى عدن أطاعت أمره

أتريدُ جهلاً عكس ما قد قدراً  
ضاهى بجمع جنوده الاسكندرا  
وكذاك مذحج والزعيم المخبرا  
تدعُ النجوم بنورها أن تزهرها  
أضحى طريداً في البلاد معذراً  
أسدُ الشرى تنضو السيوف البترا  
ماذا أردت بُمظهرين المنكرا  
فأنا الضمين له بأن لن ينصرا  
من قدم الرحمن قط مؤخرها  
قد قيل قبلك يحمدُ القوم السرى  
قد حل فيها آخرون على الذرا  
ملكاً يرى خصبَ الجناب غضنفرها  
يأتي له يسراً ، ومن شاء أعسرا  
وهب الجياد الصافنات الضمرا  
وإلى تعز ومكة أم القرى !

### نهاية العنسي

ولأن المظفر كان يحسب للكلمة حسابها ، وللشعر في نفسه مكانة ، فقد ساءته قصيدة الأمير علي بن يحيى العنسي ولقد كان يلقب بالأمير والسلطان وشمس الدين ، وتجدد في كتب المؤرخين كالجندي والخزرجي وابن حاتم أحياناً مجرداً عن نسبته « العنسي » وكان له لدى السلطان نور الدين والد المظفر مكانة عظيمة لأنه كما يقول الخزرجي ابن عمته أو ابن أخته ، ولعل والده يحيى العنسي كان من كبار مشايخ عنس ومن أوائل أنصار الأيوبيين عندما غزوا اليمن ، وتزوج بأميرة رسولية كان له منها هذا . علي الشاعر

العالم الذي كانوا تارة بالأمير وتارة بشمس الدين يلقبونه . ويقول المؤرخون ان عليا الشاعر قد مال إلى أولاد عم المظفر أسد الدين وفخر الدين وإلى أخويه من قبل الست « بنت حوزة » التي تحصنت مع أولادها وماليكها في « الدملة » ، ولذلك قال القصيدة محرضاً على المظفر ، فساءه ذلك ، وبالرغم من أن شاعره « ابن دعاس » قد أجاب عليه لكن الغيظ ظل يعمل في نفس المظفر وهو يصابره عشر سنوات لم يغيّر أثنائها شيئاً من مكانة « العنسي » ، ولا نال من وجاهته ، فلما تعب الأمير أسد الدين من مناوأة « المظفر » عام ٦٥٨ هـ وكتب إلى ابن عمه الملك المظفر من « براش » يستعطفه ويقول :

فان كنت مألواً فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولما أمرق

أمر إلى واليه بصنعاء وكان الأمير علي بن يحيى العنسي شاعرنا لما يعلم ما بينهما من المحبة والصدقة أن يؤمنه ، وان يصل برفقته إليه ، وكان المظفر يومئذ في زبيد ، فلما وصلا إليه أمر بالقبض عليهما وارسالهما إلى حصن تعز حيث يعيش فيه والد أسد الدين الحسن بن علي بن رسول وابنه فخر الدين أبو بكر بن الحسن مقيدين ، قال الخرجي « ولما دخل الأمير أسد الدين على أبيه وعمه وأخيه وابن عمه وابن أخته جعلوا يعاتبونه ويخاصمونهم فقال لهم : يا قوم لا نكون مثل أهل جهنم كلما دخلت أمة لعنت أختها فلم يزالوا في السجن حتى توفوا [ ج ١ - ١٢٣ ] .

ويقال ان العنسي لما كان يحاول اقناع صديقه أسد الدين بالاستسلام للمظفر بكى أسد الدين وشكى إليه حبس أبيه وعمه وأخيه وخوفه من الغدر وقال له العنسي :

« لعلك في القرب من المظفر أنفع لهم من العُد ولعلنا ننتظر فرصة من الدهر » !! فنقل ذلك إلى المظفر فزاد الطين بلة وأثرت كوامن الغيظ القديم وقرر أن يضرب العصفورين بحجر واحدة ! ومن شعر علي بن يحيى العنسي أبيات كتبها إلى الأمير أحمد بن الإمام عبد الله ابن حمزة يحقق له وصول الأمير الحسن بن علي بن رسول وأخيه من مصر والقاء القبض عليهما من قبل الملك المظفر :

ودادي ذلك الود القديم      وعهدي ذلك العهد القويم  
وبين جوانحي مما أراه ..      جحيمٌ منه تحترق الجحيم ،  
وقلت قدوم بدر الدين فيه      لنا فرح ؛ فما نفع القدوم !

قالوا : « وبلغ خبر الأبيات إلى المظفر فأغضى عنه وكان يكرمه ،  
ويقطعه الاقطاعات النفيسة ، ولا يظهر له شيئاً مما يبلغه » [ص : ٩٦  
ج - ١ - العقود] .

وكانت وفاته مسجوناً في شهر صفر سنة ٦٨١هـ ، أي انه مكث في  
السجن ثلاثة وعشرين عاماً قال الخزرجي : وكان علي بن يحيى رجلاً كريماً  
جواداً شاعراً فصيحاً ، وكان يحب الفقهاء والصالحين ويحسن إليهم كثيراً  
وكان يتواضع لهم ويتأدب معهم ، ويقبل شفاعتهم وكان مهتماً به الفقيه  
[لم يذكر اسمه] ائتم ، وكان الفقيه يدعوه ويذكره بالخير فقبل له : ان هذا  
رجل ظالم ؛ فقال : ان دخل علي بن يحيى النار فانه حمار بن حمار ، والله لا  
مات إلا طاهراً مطهراً ؛ فقبل له وما تطهيره ؟ قال : القيد والحبس ، فتمّا  
عليه ، وعُلم صدق الفقيه [ص : ١٩٥ - العقود] .

ولعل الخزرجي قصد بالفقيه العالم الأديب الحافظ عثمان بن يحيى  
بن فضل وكان أديباً كبيراً له محفوظات كثيرة وبديهة حسنة ، ظريفاً حاضر  
الجواب نظماً ونثراً وذكر الخزرجي انه توفي سنة ٦٦٣هـ وأورد من شعره  
قوله :

طوبى لمن عاش بعض يومٍ      ونفسه فيه مطمئنة ؛  
وما له في الملا عدوٌ ..      ولا خلقٍ عليه منه .

وقال : انه حضر يوماً مع جماعة من الفقهاء على طعام صنعه لهم الأمير  
شمس الدين علي بن يحيى العنسي ، وكان بين ذلك الطعام صحيفة مملوءة  
لُحُوحاً وزُوماً ، فتاقت نفس الفقيه إليه أكثر من غيره فكان يمد يده إلى  
الصحفة التي كانت على بعدٍ منه فقال الأمير :

بَعْدَ اللُّحُوحِ عن الفقيه الأوحِدِ      عثمان ؛ بل خير البرية عن يد  
فأجاب الفقيه بدهاءةً :

تُوفى المراسم أن أمرت بنقله      ويطول منك الباع إن قصرت يدي

فقام الأمير مسرعاً من مكانه واحتمل الصحيفة ووضعها بين يدي الفقيه ، ثم لما انقضى الطعام قال الأمير شمس الدين للفقيه : ياسيدي ؛ إني رأيتك تحب « اللحوج » ، وقد وهبت لك « الجربة » الفلانية تكون باسم اللحوج فاقبلها مني ؛ فقبلها وكانت تساوي ألف دينار ، وقد علق « الخزرجي » على هذه الحادثة الظريفة بقوله :

« فرحم الله علي بن يحيى ما كان أطف شمائله ، وأجزل نائله ، وأكثر فضائله » [ص : ١٣٥] .

### من مظاهر التعصب المذهبي

وآل « العنسي » من الأسر المشهورة في تاريخ اليمن الأدبي ، ونبغ منهم الأفاضل في الفقه والشعر والقضاء عبر العصور ، وقد ترجم ابن أبي الرجال في كتابه مطلع البدور لكثير منهم ، وقال في ترجمته للقاضي عمرو بن علي العنسي قاضي قضاة الامام عبد الله بن حمزة : « وهو أول من اشتهر من أهل بيته بالعلم وكان الغالب عليهم التصدر لغيره وتسمى منهم من تسمى بالامارة » ولكن القاضي ابن أبي الرجال لم يترجم للأمير الشاعر علي بن يحيى بل ذكره عرضاً في ترجمته للقاضي العلامة عبد الله بن زيد العنسي مؤلف الارشاد وغيره لما قصد المظفر بعد استشهاد الامام أحمد بن الحسين مستعينا به على قضاء ديونه ، فأرجعه خائباً قال : « وكان رجوع القاضي عبد الله بن زيد من باب السلطان مثلبة للسلطان ، ولما بلغ العلامة مسعود بن عمرو العنسي عم القاضي عبد الله ما كان من رجوع القاضي كتب إلى الأمير العالم علي بن يحيى العنسي من أهل بيتهما ، وكان عظيماً خطيراً يلي عظام الأمور ، وما يتولاه السلطان بنفسه ، وقد كان والياً للسلطان ومن خلصائه ، فكتب إليه مسعود بن عمرو بن علي » وذكر قصيدة دالية يعاتبه فيها على عدم قيامه بالواجب نحو ابن عمه القاضي عبد الله بن زيد ويطلب منه مؤازرته لدن الملك المظفر ومنها يخاطب الأمير علي بن يحيى العنسي :

ومنيـل كل مديـح بيت شارد	أمقـيل عـثرة كل حرّ ماجد
شرفاتها فوق السحاب الراكـد	ومنزـل الغـرف التي قد عُوليت
تجرى العيون من الحديد الجامـد	ومدبـر الملك العقيم بفكرة
جبلـاً لأصـبح كالصعيد الهامـد	وعزيمـة لو زاحمت أركانها

وصفاء سرّ للملوك كأنه السَّلَسال صفق للنسيم البارد  
يا من أجال من المظفر دعوة  
بيدي سعيد في الثغور مساعد  
حتى جذبت الشامخات فأقبلت  
من بين أنياب الهزبر الصايد  
بنمير « يوسف المليك » وماله ،  
وبسيفه المظفى لنار الكايد  
فكفيته شر العدو الحاسد !  
وغدوت منه كناظر من مقلة  
دون الانام ، ومعصم من ساعد  
ماذا تقول لحر أسرتك الذي  
نزلت ركائبه نزول الوافد ؟  
قامت على الدنيا مقام الشاهد  
للمآرب ومراتب وفوائد  
وبنفثة من مستهام رايد  
فابعث بحاجك نحونا في كاغد  
وجنابه وعلائه المتصاعد  
لم يرتحل إلا بحظ الحامد  
في البر والوصل الحميد بكاسد  
بأنيق لفظك للحليم الراشد  
غضا وترغم فيه أنف الحاسد  
حتى ترد على ابن عمك جاهه

ولعل هذه القصيدة لم تصل إلى مقر الأمير علي العنسي إلا وهو في السجن ، فان ابن أبي الرجال يقول إن القاضي عبد الله بن زيد قصد « المظفر » في مستهل عام ٦٥٩ هـ وهي نفس الفترة التي ألقى فيها القبض على أسد الدين ، والأمير العنسي ولعل تلك الصلة مع القصيدة كانت مما سبب انقباض الملك عنه وعدم السماح بمقابلته وإكرامه .

نعم ؛ ان ابن أبي الرجال لم يترجم للأمير علي بن يحيى العنسي ، مع وصفه له بالعلم لسبب طائفي مذهبي وهو انه كان من أنصار « الرسوليين » وأمرائهم ، وهذا مظهر من مظاهر التعصب والتحزب المذهبي ، ولذلك سبق القول بان علي من يريد دراسة تاريخ اليمن وآدابها أن يراجع كتب ومؤلفات جميع الفئات والطوائف قبل أن يصدر رأياً سياسياً أو أدبياً .

وقد سبق ان ذكرنا ان الأمير علي بن يحيى العنسي هو صاحب الأبيات الثلاثة التي بعث بها إلى المظفر يبشره باستشهاد الامام أحمد بن الحسين وهي :

قتل « ابن الحسين » لا قدس الله تعالى ربّ السماء ترابه  
قتلته يا أيها الملك الندب بنو حمزة بوادي شوابة  
فهنيئاً لها ! ويا بيّض الله تعالى وجوهها من عصابه

ومع ذلك فلم يلبث بعده طويلاً متمتعاً بأمارته في صنعاء ، وسرعان ما  
اصطلمه « المظفر » وألقى به في سجن « حصن تعز » حتى مات وصدق من  
قال « كادت الدنيا أن تكون دار جزاء » !

## مع الشيخ علوان الجحدري [ ت ١٦٦٠ هـ ]

ومن المواقف الشعرية في سيرة « المظفر » موقفه مع الشيخ علوان  
الجحدري صاحب حصن « العروسين » وكان ممن أيد المظفر ، وأمدّه  
بجيش جرار لما كان محاصراً الحصن تعز بعد قتل أبيه ، وظل له مسالماً ، فلما  
ضاقت المسالك على الأمير أسد الدين عام ٦٥١ هـ وهو في حالة حرب مع  
ابن عمه المظفر لم يجد من وزير يلجأ إليه مع أصحابه إلا الشيخ علوان  
الجحدري بالرغم مما كان بينهما من العداوة والبغضاء في أيام الملك المنصور  
عمر ، فقصده واستجار به ، فأجاره وأنزله مع أصحابه في حصنه ، ولقيهم  
بالرحب والسعة ؛ ولما علم الملك المظفر تقدم بقواته إلى بلاد الشيخ علوان ،  
واخرب منها مواضع ، وأحرق أخرى .

فكتب إلى المظفر معاتباً :

يا مليكاً طالبت به قبة الملك التي كان شادها المنصور  
لم يكن من جزاء من أخذ الحر ب فلم تبق قدر حرب تفور  
أن يثار الدخان في ما حوالبه صباحاً وكل عين تشير

وأبى ان يخفر ذمته في من أجارهم ، ولكنه ظل يلاطف السلطان ويراجعه  
ويسأله الذمة للأمير أسد الدين وأصحابه حتى أذم لهم على يده وفي خلال  
ذلك قال الشيخ علوان :

سلام على الدار التي في عرصاتها معاهد قوم لا يذم لهم عهد  
أنأخوا علينا نازلين وفيهم طوال القنا والمشرقية والجرّد

مقاولها فارتاع من خوفهم نجد  
 أمانيها موت على العز ، أو حمد  
 « بدملوّه » الغرّ التي مالها نذ ،  
 وقادوا إليه الخيل من فوقها الأسد .  
 عوارف منهن المنيّة والرّفد ،  
 عقائق حمر لا يلائمها غمد  
 وقد أشرعوا قلن المقادير لا ورد  
 إلى علم زهر النجوم له عقد  
 له البيض برق والطبول به رعد  
 وحوليه أرباب الزعامة والجند  
 نسيم الصبا حتى ألم بنا الوفد  
 ينادون يا علوان هل ذهب الحقد  
 ألا مرحباً هذا السمؤال والفرد  
 بسطت به أيدي الرجاء الذي مدوا  
 إليّ واهداه لي الفلك السعد  
 وما رايني منها الوعيد ولا الوعد  
 كتائب عزمي وهي بينهم سد  
 على حنق ما بينها الأسد الورد  
 كمثل مقامي في المكاره إن عدّوا  
 وأني لمن آوى إلى كنفسي عبداً !

ليوث شرى خاضوا الرمال فذلّوا  
 رموا مطلع الشمس احتساباً لأنفس  
 إلى ان شرى البرق اليماني لأمعاً  
 فزموا له بزل الركاب على الوغى  
 يقودهم الملك الذي في يمينه  
 تحف به القوم الذين سيوفهم  
 رأوا مورداً عذباً فلما دنوا له  
 قضى أسد الدين القضاء برمحه  
 فجاش عليهم للمظفر عارض  
 همام أبى أن يسلم الملك فانبرى  
 يسوقهم سوق السحاب يحنها  
 أكارم كانوا لي عدواً فأصبحوا  
 فقلت لهم في فرع تياء فانزلوا  
 مددت لهم ظل العروسين دائماً  
 فشكراً لمن أدنى ركاب محمد  
 فأصبح أرباب الزعامة حولنا  
 ملوك دنا بعض لبعض فأصبحت  
 وأسد إلى أسد تدانت فصدها  
 فمن لفخار العرب مثلي ومن لها  
 فحسبي أتى الحرّ من آل يعرب ،

\*\*\*

وهذا الموقف الفذّ من الشيخ « علوان » الجحدري يدل على شهامته  
 وليس أجزل منه ، وأكثر شموخاً ، إلا هذا الشعر الفخم المتين ، والفخر  
 العربي الأصيل الذي سده المروّة ، ولحمته الشجاعة ، وانه لموقف كريم من  
 قبل المظفر أن يتقبل ذلك باكبار ، ويعفو عن خصمه أسد الدين متأثراً  
 بشهامه الشيخ علوان الجحدري وإن إلى حين .

وقد ترجم الشيخ علوان علي بن الحسن الخزرجي في العقود اللؤلؤية  
 فقال :  
 « الشيخ الرئيس الماجد علوان بن عبد الله بن سعيد الجحدري ثم



المذبحي المعروف بالكردي لقباً ، وكان قبلاً من أقيال اليمن ، وأوحد أعيان مشايخ الزمن ، وكان كريماً شجاعاً مقداماً مطعاماً مطعناً ، عفيف الأزار مجتهداً في طلب الأجر وملك ناحية عظيمة من شرق اليمن وهي حجر ونواحيها .

وتغلب على حصون كثيرة منها العروسين ووعل والتورة ونعمان شرقي الجند وحارب ملوك الغز ولم يظفروا منه بطائل . وكان السلطان نور الدين في مدته قد حط عليه عدة محاط بالمقطعين من أمرائه وطبخاناتهم إذا جاء وقت ما يضربون النوبة ترتج الأرض وترتعب النفوس فيقول علوان لقومه يا مدبِّح لا تفزعوا فانها هي جلود بقر . وله قصيدة في التأليب على حرب السلطان نور الدين يقول فيها :

من تاب عن حرب نور الدين من جزع فانسني عنه ما عمرت لم آتب  
وكتب السلطان الملك الكامل إلى الديار المصرية وسأل منه الاعانة في حرب نور الدين فأعانه بأموال جمّة . ولم يزل السلطان نور الدين يتلطف به ويبدل فيه الرغائب حتى أتى به إليه أسيراً فحبسه في حصن حب فلما صار في السجن أكثر التضرع إلى الله تعالى والدعاء بالخلاص فيقال إنه رأى في النوم قائلاً يقول له أدع الله بهذه الكلمات : اللهم اني أسألك بما اهتمت به عيسى من معرفتك وما علمته من أسمائك التي سعد بها إلى سماواتك وبما علمته من ربوبيتك ووحدانيتك إلا فككت أسري برحمتك وكرّر ذلك حتى حفظه فلم يزل يدعو بهذا الدعاء أياماً حتى أطلقه الله وأعاد إليه حصونه .

ومن محاسن أفعاله انه كان متى بلغه ان يتيمة قد بلغت الزواج ولم تتزوج ولم يُرغب فيها خطبها هو وأحضر لها مالا له قدر فاذا خلا بها طلقها وربها يطلقها قبل ان يخلو بها فترغب من بعده إما للمال أو شحاً على زواجته لها بعده وكان هذا دأبه . ولما توفي السلطان نور الدين في تاريخه المذكور وطلع ولده السلطان الملك المظفر من تهامة استعان به على أخذ تعز فأقبل إليه بنحو من عشرين ألف رجل من مذبح . وكان شاعراً فصيحاً حسن الشعر ومن شعره قوله :

والله لا استوطنت أرضاً تربها مسك إذا حظي بها مهضوم  
وعلام أوطنها وعرضي وافر والرزق من أفق السما مقسوم

لا آمن الأيام وهي معارة  
وإذا الليالي اخلفتني بالذي

ومن شعره قوله أيضاً

إذا كان قول الحق والحق قوله  
معز لمن شاء المذل لمن يشا  
ونفسك فاتركها عن الهم والأذى  
فما الأمر إلا للذي صير الورى  
وموجدهم من غير وجدان سابق  
ولا تشك ما لا قيت من غير منصف

وكذا الليالي السود وهي هموم  
فوق السراب فحسبي القيوم

بمحكمه والملك في آية الملك  
فكيف اعتراضه قوله الصدق بالشك  
فراحتك العظمى لك الله في الترك  
وتسييرهم في لجة البحر بالفلك  
ومفنيهم بعد التكاثر بالهلك  
إلى مثله لكن إلى منصف تشكي

ولما تاب وحسنت توبته قال يعاتب نفسه :

وقد كان ظني الغي واللهو إنما  
فلما أتاني الشيب وانقرض الصبي  
فقال بلى لكن رأيتك ربما  
فقلت له لا مرحباً بك بعدها  
فقال سمعنا ما حلفت به لنا  
فقلت أمن بعد الطلاق فقال لي  
فقلت له لي منك جار يجبرني  
فولى له مني ضجيج فقلت لا

يكونان في عصر الشباب الغرائق  
نظرت وذاك الغي غير مفارق  
تكون باحدى الحالتين موافقي  
وانك مني طالق وابن طالق  
وكم مثله قد قلت غير صادق  
وأبي طلاق للنساء الطوالق  
فقال ومن هو قلت ذو الطول خالقي  
تضج وبادر نحو كل منافق

وشعره كثير وديوانه مجلد ضخيم والغالب عليه الجزالة وهو عزيز الوجود  
وكانت وفاته في السنة المذكورة [أي : ٥٦٦٠ هـ] على أصح ما قيل وقبر في  
موضع من بلده يعرف بالمرخامة والله أعلم . [العقود ص ١٢٧ - ١٢٩ ج - ١ - ] .

### عقدة المظفر الطغتكينية !

ومما يدل على فرط إحساس المظفر بما يقوله الشاعر مدحاً أو قدحاً ،  
واهتمامه بما يؤثر عنه تصريحاً أو تلميحاً ، موقفه مع الشاعر الكبير القاسم بن  
هتيميل الذي سوف نتحدث عنه في فصل « الشعر والشعراء » ، ونحن نعلم  
أن « ابن هتيميل » كان زيدي الهوى والمذهب ، وأنه قبل استشهاد الامام

أحمد بن الحسين كان شاعره ، يمدحه ويمدح أولاد الامام عبد الله بن حمزة في الجبال ، ويمدح في الغور أمراء « المخلاف » و « حلي بن يعقوب » وبعد أن قتل الامام سنة ٦٥٦ هـ اتصل بالمظفر واعتذر إليه بقصائد تذكرونا باعتذارات النابغة الذبياني . ولما مدح أحد أمراء « الحلي » بقصيدة قافية جاء في أحد أبياتها :

إن الملوك بني يعقوب قاطبةً قطعاً ، وكل ملوك بعدهم سوقُ  
اعتبر « المظفر » ذلك تعريضاً به وتحقيراً له فبعث برسرية من الخيل لاحضاره إليه ، فلما مثل بين يديه ، قال له أنت القائل وأنشده البيت مغضبا فقال « ابن هتميل » : أطال الله عمر السلطان انما قلت : « وكل ملوك غيرهم سبقُ » فاستحسن السلطان تخلصه وعفا عنه وأجازه .

وكلما أمعنت النظر في سيرة « المظفر الرسولي » وراجعتُ مواقفه الحاسمة ، وشجاعته وثباته في مواجهة الأحداث الجسام تذكرت سيف الاسلام « طغتكين » الأيوبي صنو السلطان صلاح الدين ، وطغتكين كما سلف هو الذي قضى على امارات وزعامات ومشيخات الطوائف اليمينية ، واستطاع أن يوحدّها تحت سيفه القاهر الباتر ؛ وقد كان المظفر وأبوه وجده من أقطاب الدولة الايوبية ومن زملاء وأصدقاء صلاح الدين وتوران شاه وطغتكين وأولادهم ؛ وعرى الزمالة والصدافة بينهم وثيقة قوية ، وظلت بين الأولاد والأحفاد كما كانت بين الآباء والأجداد ، حتى صاروا خلفاءهم على ملك اليمن كما سلف أيضاً .

ولعل الأمير « يوسف بن عمر » المظفر قد أمعن وهو في مقتبل عمره وعنفوان شبابه في دراسة سيرة « سيف الاسلام طغتكين » وشغف بتسقط أخباره وتلقفها ، وأعجب بشخصيته وتأثر بها ، واتخذ منها مثلاً في سياسته التي عالج بها شؤون اليمن واليمنيين ؛ وقد يما قال « تبع » الأكبر يوصى ابنه : « إن من يجلس على كرسي الحكم في اليمن فعليه أن يصبر على ما هو أشد من لسع الحيات والعقارب » ، إلى آخر تلك الوصية البشعة الرهيبة ! يخيل لي ان « المظفر » قد تأثر بسيف الاسلام « طغتكين بن أيوب » ، وسلك سبيله ، أو ان الله سبحانه قد فطره على شاكلته ؛ فلا أجد فارقاً ذا بال - غير ما تقتضيه ظروف التطور الزمني - بينها ؛ سياسةً وحزماً ، وكرماً ومكراً ،

وصبراً واستقامة سلوك ؛ ولعل فرط الأحساس الشعري لدى « المظفر » و« عقدة » انفعاله بما تنفث به ألسنة الشعراء مدحاً أو قدحاً ، تصريحاً أو تلميحاً ، قد ورثها عن دراسة « طغتكين » ، ولم يكن سيف الاسلام « طغتكين » الوحيد بين الأيوبيين ، فقد كانوا جميعاً ذوى احساس مفرط في تقدير ما يقوله الشاعر ، وما تعنيه السجعة أو القافية ؛ وقد مررنا بشيء من المراسلات الشعرية بين السلطانين صلاح الدين وأخيه توران شاه وسمعنا أن الملك صلاح الدين أمر بشنق الشاعر عمارة اليميني لما علم انه يبكي الفاطميين ، وانه قد قال في رثائهم :

لما رأيتُ عراض الحى خاليةً من الأنيس ، وما بالربع ساداتُ  
أيقنت أنهم عن ربعمهم رحلوا وخلفوني ، وفي قلبي حزازاتُ !

وقد مررنا أيضاً كيف ان الملك الكامل الأيوبي لما سمع قصيدة « الحاتمي » .

سلا ذات سمط الدر والمارن الأثني لدى «عصرٍ» من أصدق الضرب والطعنا ؟

استعظم التزام المخاطبة فيها بنون العظمة في قوله :

ونحنُ متى شئنا دسرنا عدونا ولم نحتمل حقداً دفيناً ولا ضغنا ،  
فلا زالت الأخبار منكم تسرنا كما سركم في مصر مخبركم عنا

وقال لابنه الملك المسعود سلطان اليمن : « من هذا يا يوسف الذي يخاطبك بهذه المخاطبة ؟ فقال : رجل من امرائي يعرف بإبن رسول . فقال الكامل : هيهات والله ما هذه مخاطبة أمير ، بل مخاطبة ضد ، فان لم تشب عليه وثب عليك ! . . وقد روى المؤرخون اليمنيون ومنهم « باخرمة » في « ثغر عدن » قصة سيف الاسلام « طغتكين » مع الشاعر « التكريتي » التي تشبه قصة الملك المظفر مع « ابن هتيمل » وقالوا إن « طغتكين » لما سمع قصيدة « التكريتي » في السلطان « المنجوي » وقوله فيها :

الهزبر « المنجوي » إذا شبت الحرب العوان أذى ،  
هو تاج والملوك حذاً بل حضيض وهو كالقلل !

بعث في طلبه ، فلما مثل بين يديه ، قال له مغضباً أنت القائل في « المنجوي »

هو تاج والملوك حِذَا بل حضيض وهو كالقُللِ

فأجاب الشاعر التكريتي متخلصا : أيد الله مولانا سيف الاسلام انما قلت

هو تاج ؛ والملوك حِذَا وهم في المجدِ كالقُللِ !

وفتح حاء « حذاء » ؛ فأعجب « طغتكين » بذلك التخلص وأجازه .

فهل نحن على صواب إذا قلنا أن موقف المظفر من « ابن هتميل » يكرر موقف طغتكين من « التكريتي » ؟

وهل يمكننا القول : إن فرط احساس المظفر الشعري « عقدة طُغتكينية » ؟

### اليثيمة التكريتية

لعل من واجبي الأدبي أن أعود الفهقري حتى ولو أغضبت المنهجين المحدثين فقد كان يلزمني أن أورد قصة « الشاعر التكريتي » وأنا أتحدث عن « سيف الاسلام طغتكين بن أيوب » ، وكان علي أن أورد قصيدته « اليثيمة » التي هي من أشهر قصائد الشعر اليمني في تاريخه الأدبي خلال العصر العباسي إن لم تكن أشهرها ، وليس هنالك من أدباء اليمن غير العصور من لا يحفظها أو لا يعرفها ، وقد قالوا : كل شعر يدرس ويلى إلا قصيدة التكريتي ! ولا عذر لي في هذا الإهمال إلا الاعتراف بالسهو والنسيان ! ولو اعتذرت بأني كنت أجلتها ، وأجلت الحديث عن شاعرها الى فصل الشعر والشعراء وانني كنت أنوي ذلك لما أرضيت الواقع ؛ لأنني لا أعرف عن الشاعر « التكريتي » شيئا يمكن أن أتحدث به عنه ؛ فنحن لا نعرف اسمه ولا اسم أبيه ولا البلد التي ولد ونشأ بها ولا متى ، ولا أين مات ؟! ولم يصل إلينا من شعره إلا قصيدته التكريتية ، وقد طغت شهرة « اليثيمة » على اسمه فلم يُعَرَفْ بعدها الا بصاحب « التكريتية » ، أو الشاعر « التكريتي » ، وكأن هذا اللقب قد لصق به لأنه تاجر ، وأهل اليمن كثيرا ما يعمدون إلى تلقيب الناس بمظاهر صفاتهم أو بما يتعاطونه من مهن ، ولقد لقبوا الشيخ علوان الجحدري القليل الشاعر الذي سبق أن تحدثنا عنه « بالكردي » لأنه كان قويا جلدًا فارساً صبورا ، وكثيرا ما يلقبون

الأشخاص بالهندي والتركي والجاوي لأنه سافر إلى تلك البلدان ، ونحن نعرف ان الملك المظفر نفسه كان يسمى « المكي » لأنه ولد بمكة . وهكذا فالشاعر « التكريتي » اليميني لا نعرف عنه إلا قصته الظريفة وخلاصتها : انه سافر ببضاعة في سفينة عصفت بها الرياح فغرقت فاتجه نحو الامام المنجوي صاحب « مرباط » ظفار ومدحه بقصيدته التي نتحدث عنها ، وكان المنجوي كريما شهها فكافأه بسفينة مشحونة بالفئاس تعويضاً له ، وهذا نص اليتيمة :

فالكثيب الفرد فالأثل  
بين ظل الضال والجبل  
هب كأن الدمع قد عدماً  
واقف اثر الظعن والايبل  
وبلغت الرمل والكثبا  
واسبل العبرات ثم سل  
كنت يوم البين بينهم  
رب سارِ ضل في السبل  
وهم في خاطري ومعني  
ففؤادي عنك في شغل  
أشتكي وجدي ويعدهم  
وأقضي الدهر بالأمل  
وحمام الأيك يسعدني  
بالبكاء طورا ، وبالجذل  
أتحسى الدمع مصطبحا  
وأنا كالشارب الشميل  
وسقامي للضنا ورثا  
كل من رام الحسان بئي  
أذهب الاكدار والوسخا  
وقعتي « صقين » و« الجمل »  
واكف البين تقمُعنا  
بمنى والخيف والجبل  
عيسهم والركب قد نفرا

عج برسم الدار فالطلل  
فبماوى الشادن الغزل  
وابك في اثر الدموع دما  
واندب الغيد الدماندما  
واذا ما بان بان قبا  
ناديا ذا الربع واحربا  
آه لو أدركت بينهم  
ليت شعري الآن أين هم  
كيف اثني عنهم طمعي  
كف عني اللوم ، لست أعني  
ها أنا في الربع بعدهم  
أسأل الأيام وعدهم  
فدموع العين تنجدني  
فهي تدنيني ، وتبعدي  
خلفوني في الرسوم ضحى  
كل سكرانٍ وعى وصحى  
رق رسم الدار لي ، ورثا ،  
ليس سقمي بعدهم عبثا  
آه لو جاد الهوى وسخا  
فالجوى والصبر قد نسخا  
ما لهذا الدهر يطمعنا  
أترى الأيام تجمعنا  
أترى بالشعرين نرى

ونضم الركن للقبل  
 ما له غير الخضوع أسي  
 والورى في غاية الوجل  
 غير خاف عنكم ألمي  
 غير ذات الدل والكسل  
 دنف كل بها دنف  
 بين ذاك الخصر والكفل  
 وسواد الليل طرتماً  
 وهي في خمس من الحمل  
 ودوائي لثم وجنتها  
 أو أمير المؤمنين علي؟!  
 خندريس فوقها حَبُّ  
 بحره أحلى من العسل!

ونزور الحجر والحجرا  
 كم لنا بالمروتين أسي  
 ينجلي عن ربما وعسى  
 يا اصيحاي ويا لُزَمي  
 ان أمت لا تأخذوا بدمي  
 عادة في خصرها هيف  
 فهيام القلب والشغف  
 فبياض الصبح غرتها  
 دمية كالشمس بهجتها  
 أصل دائي غنج مقلتها  
 أتري عمراً بنظرها  
 ريقها والمبسم الشنب  
 لؤلؤ رطب هنا العجب

\*\*\*

عكسوا المعنى وما عرفوا  
 أيقاس الكحل بالكحل؟  
 عاقبت ما راقبت رقبا  
 أيحل القتل في الخجل  
 جيدا لو أنها قنعت  
 جمع ذاك اللحظ بالمقل  
 ها صباباتي وها ندمي  
 ورشادي ظل في الأزل  
 ودموع العين جارية  
 أرفقي ياهند بالرجل!  
 ومراض اللحظ ممرضة  
 قد شفيت النفس من علل  
 وعدي ذا المبتلى وعدي،  
 خلق الانسان من عجل!  
 ما عدا مما لديك بدا؟  
 عن مروى البيض والأسل

وصفوا هنداً وما وصفوا  
 قلت هذا منكم سرف  
 فعلت بي غير ما وجبا  
 صحت في الأحياء واحربا  
 كم كرى عن مقلتي منعت  
 مذ بدت «صنعاء» ما صنعت  
 ان يكن بالحب هان دمي  
 فدمي في ثابت القدم  
 بدرت من بدر جارية  
 ثم قالت وهي جارية  
 فأجابت وهي معرضة  
 أنت لي ياسعد مبيضة  
 قالت البدرية اتندي  
 ما الذي يُنجي من القود  
 طالما فيك الهوى عبدا  
 ليس يخفى قتله أبدا

الزكيّ الطيب الحسب ،  
 الهتون العارض الهطل ،  
 ألقّت الحرب العوان أذى  
 بل حضيض ، وهو كالقلل !  
 واشرأب المحل والسغب  
 بالضحى تهمي وبالأصل  
 بلظى ناحت حمائمهُ  
 مولع بالخيل والخول ،  
 سأل المضطرّ ، أو سكتا  
 كان حقا خاتم الرسل !  
 ولديه المال ييدله  
 وهو لا يصغي إلى العذل !  
 وهي تحشى أن تقابله  
 قرّب الأرواح للأجل  
 لا ولا شكل يشاكله  
 همة تعلو على زحل ،  
 ونداه نحونا بسطاً ،  
 بعد ذاك الخوف والوجل ،  
 وأبو عبد الاله لنا  
 حلاً ناهيك من حلل !  
 ولؤي في فصاحته ،  
 وابن عباس لدى الجدل  
 يعذر الجاني ويحتمل  
 عن كتاب العين والجمل !

الامام الظاهر النسب  
 السحاب الساكب اللّجب  
 الهزير المنجوي اذا  
 هو تاج والملوك هذا  
 طالما قد ضنت السحب  
 وفؤادي كفه السكب  
 لو همت يوماً غائمهُ  
 فهو مذ ميّط تمائمهُ  
 يمنح السؤال قبل متى ،  
 لو أتى بعد الرسول فتى  
 وعذول بات يعذله  
 قصده عن ذاك يعدله  
 حكّت الانوا أنامله  
 فاذا ما هز ذابله  
 ما له مثل يئائله  
 وله فيما يحاوله  
 كَفَّ كَفَّ الدهر حين سطا  
 فغدونا أمةً وسطا  
 كيف نخشى بعده الزمنا  
 ارتدى مجدا وألبسنا  
 هو قس في فصاحته ،  
 وهو معن في سباحته  
 ان يكن في نظمها خلل  
 خاطر المملوك مشتغل

\*\*\*

لقب « سيف الاسلام »

ولعل القرّاء ولا سيما من اليمنيين قد لاحظوا اني حافظت كلّما ذكرت  
 السلطان « طغتكين بن أيوب » على لقبه « سيف الاسلام » وذلك لأنّي أريد



أن أذكر بأنه كان أول من تلقب بهذا اللقب في اليمن ، وكان مما وردَّ معهم الأيوبيون و « العزّ » إلى اليمن ، ولم يكن يعرف من قبل ، ولا حاول التلقب به أيُّ من الأمراء أو أبناء الأئمة كالهاديين ، والعيانيين ، والحمزيين ، ولا غيرهم من سلاطين « اليعافرة » و « الصليحيين » و « بني الضحّاك » وأضرابهم . وفيما بعد القرن العاشر كان يطلق على من يُرشح للخلافة من عائلة « الامام » فقط . وعلى كل فهو مما ورثه اليمينيون عن الأيوبيين .

### موقف المظفر من ابن دَعّاس

ومما يُذكر من قُرط إنفعاله بالشعر وتأثره بما يقوله الشعراء ، موقفه من « ابن دَعّاس » العالم الشاعر الذي كان أحد جلسائه ، وخصيصاً به ، ولا يفارقه في سفر أو حضر وكان هو الذي ردّ على قصيدة الأمير علي بن يحيى العنسي التحريضية والتي مطلعها :

لو كنت تعلم يا محمد ما جرى  
لشنتها شعث النّواصي ضمّرا ،  
بقصيدته التي سبق ايرادها . بل وكان أول من أنشده مهنتاً له بالملك بعد  
قتل أبيه لما دخل زيد في ١٠ شهر ذي الحجة سنة ٦٤٧هـ قصيدته المشهورة  
التي منها :

ان غاب نورُ البدر عن أفق العلا  
أو كان جفن الملك أمسى ارمدا  
لا تجزع الدنيا لفقد مليكها  
ما كان رزء الملك الا غيهباً  
بالملك عاد الكسر جبراً وانثنى  
هي دولة غراً وهذا مالك  
لم يرض غيرك يا أبا عمر لها  
ما زلت معترفاً بنعمة رها  
أو ما تراها في زبيدٍ تزدهي  
أمهرتها وافي الصداق فما لها  
جاءتك طائعةٌ ولم تهزز لها  
قل للذي رام التملك جاهلاً  
ما انت والملك الذي لا سره  
ارجع إلى كأس الطلا ودع العلا

فانظر ضياء الشمس قد ملأ الملا  
فاليوم أصبح بالمظفر أكحلا  
رزئت برضوى واستعاضت يذبلا  
غم الورى وأتاه صبح فانجلى  
جيد العلا حالٍ وكان معطلا  
أضحى الزمان به أغر محجلا  
فاستجلها ان العرائس تُجتلى  
متضرعاً لقدومها متبتلا  
وتميس في حلال المفاخر والحلى  
كفؤً سواك ولا تريد تبدا  
رحماً ولم تشهر عليها منصلا  
وسعى فضل عن الطريق وضللا  
بادٍ عليك ، ولست فيه مؤهلا !  
للمغمد الأسياف في هام الطلا

ولصاحب الجيش الذي سد الفضا  
وأعاد ريحك حين هبت أزيباً  
أولي السورى بالملك والده الذي  
هي دولتي وأنا الذي أمّلتها  
وفلا بحد العزم ناصية الفلا  
نكباً بريح منه هبت شمالاً  
ما أنفك في نسب المفاخر أولاً  
والله يعطي عبده ما أملا

\*\*\*

هذا الشاعر الذي كان المظفر يجله ويكبره ويستشيريه ، في شئون الدولة ، وكان متوسّعاً في العلم شاعراً ماهراً نحوياً لغوياً ، وكان كما يقول الخزرجي يثني عليه المظفر ويفضله على « ابن حمير » ، ويقول إنها « ابن حمير » صاحب خلاعة ؛ مات مهجوراً مطروداً في مدينة زبيد لإدلال حدث منه على السلطان رأى فيه تنقيصاً من حقه وحق وزيره « البهاء » ، ولم يحدثنا الخزرجي عن الحدّث الذي صدر من « ابن دعّاس » حتى أمر المظفر بطرده من تعز ونفاه إلى « زبيد » ، ولكن لا شك لديّ انها همزة من همزات شياطين الشعر ؛ ! واسم « ابن دعّاس » سراج الدين أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دعاس وقال « الخزرجي » انه فارسي النسب ، وكان أديباً فاضلاً فقيهاً في مذهب الامام أبي حنيفة وكان قد نال حظوة كبيرة لدى المظفر وابنتى مدرسة في مدينة زبيد خصّ بها أهل مذهبه وهي التي تعرف الى زمن الخزرجي بالدعّاسية . قال : وكان أدباء زبيد ينسبونه الى سرقة الشعر ويقولون : إذا حوسب الشعراء يوم القيامة يُؤتى بابن دعّاس للحساب فيقول يا رب : هذا البيت لفلان وذلك الشطر لفلان ، وهذا العجز لفلان فيخرج بريثاً !

ومن لطائف ما يروى عنه وعن الملك المظفر انه لما اصطحبه معه للحج شرى من مكة عدّة دواوين شعرية ، ولما رجع المظفر ووصل الى « المَهْجَم » ، استأذنه « ابن دعاس » في ان يتقدّمه الى « زبيد » ، فقال له : أتريد أن تتقدّم لتجمع شعرا من الدواوين التي ابتعتها وتلقانا به ؟ ! ثم أذن له في التقدم فلما دخل المظفر زبيد أنشده « ابن دعّاس » يوم قدومه قصيدة أول بيت منها لابن الحجاج البغدادي وهو :

ليس في قدرةٍ ولا إمكان نيل ما نلت يا مليك الزمان

وفيهما يقول :

هاك شعرا منظماً لم أعر فيه على مصحف ولا ديوان !  
فقال له « المظفر » : نهيناك عن الدواوين فتعديت إلى المصحف !؟

ويروى انه لم قدم أبو الظاهر البيلقاني الأنصاري الى عدن ، وكان عالماً  
متفتناً أعلم المظفر به ، فأمر بتجهيزه الى حضرته فلما حضر أمر السلطان من  
باحثه فوجدوه كاملاً ، فأراد ان يقرأ عليه شيئاً في المنطق فاستشار « ابن  
دعّاس » فقال له : أما علمت يا مولانا أن النبي ﷺ قال : « البلاء موكل  
بالمنطق » ؟ فتطير الملك من قوله ؛ وقال : لقد حلت بيننا وبين الانتفاع به .

ثم كان ماله ما ذكرنا من حرمان وطرده وابعاده ، إلى أن توفي بزبيد في شهر  
جمادى الآخرة سنة ٦٦٧ هـ وأخباره مفرقة في [العقود الوئولية ص : ٩١ -  
١١٢ - ١٢٢ - ١٥٥ - ١٩٤ - ٢٣٧ وفي السمط الغالي الثمن ص :  
٢٦٠ - ٢٦١] .

### موقف شاعري

ولما بعث اليه الأمير داوود بن الامام المنصور عبد الله بن حمزة المتوفي سنة  
٦٨٩ هـ قصيدة يسأله خلاص ولده محمد وكان قد أخذ « المظفر » رهينة  
لديه وحبسه في قلعة الدملة ومطلعها :

أعاتبه في الهجر أم لا أعاتبه ؟ واصبر حتى يرعوي أم أجانبه  
ومنها في « المظفر » :

فمن مبلغ عني الى الملك يوسف      اي عمر معطي الجزيل وواهبه  
ومالي قول مسخط غير أنبي      أذكره الخط الذي هو كاتبه  
فشفع أبانا في بنيه فانه      شفيحك في الذنب الذي أنت كاسبه !

قالوا ان المظفر لما قرأ هذا البيت بكى ، وقالوا اخلصه كرامة لجدّه ﷺ  
قال الخزرجي : « ويقال انه رأى النبي ﷺ فمسح على وجهه وقال :  
لأجازينك يوم القيامة بها » [ص : ٢١٥] .

وهو موقف شاعري مؤثر من مواقف المظفر التي تؤكد انه كان شديد التأثير  
والانفعال بأقوال الشعراء .

## مواقف الشهامة :

ولا بد أن نشير الى بعض مواقف شهامته والتي لعب في بعضها الشعر دوراً فعلاً .

فمن ذلك موقفه من الامام ابراهيم بن تاج الدين بعد وقعة « أفق » الشهيرة في جمادى الأولى سنة ٦٧٤ هـ والتي أسفرت عن انتصار « المظفر » وأسر الامام « ابراهيم بن تاج الدين » الذي ما ان أتى به أسيراً حتى وقف له وعانقه وهنأه بالسلامة ، فهنأه الامام بالظفر ، ثم أركبه المظفر بغلته وسار به الى تعز حيث أكرمه في معتقله وزوجه بأبنته حتى توفي سنة ٦٨٣ هـ .

ولقد سجّل تلك المكرمة ، وذلك الموقف الفروسي بعض الشعراء المعاصرين للملك المظفر والامام ابراهيم بن تاج ومن أحسن ما قيل في ذلك قول الشاعر الكبير الآتي ذكره القاسم بن هتيمل المتوفي سنة ٦٩٦ هـ من قصيدة طويلة في المظفر :

حَفُوا بِسَيْدِهِمْ فَلَمَّا أَيْقَنُوا	بالموت طاروا عنه كل مطار
صَبَّوْا السَّيَاطَ عَلَى قَوَارِحِ خَيْلِهِمْ	هرباً من المهرات والأمهار
فَكَأَنَّهُمْ شَهَبُ الْبُرْزَةِ تَبَلَّلَتْ	بالغيث فانقضت إلى الأوكار
فَنَجَّوْا وَ« اِبْرَاهِيمَ » يَأْمُرُ نَفْسَهُ	بالكر لا بالفرّ خوف العار
حَتَّى إِذَا أَحْمَى الْوَطَيْسَ وَاحْصَرَتْ	عنه السوابق أيما احصار
حَمَلْتَهُ مَرَّةً رَوْحَهُ مَتَحَصَّنَا	في الحصن لا متخفياً في الغار
لَمْ يَلْقَ مِنْ يَلُوبِي عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَجِدْ	أحداً يقاتل من وراء جدار
وَإِذَا الصَّفَاحُ الْبَيْضُ لَمْ تَمْنَعْ بِهَا	لم يُمتنع بصفائح الاحجار
فَأَسْرَتُهُ مُسْتَبْسَلًا ، وَحَفِظْتَهُ	شرفاً بأفضل حيطة وجوار
وَأَخُو الصَّبَابَةِ مَا عَلَيْهِ غَضَابَةٌ	في الصبر إن لطمته ذات سوار !
أَحْيَيْتَهُ بِالْعَفْوِ ثُمَّ لَقَيْتَهُ	ببشاشة وسكينة ووقار
وَوَهَبْتَهُ دَمَهُ بِجَاهِ « مُحَمَّدٍ »	ورضى « علي » و « جعفر » الطيار
وَلَوْ أَنَّ غَيْرَكَ يَا « مَظْفَرَ » صَادَهُ	لكساه ثوبيّ ذلّة وصغار

\*\*\*

ولقد كان « ابن هتيمل » وهو المعروف بمحبته لأهل البيت كما سنرى في ترجمته لطيفاً ألمعياً عندما مجد عفو « المظفر » وثبات « الامام » والتذكير بقرباته

من الرسول الكريم و « عليّ » و « جعفر الطيّار » وجميل من الملك المظفر أن يأنس الى ذلك وان يطرب له بل وأن يزوّج الامام الأسير بابتته .

عناصر مسرحية شعرية :

ان في معركة « أفق » بجهران والتي نشبت بين جيشين يمنيّين كبيرين أحدهما يقوده الامام الشاعر إبراهيم بن تاج الدين والآخر يقوده الملك الغشمشم المظفر الرسولي ؛ وفي ما رواه المؤرخون من أحداث تلك المعركة الحاسمة ، وتمزّق جيش ابن تاج الدين وثباته وتفضيله للأسر على الفرار كما صنع قبله أبوفراس ؛ ثم في الموقف الشهم النبيل الذي وقفه منه الملك المنتصر المظفر ؛ وكيف هنا الملك الامام بالسلامة ، وكيف هنا الامام الملك بالنصر . . ثم في وقفة شاعر الملك المنتصر القاسم بن هتيمل وتصويره الشعري الرائع للمعركة وتصافح الخصمين ، وشهامة الظافر وشجاعة المنهزم ، وفي تزويج المظفر للامام بقرة عينه ابنته ، وفي تواجد المهاليك من بقايا جيش السلطان « طغتكين » الأيوبي وتأثيرهم على سير المعركة ، وفي وصف الشاعر الامام لها ولموقفه منها في كل ذلك ما يوحى للأديب والشاعر بأجمل وأروع المعاني ، وهي من الصفحات الناصعة في تاريخ اليمن الأدبي والسياسي وحدّ بها الملك المظفر اليمن شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وجديرة بأن تكون مصدر إلهام لمسرحية شعرية بديعة الفصول .

وقد أشار إلى موقف الملك الشهم الامام ابراهيم في قصيدة طويلة فقال :

حتى إذا جاء من خلفي ومن قبلي	عساكر حملوا الانصاف والقطعا
وامسكوا السيف من خلفي مغادرة	والرمح قد أمسكوه والجواد معا . .
وكننت في موقف مستصعب حرج	لم ألق فيه لسعي الطرف متسعا
ثم انتهيتُ إلى سوح به ملك	يحل بيتاً من العلياء مرتفعا . .
فجاد بالعفو ؛ والاحسان شيمته	ولم يزل للعلى والجود مصطنعا

\*\*\*

شهامته الاسلامية وعدله

وكان المظفر ذا عواطف إسلامية صادقة ، وقد ذكر المؤرخون انه كان له في مصر خمسمائة فارس يجاهدون مع اخوانهم المصريين الافرنج ، وكان

يحمل نفقاتها وعددها وعتادها من اليمن غير ما كان يحمله لسلاطينها من أصناف الهدايا والتحف ؛ ولما حج سنة ٥٦٩ هـ بعد أن هزم الجيش المصري المسلم المغول والتتار والصليبيين المتحالفين في « عين جالوت » ، طلعت أعلامه وأعلام صاحب مصر وكان بمعيته الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الامام عبد الله بن حمزة فقال للمظفر هلاً أطعلت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين ؟ فقال المظفر أتراني أوخر أعلام ملك كسر التبر بالأمس ، وأقدم أعلامي لأجل حضوري ؟! وقد ختم الخزرجي الحديث عنه في كتابه بقوله : « وكان محباً للرعية ومحسناً إليهم ، لا يكلفهم فوق ما يطيقونه ، وإذا شكوا أهل جهة من عامل من العمال ، أو كاتب من الكتاب عزله عنهم ، ولا يعيده إلى تلك الجهة أبداً خوفاً من غائلته عليهم ، وكان إذا ازدادت جهة في الخراج على المعتاد ، أو نقصت سأل عن سبب الزيادة والنقصان ، فان كانت الزيادة من بدعة ابتدعها العامل أو النقصان لخراب في الجهة أدب العامل أدباً بليغاً ، وصادره وترك استعماله البتة ، وكان يأمر الولاة والموظفين بالعدل في الرعية ، وتبجيل العلماء .

#### من آثار المظفر الأدبية

لا يستطيع مؤرّخ الأدب أن يجزم أو يقطع برأي فيما يروى للملوك والسلاطين والخلفاء من شعر أو رسائل أو نثر فني ، ويحكم انها من تأليفهم وإنشائهم ، ولا سيما من بعد القرن الرابع الهجري ، فنحن نعرف أن معظم تلك الرسائل والأشعار كان مما يقوله الشعراء والكتاب على ألسنتهم ! اللهم إلا تلك الخطب التي رواها الثقة عنهم وسمعها الناس من أفواههم وهم يزمجرون بها على المنابر ، أو في ميادين القتال وساحات المعارك ، أو من عرفنا من سيرهم أنهم كانوا من العلماء والأدباء قبل أن يكونوا حكّاماً .

ومع ذلك فقد يجوز أن بعض الرسائل والقصائد المنسوبة إلى أولئك الحكام العلماء الأدباء قد صاغه أيضاً كتابهم وشعراؤهم بتكليف منهم . وأنا أعرف ذلك بالمشاهدة والممارسة فقد عاصرت في وطني باليمن حكّاماً لا يستعصي عليهم الشعر ولا النثر ، وهم من الخطباء الفطاحل وكانوا يكلفون أحياناً من ينوب عنهم في التعزية بفقيد شعرا ، أو بالجواب على رسالة نثرا ، وينسبونه إلى أنفسهم .

ومن مَرَن على دراسة الأساليب ، وعاشر فطاحل الحكام ، ودرس بامعان ما يروى عنهم ، ويُنسب إليهم ، وكان قد تَمَكَّن مجالسةً ودراسةً من سبر أغوار شخصياتهم ، يستطيع بذوق خاص لا أجد له وصفاً ، أن يميِّز بين ما هو من كلام الملوك وما هو من إنشاء كتّابهم وشعرائهم ، فلم تصدر العبارة المشهورة « كلام الملوك ملوك الكلام » من فراغ ولم يقلها من قالها اعتباطاً !

وحكام اليمن عبر العصور أكثرهم علماء وأدباء وشعراء ومؤلفون ؛ وقل أن يتمكن من حُكْم اليمن طويلاً فه بليد لا يجيد الكلام ، ولا يحسن الحوار ، ولا يعرف : « قال الله » و« قال الرسول » ، و« قال الشاعر » !

ولقد عرفنا عن « المظفر » انه كان فقيهاً عالماً خطيباً ، آخذاً من كل فن بطرف ، ونقلنا ما قال معلمه : إنه كان ينسخ كل يوم آية من القرآن ويكتب تفسيرها ، ويحفظ كل ذلك عن ظهر قلب ، ولقد ظل وعاش في السلطة حوالي نصف قرن وهذا يعني انه كتب القرآن وعدداً من تفاسيره بخطه عدّة مرات ، وأنه قد جَوَّده واتقنه قراءة وحفظاً وتفسيراً ، ومن الطبيعي أن من يداوم على ذلك خمسين عاماً لا بد أن يصقل لسانه وبيانه وعقله وقلمه بصبغة قرآنية ، ويتأثر أسلوبه الخطابي أو الكتابي بها ، تعبيراً واستشهاداً ، وأحسب أن هذا هو الذي جعل الامام الزيدي المطهر بن يحيى يقول عندما بلغه موت المظفر : « مات الذي كانت أقلامه تكسر رماحنا » .

وقد وطأت بهذا البيان لما أريد أن أجزم به وأدعيه ، من أن الرسالة التي وجهها « الملك المظفر » إلى أهل « الدملوة » عندما حاصرها وفيها إخوانه من أبيه ، وأمهم زوجة والده الملك عمر نور الدين ، كانت من إنشاء المظفر نفسه لما فيها من كثرة شواهد قرآنية ، ولنفسها الملوكي ، وقد أورد الرسالة المؤرخ الأمير محمد بن حاتم ، ولم ينسبها الى كاتب أو شاعر كما تعود أن يفعل ؛ بل قال : « ثم أن مولانا السلطان الملك المظفر أنشأ كتاباً إلى أهل الدملوة المقيمين بها ، المنضمين إلى حزب « الملك المفضل » وأهله يزرهم ويعظهم ، ويدعوهم إلى الطاعة ، ويحذرهم الإصرار على الخلاف وهذه نسخته » وهذه الرسالة التي تعرب عن قوّة ملكة المظفر البيانية ، ونصاعة لغته ، تعطينا أيضاً صورة عن النثر الفني في عهده ، وصناعة الانشاء والأساليب الكتابية ، وهذا هو نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من بالدملوة أيقظ الله بصائرهم من نوم ضلالهم ، وفاء بهم إلى كنف أهل الرشد وظلالهم ؛ من المبتهل إلى الله تعالى في صلاح رعيته وسلامة أموالهم وحقن دمائهم ، وصون خزائنتهم وإمامهم ، يوسف . أما بعد فانكم صرتم تبعاً للشيطان فيما أمركم ونبذتم طاعة الرحمن في ما نهاكم عنه وزجركم . وتقلدتم سيف البغي . ومن سلّه قتل به في كل نادٍ وحي . ونشرت لواء الغدر ومن نشره فليس من الله في شيء . فهلا تعوذتم بالله من التعلّق بلولا ولو؟! وقهقرتم عن أهوائكم الظّانة بالله ظنّ السوء . ولم تجعلوا خلاف الشرع لكم معيناً . ولا اتخذتم من يعركم ويخدعكم أميناً . ومن يكن الشيطان له قريناً فسا قريناً . أتظنون أن القضاء راجع إليكم ؟ وأن الحول والقوة بأيديكم ؟ وأن أمر الله لا ينصرف إلى ناديكم ؟ وأن حصنكم الذي لا يغني عنكم من الله شيئاً هو الذي يُنجيكم ؟ وأن كل ما تتالونه من الزخارف الباطلة هو الذي يمينكم ؟ وما أنتم ممن أحاط بكل شيء علماً . ولا ممن اختصّ به واستودعه اسماً . بل أنتم ممن قال فيهم ﴿ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزِدَادُوا إِثْمًا ﴾ . لقد أظهرتم في الأرض الفساد . وأنزلتم أتباع البغي والفساد . وعصيتهم في مخالفتكم من أجمع على طاعته الجمهور من العباد . ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ . كذبكم الشيطان في ما سؤل لكم وأملى لكم . وزين لكم أقوالكم المبهرجة وأعمالكم . فصرتم تبغون في الأرض فساداً ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . وتخونون طائفة الحق ﴿ وَأَنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوَّاسِينَ ﴾ وتسفكون الدماء بغير حق . وتعطون الطاعة غير مستحق / حملكم الله الحسد على قطع أيانكم بأيانكم . وأفسدتم بالطبيعة صحيح إيانكم . ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . وبارزتم بالمحاربة من له تظلمون . ونسيتم قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ الآية . أشبهتم اليوم في انقضاضها من الجؤوسط الفلا . وتفرون فرار الأبق عن حضور الملأ . ولا تثقون عند الزحف لملاقاة الأحزاب . ولا تشنون العنان للعتاب . فإن أصبتم جيفة وقعتم عليها وأنتم جائعون . وإن أصيب منكم قلتم ﴿ إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ . أمركم الله بأمر فاتبعتم خلافه .



وطمعتم في ما لم يُقدَّر لكم فأعقبكم آفة . فهلاً تأسيتم بمن كان قبلكم فما  
 زيد والخلافة ؟ فإنكم لم تُحكِّموا الأمور ولا سلِّمتم للبعثين بل ركبتهم  
 أهواءكم . واستحسنتم أراكم . ولم تفيديوا بمن حنكته التجارب . وسددتم  
 بنسج العنكبوت سدَّ مأرب . وليست يد الخرقاء مثل يد الصنَّاع إليه  
 يا بئس ! قادتكم امرأة وليست كبلقيس . وملكت أمركم بالباطل  
 والتدليس . وغلبت عليكم وما هي إلا من حبائل إبليس . لئمكنن الله من  
 نواصيكم . وليأخذن دانيكم بقاصيكم . ولنهلكن طائعتكم بعاصيكم .  
 ولترجعن نادمين ولتقلبن خاسرين . ولتعلمن أن الله بالمرصاد . ولتقرون آية  
 من آخر صاد . فهلاً سمعتم قوله تعالى حيث قال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ  
 فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ؟ أمركم أن تأخذوا بأقواله وتنتهوا عن مخالفة  
 أفعاله . حيث وقد قال عليه السلام . إذا بويح لخليفتي فاقتلوا الآخر  
 منها . أما إنه ما أبيت أمة حتى أندرها . ولا أهلكت قرية حتى حذرها .  
 وقد أعدرنا إليكم . وأقمنا حجة الله عليكم . فإنه يقول ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى  
 عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ فأبيتهم إلا طغياناً وكفراً .  
 وخداعاً ومكراً . فلا بُدُّ لنا عليكم من يوم كيوم يوشع بن نون . إلى أن تقولوا  
 ما قال يونس في بطن النون .

فلقد ذهبت أيامكم سُدى وأنفقتم أعماركم في انقيادكم لمن أوقعكم في  
 الردي . ووعدتم وعداً يحول بينكم وبينه وقع المشرفيات ، ويعديكم منه وخز  
 الخطيات . فإن أنتم رجعتن إلينا قبلناكم . وأحللناكم المحل الذي ترضونه  
 وما خالفناكم . وإن كانت الأخرى فنحن نُشهد الله الذي لا إله إلا هو  
 عليكم بتغلبكم علينا . ومبادرتكم بالقبيح إلينا . والحق يعلو وإن قل .  
 وإذا نما الباطل اضمحل . ولئن قال لكم الشيطان : إني معكم .  
 فسيقول : إني بريء منكم . وتطلبون الدمام فلا تُعطونه . وتسألونه الأمان  
 فلا تلقونه . فانظروا لأنفسكم قبل التحام الضغائن . واشتباك الفتن .  
 ووقوع ما هو كائن . وتداركوا التثام المودة والقرابة وإثبات نظم الذي تقدَّمنا  
 إليه الصحابة - رضي الله عنهم ولكم الخيار في أحد القولين . والأخذ بأحد  
 السبيين . والله ليس بغافل عما تعملون ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ  
 يَنْقَلِبُونَ ﴾ . أعاننا الله على ردع الباغين والمعتدين . وقطع بسيوفنا دابر  
 المفسدين وقوى عزيمتنا لاصلاح يوم الدين . والسلام على من اتبع

الهدى . [السمط ص : ٢٩١ - ٢٩٤] .

### عهد المظفر لولده الأشرف

ويستطيع مؤرخ الأدب وناقذ الأساليب الانشائية أن يحكم بأن عهد « المظفر » لأبنة عمر الأشرف ليس من انشائه لا شعراً ولا نثراً وأن أحد كتّاب ديوانه قد صاغه وألفه ، وربما أن ديباجته كانت مما أملاه « المظفر » الذي كان قد سُم « السلطنة » ومُل « الحكم » وأراد أن يخلد إلى كتبه في قصره بثعبات بعد أن جاوز الرابعة والسبعين ؛ ولقد كان ذلك التصرف من « المظفر » دليلاً على حكمته ومعرفته بخبايا النفسية اليمينية ؛ فهو يريد أن يرى الأمن والأستقرار يسودان البلاد تحت حكم أحد أولاده ، وهو لا يزال على قيد الحياة ، تساعد خلفه هيئة خمسين عاماً حافلة بشتى التجارب والعبر ، وهذا هو نص عهد تنصيب ابنه ملكاً على اليمن : والذي بعثه إلى كل مشايخ اليمن ورجال الحل والعقد من أبنائها :

أما بعد فقد ملكنا عليكم من لا نؤثر فيه والله داعي التقريب . على باعث التجريب . ولا عاجل التخصيص على أجل التمحيص . ولا ملازمة الهوى والايثار . على مداومة البلوى والاختبار . وهو سليلنا الخطير . وشهابنا المنير . وذخيرتنا الذي وقف على المراد . ونصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد . ونؤمل فيه من الله الفوز والنجاة في المعاد . وقد رسمنا له من وجوه الذب والحماية . ومعالم الرفق والرعاية . ما قد التزم بوفاء عهده . والمسئول في اعانتته من لا عون إلا من عنده . ولن يعرفكم من حميد خصاله . وسديد فعاله . إلا بما قد بدا للعيان . وزكاً مع الامتحان . وفشاً من قبلكم في كل لسان .

وشهدتم به وشاهدتموه  
من حناديس ظلمة شملتكم  
سيفه مغممٌ عليكم ومسلو  
لم يزل منذ حل من جيده الطو  
همه ما ترون من شيد ملك  
وهدتم عقباه في كل أمر  
كان في كشفها لكم ضوء فجر  
ل على كل من رماكم بنكر  
ق حليفاً لكل حمد وشكر  
عَدَملي يَبْنِيه أو سد ثغر

وقد حددنا له أن يكون بكم رؤوفاً رحيماً . جواداً كريماً . وما أطعتموه على المراد . مطاوعة الانقياد . فاما من شق العصا . وخرج عن الطاعة

وعصى فهو يقص منه ولو متَّ إليه بالرحم الدنيا فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في كل حال ، يكن لكم بالبر خير ملك ووال . فانضاف الأمر والنهي والحل والعقد ، والبسط والقبض ، في البر والبحر ، والأقاليم والسواحل والأمصار ، والحصون والثغور وتدبير الحرب والسلام ، وتجهيز العساكر والجنود إلى السلطان الملك الأشرف ولم يفزع إلى أبيه إلا في جلائل الأمور ، من غير وهن منه ولا عجز ولا خور . وكان ذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وتسعين وستمئة المذكورة .

قال « الخزرجي » :

ولما تولى أمور المملكة كما ذكرنا سكن حصن تعزَّ وسكن الخليفة ثعبات . وحينئذٍ توجه الملك المؤيد رحمه الله نحو الشحر وحضرموت ونفسه غير طيبة لما خصَّ به أخوه الملك الأشرف من المملكة دونهُ وكانت معه عمته الملكة الشمسية وكانت تحبه حباً كثيراً . ثم توفي السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول . وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة سنة أربع وتسعين وستمئة . وهو يومئذٍ على ما قيل ابن أربع وسبعين سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوماً وعشر ساعات . وكان ملكه ستاً وأربعين سنة وهو الذي عناه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بقوله في ملحمة تخص أهل اليمن : « ثم يملك الملك المظفر فيسوسهم ثلاثين وسبعة عشر » .

وكان الخليفة ملكاً كريماً جواداً حليماً بذلاً للأموال خاصة في الحروب وأعطى من السياسة وتدبير الملك ما لم يعط غيره من الملوك . ولما توفي قال الامام مطهر بن يحيى حين أتاه : مات التبع الأكبر . مات معاوية الزمان . مات من كانت أقلامه تكسر سيوفنا ورماحنا . [عقود : ج - ١ - ص : ٢٣١ - ٢٣٢] .

## مآثره وأولاده

وقد عدَّد مؤلف « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، مآثره ومن خلف من الأولاد المذكور فقال : « وكان للمظفر من الآثار الحسنة ما هو مشاهد إلى الآن ؛ فمن ذلك المدرسة التي أنشأها في « مغربة » تعز المعروفة

بالمظفرية جعل فيها مدرساً ومُعيداً وعشرة من الطلبة ورتب فيها إماماً ومؤذناً ومعلماً وعشرة أيتام يتعلمون القرآن وقيماً ووقف عليها ما يقوم بكفاية الجميع منهم . وابتنى مسجداً في مغربة تعز يعرف في وقتنا هذا بالمسجد الجديد ورتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذنين وقيمين ووقف عليه ما يقوم بكفائتهم الجميع . وله دار الضيف بذي عُدينة أيضاً . وابتنى الخانقة التي في مدينة حيس ورتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن . وجعل طعاماً للواردين في كل يوم مداً من الحب بمد أهل اليمن يزيد على حمل الجمل الضخم الشديد خارجاً عن اللحم والتمر . ووقف ويقال ان وقف الخانقة المذكورة التي في مدينة حيس في كل سنة من الطعام . ومن مآثره الجامع المظفري الذي في مدينة المهجم رتب فيه مدرساً ودرسة وإماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً ووقف عليهم ووقف بكفائتهم . ومن مآثره أيضاً الجامع في واسط المحالب ورتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً ووقف عليهم ما يقوم بكفائتهم . وابتنى مدرسة في ظفار الجبوضي وأوقف عليها ما يقوم بكفاية المرتين فيها . وابتنى خادمه بدر المظفري في مدينة زبيد مدرسة للفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ومدرسة لأصحاب الحديث ومدرسة لقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع ودار مضيف ورتب في مدرسة الفقه ومدرسة القراء ودار المضيف في كل موضع إماماً ومؤذناً وقيماً ووقف على الجميع ما يقوم بكفائتهم .

وكانت دولة الخليفة رحمه الله تعالى أقرب إلى العدل والرفاة وكان يجالس العلماء والصالحين . وكان رحمه الله مشتغلاً بالعلم أخذ من كل فن بنصيب وظهر له من الولد سبعة عشر ذكراً مات أكثرهم في سن الطفولة وعاش منهم بعد وفاته خمسة رجال وهم : عمر الأشرف . وداوود المؤيد . وإبراهيم الواثق . وحسن المسعود . وأبو المنصور . وكلهم ولي ملكاً وخطب له على المنابر وضربت السكة على اسمه إلا المسعود فانه لم يتصل بشيء من ذلك . وكان وزيره القاضي بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني . ومدحه عدّة من الشعراء الفصحاء المشهورين منهم الشاعر المشهور محمد بن حمير وكان أوجد عصره أدرك صدرأ من دولته وله فيه غرر المدائح في أيام امارته وأيام خلافته . وهو القائل يهنئه في أيام امارته وقد أقطعه والده رمع وظهر له يومئذ ولده الملك الاشرف فقال يهنئه :

هنيت بالولد الميمون والبلد  
 في غرةِ البدرِ في عمرِ الشوامخِ في  
 أعيذه بعد أسماء الآله بقل  
 من العيون ومن ريب المنون ومن  
 ولا يرحت سعيداً مدةً الأبد  
 سعادة المشتري في جبهة الأسد  
 وقل وقل وبحمد الواحد الصمد  
 رقص المتون ومن نقاة العقد  
 [ج - ١ - ص : ٢٣٣ - ٢٣٥] .

## أئمة العهد المظفري

لم يخل العهد المظفري من قيام أئمة جهاد واجتهاد لهم في تاريخ اليمن السياسي والعلمي والأدبي آثار مشهورة ؛ وهم وإن كانت دعواتهم لم تظهر إلا بعد استشهاد الامام أحمد بن الحسين عام ٦٥٦ هـ الذي تنتهي بتصرمه فترة ما أُوْرِّخ له من آداب اليمن ؛ فانهم يُعدون علمياً وأدبياً من رجال تلك الفترة . . فلا يجوز أن نتجاوزهم لأن وفياتهم قد تأخرت فان المظفر نفسه لم يوافه الأجل إلا عام ٦٩٤ هـ وكذلك الشاعر الكبير القاسم ابن هُتيميل قد عاش سنوات بعد المظفر ومع ذلك فقد اعتبرناهما من أقطاب وأعيان هذه الفترة العباسية التي نُوْرِّخ لها علمياً وأدبياً .  
 وأئمة هذا العهد بعد الامام أحمد بن الحسن أربعة أولهم :

### ١ - الامام المنصور الحسن بن بدر الدين [٥٩٦ - ٦٧٠]

نسبه :

هو الحسن بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله ابن محمد بن القاسم بن الامام الناصر أحمد بن الامام الهادي يحيى بن الحسين أول أئمة اليمن .

### ولادته ونشأته

ولد في سنة ٥٩٦ هـ في هجرة « رغافة » ونشأ بها ومن مشايخه الامام عبد الله ابن حمزة الشيخ علي بن يحيى عطية وأخوه الأمير الكبير الحسين بن بدر الدين مؤلف « شفاء الاوام » .

## مؤلفاته وآثاره

يعد الامام الحسن بن بدر الدين من اكابر علماء اليمن ، وشعراء أئمتهم المجيدين ومن مؤلفاته كتاب « أنوار اليقين » في « فضائل أمير المؤمنين » وسيد الوصيين ، وهو شرح على أرجوزة له طويلة ، ويقول المؤرخ محمد زبارة انه في مجلد ضخمة « وفيه جملة من مسائل أصول الدين ، وذكر فيه الدعاة من العترة إلى زمنه وأول الأرجوزة :

الحمد للمهيمن القهار  
ومنشئ السحاب والأمطار  
ثم صلاة الله خصت أحدا  
وفاطماً ، وابنيهما سم العدى  
مكور الليل على النهار ،  
على جميع النعم الغزار ؛  
أبا البتول ، وأخاه السيدا  
وآلهم سفن النجاة والهدى

وقال في آخر المنظومة :

فهذه أرجوزة الأنوار  
قد فصلت بالآي والآثار  
فأي ريب بعد هذا يوجد  
والأنبياء قبلنا قد حسدوا ،  
صلى عليه منشئ السحاب  
وآله الشم ذوى الأحساب  
كأنها غزالة النهار ،  
وعقد إجماع بني المختار ،  
لا ريب ؛ لولا بغضة وحسد ،  
وأى نقص وأبونا أحمد ،  
من مرسل مكرم الأنساب ،  
ينابع الحكمة والصواب

ويقول الحبشي ان من كتاب الأنوار نسخة كتبت سنة ١٠٦٠هـ في ٢٨٣ ورقة في مكتبة جامع صنعاء برقم : ٣٣ علم الكلام وأخرى مخطوطة سنة ٩٧٩ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٦٨ ولم يذكر ذلك الدكتور العمري في مصادره .

وفي فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء يقول مؤلفاه ان للامام الحسن بن بدر الدين « الأرجوزة البليغة ، والكلمة الفاتحة الفصيحة ، في المجموع رقم ٢٠ : ٢٩٦ - ٣٢١ ، ولا أدري هل هذه الأرجوزة هي نفس أرجوزة « الأنوار » أم غيرها ؟ ويقول المؤلفان للفهرس أيضاً ان نسخة من كتاب « أنوار اليقين في إمامة أمير المؤمنين » كتبت سنة ٩٨٧هـ في ١٩١ ورقة رقمها - ١ - سيرة في نفس المكتبة وكذلك كتاب العقد الثمين في معرفة رب العالمين في المجموع رقم : ١٩٣ : ١٥١ - ١٦٠ .

ويقول الحبشي ان من آثاره : الجواب على اعتراضات وردت عليه ومنه نسخة ضمن مجموعة بمكتبة الجامع « الكتب المصادرة » ، وقال ان له كتاب دعوته بين فيه أسباب ميله إلى بني رسول ومصالحتهم وهو وثيقة سياسية مهمة حول العلاقات بين الأئمة وسلاطين بني رسول فرغ منه سنة ٦٦٨ هـ [حكام اليمن ص : ١٠٨ - ١٠٩ - ] .

## دعوته وحوادث أعوام إمامته

يقول السيد المؤرخ محمد بن محمد زيارة

كانت دعوته في ٢٥ شوال سنة ٦٥٧ سبع وخمسين وستائة في هجرة رغبة بجهات صعدة فكان أجل من تابعه من أكابر اعلام عصره القاضي الحافظ الشهير عبد الله بن زيد العنسي والقاضي محمد بن معرف وغيرهما من الاعلام وبث دعوته إلى البلدان وأقام الجمع ونصب الولاية والحكام وهو من محرزي شروط المذهب الزيدي في الامام الأعظم ومال عن اجابته فقهاء بلاد الظاهر ، فسار إلى تهامة فثاقل أهلها عن نصرته وأجابه أهل بلاد المغرب وجبالها ، فسار إلى المصانع وجاهد فيها ووصل إليه بعض علماء في جهتها ثم خذله أهل المغرب ، فرجع إلى بلاد الشام بجهات صعدة ، ومن جواب له على بعض اعلام عصره قوله . . .

وقد علم الناس أنا بعد نشر دعوتنا لم نبين البيوت ولم نؤثر السكوت بل صدعنا بالحق ودعونا الناس إلى الصدق وفارقنا الأهل والأولاد والأحباب وخرجنا إلى الثغور لسدها ، وتقدمنا على الفور إلى تهامة ثم عدنا إلى المراكز بنواحي صعدة ونهضنا إلى جهات المغرب ثم إلى عفار ، وما عابه الناس علينا كثرة الرفق والرأفة بالخلف في ابتداء الأمر ونحن نعلمكم أنا قائمون بمقام رسول الله صلى ﷺ ووجدنا نداء في دعائه إلى الدين باللطف واللين (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) إلى آخر رسالته (باللآلئ المضيئة) ومن شعره :

إن الأمور إذا اشتدت مواقعها	فان شدتها تدني إلى الفرج
امّا نظرت إلى ما قيل في حكم	من النبوة شدي أزم تنفرجي
وكل من سدت الدنيا مذاهبه	فما عليه إذا ما غم من حرج
لكنها حكم يقضي الحكيم بها	فاصبر عليها ولو سالت على المهج

ان الشدائد ما مرت على رجل  
وكلمها امتحنت ذا فتنة حجج  
إلا وكانت له في الدهر كالسرج  
كانت له حججاً ناهيك من حجج

وقال : صاحب البسامة

ولم تمد باحسان إلى حسن  
كفا وقد رام منها كف كل جرى

واستمر على دعوته حتى مات في هجرة رغافة بالمحرم سنة ٦٧٠ سبعين  
وستمائة عن نحو أربع وستين سنة من مولده وعن اثنتي عشرة سنة من دعوته  
رضي الله عنه [أئمة ج - ١ - ص ١٧٨] .

### شعره

إذا كان الامام الحسن بن بدر الدين قد فشل سياسياً لأنه لم يبن البيوت ،  
وصدع بالحق ، وكان كثير الرفق والرافة ، كما ورد في رسالته ، وكانت يد  
الخطوظ الدنيوية لم تمدد إليه كف إحسانها ، التي لا تصافح إلا كَفَّ الغشوم  
الجبار كما قال صاحب البسامة ؛ فقد تفوق علماً وأدباً وشعراً على أعلام  
عصره ومن شعره البديع

سقياً ورعياً لدارهم ورعى  
يا دار حور العيون ما صنعت  
إذا سقى الله منزلاً ورعى !  
أجابنا باللوى ، وما صنعا ؟  
أرقني بعد بينهم وهناً  
مثل حواشي الرداء ما هجعت  
برق على عقر دارهم لمعا  
عيني له موهنأ وما هجعا ؛  
« قطابر » بعد ذا وذاك معا ! ؟  
صير ملتفت قلبه قطعاً ؟  
أرربة الخال ؛ ما أرى كلفي  
لولاك يا رملة المحجّب ما  
ولا رأينا بحلة قمرا ،  
لي عنك شغل لو تعلمين بما  
هذا امام الزمان أحمد بالحق وأمر الآله قد صدعا  
ان قال فالدر لفظ منطقته  
أوصال فالليث حيثما صدعا  
الصادق السابق المقدم في المجد كما قيل في الذي سُمعا :  
« الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى ، وقد سمعا » .



طاب شهالاً ، وعنصراً وزكى  
 الواهب الجرد في أعنتها  
 حيث ترى الطير وهي راتعة  
 يا سيد المسلمين كلهم  
 أحييت ميتاً من الهدى حقياً ،  
 فأمعن الكفر بعده هرباً  
 وكننت كالنيرين ما طلعا ،  
 بل كنت كالليث حول أشبيله  
 لا أكذب الله انني رجل  
 العلم والفضل والشجاعة والرأي وفيض السباح والورعا  
 فرعاً وأصلاً فعدّ ممتنعاً !  
 والضارب الهام والطلا زمعا  
 دماً عبيطاً والنقع مرتفعاً  
 وخير من قام سابقاً ودعا  
 لولاك لم ينتعش ولا ارتفعاً  
 والفسق لا يلقيان منتجعاً  
 إلا وزال الظلام وانقشعا  
 والسيف ما إن هزرته قطعاً  
 وجدت فيك الكمال مجتمعا  
 والورعا

والقصيدة في مدح الامام أحمد بن الحسين قال راويها ابن أبي الرجال وهي  
 نيف وخمسون بيتاً ولكن هذا الذي ظفرت به منها . [ ج - ١ -  
 ص : ٣٩٥ - مطلع ] .

## ٢ - الامام يحيى السراجي [ت ٦٩٦ هـ]

أما ثاني الأئمة في العهد المظفري فهو الامام يحيى بن محمد بن محمد  
 السراجي من ذرية القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي  
 طالب رضي الله عنه وقد ترجمه زبارة في أئمة اليمن وذكر انه كان يحفظ من  
 الأحاديث النبوية عن ظهر قلب نحو ستين ألف حديث سمعها عنه السيد  
 الحافظ عبد الله بن يحيى بن المهدي وروى عنه ابن أخته الامام الكبير يحيى  
 بن حمزة وغيرهم .

وقد دعا إلى نفسه بعد قيام الامام الحسن بن بدر الدين بستين كأنه كان  
 قد لمس ضعفاً في دعوته ، ورأى خذلان الناس له ، فأعلن دعوته في بلاد  
 مسور سنة ٦٥٩ هـ وجرت بينه وبين الأمير سنجر الشعبي عامل الملك المظفر  
 على صنعاء عدة معارك وقد انتهى أمره كما يقول « الجندي » إلى أن حسده  
 الأشراف ؛ ثم بذل « سنجر » أمير صنعاء مالا كثيراً « لبني فاهم » في حصن  
 يناع ببلاد حضور فغدروا به والقوا عليه القبض وسلموه إلى الوالي « سنجر »  
 الذي حبسه أياماً ثم سمل عينيه بسنارة حماء وكان تكحيله بالنار سنة

٦٦٠ هـ وبقي بعد ذلك يدرّس بصنعاء من حفظه إلى أن توفي بعد وفاة المظفر  
بعامين سنة ٦٩٦ هـ .

وكان بارعاً في شتى العلوم ، وله شعر جزل ومن ذلك مرثاته الطويلة في  
السيدتين الأميرين الأخوين بدر الدين محمد بن وهّاس وعلم الدين علي  
بن وهّاس بن أبي هاشم ومطلعها :

مصائب همت بالحادثات غائمه  
ورزء أصاب المسلمين بأسرهم ،  
بصنوين من آل النبي وحيدر  
فهذا على العافين فاضت مكارمه  
فقل للمنايا بعد قتل محمد  
أصيب العلا والجود والعلم والتقى  
فان يك بدر الدين أصبح ثاوباً  
وخطب جرت بالمعضلات عظائمه  
وهُدّت من المجد الأثيل دعائمه  
نوالهما قد طبق الأرض ساجمه  
وهذا لخصم في الجدال يقاومه  
وهلك علي : أنفذ الحكم حاكمه  
وأصبح ركن المجد وهنا عزائمه  
فما دُفنت أفحاله ومكارمه

إلى أن يقول وقد أجاد :

وقائلة عاد الرجال ولم يعد  
وأقبل أهلوه فألفوه غائباً  
فقلت لهم إن المنايا شوأخص  
إلى كل حي عن قريب تصادمه  
وهي طويلة [أئمة ج - ١ - ١٨٠ - ١٨٢] .

### ٣ - الامام إبراهيم بن تاج الدين [ت : ٦٨٣ هـ / ١٢٨٥ م]

أما الإمام الثالث في العهد المظفري فهو الامام المهدي ابراهيم بن تاج  
الدين الذي سبق أن أشدنا بالموقف الشريف الذي وقفه معه الملك المظفر  
بعد انهزامة في معركة « أفق » ووقوعه أسيراً حتى مات .

وقد ترجمته في كتابي « شعراء اليمن في الجاهلية والاسلام » وذكرت أن  
دعوته كانت سنة ٦٧٠ هـ من حصن « ظفار الظاهر » وأنه زحف إلى  
« الرحبة » ولكن أهل تلك البلاد أحجموا عن إجابته خوفاً من الأمير  
التركياني « سنجر الشعبي » والي الملك المظفر على صنعاء الذي كان قد

أرهب الناس بعد ان سمل عيني الامام « السراجي » وعيون بعض أنصاره فانقل إلى « حضور » واشتبكت قواته مع القوات الرسولية في عدة وقعات وجبهات ، مما دعا الملك المظفر إلى الوصول بنفسه إلى صنعاء مع جيش جرار ومعدات كثيرة خرب أثناءها « المظفر » « حدة » و « سناع » وغور ينابيعها ، وقطع أشجارها وقد حصلت أثناء ذلك عدة معاهدات صلح سرعان ما كانت تنقض ولعب « الأشراف والحمزات » فيها أدواراً هامة .

وفي سنة ٦٧٤هـ خرج سنجر الشيعي من « صنعاء » إلى « ذمار » لقبض الحاصلات واستخلف على « صنعاء » « ابن الغلاب » ومعه المماليك « الأسديّة » وكان أحدهم مع « سنجر » فقتله أحد مماليكه وفرّ ، ولما علمت « المماليك الأسدية » بقتل صاحبهم ساءهم ذلك - وكانوا كما يقول المؤرخون قد أثروا وتمولوا واستطالوا - فقبضوا على نائب « سنجر » بصنعاء وكتبوا إلى الامام ابراهيم بن تاج الدين يطلبون وصوله للاستيلاء على « صنعاء » ومثلوا نفس الدور الذي كان يمثله سيدهم « أسد الدين الرسولي » مع الامامين عبد الله بن حمزة وأحمد بن الحسين ؛ فأرسل الامام الشريف علي بن عبد الله الحمزي في سبعة آلاف رجل ؛ ثم نهض بعده وبمعيته الأمير داوود بن الامام عبد الله بن حمزة وبقيه الأشراف الذي يعتبرون أخوالاً له لأن أمه هي ابنة الامام المنصور عبد الله أوبنت أخيه . ودخلوا « صنعاء » في موكب جليل ، وأدى صلاة الجمعة بجامعها الأكبر ورفع المؤذن صوته في النداء بحَيٍّ على خير العمل !

وكان قد استقرّ الرأي بينه وبين الأشراف على أن لا يستقروا في « صنعاء » بل يواصلون الزحف إلى « ذمار » للقضاء على « سنجر » ولكنهم ما إن استقروا في « صنعاء » حتى تقاعست همهم ومالوا إلى الدعة ؛ وقالوا أن الأمير علي بن عبد الله الحمزي دخل على الأمير داوود بن الامام المنصور للمشاورة وان الأمير داوود قال له : اني أراكم لما دخلتم « صنعاء » ملتم إلى الراحة ، وتزعمون انكم ستخرجون إلى « ذمار » واليمن الأسفل وتناجزون الملك المظفر ، وهذا الرأي فاسد ، ولعلها غرّتكم أقوال « المماليك الأسدية » الذين دعوكم ، ولو انهم سمعوا ريح السلطان لبان لكم دخيلة أمرهم ؛ ثم هل ورد إليكم أحد من همدان وسنحان ؟ والأصوب تقديم اخضاع القبائل المجاورة والمحدقة بصنعاء ، وترقب ما يأتي من السلطان المظفر فهو غير تارك

صنعاء وبلادها ، والرأي هو البقاء في صنعاء وغزو المخاليف القريبة منها  
واخضاعها ، ولا ندري هل كان الأمير داوود مخلصاً في هذه النصائح أم انه  
أراد عرقلة الامام وكان بينه وبين أصدقائه وحلفاء اخوانه « الحمزات » أمراء  
آل « حاتم » مراسلات ؟!

وعلى كل فقد كان زحف الامام من صنعاء في قوة من أتباعه نحو « ذمار »  
وكان الملك المظفر قد نهض من « تعز » على رأس قوة كبيرة ووصل « ذمار » ؛  
فلما وصل الامام ابراهيم إلى « مَعْبَر » وبلغه ان المظفر في طريقه إلى  
« صنعاء » انتقل إلى قرية « أفق » من بلاد « جهران » غربي « ذمار » .

وعندما التقى الجمعان التجأ الأمير داوود بن المنصور إلى اكمة هنالك ،  
والزم الامام ابراهيم بالتوقف في الحصن للبعد عن معترك القتال ، واقبلت  
عساكر المظفر مع سنجر الشعبي فقصدوا الاكمة التي فيها الأمير داوود  
وأصحابه فدافعوا عن أنفسهم وكافحوا ولم يخلصوا إلا بجهد عظيم ،  
وتفرقت جموع الأشراف الحمزات وفيهم أخوال الامام في الأودية والشعاب ،  
وأحاطت الجنود بالامام ، وقتلوا طائفة ممن ثبت معه منهم وزيره السيد أحمد  
بن محمد بن حاتم ، والقاضي اسماعيل بن عبد الله ابن أبي النجم واستمر  
القتال حتى تم أسر الامام وجماعة معه في نهار الجمعة نصف جمادى الأولى  
سنة ٦٧٤هـ وساروا بهم إلى المظفر فهنأه بالظفر ، وهنأه المظفر بالسلامة  
وعانقه وهش له وبش وأنسه وأكرمه ، وأركبه معه إلى تعز كما سبق أن شرحناه  
ونحن نتحدث عن مواقف الشهامة في حياة الملك المظفر [أئمة اليمن  
ج - ١ - ص : ١٩٠ - ١٩٤] .

ويقول الخزرجي : « ولم يزل في دار الأدب معزاً مكرماً يحمل إليه في كل  
يوم عشرة دنانير ملكية ، والطعام بكرة وعشية ، والكسوة له ولمن معه من  
حريم وخدم بقدر كفايتهم حتى لقد قال : لقد كان لنا في سلم السلطان  
غنى عن حربه ، وكتب على باب مجلسه :

هذي منازل سادة أجوادٍ ومحل جود شامل وأيادي  
قصر الخورنق والسدير مقصرٌ . . عنه وذو الشرفات من سنداد

ولم يزل على الأعزاز والأكرام في مجلسه إلى أن توفي سنة ٦٨٣هـ [عقود  
ص : ١٧١] .

## اعتراف الامام الشاعر :

وللامام المهدي ابراهيم بن تاج الدين رحمه الله قصيدة في حادثة أسرته وما كان من خذلان اخواله الأشراف الحمزات له ، وما قابله المظفر به وهي :

نوائب الدهر في أفعالها عجبٌ  
والدهر إن سرَّ يوماً في تصرفه  
وقد رمّتي صروف الدهر عن كذب  
فلم تجدي جباناً حين تطرقني  
بل صادفتني قويّ القلب إن طحنت  
ورب يوم يُغيّب الشمس قسطله  
صبرت فيه على البأساء محتسبا  
كيوم « حدة » والأبطال عابسة  
حتى إذا خان بعض الأهل موثقه  
أبدي شقاقاً وأخفي منه أعظمه ،  
فملت بالكره لا جنباً ، ولا جزعا ،  
ويوم « أفق » وقد جاء « المظفر » في  
فلم أجم من لقاء الأسد إذ نزلوا  
بل صلت فيهم على الآساد منتضياً  
وتحت سرجي وقاح حين أحفزها  
فما أطاقوا لقائي إذ دلفت لهم  
حتى إذ صرت مشغولاً بجمعهم  
نالوا بأيديهم رمحي على غرر  
ولم أجد عنهم مناءً ، ومتسعاً  
لكنهم رصدوا لي كل ناحية  
ولو يكون قتال القوم من جهة  
فان غلبت فما هذا بمبتدع  
وبعد ذلك جاؤوا بي الى ملك  
أبو الهزبر ، نقي العرض من دنس  
فكان منه من الاحسان ما شهدت  
فمن يبلغ عني كل من سكنت  
اني على خفض عيش في منازلها  
فلتشكروه فأني اليوم شاكره

والحرب لفظ ، ومعنى لفظه الحرب  
فعن قليل إذا ما سرّ ينقلب ،  
بأسهم ماضيات عندها العطب  
ولا جزوعاً لدى البأساء انتحب  
رحى الهياج فاني للرحى طنّب  
ما تنقضي الشمس حتى تنقضي القُضب  
لله إذ كان مثلي فيه يحتسب  
من الهزاهز « والشعبي » مضطرب  
وغره فضة السلطان والذهب  
وجاء بالغدر ، لا من حيث يُتسب  
إلا لإحياء ما جاءت به الكتب  
عساكر جلّها الأتراك والعرب  
ولا هربت مع الأبطال إذا هربوا !  
عزماً كعزم هزبر الغيل إذ يثب  
تخالها كوكبا في الجو ينقضب  
بعاسل كرشاء البئر يضطرب  
وجاء من خلف ظهري عسكر لجب  
فأمسكوه ، وسيفي بعده جذبوا  
فأحفز الطرف عنهم ثم أنقلب  
فحين حق اشتغالي عنهم وثبوا  
لكان للخلق في أفعالي العجب  
فكم بها ليل غلا بون قد غلبوا !  
له المفاخر ، والعلياء تكتسب ،  
وباذل المال ، لا زور ولا كذب  
بفعله فيه عجم الناس والعرب  
قلبي محبته ، أو بيتنا نسب ،  
لا يسكن الضيم في قلبي ولا التعب ،  
سراً وجهراً ، وهذا بعض ما يجب

إن هذه القصيدة صورة معبرة دافع فيها الامام المهزوم الفارس الشاعر عن نفسه دفاعاً مجيداً وسجّل لمن خانته وفرّ عنه ، وتركه للقتال اللوم والعتب بل وشواظاً من عار ، وما أروع اعترافه للملك المظفر بالاحسان بل ودعوة كل من بقي لديه ، أو في قلبه له من حبّ وود ، أو يرمى قرابةً نسب أن يشكر ذلك الملك العظيم على كرمه وحسن معاملته . وهكذا أخلاق العظام .

### سخرية لاذعة

كان الأئمة والأشراف الحمزات وغيرهم يعيبون على « الأيوبيين » والغزّ والرسوليين ومماليكهم وأمراء جيوشهم مظاهر ترف الحياة وبطرها ، ويتهمونهم بالخلاعة والمجون وممارسة المعاصي ، ومعاقرة الصهباء علناً ؛ ومجاهرة في مجالس دواوينهم ، ومقرّات قياداتهم ، وكانوا يشحنون بذلك أشعارهم وخطبهم ورسائلهم وكتبهم ، ويركزون عليه دعائياً وإعلامياً . ونحن نعرف أن مثل ذلك يوجد في كل زمان ومكان ! وكانت قد تسربت إلى اليمن مع « الأيوبيين » والمماليك بعض عادات لم يكن يألفها اليمنيون مثل مجالس الطرب والرقص المختلط وشرب الخمر في مجالس يحضرها أمراء الدولة . ويكون من أعدائهم إذ أخطأوا انهم كانوا في حالة سكر ونشوة ! وحدث أن نشبت حروب طاحنة بين الامام ابراهيم بن تاج الدين والأشراف الحمزات من جهة ، وقوات الملك المظفر المرابطة في « صنعاء » وما يصاحبها ومحيط بها من بلدان وقرى ، مما دفع الملك إلى النهوض بنفسه إلى « صنعاء » سنة ٦٧٢هـ وفي ذلك يقول الخزرجي : « وفي سنة اثنتين وسبعين دخل السلطان المظفر « صنعاء » وكان دخوله يوم الثامن عشر من المحرم فأقام بها ، ونهض الأشراف إلى حضور ، وأجلب معهم أهل « حضور » كافة ، وخطوا على « عييان » ، وأجهدوا من فيه ووقع الخطاب على تسليم « عييان » ، وسلامة من فيه من العسكر ، وقبض الأشراف الحصن ، ووصل عقيب ذلك أحمد بن جابر وشرع صلحاً بين الأشراف وبين السلطان خاصة ، ثم الامام وكافة الناس عموماً ، قال : « ثم جرد السلطان في شهر ربيع الأول عساكره المنصورة لقصد « بيت حنبص » فأخذه قهراً ، ووجد العسكر فيه خمراً كثيراً فكسروا أوعيته وأراقوه فقال الشاعر غازي بن المعمار :

ولما فتحنا بيت حنبص عنوةً      وجدنا بها الأدواح ملامى من الخمر  
وعند أمير المؤمنين عصابة      يهيمون بالبيض الحسان وبالسمر

فان تكن الأشراف تشربُ خفيةً وتُظهِر للناس التنسك في الجهر  
وتأخذ من خلع العذار نصيبها فأنى أمير المؤمنين ولا أدري!

وهي سخرية لاذعة لاشك ان « المظفر » قد طرب لها ، ووجدها فرصة  
للتشهير بالأشراف ورميهم بما يرمون به دولته ورجاله ومماليكه .

تدمير حدّه وسناع

قال الخزرجي : « وكان فتح « بيت حنبص » يوم الجمعة سلخ شهر ربيع  
الأول من السنة المذكورة ، ولما دخل العسكر السلطاني بيت حنبص كما ذكرنا  
انهزمت الأشراف من « حده » و « سناع » فأخربها السلطان خراباً شنيعاً  
وكانت فيها أشجار قديمة لها مقدار مائتي عام فما ترك فيها شيئاً ويقال ان  
شجرة لوز عقرت فوجد فيها لوح من رخام مكتوب فيه غرست سنة أربعين  
من الهجرة ، وأمر السلطان بعمارة الجبل المسمى قرن عنتر [عيان] وسماه  
ظفاراً » [ص ١٦٤ - ١٦٥ العقود] .

وقد ذكر المؤرخ الزبيدي يحيى بن الحسين في غاية الأمانى واقعة « بيت  
حنبص » وأخذها قهراً ، وقال : « وسار الامام من « حده » و « سناع »  
فأخربها المظفر خراباً مجحفاً ، وقطع أشجارها ، وأمر بعمارة الجبل المسمى  
قرن عنتر في جبل عيان فوق بيت زبطان » من جهة الجنوب وسماه « ظفاراً »  
[ص : ٤٥٧ ج - ١ - ] ولم يشر إلى حادثة « الخمر » وأبيات الشاعر  
الساخرة .

#### ٤ - الامام المطهر بن يحيى المرتضى

[٦١٤ - ٦٩٧ هـ / ١٢١٨ - ١٢٩٧ م]

ورابع الأئمة وآخرهم في « العهد المظفري » وخاتمهم في سفرنا هذا هو  
الامام المتوكل على الله المطهر بن يحيى بن المرتضى بن المطهر وينتمي نسبه  
إلى الامام الناصر أحمد ابن الامام الهادي يحيى بن الحسين وهو المعروف في  
كتب التاريخ والفقهاء بالامام المظلل بالغمام . لحادثة ذكرها زيارة في كتابه  
[ص : ١٩٥ - أئمة ج - ١ - ] .

وولد في شهر ربيع الأول سنة ٦١٤ هـ وأخذ عن القاضي محمد بن علي

ابن أبي الرجال ، والأمير الحسين بن محمد صاحب الشفا ، والشيخ ابراهيم بن علي الأكوخ والقاضي سليمان بن أحمد بن أبي الرجال ، وغيرهم ، حتى برع في علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو والمنطق وأصول الدين وغيرها .

وكان من أعيان أعوان الامام أحمد بن الحسين حتى استشهد ، ثم من أعلام أعوان الامام ابراهيم بن تاج الدين حتى وقع أسيراً في يد الملك المظفر فلما كان ذلك ولا بيبعة لأسير أو سجين لدى الفقهاء الزيديين ، كانت دعوة المظفر في شهر جمادى الأولى سنة ٦٧٤هـ .

وكان حكمه في إبان نشاط الملك المظفر ، وعلو شأنه ، إلا أنه استطاع التغلب على بعض نواحي الشمال والجوف ، واحتل صعدة سنة ٦٨٤هـ وقد دارت بينه وبين القوات الرسولية معارك كثيرة ، كان يحضرها بنفسه ، وكان شجاعاً جلدأ صبوراً زاهداً ، ويعد من أكابر أئمة اليمن جهاداً واجتهاداً ، وقد مال في سنة ٦٨٧هـ إلى المصالحة مع الرسوليين ، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة ٦٩٧هـ في حصن دروان بحجة .

### رسالة دعوته

قال المؤرخ السيد محمد زبارة : « وقد أجابته سادة العترة واعلامها وأفاضل أتباعها وبعث دعائه إلى البلاد اليمنية وبلاد الجبل والديلم ، وكانت إليه النهاية في الخصال الشريفة علماً وكرماً وورعاً وفضلاً .

وله دعوة منها كما في شرح « الزحيف » على البسامة قوله : « ولما رأيت أهل العصر قد ظهرت فيهم البدع ، ونزل فيهم الخوف واتسع ، وامتلأت قلوب المؤمنين بالجزع عقب أسر أمير المؤمنين إبراهيم بن أحمد سلام الله عليه وعلى آبائه الأكرمين خشيت استئصال شافة المسلمين بعلو كلمة الظالمين ، فشمرت لطلب القايم من أهل البيت عن ساق حين هدرت شقاشق الشقاق ، ونفقت في سوق البغي سلع الظلم والنفاق ، وأرجف الظالمون على المسلمين بإرعاد وإبراق وعدت للقائم بالاذعان مني مجتهداً ورضيت ان أكون ما بقيت من ورثة الكتاب مقصداً ، فلم أجد منهم قائماً بذلك أبداً ، وانضم إلى ذلك وجود الناصر من العترة الأكابر ، ومن شايعهم من ذوى النجدة والبصائر ، فتعينت الحجة حينئذ علي ، وانتهت نصرة الدين إلي ،



فاستخرت الله ، وفزعت إليه ، واستعنت به ، وتوكلت عليه ، ونشرت هذه الدعوة الجامعة لإنشاء الله غير الفارقة ، داعياً إلى ربي بالحكمة والموعظة الحسنة ، هاجراً في حماية الدين لذيد النوم والسنة (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) هلموا إلى العمل بالكتاب الكريم وسنة نبينا عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم ، اجيبوا داعيكم ، ولبوا مناديتكم ، واتبعوا هاديكم .

شيخ شري مهجته بالجنة وسن ما كان أبوه سنه  
ولم يزل علم الكتاب منه يقاتل الكفار والأظنة  
بالمشريات وبالأسنة

يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم .

وقال أبونا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من سمع داعينا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخرية في نار جهنم) .

فان اجبتموني حملتكم إن شاء الله على المحجة البيضاء لا أعدو بكم سنة جدي صلى الله عليه وآله وسلم قيد شعرة ولا أفارق إن شاء الله منهاج أبائي الكرام البررة ، ووجدتموني إن شاء الله تعالى عادلاً في الرعية ، قاسماً بالسوية على مطابقة الشريعة النبوية ، كافلاً لليتيم كفالة الأب الرحيم ، حائطاً لاراملكم حياط المولى الكريم ، متخذاً الكبير أخاً شقيقاً ، جاعلاً الصغير ولدأ شقيقاً ، لا أدخر من فيثكم لنفسي وفرأ ولا أستأثر دونكم ورقاً ولا تبرأ ، القريب عندي بعيد حتى يؤدي ما عليه ، والبعيد عندي قريب حتى يصل حقه إليه ، فلا تضربوا عن نصرتي صفحاً ، ولا تطوون دون اجابتي كشحاً ، (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) فلا تميلن بكم الأهواء ، ولا تتفرق بكم الآراء ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ، فان زيتتها تزول وتفنى ، ولا يخذعنكم زينتها فأماها سراب ، وأمانيتها كذاب ، وعمرانها خراب وحلالها حساب ، وحرامها عقاب ، وهي مطية الأعمال الصالحة لذوى الألباب ، وسوق التجارة الراححة إلى الرجعة والمآب ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله

بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿ فشمروا في الجهاد بالجد والاجتهاد فإنه أفضل أعمال العباد واشرفها في العقبي والمعاد ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم وذلك هو الفوز العظيم ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : (لغدوة أروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها) انفروا خفافاً وثقالاً وأقبلوا إلى امامكم ارسالاً ممثلين ما ألزمكم ربكم تعالى ، منتقمين لامامكم المهدي بثأره ، ناعشين دينكم بعد عثاره ، موضحين من مذهبكم طامس آثاره ، كايدين لعدوكم بصاعه ، ذارعين له ما بلغ من ذراعاه ، فأنتم حزب الله وحزب الله هم الغالبون ، أنتم إن شاء الله انجد منهم واصبر واشرف وأفخر وهم أذل واحقر . وان كانوا أكثر وأوفر ، فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ، فاصبروا على منابذة الاشرار ، واجاروا إلى ربكم بالدعاء والاستغفار ، يمدكم بالنصر والاستظهار ، (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) . هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين .

### زهده وورعه

وللامام الناصر سيرة حافلة جمعها حفيده ذكرها زيارة وفيها ان الملك المظفر بذل له أموالاً جمّة على أن يترك القيام بالجهاد فامتنع وقال : يأبى الله ورسوله أن أبيع الآخرة بالدنيا !

وقيل له وهو على فراش الموت أوص . . فضحك وقال : ما تركت بيضاء ولا صفراء ولا من الأرض شبرا ! وكان يأكل الجشب من الطعام ، ويلبس الخشن من الثياب ، وقالوا إن رجلاً وفد إليه فقال له : تعشّ مع الضيوف خبزاً ولحماً . فأبى وأصرّ أن لا يتعشى إلا مع الامام ، وكان صائماً . . فلما حان وقت الافطار .

دُعي الرجل فإذا كل عشاء « لحوج » و « دجره » ولا خبز ولا لحم ولا حلوى ! وفيه يقول صاحب البسامة  
وفي مطهر لم تعدل وقد علمت أن المطهر زاكى الأصل والثمر

من ظللته الغمام الغرّ حائلةً من دونه ، وغدت سترًا من الستر  
بيوم « تنعم » والأبطال عابسةً ، وقد تقدّم ، والضلال في الأثر  
وانظر ترجمته ، وحوادث أعوام إمامته في أئمة اليمن [ج : ١ -  
ص : ١٩٥ - ٢١٠] .

## مؤلفاته

- ١ - درة الغواص في أحكام الخلاص منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع  
« الكتب المصادرة » ضمن مجموعة برقم ٤٤ - ونسخة أخرى ذكرها  
بروكلمان وأخرى في المجموع رقم ٦٤ كما في « فهرس مخطوطات المكتبة  
الغربية » .
- ٢ - رسالة دعوته أورد نصها المؤرخ الزحيف في شرح البسامة وقد أوردنا ما  
نقله زبارة منها .
- ٣ - الرسالة المنزلزة لأعضاء المعتزلة ذكره بروكلمان .
- ٤ - « الكواكب الدرية » مخطوطة بمكتبة الجامع الغربية رقم : ٩ - علم  
الكلام .
- ٥ - المسائل الناجية ذكرها بروكلمان ، وانظر حكام اليمن المؤلفون  
ص : ١٢٢ .

## النشاط الفكري والأدبي

أما وقد فرغنا من الحديث عن ملوك وسلطين وأمراء وأئمة اليمن في الفترة  
الأخيرة من تاريخها الأدبي في العصر العباسي [٥٦٩ - ٦٥٦ هـ] وأوجزنا أهم  
أحداثهم التي تتصل بموضوعنا ، وذكرنا آثارهم ومؤلفاتهم ، وبعض أشعار  
من كان يقول الشعر منهم . فقد آن الأوان لنا أن ننتقل إلى الحديث عن  
رجال الفكر والثقافة والأدب ، ونشاط التأليف والكتابة ، ونترجم لبعض  
الإعلام من العلماء والأدباء والشعراء والمؤلفين في شتى أنواع المعرفة التي  
كانت متداولة لدى اليمنيين ، مُتبعين نفس النهج الذي سلكناه عندما أرخنا  
للفترة السابقة جهد الاستطاعة .

ولقد ظلت الحياة العلمية والأدبية في هذه الفترة كما كانت في الفترة التي

سبقتها حياةً مزدهرة ، وتوسع النشاط في بناء المدارس والمساجد والقصور ، والقلاع وأسوار المدن ، وتشديد الحصون المحكمة في شواحق الجبال .

وكما كان معظم حكام وأئمة وسلاطين الفترة الثالثة من العلماء والأدباء والمؤلفين والشعراء فقد كان خلفائهم وأبناءؤهم في هذه الفترة القصيرة أفذاذا ؛ يوجد فيهم العالم والشاعر والفارس والمؤلف ، وقد تبين لنا بوضوح ذلك ونحن نتحدث عن بعضهم في الصفحات السابقة ، ونبغ عدد وافر من المؤرخين ، وعلماء اللغة والبيان ، والمفسرين والمحدثين ، والفقهاء والفرضيين ، وأصحاب الرأي وعلم الكلام ، والمتصوفين والشعراء . ونريد أن نعرف بالبعض منهم :

## ١ - المؤرخون

### ١ - علي بن نشوان

فمن أعلام المؤرخين الشاعر العالم علي بن نشوان بن سعيد الحميري وقد ترجمه ابن أبي الرجال في مطلع البدور وقال انه ألف « سيرة الامام المنصور عبد الله بن حمزة » وقال : « إنها سيرة حافلة عظيمة القدر تدل على علو طبقتة ، وسمو همته ، وله شعر كثير في عدة أجزاء ، وأكثر المشاهد المنصورية ، والحروب الامامية له في وصفها الشعر البليغ » واستشهد بقصائد منها النونية التي مطلعها :

أرقت وما طربتُ إلى الغواني فأبكى في الربوع أو المغاني

وأخرى جيمية قال انه أنشأها على لسان الامام ومطلعها :

يا موقد النار البعيدة أجاج واشهر بمضمرها شعار المخرج  
أشعل وشيكاً جذوةً ببراقتش لتضيء ما بين العراق ومنبج

وهي طويلة ؛ وتوفي سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٨ م أو بعدها بقليل .

## ٢ - أبو فراس دغثم

ومنهم ركن الدين أبو فراس فاضل بن عباس دغثم ، الذي كان يتولى كتابة الانشاء للامام عبد الله بن حمزة ، وقد ترجمه ابن أبي الرجال في مطلع البدور وأثنى عليه قائلاً : « كان حاذقاً ماهراً شاعراً فصيحاً عالماً كاتباً من كتاب الانشاء المجيدين مع الامام عبد الله بن حمزة وهو من خلصان الامام ؛ وكان سيفاً مسلولاً على « المطرفية » ، وتجرّم منه بعض السادة الجانحين إلى الابقاء عليهم » وبعد أن أورد له أبياتاً نونية قال انه الف « السيرة الشريفة المنصورية » وقال في آخرها ما لفظه : « ما تضمنه هذا الجزء من السيرة الشريفة هو آخرها ؛ فرغ منها في شهر ربيع الأول سنة ٦١٥ هـ ، فاضل بن عباس بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن أبي عمرو ، وقد أحرّضته الأحزان ، وتكاثفت عليه الأشجان ، حتى ود أنه ما كان ، للمصيبة التي طمّت ، وخصت الاسلام وعمت ، بقبض صاحبها التي ألفت في فضائله ، وحكت بعض وقعات جنوده وقبائله ، فيالها من مصيبة هدت بنيان المكارم ، وصغرت مواقع النوازل العظامم ، وذكرت بما قيل في قيس بن عاصم :

عليك سلام الله قيس ابن عاصم ورحمته ما شا أن يترحا  
فما كان قيس هلكه ، هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما ،

وكان يودّ عند إكمالها لو نزل به الحين المتاح ، والقدر المجتاح ، دون أن يكون خاتمها ، وحاكياً وفاة صاحبها ، وراقمها ، ولكن لم يبلغ كل متعنّ ما تعنّى ، ولن ينال كل متمنّ ما تمنّى ، وقد قال تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون ﴾ ؟ وقال عن قلب مجروح ، ودمع مسفوح :

لو كان يومي قبل إكمالها  
يكمّلها غيري ، ولا أصطلي  
بهلك من في ضمنها فضله  
تعطر الآفاق من طيبه ،  
فليت عمري زيد في عمره ،  
أوليتني مت بأيامه  
لكان عندي مغنماً مستفاد ،  
بحسرة تشوي سويدا الفؤاد ،  
كالشمس عمّ النور منها البلاد ،  
وترتدي بالحسن كل النواد . .  
أوليتني كنت فديّ لو أفاد !  
بين الطّبيّ البيض ، وسمر الصّعاد

ولم أكن شاهد يوم به اختاره للقبض رب العباد !  
 مضى فقيداً ، وغدا سعيه يُحمَدُ في الدنيا ، ويوم المعاد  
 إلى آخرها ولم يذكر سنة وفاته ولعله لم يعيش طويلاً بعد الامام . ومن  
 سيرته المذكورة نسخة في الامروزيانا : E ٥٢ .

### ٣ - الأمير محمد بن عبد الله بن حمزة

[ت ٥٦٢٣ هـ]

العالم الشاعر الفارس المؤرخ المحتسب محمد بن عبد الله بن حمزة الذي  
 ورد ذكره مراراً وكان خليفاً ان نفرد له ترجمة بين الشعراء الامراء من آل حمزة  
 وبني حاتم وهو صاحب القصيدة الطويلة « ذات الفروع » في المفاخرة ما بين  
 قحطان وعدنان والتي مطلعها :

سالك شوق من حبيبك مُنصبٌ وهم إذا جنّ الدجى متأدّب

وعدد أبياتها ٢٣٨ بيتاً وقد طبعت مرتين . وكانت ولادته عام ٥٩١ هـ  
 وتوفي سنة ٦٢٣ هـ ولما يتجاوز الثالثة والثلاثين .

وقد قام محتسباً بعد وفاة والده الامام عبد الله ، قال زبارة : « وكانت له  
 سيرة منتظمة وله مؤلفات نافعة وقال في مرض موته قصيدة منها :

لعمرى لئن ضاقت على فرائصي لعفو الذي سوى السماوات أوسع  
 جزعت وأعيتني ذنوب لمثلها يُراع أخو العلم اللبيب ويفزع  
 وكيف اعتذاري يوم ألقى صحيفتي مضمنة ما كنت بالأمس أصنع  
 حنانيك رب الناس من أن تصيبني بذنبي ؛ وهل إلا إلى الله نفزع !؟

[أئمة ج - ١ - ص ١٤٧ - ١٤٨ - سمط ص ١٧٩ - ١٨٥ -]

### ٤ - محمد بن أحمد الأنف

[ت ٥٦٢٣ هـ]

العالم المتكلم الأصولي يقول الحبشي ان له سيرة في تاريخ الامام عبد الله  
 بن حمزة رتبها على تسعة فصول في ميلاده ونسبه وتربيته ، وعلمه ، وورعه ،  
 وسماحته وفضله وكراماته والتاسع في المنامات الصادقة ومنها نسخة ملحقة  
 بكتاب الشافي للامام عبد الله ، وله كتاب : « فضائل أمير المؤمنين علي

بن أبي طالب بمكتبة الجامع « قسم كتب المدرسة » [مصادر الفكر  
ص : ٤٠٩] .

## ٥ - يحيى الحجوري

ومن المؤلفين في التاريخ خلال هذه الفترة العلامة يحيى بن يوسف  
الحجوري ترجمه يحيى بن الحسين في المستطاب وقال انه ألف كتابا سماه  
روضة الأخبار في أربعة مجلدات ؛ ويعرف في اليمن بروضة الحجوري ،  
وقد قسمه على أربعة أبواب وذكر فيه بدء الخليقة وأخبار الأنبياء وذكر ملوك  
اليونان والفرس والروم ثم السيرة النبوية إلى خلافة علي وذكر القائمين بالأمر  
من أهل البيت حتى انتهى إلى زمن الامام يحيى بن المحسن المتوفي سنة  
٦٣٦هـ ومنه نسخة بدار الكتب المصرية رقم : ٥٥٢٦ تاريخ ، وقال  
الحيثي ان منه نسخة بالمتحف البريطاني رقم ١٢٢٧ ، ولم يذكر ذلك  
الدكتور العمري في مصادره ، ولم يحدد المؤرخ يحيى بن الحسين سنة وفاته  
ولعله توفي حوالي سنة ٦٤٠هـ [مصادر الفكر ص ٤١٠] .

## ٦ - حميد الشهيد

[ت ٥٢٢هـ]

العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلي مؤلف « الحدائق الوردية في مناقب  
الأئمة الزيدية » وهو من المراجع الهامة في تاريخ أئمة اليمن ، ومنه نسخ  
متعددة في مكتبة الجامع بصنعاء وغيرها من المكاتب الخاصة وقد سبقت  
ترجمته ونحن نتحدث عن الامام أحمد بن الحسين . كما ترجم له الدكتور  
العمري في مصادره ص : ٤٦ - ٤٩ -

## ٧ - يحيى بن القاسم الحمزي

[ت حوالي ٦٦٧هـ]

السيد العالم الشاعر يحيى بن القاسم بن يحيى بن حمزة ألف سيرةً للامام  
أحمد بن الحسين وهي مشهورة متداولة ومنها نسخة بمكتبة الجامع وصورتها  
بدار الكتب المصرية ولم يذكر ابن أبي الرجال تاريخ وفاته وذكر مرثاته للامام  
أحمد بن الحسين .

وهناك مؤرخون آخرون وليس في الوسع الاستقصاء وقد نبهنا ان بعض الاعلام قد تعددت مواهبهم العلمية والأدبية وتنوّعت آثارهم ولذلك نضطر إلى تكرار الاشارة إليهم وذكر مؤلفاتهم في شتى الفنون .

## ٢ - علماء اللغة والبيان

### ١ - محمد بن نشوان الحميري

من المؤلفين الشعراء اللغويين القاضي العلامة محمد بن نشوان بن سعيد الحميري كان معاصراً للامام عبد الله بن حمزة وولاه القضاء ثم خرج على الامام وانتقده والى كتاباً سماه « الايضاح » رد عليه الامام بكتاب « الإيضاح » ، وكتابه في اللغة هو « ضياء الحلوم » اختصره من كتاب والده « شمس العلوم » وله مختصر آخر في « الفرق بين الضاد والطاء » والكتابان مشهوران وقد طُبعا ؛ وترجمته في مطلع البدور والمستطاب ، وكان محمد بن نشوان شغوفاً باختصار الكتب كما فعل ببعض أجزاء الأكليل للهمداني وحذف منها ، وبدل عباراتها وغير فيها ، وانظر كتابنا « جناية الأكوغ » . ولم يذكر مترجموه سنة وفاته ولعلها بعد سنة ٦١٤ هـ بسنوات .

### ٢ - محمد بن علي القلعي

[ ت ٦٣٠ هـ ]

كان عالماً لغوياً فقيهاً ، له كتاب « كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ » ويسمى « اللفظ المستغرب من ألفاظ المهذب » ومنه نسخة بدار الكتب المصرية وأخرى بمكتبة أحمد ناصر بزيب [ الحبشي ص : ٣٧٢ ] .

### ٣ - محمد بن أحمد الرکبي

[ ت حوالي سنة ٦٣٠ هـ ]

العالم المحدث محمد بن أحمد بن سليمان الرکبي له كتاب « المستعذب في شرح ألفاظ المهذب » والمهذب في الفقه تأليف أبي اسحاق الشيرازي



والمستعذب مطبوع على هامش كتاب المهذب وكانت وفاة الركبي حوالي عام ٦٣٠ هـ وسنذكره وبعض مؤلفاته ضمن علماء الحديث ان شاء الله .

#### ٤ - ابن عجيل [ت ٦٤٦ هـ]

شارح كتاب « نظام الغريب » في اللغة للعلامة « الربيعي » ، العالم ابراهيم بن علي بن عجيل وكان فقيهاً فرضياً توفي سنة ٦٤٦ هـ .

#### ٥ - ابن أبي النجم [ت ٦٥٦ هـ]

أحد تلاميذ القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام البارزين ، وقد ترجمه « ابن أبي الرجال » في « مطلع البدور » و « ابن الحسين » في « المستطاب » وله في النحو كتاب « المسالك » شرح كافية بن الحاجب وتوفي سنة ٦٥٦ هـ وهو أيضاً من الفقهاء المحدثين .

#### ٦ - ابن العمك [ت ٦٧٠ هـ]

يحيى بن ابراهيم بن العمك الأديب النحوي الشاعر ، وقد ترجمه الخزرجي في العقود الوئولية فقال : « كان من أعيان العلماء ، وكان أول أمره رئيساً على قومه يركب الخيل ولا يشتغل بشيء من طلب العلم ، وكان سبب اشتغاله بطلب العلم أنه خطب ابنة الفقيه أبي بكر بن خطاب فامتنع الفقيه من تزويجه إياها وقال له : أنت لست كفوها لها ، فانك جاهل [كأن الفتاة كانت مثقفة] فأنف من قوله واشتغل بطلب العلم حتى صار إماماً ، واشتغل بفن الأدب ، وبرع في النحو واللغة والنسب والقوافي والعروض ، وكان ممن يضرب به المثل في حسن الجوار والوفاء بالذمم ، وله في ذلك أخبار يطول

شرحها . وكان شجاعاً مقداماً كريماً جواداً شاعراً فصيحاً ، وله في السلطان الملك المظفر عدّة مدائح وصنف كتباً كثيرة في النحو وغيره ، ومن مصنفاته في الأدب كتاب « الكامل » و « الكافي في العروض والقوافي » وهو كتاب جليل ، وكتبه أحسن ما صنف أهل اليمن تحقيقاً وتدقيقاً .

« ومن شعره ما قاله في مدح السواد :

أعدّ لي حديثك يوم الكتيب      وسلّ به عن فؤادي الكتيب ،  
 عشية سوداء قد أقبلت      تسارقني لحظها من قريب ،  
 وقد أمنت رصد الكاشحين ،      وسمع الوشاة ، وعين الرقيب ،  
 تبيدت لنا من خلال البيوت      تجرّ فضل الرداء القشيب ،  
 أرتنا النقا ، والقنا ، مائلاً      قوام القضيب ، وردف الكتيب !  
 مولدة من بنات الموالي      مثل الغزال الغريب ، الريب ؛  
 فإن لامي الناس في حبها ،      فما لائي أبدأ بالمصيب !  
 يقولون سودا ؛ وما أنصفوا ؛      وما ذاك لو أنصفو بالمعيب !  
 فلولا السواد وما خصّه      به الله من حسن سرّ عجيب ؛  
 لما كان يسكن وسط العيون      ولا كان يسكن وسط القلوب !  
 ولا زين الخال خدّ الفتى ،      ولا حسن النقش طرس الأديب ،  
 أما حجر الركن خير الحجار ؟      أما المسك أطيب من كل طيب ؟  
 أما شغف الناس في دهرهم      بحمد الشباب وذم المشيب ؟  
 ولا تحسن العين مرهى الجفون ،      ولا الكف ما لم يكن بالخضيب !  
 ولا كل عين كعين المحبّ      ولا كل قلب كقلب الحبيب

\*\*\*

وهي قطعة شعرية بديعة جمعت بين الرقة والجزالة ، وانتقاء الألفاظ وروعة التركيب ، وحسن التعليل ، ونصاعة البيان ، ثم أخيراً يقول : ومع كل ذلك فما كل عين كعين العاشق ولا كل قلب مثل قلب الوهّان ، وما أصدقه !

ثم قال الخزرجي : « وكان جامعاً بين رئاستي الدين والدنيا ، معظماً عند الملوك ؛ ولما اشتغل بطلب العلم وظهرت ثمرة اجتهاده خطب ابنة الفقيه أبي بكر بن خطاب وراجعته في زواجها فزوجه إياها وولدت له عدّة أولاد ولم

تزل عنده إلى أن فرق بينها الموت وتوفي سنة ٦٦٩هـ وقيل سنة ٦٧٠هـ .

وإن المرء ليعجب من علوِّ همة « ابن العمك » هذا ، واندفاعه وقد كبر للقراءة والدرس والتحصيل بدافع الأنفة والحب حتى صار إماماً شاعراً من رؤساء الدنيا والدين . [عقود ج ١ - ١٦٢] .

## ٧ - محمد بن أبي السَّعود

[ت ٦٨٠هـ]

العلامة النحوي الكبير محمد بن علي بن أحمد بن أبي السَّعود ، الزبيدي ترجمه المؤرِّخ يحيى بن الحسين في « المستطاب » فقال : « من مشاهير علماء الهدوية برز في العلوم وأخذ في كل فن أوفر القسوم ، وأما في النحو فكان محقق زمانه فيه ، وله مؤلفات عديدة ، من أشهرها كتابه في اعراب القرآن الموسوم بالمنتهى في البيان ، والمنار للحيران في اعراب القرآن مجلدات ثلاثة ، وقال في خطبته بعدما حمد الله : « أما بعد فأنها لما وردت عليّ من مولانا الامام طود الاسلام ، وبهجة الأيام ، ذي الشرف الطاهر والفضل الباهر ، أمير المؤمنين ، المعلن بالحق المبين ، المهدي لدين الله أحمد بن الحسين ابن أحمد بن القاسم ، ومن كثير من عيون الاخوان العلماء السادة الفضلاء ، زاد الله عزَّهم علواً ، وسؤددهم سمواً ، إشارات موقنة ، وتكررت عليّ تحريضات محققة ، وتواترت تنبيهات مشوقة ، إلى الاشتغال باعراب القرآن الكريم ، وتبيين فوائده على المنهج القويم ، والصراط المستقيم ، وتلخيص ما يندرج في ضمن الإعراب من المعاني ، ويدخل في أثنائه من أقسام المباني ، استخرت الله سبحانه وتعالى موافقا ، واستعنت به واثقا ، وآثرت اسعافهم ، وتوخيت انصافهم ، لما أرجو من ذلك من جزيل الثواب ، ورحمة العزيز الوهاب ، ولعلمي أنه لم يُصنَّع من العلماء العدلية في هذا الباب على هذا النحو كتاب » إلى آخر الخطبة ، وله غير هذا الكتاب : « التهذيب » في علم النحو مجلد ، وشرح على المفصل » [المستطاب ورقة رقم - ٧٤ -] .

وقال السيد زبارة انه سمع تفسير الحاكم على الامام المنصور عبد الله بن حمزة وان وفاته كانت سنة ٦٨٠هـ ؛ فيكون تاريخ مولده في مطلع القرن السابع .

ويقول الحبشي ان كتابه « التهذيب » في علم النحو توجد منه نسخة في المتحف البريطاني رقم ٣٨٢١ وكذلك « الدرر المنظومة بالبيان في تقويم اللسان بنفس الرقم ! ولكن الدكتور العمري لم يشر اليهما في مصادره ! وله كتاب شرح المفصل في النحو للزمخشري [حبشي ص : ٣٧٣] .

## ٢ - علماء التفسير والحديث

سبق الحديث مفصلاً محتويات السجل اليمني المجيد في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في الفترات الثلاث الأولى ، وذكرت في جدول زمني حصيلة خدمة علماء اليمن للقرآن والسنة من أواخر العهد الأموي إلى نهاية الفترة الثالثة من فترات تاريخ اليمن الأدبي في العصر العباسي ؛ وعلينا الآن أن نتحدث عن أفذاذ أعلام فترتنا الأخيرة في ذلك السجل العظيم .



### المفسرون

#### ١ - المعيني

[ ت ٥٥٨٤ ]

فمن المشتغلين بالتفسير وعلوم القرآن في هذه الفترة العلامة محمد بن الحسين المعيني المتوفي عام ٥٥٨٤ هـ صاحب : « لوامع البرهان وقواطع البيان في تفسير القرآن » .

#### ٢ - القرشي

[ ت حوالي ٥٥٨٨ ]

ترجم له المؤرخ يحيى بن الحسين فقال : « الشيخ العلامة محيي الدين حميد بن أحمد ابن محمد بن الوليد القرشي : درس على القاضي جعفر

بن أحمد بن عبد السلام وله مؤلفات من أشهرها « مختصر تهذيب الحاكم [الجشمي] في التفسير الموسوم بقواعد الايمان في جمل معاني القرآن خمسة مجلدات ؛ حذف منه اللغة والاعراب والقراءة واقتصر على النظم والنزول والمعنى والحكم » [لوحة : ٦٧ - المستطاب] ولم يذكر سنة وفاته ولعله توفي حوالي سنة ٥٨٨ هـ .

### ٣ - ابن مُشِيرِح

محمد بن ابراهيم بن أبي مُشيرِح الحضرمي ذكره « ابن سَمرة » في طبقات فقهاء اليمن في ترجمته لطاهر بن أبي الخير المتوفي ٥٨٧ هـ وسماه مقررئ الحرمين الشريفين وقال محقق الطبقات الأستاذ فؤاد سيد انه جاور زماناً بمكة وله كتاب « المفيد في القراءات الثمان » اختصره من كتاب « التلخيص لأبي معشر » وزاد فيه فوائد وترجم له « ابن الجزري في طبقات القراء ٢ : ٤٦ ولم يذكر تاريخ وفاته [١٨٧ طبقات الفقهاء] .

### ٤ - النجراني

[ت ٦٠٣ - ٥٦٦٥ هـ]

ومن العلماء الذين اشتغلوا بالتفسير عطبة بن يحيى الدين بن محمد النجراني الصعدي ترجمه السيد يحيى بن الحسين وقال انه من عصر الامام أحمد بن الحسين واعترض عليه في فرض « معونة الحرب » ، وله كتاب « المذاكرة » في الفروع ، وتفسير للقرآن سماه « المنهج القويم في تفسير القرآن العظيم » في أربعة مجلدات ، وصفه السيد يحيى بقوله : « كتاب جليل جمع فيه من قواعد الزيدية في العدل والتوحيد الطيب الكثير ، وأكثر ما ينقل من تفسير أبي الفتح الديلمي وتفسير الحاكم » [لوحة : ٧٦ - المستطاب] .

## المؤلفون في الحديث

وأما من اشتهر برواية الحديث الشريف في هذه الفترة فهم كثير وقد سبق ذكر مؤلفات الأئمة ، ومن أعلام المحدثين غيرهم

### ١ - ابن أبي الصَّيف

[ ت ٥٦٠٩ هـ ]

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن أبي الصَّيف وتفقه في زبيد ثم جاور في الحرم المكي الشريف زمناً ، وانتشر عنه علم الحديث هناك ويقول الجندي في السلوك : إن أكثر أسانيد أهل اليمن تنتهي إليه ومن مؤلفاته :

- ١ - الأربعون حديثاً جمعها عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة .
- ٢ - فضائل يوم الجمعة وشهر رجب وشعبان خ بمكتبة الحبشي .
- ٣ - الأحاديث الواردة في فضائل اليمن وأهله .

[ مصادر الحبشي ص : ٤٠ ] .

### ٢ - ابن جديد

[ ت ٥٦٢٠ هـ ]

علي بن محمد بن أحمد بن جديد من علماء الحديث في اليمن قدم إلى عدن من حضرموت وتلمذ على ابراهيم القريظي ثم رحل الى « تعز » وغيرها من مدن اليمن وكان كثير الرحلات وينتهي نسبه إلى السيد أحمد بن عيسى العلوي له كتاب « أربعون حديثاً في فضائل الأعمال منه نسخة بمكتبة الحبشي [مصادر الفكر ص : ٤١] .

### ٣ - محمد بن أحمد الأنف

[ ت ٥٦٢٣ هـ ]

سبق الكلام عنه بين أعلام المؤرخين ويقول الحبشي ان من مؤلفاته :

- ١ - ذخيرة الايمان في ترتيب مجالس السَّان .

٢ - « الاعتبار وسلوة العارفين » جمع فيه مجالس الامام الحسين بن اسماعيل الجرجاني المتوفي سنة ٤٧٩هـ ومنه نسخة في مكتبة الحبشي [مصادر ص : ٤١] .

#### ٤ - ابن بطّال الركيبي

[ت ٦٣٠هـ]

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان بن بطّال الركيبي من قبيلة الأشاعر جاور بمكة أربعة عشر عاماً وعليه تخرج جمع كبير من العلماء ، وأسّس ببلده « ذي يَعمد » مدرسة كان يدرس بها ويقوم بمتطلبات التلاميذ ، وكانت له عناية شديدة بهم ويأمرهم بمزاولة بعض الأعمال الرياضية وتوفي عام ٦٣٠هـ أو بعدها بقليل ، له من الكتب :

١ - « الأربعون المستخرجة من أحاديث الصحاح الجامعة لما يستحب درسه عند المساء والصبح » .

٢ - شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري وينقل عنه ابن الوزير في العواصم والقواصم . [حبشي ص : ٤١] .

#### ٥ - علي بن حميد الأنف

[ت حوالي عام ٦٤٦هـ]

العلامة علي بن حميد بن أحمد بن محمد بن الوليد الأنف القرشي ترجمه المؤرّخ ابن ابي الرجال في « مطلع البدور » ترجمة مستفيضة ، وأورد قصة تأليفه لكتابه المشهور « شمس الأخبار » المنتقى من كلام النبي المختار وتقديمه إلى الامام عبد الله بن حمزة وأفاض في الشناء عليه وعلى آل « الأنف » القرشيين الأمويين [ج ٣ - مطلع ص ١٢٠ - ١٢٢ - مخطوطة زبارة] وقد قام بطبع وتحقيق « شمس الأخبار » العلامة عبد الواسع الواسعي عام ١٣٣٢هـ في ٣٢٨ صفحة وهو في مائتي باب . ووفاته مؤلفه حوالي سنة ٦٤٦هـ .

## ٦ - محمد بن أبي النجم

[ت ٥٦٥٦ هـ]

محمد بن حمزة ابن أبي النجم سبق ذكره في فصل علماء اللغة والبيان وله كتاب « درر الأحاديث النبوية بالأسانيد الحيوية والآثار المروية » وقد ترجمه يحيى بن الحسين في المستطاب وقال : « كان من العلماء المخترعة عارفاً مصنفاً وهو أحد تلاميذ القاضي جعفر » ثم تحدث عن كتابه « درر الأحاديث » من رواية الهادي وأورد من خطبته إيضاحه للأسباب التي دعته إلى تأليف كتابه ثم قال : وهذه الأحاديث التي اشتمل عليها كتابه التقطها من « الأحكام » و « المنتخب » وغيرهما مما روي عن الهادي ، وقد انتقد بعض علماء الحديث هذا الكتاب وقالوا ان مؤلفه لم يحسن تأليفه لأن الأصل في الفقه ، ولم يورد الأحاديث بألفاظها في الغالب ، ولكنه بوب الكتاب على وضع كتب الحديث ورواها رواية اللفظ وأكثرها بالمعنى ويقول : وبإسناده والحديث في الأصل مرسل ، ومنه عدة نسخ في الجامع والمكاتب الخاصة وقد نقل يحيى بن الحسين عن مؤلف كتاب الهداية ان الهادي لا يقول في الأحكام إلا ما يروى عن أجداده حتى يتصل بأبيه علي عليه السلام ثم بجده محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال والى هذا أشار البحيري بقوله :

دينٌ تخبره يحيى ، ونقحه أفضت إليه به آباؤه الأول  
يحدوه جدٌ وابن عن أبٍ فأبٍ الى النبي فما في متنه خلل

ثم قال يحيى بن الحسين مؤلف « المستطاب » : وقد اعترض ذلك السيد الحسن بن أحمد الجلال وقال لم يسند الهادي في كتابه الأحكام غير حديث في كتاب الطلاق في شأن الرافضة فمن أين هذه الدعوى ؟ فكل الأحاديث في الأحكام والمنتخب والآثار مقطوعة الأسانيد ولذلك يقول في كثير منها وبلغنا عن رسول الله ﷺ ، وانما أسند الحديث الذي في الطلاق عن آباءه وأعمامه في الرافضة لا غيره ، فمن جهله فليطالعه يجده كذلك ؛ وفي النسخة التي اعتمدها في النقل علق على كلام العلامة الجلال السيد العلامة محمد بن محمد المنصور بقوله : « اعترض الجلال رحمه الله غير وارد لأن القاضي رحمه الله جمع الأحاديث المتفرقة في الأحكام وغيره للهادي رحمه الله وأفاد انها صحيحة ، ولو لم تكن كلها مسندة لأن الهادي لا يروي من الحديث إلا ما



صح له وزاد صاحب الهداية تخصيص ذلك بأنه ما صح من آبائه ، وانما يريدُ اعتراض الجلال لو ادّعى ان كل ما في الأحكام وغيره مسند ، على انا وجدنا في أول كتاب « التجريد » للمؤيد بالله رحمه الله اسناد جميع ما في الكتاب من خمس طرق كل طريق بسند وقال : كل ما في الكتاب من حديث أرويه بهذه الأسناد الخمسة « [لوحة : ٦٨] .

## ٦ - الحسين بن بدر الدين

[ت ٥٦٢٢ هـ]

العالم الفقيه الأصولي المحدث الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى صنو الامام الحسن ابن بدر الدين أحد أئمة العهد المظفري ، وأحد أساتذته ، وهو أكبر منه سنّاً ؛ فقد كانت ولادته سنة ٥٨٢ هـ وتوفي بعد قيام أخيه ودعوته بحوالي ست سنوات عام ٦٦٢ هـ وقد ترجم له وذكر بعض أحواله وأخباره المؤرخ يحيى بن الحسين في المستطاب وقال : « ومؤلفاته شهيرة منها « شفاء الأوام » في أحاديث النبي ﷺ مجلدان وفيه تنمات للسيد صلاح بن الجلال ، وللسيد صلاح بن ابراهيم بن تاج الدين والد الامام علي ابن صلاح » [لوحة : ٧٧ مستطاب] وله مؤلفات في أصول الدين سوف نذكرها إن شاء الله وقد ترجمه السيد محمد زبارة فقال : « الامام الحافظ الكبير محدث العترة النبوية في عصره بالبلاد اليمينية » وساق نسبه إلى الهادي ثم قال : « وهو صاحب التصانيف العديدة المفيدة منها كتاب « شفاء الاوام » في أحاديث الأحكام أربعة أجزاء في مجلدين ضخمين ، وله تتمتان يسيرتان ، والكتاب من معتمدات أهل اليمن للحديث وفيه نصره لمذهب الامام الهادي يحيى بن الحسين ، وقد خرّج أحاديثه القاضي الحافظ عبد العزيز بن أحمد الضمدي بالقرن الحادي عشر تخريجاً حسناً ، وحرر عليه حاشية « وبل الغمام » القاضي محمد بن علي الشوكاني » [أئمة ج - ١ - ص ١٨٣] .

## ٤ - علم الكلام وأصول الدين

سبق الكلام عن المعارك الكلامية التي دارت بين علماء وفقهاء « أصول الدين » من شتى الطوائف والمذاهب الاسلامية في اليمن ، وقد ظلّ تلاميذ أولئك العلماء والفقهاء الذين ترجمنا لبعضهم يتجادلون ويتجادلون كما كان أساتذتهم ! ومن اشتهر وألّف في هذه الفترة الرابعة من يلي :

### ١ - الحسن الرصاص

[ ت ٥٥٨٤ ]

وهو أحد تلاميذ القاضي جعفر ، وأساتذة الامام عبد الله بن حمزة الشيخ الحسن بن محمد الرصاص نبغ واشتهر وألّف وهو لما يتجاوز العشرين وقد ترجمه مؤلف « المستطاب » وعدّد مؤلفاته في علم الكلام ومنها :

- ١ - الكيفيّة في الصفات والتحصيل في التوحيد والتعديل وقد شرحه ابنه الشيخ أحمد بن حسن الرصاص .
  - ٢ - مناقضات أهل المنطق .
  - ٣ - الهادم للأصل المهين الملقب بالأصل الممين .
  - ٤ - التبيان لياقوتة الايمان وواسطة البرهان .
  - ٥ - الكاشف لذوي البصائر في اثبات الأعراض والجواهر .
  - ٦ - العشر الفوائد
  - ٧ - القاطع للوتين من لجاج المتعنتين .
  - ٨ - تقريب البعيد من مسائل الرشيد .
  - ٩ - الرسالة الزامنة الوفيّة ، بإفحام ناصر مذهب القدرية .
- وقد ترجم له ابن ابي الرجال وقال ان تلميذه الامام عبد الله بن حمزة مدحه بقوله :

يا من علا في العلوم مرتبةً  
أهدى لنا النور وهو مبتعدٌ  
أغرّ يُسْتَنْزَل الغمامُ به ،  
وهو فتى ما بخدّه شعراً ،  
يقصر عن نيل مثلها البشرُ ،  
عنا ؛ ولا غرو هكذا القمرُ !  
تضل في كنه علمه الفكرُ ،  
وهو فتى ما بخدّه شعراً ،

أحبّه والذي تحجّج له الناس إلى مكة، وتعتمر  
ماذاك إلاّ لأنه رجل لدين آل النبي ينتصر!

وبعد أن ذكر مؤلفاته قال : ومات عن ثمان وثلاثين سنة في يوم الاثنين من  
شوال سنة ٥٨٤هـ وقبره في « سناع » تحت قبر القاضي جعفر من الجانب  
الشرقي فمولده في حدود عام ٥٤٦هـ . [مطلع ج - ١ لوحات :  
٨٥ - ٨٨] .

## ٢ - الحارثي

[ت ٥٨٤هـ]

محمد بن طاهر بن ابراهيم الحارثي أحد أعلام « الاسماعيلية » في  
اليمن ، وقد أكثر الحديث عنه والنقولات من كتبه الدكتور حسين الهمداني  
في كتابه « الصليحيون » ومن مؤلفاته المشهورة :

١ مجموع التربية وقد وصفه الدكتور الهمداني بقوله : « وهو كتاب جامع  
أورد فيه مقالاته ورسائله وبحوثه ، ورسائل العلماء الدعاة من دورِّي  
طهور الائمة واختفائهم والمقتبسات من كتبهم » وبعد أن ذكر بعض  
المحتويات قال : « ولولا هذا الكتاب لما عرفنا بعض الرسائل  
والمقالات » ومن مؤلفاته :

٢ - الرسالة الحاتمية في الردّ على بعض المارقين .

٣ - حدائق الألباب .

٤ - رسالة في الحقائق .

٥ - الأنوار اللطيفة .

٦ - الرسالة الموضحة للرشاد .

٧ - لمعة الأنوار .

وكان رئيساً للدعوة الاسماعيلية في صنعاء إلى أن توفي في شهر شوال  
سنة ٥٨٤هـ ومؤلفاته منها نسخ خطية في المكتبة المحمدية الهمدانية  
[الصليحيون ص : ٢٦٦ - ٣٥٢] .

### ٣ - طاهر العمراني

[ت ٥٥٨٧ هـ]

- أبو الطيب طاهر بن يحيى بن أبي الخير وقد سبق الكلام عنه عقب الحديث عن والده ومن مؤلفاته في علم الكلام :
- ١ - جلاء الفكر ، في الردّ على نفاة القدر .
  - ٢ - كسر قناة القدرية في الردّ على القاضي جعفر بن عبد السلام .

### ٤ - الحامدي

[ت ٥٥٧ - ٥٩٦ هـ]

الداعي حاتم بن ابراهيم بن الحسين الحامدي ترجمه الهمداني فقال : « كان عالماً فقيهاً ، كثير الاطلاع والتأليف والانتاج الأدبي » . وقد قام بالدعوة الاسماعيلية في اليمن بعد وفاة والده الذي سبقته ترجمته ، وذكر مؤلفاته ، وقال الدكتور الهمداني « ان السلطان علي بن حاتم اليايمي صاحب صنعاء وما يليها لما رأى ميل الناس إلى الداعي حاتم بن ابراهيم وإقبالهم عليه ، داخلته المنافسة ، وخاف منه على ملكه ، وأخذ يستميل همدان ببذل المال ، وضاعف اليهم العطاء حتى دخل في طاعته أحمد بن الحبير الهبري . وكان ممن يثق فيهم الداعي حاتم ، ومن أخذ عليه أكيد ايمانه وعهده . فطلب هذا إلى السلطان أن يقدمه على همدان . وتمكن السلطان علي بن حاتم من جلب الكثيرين ممن كان مع الداعي حاتم في كوكبان ، فخرج عن الحصن واتصل بمشائخ هبرة في لؤلؤة وريعان . فقصدهم الملك علي بن حاتم اليايمي لمحاربة الداعي وأنصاره من بني هبرة ، وكتب في نفس الوقت إلى الداعي حاتم « يعاتبه ويلاطفه ويقول له : اظهر دينك ، واجمع أهل دعوتك ؛ ولا تفرق همدان وتحملهم على العداوة والشنآن . وضمن ذلك شعراً فأجابه الداعي حاتم بقصيدة جاء فيها :

تضمّنه من العُتبي فنون  
فأنت لكل مكرمة خدين  
وأنت بلمّ شعْثهم قمين  
بالي والذي أحوى أصون  
مكانكم من العليا مكين

أتاني من أبي زيد كتاب  
فكن في أمرنا حكماً وعدلاً  
مقالك فيم تصدع عود يام  
أما والمصطفى إني ليام  
وأنتم يا غطارف شمّ يام

لكم في الدعوة الغراء قَدْماً  
ولكن حَلْتُمْ عنها فمنكم  
فإن أنتم رجعتم واستقلتم  
وواليتم إمام العصر صدقاً  
وإن بنتم وعاندتم كما قد  
سوابق كلِّما نشرت تزيين  
لها الضدُّ المعاند والقيرين  
فقد لاح الصباح المستبين  
صفا ما بيننا الماء المعين  
فعلتم آل عمرانٍ فبينوا !

ووجد الداعي حاتم أن همدان بعضها معه وبعضها عليه ، فخشى أن يكون افتراقهم على يديه ، وقصد صاحب بيت ردم وهو من بني شهاب وتزوج ابنته ، واستقرَّ عنده بعض الوقت ، ثم اتجه الداعي إلى حراز . فوصل إلى موضع يسمى شعاف ، ووجد الناس هناك قد مالوا إلى الحافظ عبد المجيد ، فأخذ يدعوهم إلى ما يدعو إليه . ولما رأوا فضله وزهده وفصاحته وحسن موعظته وعذوبة قوله ، وما نشر عليهم من فضائل علي بن أبي طالب ، دخلوا تحت لواء الدعوة . وطلع من شعاف إلى الظهرة ، ثم تسلَّم حصن الحُطَيْب ، وهو من معاقل حراز الرفيعة ، وحصونها المنيعة . وهناك توالى عليه أهل دعوته ، وكان زعيمهم السلطان سبأ ابن يوسف اليعبري ، الذي ساعد الداعي حاتماً على فتح حصون شبام .

وفي ذلك يقول القائل :

أنصار مولانا الامام الطيِّب  
فَتحَتْ شباما بالمواضي جهرة  
لله درَّ عصابة يمنيّة  
قوم لهم في المكرمات أوائلُ  
فاستبشروا يا مؤمنين وشمّروا  
من كلِّ ليث شمّريّ أغلب  
وسمّت لذروته بكلِّ مشطَب  
فيها اليعابر كلِّ عالي المنصب  
مشهورة وشجاعة لم تغلب  
من فتح مولاكم بأيسر مطلب

ثم اتجه سبأ بعد ذلك إلى حصن لهاب ففتحه . وفي ذلك قال الشاعر :

حَلَّتْ بسُوحك رحمة الغفّار  
الهُبَّتْ نارا في لهاب فأحرقت  
وبعثت نحوهم بجيش أغلب  
من سيد همدان بن زيد خير من  
الطائعين لأحمد ووصيّه  
والناصرين دعاة آل محمد

فاستخدمت لك نافذ الأقدار  
عُصِب الضلال معا بتلك النار  
تزجى المنون وجحفل جرار  
يرجى لشيد علا ومنع ذمار  
وبني البتول السادة الأطهار  
والقاطعين أواصر الفجار

والشمّ من جَنْبٍ و «عَسَّ» والذِّرا من «يَعْبِرُ» و «مَجِيحٌ» و «كرار»

ثم حارب حصن حمضة حتى ملكه عنوة وهو أرفع طود في « لهاب » وفي ذلك قال حنظلة بن علي قصيدة جاء فيها :

أبا طيء يا داعي اليمن الذي به أمنت من كل خوف ومن دعر  
حراز بفضل من أياديك أحرزت حظوظا فقد صارت على قمة النسر  
وحصن شبام قد سما بك طوده فأسفله يسمو علواً عن القدر  
بسعدك قام اليعبري ابن يوسف وأقوام صدق لا تميل إلى الغدر

وما زال سبأ اليعبري يرمي أعداء الداعي حاتم بالموت حتى فتك به بنو حكم وقتلوه وفي ذلك قال الشيخ علي بن محمد بن الوليد الأنف قصيدة يجرّض فيها على وجوب الأخذ بثأره جاء فيها :

فيا أيها الغادي تحمّل ألوكه إلى يعرب طراً وبلغ مقالياً  
وخصّ أباة الضيم أبناء يعبر وصيد حراز الغر أسمع ندايها  
أجدوا طلاباً للعدو فإنهم على غدرهم لا يظفرون معاليا  
وشتوا عليهم غارة يعبرية تصيرهم بالمرهفات أضحاحيا

فتحمس اليعابر وقاموا واحتشدوا لأخذ الثأر من بني حكم . وانضم إليهم الداعي حاتم ، فأخذ يجرّضهم ، وأوصاهم بالصبر لينالوا ثأرهم . وقصدوا أكمة العلو بهوزن حيث كان بنو حكم ، ووقع القتال بين الطرفين واشتد ، وتأسد اليعابر حتى دخلوا على الأعداء دورهم قهراً ، وأحصوهم قتلا وأسرا .

وفي ذلك النصر قال الشيخ علي بن محمد بن الوليد قصيدة جاء فيها :

أجل هكذا تقنى العلا والمفاخر وتنقم أوتاراً ويثأر نائراً  
فلا شرف إلا الذي حيزَ بالظبا ولا مجد إلا ما حوته اليعابر

وكان مقر الداعي حاتم في الحطيب ، وكان يعاضده في إقامة الدعوة الشيخ محمد بن طاهر الحارثي ، فعينه رئيساً للدعوة في صنعاء ، وجعل في كل صقع من أصقاع اليمن مأذونا . فواصله أهل الدعوة من السند والهند وأقطار اليمن . وكان يجتمع بأهل دعوته في كهف كبير يقع تحت حصن الحطيب يزودهم بعلمه .

وكان الشيخ محمد بن طاهر الحارثي قد توفي في شهر شوال سنة أربع وثمانين وخمس مئة . فأقام الداعي حاتم بعده الشيخ علي بن محمد بن الوليد الأنف القرشي مأذونا وصير إليه أمر أهل الدعوة في صنعاء . وكان يسافر إلى الداعي حاتم بحراز وإليه يرجع الفضل في تعليم ابن الداعي حاتم علي بن حاتم حتى بلغه مرتبة أهله لأن يوليّه داعياً مطلقاً من بعده .

وقد رأينا أن الداعي حاتم بن إبراهيم حاول بدون نجاح أن ينشئ مملكة في بلاد همدان ثم في حراز ، وأراد أن يحمي الدعوة بالدولة كما كان الحال في أيام الصليحيين . فقد وجد الداعي حاتم نفسه أمام عقبات ما استطاع أن يذللها . والأهم منها انقسام همدان بين تأييد السلطان علي بن حاتم اليامي الهمداني ملك صنعاء وما يليها وبين مناصرة الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني فترك الداعي منافسة الملك علي بن حاتم اليامي نظراً للأخطار التي واجهتها الدعوة من كل صوب وبالاخص من تهامة حيث استولى الملك عبد النبي بن علي ابن مهدي الحميري على معظم الحصون والمعقل التي كان يملكها أهل الدعوة . ثم انسحب الداعي حاتم عن الميدان تماماً ، واكتفى بنشر علوم الدعوة من كهفه الواقع تحت حصن الحطيب بعد أن مات قائده السلطان سبأ بن يوسف اليعبري وبعد دخول بني أيوب اليمن تحت قيادة توران شاه ثم طغتكين ، فتغلبوا على اليمن وقضوا على جميع الممالك والدويلات والقبائل .

فتفرغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي للتأليف ، « ونقل الروايات على صحتها من المحدثين ، وله في الدعوة السهم المعلن ، وكتبه وتأليفه مشهورة » . ومن أهم مؤلفاته التي ورد ذكرها :

١ - كتاب تنبيه الغافلين في الأخلاق وذم الرذيلتين ، التحاسد والتباغض ، وضمّن الكتاب رسالتين من رسائل إخوان الصفا في آداب الإخوان وحسن المعاشرة ، وفصلاً من مجلس العزيز بالله الفاطمي . [ومنه نسخة في مكتبة جامع صنعاء]

٢ - رسالة النقد على أهل المخاط فيما ارتكبوا من الفسق والخباط في ذم المنكرات واتباع الشهوات وقد اقتبس فيها المؤلف من الرسالة الموسومة بالواعظ لأبي يعقوب الجستاني ومن أقاويل سيدنا علي بن أبي طالب

وألفاظ المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة وقصيدة الخطاب بن الحسن الحجوري مطلعها « إن صحَّ ما قالوا وما شعروا » .

٣ - وكتاب المجالس والموجود منه اثنان وخمسون مجلسا من المجلس السابع والسبعين في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب وشيء من قضاياها وغزواته .

٤ - وكتاب جامع الحقائق وهو تلخيص للمجالس المؤيدية وهي ثمان مئة مجلس وجعل كتابه هذا في ثمانية عشر بابا في مجلدين .

٥ - وخمسة عشر مجلسا تعالج مسائل مختلفة مثل المحنة والامتحان وشأن العلماء ومعنى النفس وحقيقتها ووجوب الامامة في كل زمان والولادة الدينية وامتثال أمر أولياء الله والنصائح وتفسير بعض الآيات والأحاديث وغيرها .

٦ - ورسالة التذكرة تشتمل على آراء المؤلف وأفكاره عن المبدأ والمعاد والثواب والعقاب والوصول إلى ولاية أولياء الله ، ثم يتلو ذلك فصول ومقتبسات من مؤلفات الدعاة السابقين . ومنها فصل للداعي يحيى بن مالك في بيان الأرض وما فيها من طيب وخبيث . [ومنه نسخة في مكتبة جامع صنعاء] .

٧ - ورسالة زهر بذر الحقائق ، وتشتمل على ثمان عشرة مسألة في علم الحقائق .

٨ - وكتاب تحفة القلوب وفرجة المكروب في الحقائق ، وهو كتاب جليل ، وفيه فصل « في بيان جزيرة اليمن حرسها الله تعالى وكيف كان قيام الدعاة فيها من أول الزمان إلى وقته بمختصر من القول » ، وفصل في أسماء حدود وقته الذين أُلّف لأجلهم الكتاب .

٩ - وكتاب مفاتيح الكنوز ألّفه جوابا على المسائل التي وردت عليه من بعض الاخوان ، مثل دور الكشف ، والردّ على من قال إن المهدي عبد الله من ولد الحسن ابن علي بن أبي طالب ، والتوحيد جوابا على قول السائل « أجز لي يا مولاي عن الله هل هو في الدار أم الدار فيه » ، وتسمية العقل عقلا وما شابهها من المسائل .

هذه الكتب ورد ذكرها في فهرست الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول . وله مؤلفات أخرى لم يذكرها الشيخ إسماعيل ، ومنها كتاب الشمس الظاهرة في



الحقائق ذكره الشيخ حسن بن نوح البهروجي الهندي في كتابه الأزهار .

وظل هذا العلامة الباحث حاتم الحامدي تتقدم به السنّ حتى توفي في حصن الحطيب في يوم السبت السادس عشر من شهر المحرم سنة ست وتسعين وخمسمائة ؛ وكان قبره تحت حصن الحطيب بحراز من بلاد اليعابر يزوره الناس إلى وقت قريب ثم هدم - فلا أثر له الآن » .

## ٥ - سليمان المحليّ

[ ت ٥٥٨٤ ]

الفقيه العالم سليمان بن محمد بن أحمد المحليّ ترجمه مؤلف « المستطاب » وقال ان له عدّة تأليف يجتج فيها على دعم قواعد « المطرفية » ويرد على مخالفهم ويعزو أصولهم إلى نقولات عن « الهادي » و « القاسم » ومن مؤلفاته .

١ - البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق ومنه نسخة في مكتبة الجامع رقم ١٣٠ - كلام .



## ٦ - مسعود بن علي العنسي

[ ت ٥٥٩٠ ]

العلامة مسعود بن علي بن مسعود بن علي بن أبي جعفر المقري العنسي ولد سنة ٥٤٨ هـ ذكره المؤرخ ياقوت الحموي في معجم البلدان مادة « أشرق » وقال : « ومن ذي جبلة القاضي مسعود بن علي بن مسعود الأشرقي وكان قد ولى القضاء باليمن بعد عزل صفي الدين أحمد بن علي بن أبي بكر العرشاني مات بذي أشرق في أيام « أتاك - سنقر » مملوك سيف الاسلام في حدود سنة ٥٩٠ هـ وصنف كتاباً سماه كتاب الأمثال في شرح أمثال اللمع لأبي اسحاق الشيرازي ، وسيّر إليه رجل يقال له سليمان بن حمزة من أصحاب عبد الله بن حمزة عشر مسائل في أصول الدين فأجاب عنها بكتاب سماه الشهاب ، وصنف كتاباً في شروط القضاء ومات ولم يتمه ، وسيّر إليه الشريف عبد الله بن حمزة مسائل في صحة إمامة نفسه فصنف كتاباً أبطل فيه جميع ما أورده من الشبه » .

[معجم البلدان ماده : أشرق] .

## ٧ - الداعي علي بن حاتم بن ابراهيم الحامدي

[ ٥٩٦ - ٥٦٥ هـ ]

أحد دعاة الطائفة الاسماعيلية في اليمن ترجمه الدكتور حسين الهمداني في كتابه « الصليحيون » فقال :

« قام بأمر الدعوة بعد أبيه وأخذ يرسل دعواته لنشر الدعوة في الأصقاع . وافترقت عليه أمور أهل دعوته بحراز من اليعابر وسواهم وخالفوا أمره مما دعاه إلى ترك حراز والذهاب إلى صنعاء . وبينما كان سلاطين همدان من بني حاتم مقيمين على حمايته والدفاع عنه وأهل دعوته كان أهل حراز قد عصوا نائبه وزعيم اليعابر السلطان حاتم بن سبأ بن يوسف وخالفوه وحالفوا أعداءه . وما زال الشيخ علي بن محمد بن الوليد يرسل إليهم رسله ويعرفهم سوء العواقب ويناشدهم الائتلاف . فكتب إليهم شعرا ينهاهم عن الاختلاف جاء فيه :

نسيم الصبا ألم بسُوح اليعابر      ليوث الشرى البانين أعلى المفاخر  
ذؤابة قحطان بن هود ولبها      وأسرة ذي العلياء عمرو بن عامر  
وقل يا أباة الضيم يا صيد يعبر      أفي الحزم أن ترضوا بهذا الشاجر  
وإن تهملوا إصلاح ما أن غفلتم      عن إصلاحه أبتم بصفقة خاسر

ولكن لم ينفعهم الوعظ والتذكير ، ووقع بينهم الخلاف ، وأعرضوا عن حراسة الحصون ، حتى قتل السلطان حاتم بن سبأ بن يوسف اليعبري .

وظل الداعي علي مقيما للدعوة في صنعاء وأعمالها غير مكترث بملوك الغز وما يطرأ من أهوالهم مصادقا لملوك همدان . ثم طلع حصن ذمرمر إلى سلاطين بني حاتم مفتقدا لأحوالهم . ثم أدركته العلة فأنزل محمولا إلى صنعاء ، وتوفي في يوم السبت ٢٥ من ذي القعدة سنة خمس وست مائة . ويقال إنه مات مسموما .

وله رسالة روضة الحكم الصافية وبستان العلوم الشافية ، وهي تتضمن سبع عشرة مسألة في الحقائق ، وفيها شرح بعض أقوال أبي يعقوب السجستاني من كتابه المسمى بالبشارات ، وشرح بعض مناجاة المؤيد في الدين الشيرازي [الصليحيون ص ٢٨٣ - ٢٨٤] .

## ٨ - الداعي علي الأنف

[ ٥٠٥ - ٦١٢ هـ ]

علي بن محمد بن الوليد الأنف الداعي الاسماعيلي المعمر ترجمه الدكتور  
الهمداني فقال : « الداعي علي بن محمد بن الوليد الأنف العبشمي  
القرشي » .

تقلد مراسم الدعوة في بلاد اليمن وما انضاف إليها ، بعد وفاة الداعي  
علي بن حاتم الحامدي . وكان له مع الداعي حاتم وابنه الداعي علي الرتبة  
السامية واليد الطولى . وقال عنه حاتم الحامدي : « . . . أما شرف النسب  
فإنه من أشرف أهل الوقت نسبا ، وأعلاهم حسبا ، وأقدمهم في الدعوة  
الهادية ، وأسبقهم إلى الأفعال المرضية ، وذلك أن جده إبراهيم بن أبي  
سلمة لسبقه وشرفه سفره علي بن محمد الصليحي إلى الحضرة الشريفة  
المستنصرية . . . وإني من أشرف قريش وأعلى العرب من بني عبد مناف  
بن قصي . وأما الطهارة والورع والعبادة والعفة والنسك والولاية والآداب ،  
فلا يقاس أحد به من أهل زمانه . ولذلك أضفت أمر الدعوة الهادية سلام  
الله على صاحبها في الجزيرة اليمنية إليه » . وكان جده إبراهيم يلقب بالأنف  
« لتقدمه على أضرابه تقدم المارن على الوجه » وهو جدير بما وصفه الخطيئة  
قومه من قبل :

قوم هم الأنف والأذنب غيرهم ومن يساوى بأنف الناقة الذنب

وكان الشيخ إبراهيم بن أبي سلمة بن الوليد العبشمي القرشي الأنف من  
كبار رجال الدولة الصليحية ، فمدحه الشاعر الحسين بن علي القمي  
بقصيدة ، جاء فيها :

فيا شبه الخليل ندى وتقوى  
فإبراهيم إبراهيم أضحت  
فيا نجل الوليد ورثت مجدا  
فإن يكن الخليل أتاه وحي  
خالقه وحلماً واعتزاما  
به صنعاء البلد الحراما  
من الآباء يتسق انتظاما  
فقد أصبحت في العليا إماما

وقال أيضا يمدحه :

واغرف من اليمّ لا ماء كما زعموا  
لكن درّا ومرجانا وياقوتا

جُد بالسلام عسى نارُ الغرام به      تعود بردا إذا حَيَّيت حَيِّتا  
أنت الخليل وصنعاك الحرامُ ووا      ديك السرار بها لو كنت نُبَيْتا  
يا سيِّدا ما نسينا عهد صحبته      أنسيت في أجل هل كنت أنسيتا

ولم يزل الداعي علي بن محمد بن الوليد قائما بأمر الدعوة ، فاستقت به أمورها وتحسنت أحوال أهلها ، واجتمعت على تأييده ونصرة دعوته بعض السلاطين والزعماء من همدان . وكان الخبر العالم علي بن حنظلة بن أبي سالم المحفوظي الوادعي الهمداني من المعاضدين للداعي والمؤازرين له ، بل كان النائب منابه في كثير من الأحيان ، وأقام الداعي الشيخ عبد الله بن عبد الله أبي منصور بن أبي الفتح على أهل الدعوة في الحقل حقل يحصب وذمار وأصاب وما ينضاف إليها ومخلاف جعفر والجند وأعمالها وبلاد ذخر والمعاقر ولحج وأبين وعدن وتهامة وما يليها بعد أن عزل الشيخ محمد بن أحمد الأحوري من ولاية هذه البلاد . وقد ساسهم الداعي جميعا سياسة حاسمة حازمة لها شأن ، مع ما نالوا من قوة الغز . وظل الداعي مقبلا بصنعاء ، ويتردد إلى ذمرمر والعروس وبهما السلاطين من آل حاتم الهمدانيين « إلى أن قال :

« وكانت وفاة الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي بعد دخول الغز صنعاء بشهرين في شهر شعبان سنة اثنتي عشرة وست مائة . وكان عمره قد أوفى على التسعين عاما وهو صحيح الجوارح يؤلف الكتب ويقوم بالعبادة ويشغل بالدرس والتدريس . وكان الداعي علي من أنشط الدعاة يذب عن حمى الدعوة ويكافح عنها بقلمه ولسانه في ظروف غير ملائمة . وكان الكفاح مريرا منذ سقوط الدولة الصليحية ثم أردف قائلاً . . . « وكان الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي قد شارك الدعاة السابقين أمثال الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي والشيخ محمد بن طاهر الحارثي والداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي ، فاضطلع بقسط وافر في وضع الأسس للحركة العلمية داخل منظمة الدعوة . ويدل على ذلك مؤلفاته العديدة التي نذكر منها :

١- كتاب تحفة المرتاد وغصّة الأضداد في الرد على الفرقة المجيدية وإثبات إمامة الطيب بن الأمر وذكر تسلسل الامامة . وفيه نبذ من علم الحقائق .

٢ - رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول ، وهي تنقسم ثلاثة أبواب تحتوي على ثمانية وعشرين فصلا . الباب الأول في التوحيد والخلقة الجسمانية وكيفيةها ، والباب الثاني في الخلقة النفسانية وكيفية تربيتها ، والباب الثالث في تسلسل الولادة الدينية وتأويل بعض الآيات من القرآن يتضمن ذكر الثواب والعقاب .

٣ - الرسالة المفيدة في إيضاح ملغز القصيدة . وهي شرح القصيدة التي يروى أن قائلها الحكيم أبو علي بن سينا مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع  
وأورد فيها من رسائل إخوان الصفا فصلا في علة كراهية الجميع الموت ومحبتهم البقاء بتمامه وكماله .

٤ - كتاب ضياء الألباب المحتوى على المسائل والجواب ويشتمل على اثنين وثلاثين مسألة والجواب عنها . وهذه المسائل أثارها الفقيه محمد بن إبراهيم بن أبي عمر من أهل الدعوة المخلصين في عهد الحرة الملكة الصليحية . وقد ذكر الداعي يحيى بن ملك بن مالك الحمادي « هذا الفقيه ذات يوم وفود عدة المؤمنين بصنعاء شاهدا بفضلهم ورتبته السامية في الدعوة » . ويتضمن الكتاب على بيان التوحيد والابداع والسابق والتالي ومعرفة الابتداء والانتهاء ودوري الكشف والستر وما شاكلها من مسائل علم الحقائق الخاصة بالدعوة . وقد عالج فيه بعض المسائل التي ردها الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى على صاحب المحصول ، وشرح فيه ما أورد الشيخ أبو تمام من المسائل في أرجوزته المسماة بالشجرات .

٥ - ديوان شعره في مدائح الداعي حاتم بن إبراهيم الحمادي وأستاذه الشيخ محمد بن طاهر الحارثي . وفيه أشعار في الرد على الفرقة المجيدية وفي عتاب المشائخ اليعبريين لما وقع بينهم من التنافر وفي مديح الأئمة وإمام زمانه الطيب بن الأمر وفي أجوبة الكتب المرسلة من أهل الدعوة وفي المراثي وغيرها .

٦ - كتاب دامغ الباطل وحتف المناضل في الرد على الغزالي في كتابه المستظهري .

٧ - كتاب مختصر الأصول ، ويشمل شرح المقالات وكيفية انقسامها ،

- والرد على فرق الحشوية والجبرية والمعتزلة والفلاسفة .
- ٨ - كتاب تاج العقائد ومعدن الفوائد يتضمن مائة مسألة في معتقدات مذهب الدعوة ، « فإنها قواعد الدين ، وما وجد خارجا عن هذه العقيدة فإنما هو اختلاف على هذا المذهب » هذا قوله .
- ٩ - كتاب مجالس النصح والبيان ، والموجود منه أربعون مجلسا من المجلس الأول والمائة إلى الأربعين والمائة ، وسمي به لأنه ابتداء في كل مجلس منها أولا بالنصائح ثم بالبيان وهو صميم الموضوع . وتشمل الابتداء والانتهاء وغيرها من مسائل علم الحقيقة والدعاء والمناجات إلى الله وتأويل الآيات من التنزيل الكريم .
- ١٠ - رسالة الايضاح والتعيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين في علم المبدأ والمعاد وإثبات إمامه الطيب بن الأمر .
- ١١ - رسالة لب المعارف ، وهي سبعة مسائل : الأولى عن القائم وعن الشريعة في دوره ، والثانية عن الهيولي والصورة ، والثالثة عن قول الله تعالى يخرجون من الأجداث الآية ، والرابعة عن قول الامام المعز إذا كانت هذه السموات والأرض فانية فما ظنك بها دونها ، والخامسة عن قول الامام المستنصر في القائم بأنه سابع النطقاء ، والسادسة عن الامام وحدوده الداعين إليه ، والسابعة عن قول القاضي النعمان في كتاب أسرار التأويل إن النطقاء يأخذون عن الحدود وعن قول الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى في كتاب راحة العقل إن النطقاء يأخذون من حد جسماني ، فكيف المخلص من كلامهما .
- ١٢ - رسالة لباب الفوائد وصفو العقائد في المبدأ والمعاد .
- ١٣ - كتاب الذخيرة يتضمن بحوثا عن التوحيد والابداع والانبعث والنبوة والامامة والقائم والانتهاء والمعاد وغيرها من المسائل في عقائد الدعوة . ويعتبر هذا الكتاب من أمهات الكتب في هذا الفن .

وله بحوث ورسائل أخرى مثل رسالة ملحقة الأذهان أوردها أستاذه الشيخ محمد بن طاهر في كتاب مجموع التربية ، ونظام الوجود في ترتيب الحدود في أساء حدود الدعوة باليمن في عهده . وقد تنسب إليه رسالة في معنى الاسم الأعظم . ووصلت الدعوة اليمنية إلى أوجها في النشاط العلمي في مؤلفات الشيخ علي بن محمد بن الوليد القرشي ، وتمتاز بسعة

الإطلاع ، والتحقيق الذي لا يخلو من الجدة والابتكار . [الصليحيون  
ص : ٢٨٤ - ٢٩١] .

## ٩ - أحمد بن الحسن الرصاص

[ت ٥٦٢١ هـ]

أحمد بن الحسن بن محمد بن أبي بكر الرصاص ؛ من كبار علماء الزيدية  
وعلى كتبه في علم الكلام يعتمد اليمينيون ومن مؤلفاته :

- ١ - مسائل الهدوية في التنبيه على أبيات المزية على مذهب الزيدية ومنه  
نسخة في مكتبة جامع صنعاء : ٣٢ - مجاميع .
- ٢ - حقائق الأعراض وأحوالها وشرحها في المكتبة الغربية : ٣٢ مجاميع .
- ٣ - الدرر المنظومات في سلك الأحكام والصفات في المكتبة الغربية : ٣٢  
مجاميع .
- ٤ - الخلاصة النافعة ، بالأدلة القاطعة : في مكتبة الجامع عدة نسخ .
- ٥ - الواسطة ؛ في أصول الدين . منه عدة نسخ في مكتبة الجامع .
- ٦ - « مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم » المعروف باسم « الثلاثون  
المسألة » . وعليه يعتمد طلبة علم الكلام في اليمن وله شروح كثيرة  
وقد طبع سنة ١٩٧١ بتحقيق الدكتور محمد عبد السلام كفاي ومنه  
عدة نسخ في المتحف البريطاني .
- ٧ - اليتيمة على الثلاثين مسألة بمكتبة الجامع .
- ٨ - التذكرة لفوائد التحصيل في التوحيد والتعديل .
- ٩ - الجوابات المرضية ، عن اعتراضات القدرية .
- ١٠ - الرسالة الشافية لذوى الفطن الصافية .

وكانت وفاته سنة ٦٢١ هـ وقد ترجمه ابن أبي الرجال في المطلع والسيد  
يحيى في المستطاب وانظر مصادر العمري ص : ١٦٣ - ١٦٥ والحبشي  
ص : ١٠٤ .

## ١٠ - محمد بن أحمد الأنف

[ت ٥٦٢٣ هـ]

سبق ذكره ونحن نتحدث عن المؤرخين ؛ وهو أحد تلاميذ القاضي

- جعفر وله مؤلفات كثيرة منها في علم الكلام .
- ١ - الجواب الناطق الصادق بحل شبه كتاب الفائق ، رد فيه على ابن الملاحى ومنه عدة نسخ في مكتبة جامع صنعاء .
- ٢ - مختصر الأصول ؛ يقول الحبشي ان منه نسخة في المتحف البريطاني ولم يشر إليه الدكتور العمري في مصادره .
- ٣ - منهاج السلامة ، في مسائل الامامة ، [مصادر الفكر ص : ١٠٥] .

### ١١ - محمد بن عبد الله بن حمزة

[ ٥٩١ - ٥٦٢٣ هـ ]

الأمير الشاعر محمد بن الامام عبد الله بن حمزة وقد سبق ذكره بين المؤرخين وهو من مواليد سنة ٥٩١ هـ وتوفى سنة ٦٢٣ هـ وله في علم الكلام كتاب : « الدراري المشرقة ، والشهب المحرقة » منه نسخة في مكتبة الجامع : ٢٩٢ - علم الكلام .

### ١٢٠ - المحفوظي

[ ت ٥٦٢٦ هـ ]

الداعي الاسماعيلى علي بن حنظلة بن أبي سالم المحفوظي الوداعي وقد قام بالدعوة الاسماعيلية بعد وفاة علي بن محمد بن الوليد الأنف ومن مؤلفاته :

- ١ - ضياء الحلوم ومصباح العلوم .
- ٢ - سمط الحقائق . وهي أرجوزة تحتوي على ستائة وثلاثة وستين بيتاً تبدأ بقوله :

الحمد لله العلي السامي	عن صفة الكمال والتهام
إذ الكمال والتهام صنعته	سبحانه تقدمت هويته
فوصفه كما أتى تشبيهه ،	وحده ونعته تمويهه ،
والعجز عن إدراكه إدراك	والنفي تعطيل به الهلاك ،
جل عن البحث بهل ومن ولم	وعز أن يحصره لفظ الكلم !

وقد بحث فيها النصيحة في محاسبة النفس بالنفس وإطاعة أولى الأمر ،



والحدود وذكر بعض الدعاة الاسماعيليين في اليمن ، وتكلم عن التوحيد ،  
وعالم الابداع والافلاك والأركان والمزاج وأدوار الكواكب السبعة ، وأهل  
الجنة الابداعية الخ وقد نشرت في دمشق سنة ١٩٥٣ م .  
وتوفي في يوم السبت ٢٢ ربيع الأول سنة ٦٢٦ هـ .

وقد ترجمه الدكتور حسين الهمداني في كتابه « الصليحيون »  
ص : ٢٩١ - ٢٩٧ .

### ١٣ - حميد المحلي

[ت ٦٥٢ هـ]

القاضي حميد بن أحمد بن محمد المحلي الوادعي من أكابر العلماء  
والمصنفين اليمنيين تتلمذ للامام عبد الله بن حمزة واحمد حسن الرصاص  
وعلي بن محمد الأكوخ وترجمه ابن أبي الرجال وابن الحسين وزبارة وغيرهم  
وسبق ان ذكرنا استشهاده وكتابه « الحدائق الوردية وبعض مؤلفاته ؛ ومنها  
في أصول الدين :

- ١ - عمدة المسترشدين في أصول الدين ، وهو في ثلاثة أجزاء ومنه نسخة في  
مكتبة جامع صنعاء رقم ٣١٨ كلام .
- ٢ - مناهج الانظار العاصمة من الأخطار فرغ منه ٦٢٠ هـ ومنه نسخة  
قديمة بمكتبة العلامة محمد بن اسماعيل المطهر المنصور ولها صورة بدار  
الكتب المصرية رقم : ٢٩٤ .
- ٣ - الرسالة الكاشفة عن لوازم الامامة ، لطالب الأمن في القيامة خ جامع  
المكتبة الغربية : ٢٧ مجاميع .
- ٤ - العقد الفريد .
- ٥ - الرد على المجبرة .
- ٦ - الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار .
- ٧ - نصيحة الولاية ، الهادية إلى النجاة ، فرغ منه سنة ٦٤٤ ويسميه مؤلف  
المستطاب كتاب النصيحة ومنه نسخة في المكتبة التيمورية : ٣٨٦  
مجاميع .
- ٨ - الرد على المطرفية .
- ٩ - الثعبان النفث بهلاك أهل المسائل الثلاث !

منه نسخة كتبت في زمن المؤلف مصور بدار الكتب المصرية [١٦٦] أئمة  
اليمين ج - ١ -] و[مصادر الفكر للحبشي ص : ١٠٧] وقد وهم البحثة  
الحبشي وسماه أحمد بن محمد المحلي ؛ أو هو خطأ مطبعي .

## ١٤ - حميدان بن يحيى

### [ ت أواخر القرن السابع ]

السيد العالم الكبير حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم من معاصري  
الامام أحمد ابن الحسين وقد ترجمه يحيى بن الحسين وابن أبي الرجال ولم يذكر  
سنة وفاته . وترجمه الدكتور العمري في « مصادر التراث اليمني في المتحف  
البريطاني » وذكر ما يوجد من كتبه في المتحف . وأهم كتبه في علم الكلام  
ما يلي :

- ١ - تنبيه الغافلين على مغالط المتوهين ،
- ٢ - تنبيه أولى الألباب على تنزيه ورثة الكتاب ،
- ٣ - التصريح بالمذهب الصحيح .
- ٤ - الرسالة النازمة لمعاني الأدلة العاصمة وتسمى أيضا « المنزللة لأعضاء  
المعتزلة » .
- ٥ - المتترع من أقوال الأئمة .
- ٦ - المسائل الباحثة عن الأقوال الحادثة .
- ٧ - تعريف التطريف .
- ٨ - بيان الأشكال فيما حكى عن الامام المهدي من الأقوال .
- ٩ - المسائل الشفوية والشبه الحشوية .

وكل هذه الرسائل يضمها كتابه « مجموع السيد حميدان » ومنه نسخة  
بمكتبة جامع صنعاء وأخرى في المتحف البريطاني . انظر مصادر العمري  
ص : ١٧٢ - ١٧٥ والحبشي ص ١٠٨ . وقد تحدث عن السيد حميدان  
الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه القيم « الزيدية » وقال انه « قد أتخذ  
منهجا انفرده في عرض مسائل أصول الدين اذيري ان جملة الكلام في ذلك  
خمسة مواضع :

- ١ - في ذكر جملة من مقدمات البلوي التي يبنى عليها الكلام في علوم  
الدين .

- ٢ - في مسائل الامامة لكونها أول ما وقع فيه الاختلاف بين الأئمة .
- ٣ - في الصانع وما يستحقه من الصفات لذاته أو لفعله .
- ٤ - في العالم وصفات ذواته وذكر فنائه .
- ٥ - في ذكر جملة من أصول مغالط المعتزلة التي أوهموا بها العامة .

قال وكل موضع ينقسم إلى عدة فصول ثم تحدث عن أرائه الكلامية باسهاب واحاطة من ص : ٤٨٥ إلى ٥٣٥ - وختم حديثه عنه بقوله : « وخلاصة القول لقد حاول حميدان أن يبرز الطابع الزيدي الخالص من آثار الاعتزال ، وستظل هذه المحاولة بصرف النظر عن مدى النجاح فيها مظهراً للفكر الزيدي الأصيل » ؛ كما انه افتتح الحديث عنه بكلمة السيد حميدان الشهيرة : « وافقناهم » أي المعتزلة « في الأصول ولم يوافقونا في الامامة فعلام الاتفاق » ؟ وهو تساؤل ظريف !

## ١٥ - الأصابي

[ ٥٧٧ - ٦٥٧ هـ ]

الفقيه الصالح أبو الحسين علي بن الحسين الأصابي ترجمه الخزرجي فقال : كان فقيهاً أصولياً نحويًا لغويًا كامل الفضل عارفاً بالحديث والتفسير وولد سنة ٥٧٧ هـ وتفقه بمحمد بن جديل من أهل سَهْفَنَةَ ، ولما بنى السلطان الملك مدرسته في « مَغْرَبَةَ تَعَز » كان هو أول مدرس ترتب فيها وتوفى سنة ٦٥٧ وله مصنفات في الأصول منها .

- ١ - كتاب في الرد على الزيدية .
  - ٢ - وكتاب في الرد على من يكفر تارك الصلاة .
- [ العقود اللؤلؤية ص : ١٢٠ ج - ١ - ] .

## ١٦ - الأمير الحسين بن بدر الدين

[ ٥٨٢ - ٦٦٢ هـ ]

السيد الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى سبق ذكره بين المحدثين وهو ممن برع في علوم شتى وله عدة مصنفات ومنها في علم الكلام .

- ١ - الذريعة في أصول الدين .
  - ٢ - ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة . ومنه عدة نسخ في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، وهو من الكتب المعتمدة في علم الأصول عند أهل اليمن .
  - ٣ - ازالة التهمة خ المكتبة الغربية ١٤٠ كلام .
  - ٤ - الأجوبة العقبانية .
  - ٥ - العقد الثمين في معرفة رب العالمين [مطبوع] .
  - ٦ - النظام في عقائد المطرفية .
  - ٧ - ثمرة الأفكار في حرب البغاة والكفار .
  - ٨ - الارشاد إلى سوي الاعتقاد .
  - ٩ - الرسالة المنقحة بالبراهين الموضحة .
- ولد سنة ٥٨٢ هـ وتوفي عام ٦٦٢ هـ كما تقدم [الحبشي  
ص : ١٠٩ - ١١٠] .

## ١٧ - القاضي عبد الله العنسي

[ت ٦٦٧ هـ]

الفقيه العلامة عبد الله بن زيد بن أحمد العنسي ، سبق أن ورد ذكره ونحن نتحدث عن ابن عمه نصير الرسوليين الأمير علي بن يحيى العنسي ؛ وكان من أكابر أعوان الامام أحمد بن الحسين وبعد استشهاده انعزل في خولان الشام وقد ذكرنا اضطراره إلى أن يلجأ إلى الملك المظفر لما لزمته ديون ، ولكن ظنه خاب ، وأوردنا قصيدة عمه الشاعر مسعود بن عمرو العنسي في الموضوع ، وقد ترجم له مؤلف المستطاب ، وابن أبي الرجال ، وزبارة وغيرهم ، وهو من اعلام المؤلفين اليمنيين وقال عنه مؤلف مطلع البدور : « إمام الزهاد ورئيس العباد ، ولسان المتكلمين ، وشحاك الملحددين ، عبد الله بن زيد بن أحمد بن أبي الخير العنسي رحمه الله هو مفخرة الزيدية بل مفخرة الاسلام ، جمع ما لم يجمعه غيره من العلوم النافعة الواسعة ، والأعمال الصالحة ، وصنف في العلوم الاسلامية كتباً عظيمة النفع ورأيت بخط بعض العلماء ان كتبه مائة كتاب وخمسة كتب ، ما بين صغير وكبير ، وكان جيد العبارة حسن السبك كلامه كأنها ينحط عن صلب

وهو والعلامة الشهيد حميد كالنظيرين ؛ إلا أن تصرفات ابن زيد في المعقولات أكثر من الشهيد ، وتصرفات الشهيد في المنقولات أكثر من ابن زيد « ثم أفاض في ذكر فضائله وتعداد مؤلفاته ، وقال : « وذكر الهادي بن إبراهيم في المسائل المذهبة ان الفقيه كان في مقام التدريس صحيحاً فاستدعى بدواة وقرطاس وكتب وصيته لأولاده حتى بلغ إلى ذكر ما في « الصحيفة » من الحديث القدسي انه « من لم يرض بقضاي ويصبر على بلاي فليخذ ربا سواي » مات وانحط القلم في الكاغد .

والقاضي عبد الله بن زيد العنسي يعرف بين علماء اليمن بصاحب « الارشاد » كتابه المشهور في علم الطريقة والزهد .

ومن الشعر المشهور عنه :

إلهي ذا الجلال أرى القوافي يهزّ بها العباد الناس هزا ؛  
 فما لي لا أهزّ جناب ملك تبارك ما أجلّ ، وما أعزّا ؟  
 إذا اتخذ الانام لهم كنوزاً . . . جعلتك لي من الحدشان كنزا ؛  
 وإن سألوا العباد ؛ سألت من لا أخاف لديه عرضي أن يُرزا  
 أشير إليه حاجاتي فتقضى ولو لم تسمع الأذان ركزا ؛  
 وأخضع في يديه فأرتقى في جلالته مجده شرفاً وعزّاً ؛

إلى آخرها وقال ابن أبي الرجال بعد إيرادها والقصيدة هي للقاضي مسعود بن عمرو العنسي وهي ثابتة في ديوانه وكانت ولادته سنة ٥٩٣ هـ .

ومن مؤلفاته في علم الكلام :

- ١ - الرسالة المنقذة من العطب السالكة بالنصيحة إلى أهل « شُظب » .  
 ومنها نسخة في مكتبة جامع صنعاء : ٥٢ مجاميع .
- ٢ - الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة : في مكتبة الجامع ١٢٠ مجاميع .
- ٣ - الرسالة الحاكمة بتحريم مناكحة الفرقة الظالمة .
- ٤ - المحجة البيضاء وهو من أشهر كتبه في علم الكلام .
- ٥ - ضلال المطرفية .
- ٦ - السراج الوهاج .

- ٧ - عقائد أهل البيت .  
 ٨ - ماء اليقين في معرفة رب العالمين .  
 ٩ - اللائق بالافهام في معرفة حدود علم الكلام . [مصادر الحبشي  
 ص : ١١٠] .

## ٥ . الفقه والفرائض

اشتهر في هذه الفترة عدد من اعلام فقهاء اليمن ومنهم غير من ذكرنا من الأئمة :

١ - الحسن بن محمد الرصاص  
 وقد سبق ذكره ونحن نتحدث عن علماء أصول الدين وله في الفقه كتاب الانتصار لمذاهب العترة الاطهار .

٢ - طاهر العمراني  
 وقد سبق الكلام عنه وله مؤلف في الفقه اسمه الاحتجاج الشافي على المعاند في طلاق التنافي .

٣ - الأمير علي بن الحسين بن يحيى  
 وكتابه « اللمع » في فقه أهل البيت من أجل كتب الزيدية وأهمها وعليه شروح كثيرة وكان من معاصري الامام أحمد بن الحسين وله غير اللمع مؤلفات أخرى .

٤ - الحسين بن بدر الدين  
 وقد سبق ذكره وله في الفقه « التقرير لفوائد التحرير » .

## ٥ - عبد الله بن زيد العنسي

العالم الاصولي وله في الفقه : الشهاب الثاقب على مذاهب العترة الأطايب .

## ٦ - اسماعيل بن محمد الحميري

[ت ٦٧٧هـ]

الشيخ الفقيه اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحميري اليزني ترجمه الخزرجي وقال انه ولد سنة ٦٠١هـ وتفقه بأبيه وعمه وكان نقالاً لفروع الفقه غواصاً على دقائقه وله مصنفات مفيدة منها شرح المهذب وقال انه اجتمع بالسلطان المظفر غير مرة وسمع عليه البخاري ثم ولاه القضاء العام بتهامة فأقام فيه نحو سنة ، واستخلف في القضاء من وثق بدينه وورعه واشترط على كل قاض ان لا يحكم الا بمحضر من الفقهاء ، ومما يروى عنه انه دخل بيت قاضي زييد وكان من خواص أصحابه وزوج أخته ، فوجد في بيته ثياباً من الخبز . وكان لا يعرف معه شيئاً من ذلك فقال له : من أين لك هذه الثياب ؟ فقال من بركتك يا أبا الذبيح ! فقال : ذبحني الله إن لم أعزلك ! ثم عزله وعزل نفسه « قال الخزرجي : ويقال انه خوطب يا اسماعيل رضيت بالنزول عن التسمي بالفقه إلى التسمي بالقضاء ؟ فعزل نفسه ، واهتم بالدراسة والتدريس وانتفع به خلق كبير من أهل اليمن وتوفي سنة ٦٧٧هـ [العقود اللؤلؤية ص : ١٧٦ ج : ١ - ] .

### ومن مؤلفاته :

- ١ - عمدة القوي والضعيف الكاشف لما وقع في وسيط الواحدي من التبديل والتحريف [مخطوط بدار الكتب المصرية] .
- ٢ - شرح الوسيط .
- ٣ - شرح المهذب .
- ٤ - التقريب .
- ٥ - الفتاوي .
- ٦ - أساس التصريف .

كما اشتهر في هذه الفترة اعلام من الفقهاء الفوا في علم الفرائض والمواريث كتباً لا تزال أهم ما يعتمد عليه علماء اليمن في هذا الفن ومنهم :

## ١- العصفري

[منتصف القرن السابع]

العلامة الفرضي الفضل بن أبي السعد العصفري ترجمه ابن أبي الرجال وقال انه كان من المجتهدين الاحبار والعلماء الاخيار وحجة في الفرائض والحساب والمساحة وعلم الهيئة وما يتعلق بذلك وهو حذام الفرائض وابن ثابتة ، وله كتاب الفايض في علم الفرائض فوق عشرة أجزاء ، والعقد أربعة وشرحه القاضي محمد بن حسن المذحجي « ولم يذكر سنة وفاته لكنه كان من معاصري الامام عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ هـ وهو أشهر علماء اليمن في علم الفرائض ، وكتابه « عقد الأحاديث في علم الموارث » منه عدة نسخ في مكتبة جامع صنعاء وله الكتاب المشهور مفتاح الفايض في علم الفرائض ومنه نسخة في مكتبة الجامع ، ومن كتبه أيضاً اللامع شرح مفتاح الفايض وتعليقه عليه أيضاً وعليه شروح كثيرة لأفاضل من علماء اليمن .

## ٢- الأمير علي بن الحسين

[ت حوالي سنة ٥٦٠ هـ]

ومن ألف في « الفرائض » الأمير علي بن الحسين بن يحيى مؤلف كتاب « اللمع » في الفقه له كتاب « درر الفرائض في الجلي منها والغامض » ، ومنه نسخ في مكتبة الجامع ، ومنه نسخة في « المتحف البريطاني برقم OR.3788 ويقول الدكتور حسين العمري : إن المصنف قسم موضوعه في أربعة فصول لخصها في البداية فقال

الفصل الأول وهو فيما ينبغي لمن حضر المريض أن يأمره به .

والثاني فيما يجب اخراجه عن المال قبل الموارث .

والثالث في بيان من لا يرث بحال .

والرابع في بيان الورثة وموارثهم ، وبيان أصول مسائلهم وكيفية

تصحيحها وما يتصل بذلك [مصادر العمري ص ١٦٦ - ١٦٨] .

## ٣- الحسن بن أحمد بن نسر العنسي

له كتاب « الوسيط » في الفرائض فرغ من تأليفه سنة ٦٦٥ هـ في مكتبة جامع صنعاء .



## ٦ - التصوف والزهد

سبق الحديث عن التصوف وحظ اليمن منه عبر العصور وأشارت إلى كتب ابن أبي حريصة وابن خمرطاش ويحيى بن ابي الخير ، والقريضي والصيد والحامدي وقلت ان الطرق الصوفية وزواياها لم تظهر وتنتشر في اليمن ولا سيما في حضرموت والجنوب وتهامة إلا من بعد اطلالة القرن السابع الهجري ومن ألفت واشتهر في هذه الفترة من رجال واعلام « التصوف » والورع والزهد .

### ١ - الداعي الاسماعيلي علي بن محمد الأنف

[المتوفي سنة ٥١٢ هـ]

وقد سبقت ترجمته بين اعلام رجال علم الكلام وله في التصوف كتاب معاني الاسم الأعظم ذكره الدكتور الهمداني [ص : ٢٩١ الصليحيون] .

### ٢ - أبو الغيث بن جميل

[ت ٥٥١ هـ]

الشيخ الصوفي الكبير أبو الغيث بن جميل ترجم له الخزرجي في « العقود » فقال : « وفي هذه السنة : ٥٥١ هـ توفي الشيخ الصالح المشهور أبو الغيث بن جميل الملقب بشمس الشموس » ثم ذكر انه كان في بداية أمره قاطع طريق يترصد قوافل السفر وينتهبها وقال ان سبب توبته انه اعتلى ذات يوم شجرة يراقب قافلة قادمة ، فسمع صوتاً يقول : يا صاحب العين عليك العين ! فوقر ذلك في قلبه ونزل من الشجرة مستكن القلب ، ونازعت نفسه في التوبة والانابة ، وقصد الشيخ علي بن عبد الملك ابن افلح بزيب وعرض عليه حاله ، فأخذ عليه اليد وألزمه الخدمة للزاوية ؛ ثم تقدم إلى « المراوعة » وقصد الشيخ علي الاهدل فهذبته تهذيباً مرضياً ، ولقد كان يقول : خرجت من ابن أفلح لؤلؤة عجماء فثقتني الأهدل !

بين أبي الغيث والامام ابن الحسين

ولما قام الامام أحمد بن الحسين ، وبلغه ان الشيخ مقبول الكلمة مسموع الاشارة في تهامة كتب إليه طامعاً في ميله إليه ، وصدر كتابه بالآية الكريمة :

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ ثم قال : « القصد يا شيخ الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلام » فلما وصله الخطاب وقرأه عليه أحد أصحابه قال له لما فرغ : اكتب :

﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ الحمد لله فالق الاصباح ، ومرسل نسيم الرياح ، إلى فسحة مبدأ عالم الأشباح والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام ، وعلى آله وصحبه الكرام . أما بعد فقد وصلنا كتاب السيد الشريف يدعوننا لاجابته ، ولعمري انها طريق سلكها الأولون ، وأقبل عليها الأكثرون ، غير أننا نقر منذ سمعنا قوله تعالى : ﴿له دعوة الحق﴾ انه لم يبق معها متسع لأجابة الخلق ، فليس لأحد منا أن يشهر سيفه على غير نفسه ، ولا أن يفرط في يومه بعد أمسه ، فليعلم السيد قلة فراغنا لما رام ، وليبسط العذر والسلام .

من الشطحات مع ابن علوان

ويروى ان الشيخ الصوفي الكبير أحمد بن علوان كتب إلى أبي الغيث كتاباً يقول فيه : أما بعد فاني أخبرك :

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا حتى عرفت مراتب الابداع  
لا باسم ليلي أستعين على السرى كلا ، ولا ليلي تقل شراعي

فأجابه ابن جميل : من الفقير إلى الله تعالى أبي الغيث بن جميل أما بعد فاني أخبرك

حلاني الاسم القديم باسمه واشتقت الأسماء من اسمائي  
وحباني الملك المهيم وارضى فالأرض أرضي والسماء سمائي !

يا ابن علوان أبت المراهم الشافية ان تقع على جرحك الخبيث ، حتى تحلو بمرارة العقاقير الثقة بالله ومعرفته

ومن كلامه : « ثقتك بما في يديك دليل على قلة ثقتك بالله ، ورجوعك في حال الشدة إلى المخلوقين دليل على انك لا تعرف الله ، وفرحك بشيء

تناه من الدنيا دليل على بعدك من الله ! وقد قيل ان هذا من كلام البسطامي .

من هو الصوفي؟!

وسئل عن المستحق لاسم الصوفي فقال : « هو من صفا سرّه من الكدر وامتلاً قلبه من العبر ، وانقطع إلى الله عن البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر » وسئل مرة أخرى عن ذلك فقال : « الصوفي من كان بعهد الله موفياً » .

دعاء لأبي الغيث

ومن دعائه : « اللهم اني اسألك ياروح روح الروح ، ويالب لبّ اللب ، ويقلب قلب القلب . هب لي قلبا أعيش به معك » .

وكانت وفاته سنة ٦٥١ [عقود ص ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ ج ١ - ] وقد جمع كلامه في مجلد أحد تلامذته .



٣ - ابن علوان

[ ت ٦٦٥ هـ ]

هذا الاسم الذي غلبت شهرته في اليمن - ولا سيما جنوبها - أسماء الملوك والأئمة والسلاطين « أحمد بن علوان » الهاشمي الذي كان أبوه أحد وزراء الملك المسعود الرسولي ، ونشأ في بيئة رفاهية وثراء ثم تحول إلى زاهد ورع داعية إلى الله ، ولقد ظل اسمه يدور على الألسن ، واغرق الجهال والمشعوذون في تقديره ، وجعلوا لقبه قداسة لا يقربها عقل ولا دين ، حتى عام ١٣٦٣ هـ حين أمر الامام أحمد بن يحيى حميد الدين بهدم القبة التي على ضريحه ونقل رفاته إلى مكان مجهول ، وقال الشاعر محمد محمود الزبيري في ذلك قصيدته الطويلة التي مطلعها :

كذلك المجد إما رافعاً علماً أو باعثاً أمماً ، أو هادماً صنماً !

وقد ترجمه المؤرخ محمد زبارة في كتابه أئمة اليمن فقال :

« الشيخ الشهير الصوفي أحمد بن علوان ؛ ترجمه الخزرجي في « العقود اللؤلؤية » ، والشيخ الحافظ أحمد بن أحمد الشرجي في كتاب « طبقات

الخواص» فقال : أبو العباس أحمد بن علوان الصوفي الشيخ الكبير المشهور ، كان والده يخدم الملوك فنشأ على طريقته من الاشتغال بالكتابة ، وقرأ في النحو واللغة وغير ذلك ، ثم ألقى الله له المحبة في قلوب العالم ، وتبعه خلق كبير من الناس وظهرت كراماته ، وله في التصوف فصول كثيرة يتكلم فيها على لغات شتى ومن كلامه : « العلم دعوى ، والعالم مدعي ، والعمل شاهد ، فمن ثبتت بيّنة دعواه صحت للمسلمين فتواه » . وله ديوان شعر في أيدي الناس وغالبه في التصوف ومنه

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا حتى انتهت مراتب الابداع !  
لا باسم ليلى استعين على السرى كلا ؛ ولا لبسنى تقل شراعي  
وقبره في « يفرس » ظاهر معروف مقصود للزيارة من الأماكن البعيدة .

ثم أورد زبارة قصة هدم ضريحه وقصيدة الشاعر الزبيري في تمجيد ذلك . وختم الترجمة بقوله : « ورأيت بخط بعض علماء القرن الثالث عشر للهجرة ان نسبه هكذا : « أحمد بن علوان بن عطاف بن يوسف بن مطاعن بن عبد الكريم بن عبد الأكرم بن حسن بن ابراهيم بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن عيسى ابن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب » وان ذلك عن خط السيد محمد بن عنقا الحسيني [ص : ١٨٥ - ١٨٨ أئمة اليمن ج - ١ - ] .

وقد سبق أن ذكرت أبياته النونية إلى الملك الرسولي والتي منها  
عارٌ عليك عمارات مشيدة ولرعية دورٌ كلها دمن !

وقد كان يسلك في مواعظه طريقة ابن الجوزي حتى لقبوه بجوزي اليمن ، وقد جمع ما أثر عنه من مواعظ في عدة مجلدات منها « الفتوحات المصونة والأسرار المخزونة » وكتاب « المهرجان » وكتاب « التوحيد الأعظم » و « ديوان ابن علوان » .

من هو الفقير ؟

ومن كلامه : « الفقير أرقّ من الماء ، وأعلا من السماء ، وأخف من الهواء ، وألطف من الصبا ، وأحلا من الجفا ، وأصفى من الجوهر ، وأذكى

من العنبر ، وأعذب من الكوثر ، وألين من العبقر ، إذا خاطب لان ، وإذا خوطب أبان ، وإذا استعين أعان ، وإذا قيل له : « اتق الله دان ، ينصف من نفسه ولا ينتصف لها . ويفتخر بربه ولا يفتخر لها ، عزمه أحد من السيف ، وهمته أسرع من الطيف ، وأحكامه مجانبة الحيف ، يألّف ويؤلف ، ويعرف ولا يُعرف ، ويعطف ولا يستعطف ، ويتكلف بما يُكلف ، ومثله كالبحر ظاهره يحمل الركبان ، وباطنه الدر والمرجان ، يأكل من سمكه الأكل ، ويتطهر بمائه الغاسل ، يقرب براكبه المسافة ، ويأمن فيه من المخافة ، ذلك هو الفقير الكامل الخلق والشئال » وهو يعني بالفقير « الصوفي » .

في يد الله !

ومن أروع ما قرأت لابن علوان بيتان لا ثالث لهما ولن يكون .

كل النواصي في يديك مع القلوب مع الهمم ؛  
وأراك إن أطلقتها أهلكت بالأمم الأمم .

### المنطق الحق

ومن شعره قصيدة طويلة ندد فيها بالمنطق الفلاسفة فقال :

نبى عن الله أنباءً محققة وأنت عن فيلسوف الأفك تنبيني  
المنطق الحق بين الخلق منطقه لا المنطقيون أهل الزيغ والهون  
أقوالهم فتن ، والتابعون لهم ، وزخرف القول من وحي الشياطين ،  
يا أيها المتولي شطر قبلتهم جهراً ذُبِحَتْ ؛ ولم تُذبح بسكين  
لا تصحبن بغاث الطير وهي على دور المزابيل زهداً بالشواهين  
لا تخلصن عن القرآن بهجته مقلداً للنصارى والرهابين ؛  
والتابعين لهم من أهل قبلتنا فتحت كل قميص سمّ تّنين !  
فان عثرت على كتب مزخرفة عنهم ؛ فقل كتب الرحمن تكفيني !  
ولا تظنن ان الحق ما وضعوا ليس الحقائق تحمى بالأظنانين

\*\*\*

وتوفى عام ٦٦٥ هـ ويقول الحيشي أن نسخة من ديوانه في مكتبته الأمبودليان ، ومن مؤلفاته « البحر المشكل الغريب » ، و « التوحيد الأعظم » انظر [المصادر ص : ٢٧٤] .

## ٤ - العنسي مؤلف الارشاد

[ت ٥٦٦٧ هـ]

ومن كتب الزهد المشهورة في اليمن كتاب « الارشاد إلى طريق الآخرة والزهاد » للعلامة عبد الله بن زيد العنسي وقد سبقت ترجمته عندما تحدثنا عن علماء أصول الدين ومنه عدة نسخ في مكتبة الجامع الكبيرة بصنعاء . وهناك غير هؤلاء من أقطاب الورع والزهد والتقوى . يستطيع من يريد الاحاطة أن يطلع على أخبارهم في كتب « الحفيد » و « الخزرجي » و « باخرمة » وطبقات « ابن سمرة » وغيرهم .

## نماذج من النثر الفني

إنها رحلة ؛ أما علي فلم تكن مملة ولا شاقة - رغم اني قد تقحمت فيها المجاهل اذ قد كلفت نفسي ان أكون رائدها ، وأما على من رافقتي أو من سيرافقتي في قراءة فصولها فلا أدري هل ستروق لهم أولن تروق .  
ولقد كانت بالنسبة لي قصيرة وممتعة ، ولا أدري أيضا كيف ستكون بالنسبة للآخرين !

نعم لقد رحلنا في فترة تعد من أشد تاريخ اليمن الأدبي غموضاً « العصر العباسي » وتحاورنا فيه مع أئمنته وسلطينه ، والكثير من علمائه وأدبائه ، وزهاده وفقهائه ، حتى وصلنا إلى آخر مراحلها ولم يبق لنا إلا وقفة لعلها ستطول مع الشعر والشعراء .

وقبل ذلك لا بد أن أقول : إنني قد حاولت الدقة والاحاطة جهدي ولكني أعلم ان ثمة أشياء كثيرة قد تجاوزتها ، أو غفلت عنها ، أو لم يهتد إليها علمي ؛ فالبحث بكر - وقد يكون الأول من نوعه في حدود معرفتي . . . وذلك هو عذري لمن يجد خطأ أو يلاحظ قصوراً أو تقصيراً .

ولقد كان « متن » البحث الذي كتبتة كما ذكرت في المقدمة لجامعة « كمبردج » البريطانية ، ثم أجزته في محاضرة ألقيتها في النادي الثقافي بجدة

لا يتجاوز أربعين صفحة وها نحن قد فصلناه في ثلاثة أسفار وقد نلحقها برابع إذا طال وقوفنا مع شعراء هذه الفترة الأخيرة .

ومع ذلك فأعتقد ان من حق الناقد ان يقول بأني لم أتحدث كما يجب عن « النثر الفني » وألوانه ولا سيما في فترتي « الصليحيين » و « الأيوبيين » و « مطلع العهد الرسولي » ، وإن كنت قد أوردت بعض خطب وعهود ورسائل الأئمة والملوك والعلماء والزهاد وهي تعطى صورة صادقة للأساليب البيانية التي كانت تتبع وتحتذى ، واعتقد انها لا تختلف عن أساليب معاصريهم في سائر البلدان الاسلامية خلال القرون الثلاثة التي تلت القرن الرابع الهجري ، وكانت تتميز بالاطناب وكثرة اقتباس الشواهد وضرب الأمثال وتكلف السجع والمحسنات البديعية ، واستعمال الغريب من الألفاظ في كثير من الأحيان .

وسأختار نماذج من النثر الفني لبعض اعلام الفترتين الأخيرتين :

## ١ - نشوان ورحلة حضرموت

فمن ذلك ما نقبسه من رسالة كتبها الشاعر العالم الأديب نشوان الحميري يصف بها رحلته إلى حضرموت قال : « لبثت في حضرموت : كما لبث يونس في بطن الحوت ، أخصف بها ورق الندامة خصفا ، وأعرض لرزق حلال فحصل ما فيه سد الخلة ثم عدت إلى مأرب فلقبني من بها متعرضين للعطية ، فقاسمتهم ما على المطية ، ووصلت إلى الجوف متخليا عن الاخوان والانصار ، ولو شئت لدخلتها بالجيوش الكثار ، ولكن قلت ما عند الله خير وأبقى وانشدت قول ابن الصمة

وما أنا إلا من غزبة ان غوت غويت وان ترشد غزبة أرشد

## ٢ - وصف كتاب شمس العلوم

ومن كلام له يصف فيه طريقة تأليفه لكتابه « شمس العلوم » قال :

« وقد صنف العلماء رحمهم الله في ذلك كثيرا من الكتب ، وكشفوا عن ما ستر من الحجب ، واجتهدوا في حداثة ما وضعوه ، وضبط ما حفظوا وصنفوا من ذلك وجمعوه ، ورووه عن الثقة وسمعوه ، فمنهم من جعل تصنيفه حارسا للنقط ، وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه

بالحركات بأمثلة قدروها ، وأوزان ذكروها ، ولم يأت أحد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات ويصف كل حرف مما صنفه بجميع ما يلزمه من الصفات ، ولا يحرس تصنيفه من النقط والحركات إلا بأحدهما ، ولا جمعها في تأليف لتباعدهما ، فلما رأيت ذلك ورأيت تصحيح الكتاب والقراء ، وتغييرهم ما عليه كلام العرب من البناء حملني ذلك على تصنيف ، يأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها ويردها إلى أصلها ، جعلت فيه لكل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعلت له ولكل حرف معه من حروف المعجم بابا ، ثم جعلت كل باب من تلك الأبواب شطرين ، أسماء وأفعالا ثم جعلت لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزنا ومثالا فحروف المعجم تحرس النقط ، وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة للحركات والشكل ، واردة كل كلمة من بنائها إلى الأصل ، فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا ، ويدرك الطالب فيه ملتسمه سريعا ، بلا كد فطنة غريزية ، ولا اتعاب خاطر ولا روية . ولا طلب شيخ يقرأ عليه ولا مفيد يفتقر في ذلك إليه »

### ٣ - من رسالة الحور العين

ولالأديب نشوان الحميري رسالة بديعة سماها « الحور العين » ثم شرحها بكتاب طبع سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨ م وهو يذكرنا بطريقته متنا وشرحا بطريقة وأسلوب أبي العلاء المعري في « الفصول والغايات » وقد بدأ الرسالة بقوله :

السلامُ عليك أيتها العَقوة ، التي لا تُلَمُّ بها الشَّقوة ، والربوه ، الموقرة عن الصَّبوه ، ذات القرار والمعين ، والمستقر لِحور العين ، بعيدة عن رَجْم الظنون ، كأمثال الوُلُو المكنون ، بيض الغرر والترائب ، سود الطرر والذوائب ، مقرونة الحواجب ، موشومة الرواجب ، تفتُر عن دُررٍ من الثغور ، ودراري طالعة لا تفور ، عواطل من الحلي ، لا تعرف عدواً من ولي ، يخلو بها ذو الريب ، وهي بريئة الجيب ، من التهمة والعيب ، لم تطمئ بأنسٍ ولا جان ، ولا استترت عن الأبصار بالبراقع ولا المِجان ؛ لا تجزي المحب بنفار ، ولا تُحرمُ بنكاح على الكفَّار ؛ تحل بعد ثلاث من الطلاق ، بمسِّ وتلاقٍ ؛ لا تنشُر عن بَعْل ، وإن وطئها بالنعل ، مُقعدة



تَسِيرُ فِي بَعْدِ وَقْرَبٍ ، صَائِمَةٌ عَنِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ ؛ مَمْنُوعَةٌ عَنِ اللَّذَاتِ ، نَفِيَةٌ  
عَنِ الْعُرْضِ وَالذَّاتِ ؛ لَا تَغْسَلُ مِنْ دَرْنٍ ، وَلَا تَوْصَفُ بِكَسَلٍ وَلَا أَرْنٍ ؛ تَنْطَقُ  
بِضُمُوتٍ ، وَتَحْيَا بَعْدَ أَنْ تَمُوتَ ؛ يُسْمَعُ نَطْقَهَا بِالْعَيْنِ ، لَا تَلْفَطُ بِلِسَانٍ وَلَا  
شَفَتَيْنِ ؛ تَضْحَكُ وَتُبْكِي السَّامِرَ وَالضَّجِيعَ ، بِنِظَامٍ حَسَنٍ وَتَسْجِيعٍ ، تُخْبِرُ  
عَنْ جَدِيسٍ وَطَسْمٍ ، وَمَا غَفَا مِنْ أَثَرٍ وَرَسْمٍ ، حَبْهَنَ دِينَ ، وَهَوَاهِنَ فَرَضٍ  
عَلَى الْمُوحِدِينَ ؛ وَحَدِيقَةَ الْأَدَبِ الَّتِي لَا تَهِيجُ ، وَتَرْتِيبَةَ الَّتِي أُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ  
زَوْجٍ بَهِيحٍ ، وَسَيْمَةَ الْأَزْهَارِ ، جَارِيَةَ الْأَنْهَارِ ، غَصُونَهَا دَانِيَةً ، وَعَيْونَهَا غَيْرِ  
آتِيَةٍ ، لَا خَبْتِ أَنْوَارِكَ ، وَلَا ذُبُلِ نُورَاكَ ، لِأَنْتَ جَنَّةُ الْعَدَنِ ، الْحَقِيقَةُ  
بِالسَّدَنِ ، نَحِييكَ مِنْ بَعْدِ بِالْجَنَانِ ، وَنَشِيرَ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ ، هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ  
النَّارِ الْمُؤَنَسَةِ ، فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، بِجَنَابِ الْقَصْرِ الْمَشِيدِ ، وَجَنَابِ الْمَلِكِ  
الرَّشِيدِ ؛ نَارِ سَوْدَدٍ رُفِعَتْ لِلنَّوَاطِرِ ، وَهَدَيْتِ بِهَا الْبُوَادِي وَالْحَوَاضِرَ ،  
جَاهِلَهَا فِي النَّاسِ مُلِيمٍ ، وَفَازَ مِنْ هَوَاهَا كَلِيمٍ ؛ مُضْرَمَةٌ لِلْوَيْ بِلَهَبٍ مِنْ  
ذَهَبٍ ، وَلِلْعَدُوِّ بِهَلَاكِ وَرَهَبٍ ، أَجَّجَتْ بِأَعْوَادِ الْكَرَمِ لَا الْكُرُومِ ، وَأَرْجَتْ  
بَطْيَبِ الْأَغْصَانِ وَالْأُرُومِ ، تَحْضُرُ بِقُرْبِهَا الْغَرَائِسُ ؛ وَيَتَرَّبُ الْمُفْتَقِرُ الْبَائِسَ ،  
يَعُودُ بِهَا الْأَوَاهُ الْمُنِيبُ ، وَيَلُودُ الْآلَاحِقُ وَالْجَنِيبُ ؛ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ ، وَعَلَى  
عُلُوِّ ذَلِكَ الْمَنَارِ ؛ أَنِي وَإِنْ غَدَوْتُ وَالْبَيْنَ عَلِيَّ جَانٍ ، وَضَرَبْتِ مِنَ الدَّهْرِ  
بِصُوبِ الْجَانِ ، ضَرَبَ كَرَّةً بَيْنَ الْحَزَاوِرِ ، وَلَفْظَةً يَنْطَقُ بِهَا كُلُّ مُحَاوِرٍ : بِحَفْظِ  
الْغَيْبِ الْجَدِيرِ ، وَعَلَى هَدِيَّةِ الشُّكْرِ لِقَدِيرِ ، لَسِيدِ مُطَاعٍ ، أَصْبَحَ لَيْبِ  
الشَّرْفِ كَالسُّطَاعِ ، صَنَائِعِهِ فِي كُلِّ جَنَابِ ، كَالْأَوْتَادِ لَهُ وَالْأَطْنَابِ ، لَا يَفْتَأُ  
مِنْ صِيَانَةِ حَسَبٍ ، غَيْرَ مَوْتَشِبٍ ، بِإِهَانَةٍ مَا اكْتَسَبَ ، مِنْ وَفْرِ وَنَشَبِ ،  
حَكْمٌ بِالْعَدْلِ مُقْسَطٌ ، وَلِدَوْحَةِ الشَّرْفِ مُتَوَسِّطٌ ، بَيْنَ وَالِدِ مُشَبِّ ،  
وَمَغْرَسِ كَرَمٍ نَامِي الْعَشْبِ ، وَطَرْفِ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَوْلَادِ مَنْجَبِ ، وَشَرْفِ  
عَالِي الْعِمَادِ مُرْجَبِ ، فَهُوَ كَعْبَةٌ لِلثَّنَاءِ يَضِيقُ بِقَاصِدِهَا الْفَجَاجِ ، وَيَفِيءُ  
بِحَمْدِهَا الْحَجَاجِ ، مَا صَفَرَتْ يَدَ الْقَابِضِ ، وَلَا رَمَى الظَّنَّ بِنَكْسِ  
حَابِضِ ، فَحَرَسَ اللَّهُ الْحَضْرَةَ الْمَطْهَرَةَ بِأَزَالِ ، عَنْ كُلِّ مَا غَيْرِ النِّعَمِ وَأَزَالِ ،  
حَتَّى تَنْخَفِضَ وَاجِبَاتِ الْأَفْعَالِ ، وَتَنْطَبِقَ الشِّفَاهُ بِمَطْبَقِ عَالِ ، وَيَتَوْلَدُ  
الْأَدْغَامُ بَيْنَ مُتَوَسِّطِ ذَوْلِقِي ، وَآخِرِهَا بَطْيِ حَلْقِي ، فَتَلِكُ حِرَاسَةً تَهْرُمُ الْأَزْلَمُ  
الْجُدْعُ ، وَدَوَامٌ لَا أَمْدَ لَهُ وَلَا مُنْقَطِعٌ ، وَأَطَالَ بَقَاءَهَا حَتَّى تَدْنُو الْمَيْمُ فِي  
الْمَخْرَجِ مِنَ الْعَيْنِ ، عَلَى تَبَائِنِ النُّوعَيْنِ ، إِنَّ بَيْنَهُمَا لِأَبْعَدَ بَيْنٍ ، بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ  
مِنَ الْمَغْرِبَيْنِ ، وَحَاطَهَا عَنِ النَّوَابِ ، وَمَخَشِيَّ الْغَيْرِ وَالشَّوَابِ ، حَتَّى تَعُودَ

السين وأخواتها التسع من حُرُوفِ الجُهرِ ، وليلةُ التَّمامِ أوَّلُ غُرَّةِ الشَّهرِ ؛ أين الجُهرُ من الهمس ، ونصفُ عدَّةِ المنازلِ من منزلةِ الشمسِ ؛ تضرعُ بالدُّعاءِ إلى ربِّ السَّماءِ ، وتوصِّلُ بالأفعالِ والأَسْماءِ ، وابتهاجُ من أسيرِ عانٍ في يدِ الزمانِ ، لا يطمعُ منه بِسلامةٍ ولا أمانٍ ، مُنسيِّ بحالٍ مثلِ تاءِ الأفتعالِ ، في الانقلابِ والأبدالِ ، مرَّةً بطاءً ومرَّةً بَدالٍ ، أبدلتُ في الحالتينِ بشديدٍ ، غيرِ رَاحٍ ولا مديدٍ ، وضروبٍ من حوادثِ الدهرِ تدورُ ، مع السَّنَةِ والشهورِ ، تُعيدُ الجُلْدَ مِنَ الرَّجَالِ ، كثنائِي الأفعالِ ، عليلِ الطَّرْفَيْنِ ، ثم تنقصُ منه للعلَّةِ حَرْفَيْنِ ، فيصيرُ حَرْفاً واحداً ، وتعيضُه في الوقفِ حَرْفاً زائداً ؛ ونوائبُ ، معابِلها صوائبُ ، تَرَدُّ الصَّفو مشيباً ، والشبابُ شيباً ، وتخلقُ بُرْدَ الشبيبةِ وقد كان قشيباً ، فهو معها كحرفِ اعتلالِ ، لا يوسمُ بصحةٍ وإبلالِ ، يختلفُ باختلافِ الحركاتِ المختلفاتِ ، فيعودُ على غيرِ ما كان من الصِّفاتِ ، ويذهبُ بدخولِ الجوازِمِ ، ويلزمُه للحذفِ لوازِمُ ؛ وآونةٌ تنغصُ المرءَ بالممرِّ ، وتردُّ إلى الأَرْدَلِ كلَّ مُعَمَّرٍ ، فهي لنظمِ الحيوانِ زحافُ ، ولها في طلبِ النفوسِ إلحافُ » .

إلى آخرها وقد سبق ان اقتبسنا من الرسالة أمثلة ونحن نتحدث عن نشوان الشاعر .

#### ٤ - رسائل ابن القم

وقد أورد الدكتور حسين الهمداني في كتابه « الصليحيون » عدة رسائل من انشاء الشاعر الكبير والكاتب المترسل الحسين بن القم تعطي صورة لأسلوب النثر الفني في العهد الصليحي ومنها :

« الحمد لله القدير القديم الرحمن الرحيم ، المبدي المعيد ، القوي الرفيع ، الفرد الأحد ، العزيز الصمد ، الذي جل أن تدركه الظنون ، وعلا أن يبلغ أدنى صفاته الواصفون شهد بالإهية لنفسه وملائكته المقربون ، واحتج باستحالة ما ادعاه المشركون . بقوله الذي عجز عن الاتيان بمثله القائلون : « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » قاصم كل جبار عنيد ، وقامع كل شيطان مريد ، وبالغ كل ذي أيد شديد ، الذي لم يبتل أولياءه بما ابتلاهم تعنتاً ولا هضمًا ، بل اختبارًا ، وإن كان قد أحاط بكل شيء علماً ، ووسع أعداء دينه أناءة

وحلما ، ليحتقبوا بالاستدراج حوباً وإثماً ، كما قال جلا جلاله وتباركت  
أسماؤه : ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم  
ليزدادوا إثماً﴾

وصلى الله على محمد نبيه سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، ورسوله إلى  
الجن والانس أجمعين ، وشفيعه الشفيح يوم الدين ، هادي المهتدين ومردى  
المعتدين ، الذي قرن بفرض طاعته فرض حبه ، وختم الأولياء الطيبين به ،  
وغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه ، وانزل القرآن على قلبه ، وأسكن من  
أتبعه جنات عدن ، وجعله بيتاً أخصّ بأمنه وداعياً إلى الله باذنه ، وأوجب  
ولاءه على انسه وجنه « إلى آخر الرسالة التي كتبها على لسان الملك المكرم إلى  
الخليفة المستنصر الفاطمي [راجع كتاب الصليحيون قسم الملاحق  
٣٠١ - ٣٣٠] .

## ٥ - تهنئة بفتح ظفار

وقال أخو كنده يهنئ السلطان المظفر بفتح ظفار  
« بسم الله الرحمن الرحيم » فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا  
نصر المؤمنين « مطالع صدقٍ بالنصر نورها ، وتباشير حق تضاعف على  
العالمين سرورها ، وسطوات ملك دفع من البدعة باطلها ، وجيوش نصر  
عقدت الأرض في المشارق قساطلها ، وهدمت من ربوع البيغي منازلها ،  
حتى حلت الخسار ، ونزلت بوائق البوار . بمن نهض فلم يقدر ، وزاحم  
فلم يصبر ، فالحمد لله الذي حبا لمولانا المقام الأعظم السلطاني العالمي  
العاملي الجوّادي الرحيمي الملكي المظفري خلد الله ملكه في عصور  
الأزمان ، ومعاطف الملوان ، هذا الفتح الميين ، وأخذ بسيفه نار المبطلين .  
وليست يبكر لم ير الناس مثلها ولكن عوانٌ كان مثل لها قبل  
وحيث وردت البشارة وضح الحق للمرتابين . وازدادت طمأنينة قلوب  
المطمئنين .

وعاين الناس هاماتٍ مقطعة  
تؤمها هامةٌ كانت متوجّةً  
جاءت من البحر تسري بين أمواج  
أودى بها الملك الصنديد ذو التاج  
يأتّم في البحر أفواج بأفواج  
ساق المظفر جيش النصر من عدن

بجحفل لب الأَصوات عَجَّاج  
وكل نهدِ حموم السد معَّاج  
لفرط أَيْن وتهجير وادلاج  
بحراً من الرَّمْل إلا أنه ساج  
وكثر شدِّ والجام وأسراج  
ما في البطون من افلاء وامشاج  
ما كان سالمها بالسالم الناجي  
نصالهم من دم الأجواف ثجاج  
به الغواية نهجاً شرَّ منهاج  
وصار ولَّاج حربٍ غير خراج  
والرأس في كل أرضٍ فوق معراج  
ولا مضاهاة بين الدرِّ والعاج

وأفعم البرِّ حتى ضاق واسعهُ  
من كل معاجةٍ تعدو وتسكنها  
كتائبٌ لأبي المنصور ما فترت  
تشق في فلوات البيد سباحة  
يا طول ذلك من حلٍّ ومرتحل  
حتى وردت ظفاراً بعد ما نبذت  
وبعد ان عقدت في عوقدٍ فتناً  
ما أنهلت ثم حتى منهم انتهلت  
تعمساً لسالم من غاوٍ لقد سلكت  
فصار مورد امرٍ غير مُصدِّره  
أضحت بعوقد منه جثةً طرحت  
رام المضاهاة جهلاً فاعتدى سفهاً

لا زالت الثغور معمورة . والجيوش مؤيدة منصوره . وعقود التهاني  
منتظمة السلوك . والجنود المظفرية قافلة بجهاجم الملوك . ما همر ركام .  
وسجع على فروع الأيك حمام .

## ٦ - رسالة العبيدي

وقد أورد ابن أبي الرجال رسالة طويلة مدبَّجة بالأشعار للعالم المجتهد علي  
بن سالم بن غياث العبيدي أجاب بها على القاضي الاحنف قاضي مكة  
في زمنه [أواخر القرن السادس] ذكرناها في ترجمته .  
[ص ١٠٧ - ١١٥ ج ١ - مطلع البدور نسخة زيارة] .

انتهى السفر الثالث من تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي  
ويليه السفر الرابع والأخير

**فهرست السفر الثالث من كتاب  
« تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي »**





العنوان	رقم الصفحة
تقديم	٥
الحقبة الأخيرة ، عهد الأيوبيين ومطلع العهد الرسولي .	٩
أسباب الحملة الأيوبية على اليمن .	٩
تعليق الدكتور عاشور .	١٠
تعقيب على التعليق .	١١
رأي المؤرخ الخزرجي وتعليق الأكوغ .	١٢
توران شاه في عدن .	١٤
توران شاه واليمن الأعلأ .	١٦
المراسلات الشعرية بين السلطانين .	١٧
السلطين الأيوبيون في اليمن .	٢٠
سيف الاسلام طغتكين بن أيوب .	٢١
كرم طغتكين وشعر ابن عنين -	٢٣
اهتمام طغتكين بالعمران وشراء الأراضي .	٢٣
المعز أسماعيل بن طغتكين .	٢٤
استعجام القيادات ،	٢٥
ادعاء الخلافة الاسلامية والنسب الأموي .	٢٦
سخرية الملك العادل - الدامغة المعزية الأموية .	٢٧
نهاية المعز .	٣٠
الأتابك سنقر والناصر أيوب .	٣٢
نهاية ابن جبريل .	٣٢
آخر ملوك بني أيوب المسعود .	٣٣
أئمة الفترة الرابعة في العصر العباسي - تمهيد	٣٥
همود صوت الامامة .	٣٦
ثلاثة أئمة يحاربهم أبناء أئمة !	٣٧
١ - الامام عبد الله بن حمزة : نسبه	٣٧
مولده ونشأته - أساتذته وتفوقه	٣٨
تاريخ حياته	٣٩
مؤلفاته	٤٠

العنوان	رقم الصفحة
آثاره في المتحف البريطاني .	٤٩
دعوته .	٥٠
نص البيعة ؛ دخول الامام صنعاء .	٥١
من ناوأة من أولاد الأئمة ؟! .	٥٣
١ - الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان .	٥٣
دور المؤرخ الطائفي .	٥٦
٢ - الثاني من المناوئين . ٣ - الثالث من المناوئين .	٥٨
٤ - المعارضون فكرياً وسياسياً .	٥٨
العفيف الوزير وابن أخيه المشرقي .	٥٩
قتل ابراهيم بن حمزة .	٦٠
اليمين المنصورية .	٦٢
اليمين الزبيرية .	٦٤
شعره .	٦٥
عصاه السحرية . أرجوزة الخيل .	٦٦
أرجوزة جنى عليها النشر المشوه .	٦٨
قصيدة المناقب أو محاسن الأزهار .	٧٠
شعره السياسي	٧٢
١ - إلى أمير مكة .	٧٣
٢ - الى خليفة بغداد الناصر .	٧٤
٣ - استنجاهه بالأشراف وتحريضه لهم .	٧٥
استجابة حضر موت والسلطان الراشدي .	٧٧
قضية . . وأرجوزه .	٧٨
موقف الامام علي من الخوارج .	٧٩
لا أنكر التضليل . . بل التقتيل .	٨١
من مواقف الرسول ﷺ .	٨٣
من هم المطرفية ؟ ١ - تمهيد .	٨٣
٢ - معتقدات المطرفية .	٨٤
٣ - آراء العلماء فيهم .	٨٦



العنوان	رقم الصفحة
٤ - مناقشة المطرفية علمياً .	٨٧
هل الجبن والبخل غريزتان ؟ شبهة العورة والريح .	٨٩
مناظرة ظريفة .	٩٠
٥ - هل ثمة دوافع أخرى .	٩١
المخترعة .	٩٢
نشأة المطرفية .	٩٢
مطرف الشهابي .	٩٤
هل كان غويا أم من زعماء الاصلاح ؟	٩٨
ابتدأ حراثا .	٩٩
مشايخ مطرف وخلاصة مذهب المطرفية .	١٠٢
١ - العقل .	١٠٢
٢ - لا ملك لعاص . ٣ - كلام الله مناظرات وجدل :	١٠٣
١ - اثبات واجب الوجود ٢ - مع الملك الصليحي .	١٠٤
٣ - مع شريف مكة .	١٠٥
٤ - مع رافضي مهدوي ٥ - من الكوفة ياسيدي !	١٠٦
برهان المنطق أقوى من البطش .	١٠٦
القرآن والسنة هما المرجعان .	١٠٧
هيمنة الفقهاء على المؤرخين .	١٠٨
نقدٌ وحوار ١ - علماء آمنوا برهم .	١٠٩
٢ - طبائعيون . . لكنهم مؤمنون .	١١٠
٣ - هل مرقوا عن الزيدية ؟ وهل مذهب الهادي هو مذهب زيد ؟	١١٢
٤ - أسباب ودوافع الصراع الفكري والدموي .	١١٤
أ - كانوا طلائع حضارة اسلامية .	١١٥
ب - تأثرهم بكتب المعتزلة .	١١٦
ج - موقف الأساتذة وموقف التلاميذ .	١١٦
د - وكانت المأساة . وفاة مطرف .	١١٧
أولاد مطرف	١١٨
إلى عدلية المخترعة المعاصرين .	١١٩

العنوان	رقم الصفحة
رسالة ابن النساخ .	١٢١
ضياح شعر ابن النساخ .	١٢٤
طبقات مسلم اللحجي .	١٢٧
رأي الامام الهادي في الأصول الثلاثة .	١٢٨
هل من عذر شرعي أو مبرر سياسي للامام ابن حمزة ؟	١٣٠
هل تراخي المطرفية عن المناظرة ؟	١٣٣
هل أبادهم بعد البيغي عليه ؟	١٣٥
المتعتون والموسوسون .	١٣٧
الخلط بين الدين والفقہ .	١٣٩
ماذا قال علماء اليمن ؟	١٤٠
أصل افتراق الزيدية .	١٤٢
الالزام ؛ ودار الكفر ودار الحرب .	١٤٣
لقد كانت أسباب النكبة سياسية .	١٤٥
طغيان العلم .	١٤٧
أصول الدين وموقف الأفغاني .	١٤٨
التكفير والتفسيق .	١٤٩
الأرجوزة المرعبة .	١٥٠
هل كان جارودياً .	١٥٣
صرخة الشماحي وصداهها .	١٥٥
بعض الشعر نفثة شيطان .	١٥٦
أراجيز الجدل المذهبي .	١٥٨
٢ - الامام يحيى بن المحسن بن محفوظ .	١٦٢
أرض الله واسعة .	١٦٣
ظلم القرايات . إعتزاز المنهزم .	١٦٤
مؤلفاته وآثاره - منزلته الشعرية .	١٦٥
الصفات المشتركة بين أمراء بني حاتم والحمزات .	١٦٦
مساجلات الحرب والشعر .	١٦٧
مخاطبة الملوك .	١٧١

العنوان	رقم الصفحة
دولة بني رسول .	١٧٢
عمر بن علي أول ملوك بني رسول .	١٧٣
بائية ابن حمير .	١٧٤
لولا الأشراف والمظفر .	١٧٦
مجالس الشراب لطائفها ونزواتها .	١٧٩
٣ - الامام أحمد بن الحسين : نسبه . مشايخه .	١٨٢
مزاياه .	١٨٣
النعمة التي أصبحت نقمة .	١٨٤
وقعة قارن ونصح الشاعر .	١٨٥
هل كان ابن الحسين فوق مستوى زمنه ؟	١٨٨
موقف بني حاتم وقصيدة التمرد .	١٨٩
آثاره ومؤلفاته .	١٩٧
قصة الحشاشين ومحاوله الاغتيال ؟	١٩٨
من كان وراء مؤامرة الحشاشين ؟	٢٠١
المؤامرة باطنية حاتمية .	٢٠٢
خروج الرصاص واستشهاد الامام .	٢٠٦
مصير الثلاثة الكبار . ١ - من هو الرصاص وما كان مصيره ؟	٢٠٩
٢ - الامام ابن وهاس الحمزي .	٢١١
٣ - الأمير الفارس الشاعر أحمد بن حمزة .	٢١١
أبيات الشامت العنسي . هل من عذر لابن حمزة ؟	٢١٥
الخروج وقصيدة الرفد الحاتمية .	٢١٨
المعارك مع الامام وقصيدة « لعل الليالي » .	٢٢١
صدى القصيدة في المجتمع اليمني .	٢٢٤
الشهيد حميد .	٢٢٩
الملك المظفر .	٢٢٩
الملك العالم المؤلف .	٢٣٠
المظفر والشعراء .	٢٣٣
نهاية العنسي .	٢٣٤

العنوان	رقم الصفحة
من مظاهر التعصب المذهبي .	٢٣٧
مع الشيخ علوان الجحدري .	٢٣٩
عقدة المظفر الطغتكينية .	٢٤٢
اليتمية التكريتية .	٢٤٥
لقب « سيف الاسلام » .	٢٤٨
موقف المظفر من ابن دَعَّاس .	٢٤٩
موقف شاعري .	٢٥١
موقف الشهامة .	٢٥٢
عناصر مسرحية .	٢٥٣
شهامته الاسلامية وعدله .	٢٥٣
من آثار المظفر الأدبية .	٢٥٤
عهد المظفر لولده الأشرف .	٢٥٨
مآثره وأولاده .	٢٥٩
أئمة العهد المظفري .	٢٦١
١ - الامام الحسن بن بدر الدين ؛ نسبه . ولادته ونشأته .	٢٦١
مؤلفاته وآثاره .	٢٦٢
دعوته وحوادث أعوام إمامته .	٢٦٣
شعره .	٢٦٤
٢ - الامام يحيى السراجي .	٢٦٥
٣ - الامام ابراهيم بن تاج الدين .	٢٦٦
إعتراف ودفاع الامام الشاعر .	٢٦٩
سخيرية لاذعة .	٢٧٠
تدمير حدة وسناع .	٢٧١
٤ - الامام المطهر بن يحيى المرتضى .	٢٧١
رسالة دعوته .	٢٧٢
زهده وورعه .	٢٧٤
مؤلفاته .	٢٧٥
النشاط الفكري والأدبي .	٢٧٥

العنوان	رقم الصفحة
١ - المؤرخون .	٢٧٦
١ - علي بن نشوان .	٢٧٦
٢ - أبو فراس دغثم .	٢٧٧
٣ - الأمير محمد بن عبد الله بن حمزة ٤ - محمد الأنف .	٢٧٨
٥ - يحيى الحجوري ٦ - حميد الشهيد ٧ - يحيى الحمزي .	٢٧٩
٢ - علماء اللغة والبيان .	٢٨٠
١ - محمد بن نشوان ٢ - محمد القلعي ٣ - محمد الركيبي .	٢٨٠
٤ - ابن عجيل ٥ - ابن أبي النجم ٦ - ابن العمك .	٢٨١
٧ - محمد بن أبي السعود .	٢٨٣
٣ - علماء التفسير والحديث .	٢٨٤
المفسرون ١ - المعيني ٢ - القرشي .	
٣ - ابن مشيرح ٤ - النجراني .	٢٨٥
المؤلفون في الحديث .	٢٨٦
١ - ابن أبي الصيف ٢ - ابن جديد ٣ - ابن الأنف .	٢٨٦
٤ - ابن بطلال ٥ - علي بن حميد .	٢٨٧
٦ - محمد بن أبي النجم .	٢٨٨
٧ - الحسين بن بدر الدين .	٢٨٩
٤ - علم الكلام وأصول الدين .	٢٩٠
١ - الحسن الرصاص .	٢٩٠
٢ - الحارثي .	٢٩١
٣ - طاهر العمراني ٤ - الحامدي الاسماعيلي .	٢٩٢
٥ - سليمان المحلي ٦ - مسعود العنسي .	٢٩٧
٧ - الداعي علي بن حاتم .	٢٩٨
٨ - الداعي علي الأنف .	٢٩٩
٩ - أحمد بن الحسن الرصاص ١٠ - محمد بن أحمد الأنف .	٣٠٣
١١ - محمد بن حمزة ١٢ - المحفوظي .	٣٠٤
١٣ - حميد المحلي .	٣٠٥
١٤ - حميدان بن يحيى .	٣٠٦

العنوان	رقم الصفحة
١٥ - الأصابي ١٦ - الحسين بن بدر الدين .	٣٠٧
١٧ - القاضي عبد الله العنسي .	٣٠٨
٥ - الفقه والفرائض فمن الفقهاء :	٣١٠
١ - الحسن بن محمد الرصاص ٢ - ظاهر العمراني .	٣١٠
٣ - علي بن الحسين بن يحيى ٤ - الحسين بن بدر الدين .	٣١٠
٥ - عبد الله زيد العنسي ٦ - اسماعيل الحميري .	٣١١
ومن الفرضيين :	
١ - العصفري ٢ - علي بن الحسين ٣ - الحسن بن نصر العنسي .	٣١٢
٦ - التصوف والزهد	٣١٣
١ - الداعي علي الأنف ٢ - ابو الغيث بن جميل .	٣١٣
بينه وبين ابن الحسين .	٣١٣
من الشطحات مع ابن علوان .	٣١٤
من هو الصوفي ؟ دعاء لأبي الغيث .	٣١٥
٣ - ابن علوان .	٣١٥
من هو الفقير ؟	٣١٦
في يد الله . المنطق الحق .	٣١٧
٤ - العنسي مؤلف الارشاد .	٣١٨
نماذج من النثر الفني .	٣١٨
١ - نشوان ورحلة حضرموت ٢ - وصف كتاب شمس العلوم .	٣١٩
٣ - من رسالة الحور العين .	٣٢٠
٤ - رسائل ابن القم .	٣٢٢
٥ - تهنئة بفتح ظفار .	٣٢٣
٦ - رسالة العبيدي .	٣٢٤
فهرست السفر الثالث .	٣٢٥



